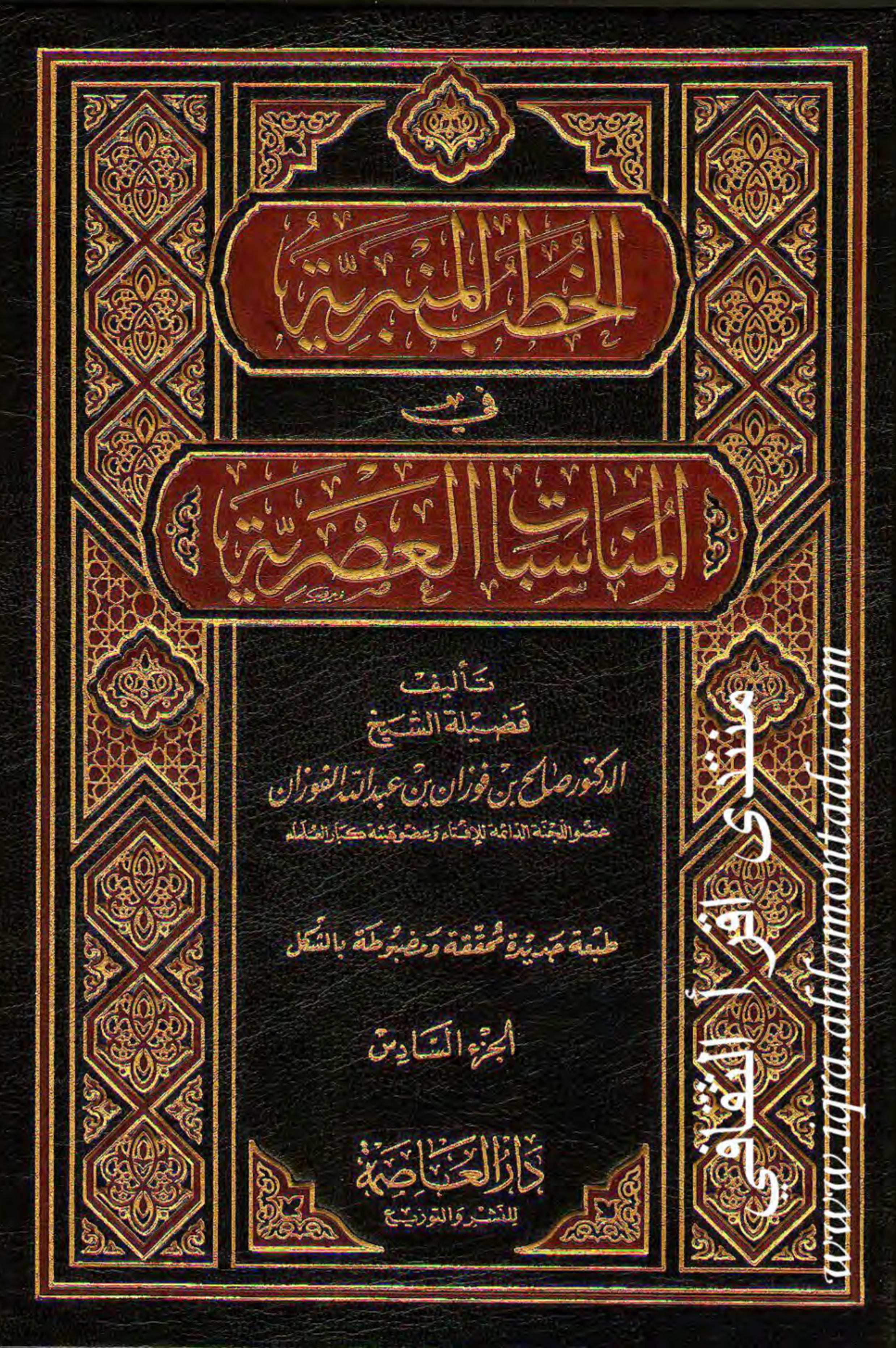
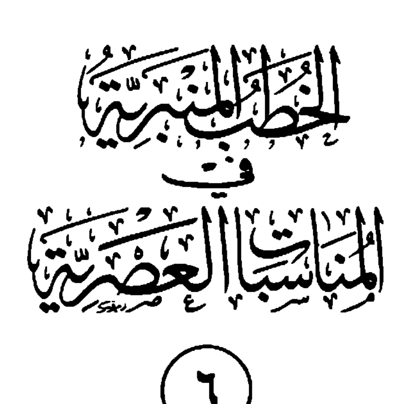

الخطب المنبرية
في
المناسبات العصرية
تأليف
فضيلة الشيخ
الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء
طبعة جديدة محققة ومضبوطة بالشكل
الجزء السادس
دار العاصمة
للنشر والتوزيع
www.iqra.ahlamontada.com
منتدى اقرأ الثقافي


الخطب المنبرية
في
المناسبات العصرية
٦

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفوزان، صالح بن فوزان

الخطب المنبرية في المناسبات العصرية ./ صالح بن فوزان للفوزان .

- الرياض ١٤٢٦ هـ

٦ مج

ردمك : ٠-٠٠-٦٩٢-٩٩٦٠ (مجموعة)

X-٠٦-٦٩٢-٩٩٦٠ (ج ٦)

١- خطبة الجمعة أ - العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٢٦/٢٠٤

رقم الإيداع : ١٤٢٦/٢٠٤

ردمك : ٠-٠٠-٦٩٢-٩٩٦٠ (مجموعة)

X-٠٦-٦٩٢-٩٩٦٠ (ج ٦)

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

الصف والإخراج دار العاصمة للنشر والتوزيع

دار العاصمة

المملكة العربية السعودية

الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١

هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

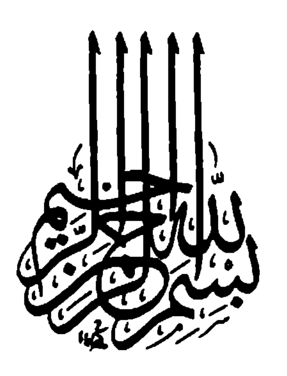


تأليف
فضيلة الشيخ
الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء

طبعة جديدة محققة ومضبوطة بالشكل

الجزء السادس

دار العاصمة
للنشر والتوزيع



فِي الحَثِّ عَلَى أَكْلِ الحَلالِ وَتَرْكِ الحَرَامِ

الْحَمْدُ لله عَلَى فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ. أَغْنَانَا بِحَلالِهِ عَنْ حَرَامِهِ، وَبِفَضْلِهِ عَمَّنْ سوَاهُ، وأشهدُ أَلاَ إلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَلاَ نَعْبُدُ إلاّ إيّاهُ وَأَشْهَدُ أَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أَرْسَلَهُ بَيْنَ يَدَيِ السّاعَةِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أما بعد:

أَيُّهَا النّاسُ، اتقُوا الله تَعَالَى قَالَ اللهُ تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾. في هذه الآيةِ الكريمةِ يُنَادِي اللهُ الْمُؤْمِنِينَ لأنّهم هُمُ الّذِينَ يَمْتَثِلُونَ لأَوَامِرِ اللهِ وَيَجْتَنِبُونَ نَوَاهِيهِ فَخصَّهُمْ بِالنّدَاءِ بِمُوجِبِ إِيمَانِهِم، قال بعضُ السلفِ: إذا سَمِعْتَ اللهَ يَقُولُ: يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا فَأَصْغِ لَهَا سَمْعَكَ، فَإِنّه إمّا خَيْرٌ تُؤْمَرُ بِهِ، وَإِمّا شَرٌّ تُنْهَى عَنْهُ، وفي هذه الآية يقول تعالى: ﴿ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾ [النساء: ٢٩ ـ ٣٠] هذا نَهيٌ مِنَ الله سبحانه وتعالى لعبادهِ المؤمنينَ عَنْ أكلِ أموالهم بينَهُم بالباطلِ لأنّ حُرْمَةَ الأموالِ كحُرمةِ الدماءِ ولهذا قال: ﴿ولاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فَقَرَنَ سُبْحَانَهُ وتعالى بين النّهْيِ عن أكلِ الأموالِ بالباطلِ وبينَ قتلِ الأنفُسِ بغير حَقٍّ وقال النبي ﷺ: «إِنّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»[1] والباطِلُ خِلافُ الحقِّ والمرادُ أَكْلُهَا بِغَيْرِ مَا أَبَاحَ اللهُ

---

(١) البخاري (٦٥) مسلم (٢١٣٧).

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ وُجُوهِ الْمَكَاسِبِ الْمُبَاحَةِ، وَصَرْفُهَا فِيمَا أَحَلَّ اللهُ سبحانه وتعالى، فَأَكْلُهَا بِالْبَاطِلِ يَشْمَلُ اكْتِسَابها بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَشْمَلُ صَرْفَهَا بِغَيْرِ حَقٍّ، وفي الحديث: «إِنَّهُ لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتّى يُسْأَلَ عَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ»[١] وقوله: ﴿ لَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم ﴾أي: أَمْوَالُ غَيْرِكُمْ وَكَذَلكَ لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ الخاصّةَ بِكُمْ بِالباطلِ، وَالْبَاطِلُ خِلافُ الْحَقّ، وهُوَ كُلُّ ما نَهَى اللهُ سُبْحَانَهُ وتعالى عَنْهُ أو نَهَى عَنْهُ رَسُولُهُ ﷺ مِنَ الْمَكَاسِبِ الْمُحَرّمَةِ وَالْمَصَارِفِ الْمُحَرّمَةِ. فَمِنْ أَعْظَمِ أَكْلِ الأَمْوَالِ بِالْبَاطِلِ أَخْذُهَا عَنْ طَرِيقِ الْغَصْبِ وَالنّهْبِ والسَّلْبِ والسّرِقَةِ. قال ﷺ: «لاَ يَحِلُّ مَالُ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ إلاّ بِطِيبَةٍ مِنْ نَفْسِهِ»[٢] فلا يجوزُ أَخْذُهَا قَهْرًا بِغَيْرِ حَقّ، وَلِذَلِكَ وضعَ اللهُ الْحُدُودَ الرّادِعَةَ لِمَنِ اعْتَدَى عَلَى أَمْوَالِ النّاسِ بِقَطْعِ يَدِ السّارِقِ وَقَطْعُ يَدِ وَرِجْلِ الْمُحَارِبِ وهُو قَاطِعُ الطّرِيقِ مِنْ خِلافٍ كُلُّ ذلكَ لحُرمةِ أموالِ المسلمينَ، وكذلك أخذُها عَن طريقِ الخُصومةِ الباطلة قال ﷺ: «مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا طَوّقَهُ اللهُ إيّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»[٣] وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»[٤] فلا يَجُوزُ أَخْذُهَا عن طريقِ الْقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ وَالْغَصْبِ، أَوْ أَخْذِهَا عَنْ طَرِيقِ الْخُصُومَاتِ الْبَاطِلَةِ وَالْحُجَجِ الدّاحِضَةِ وشهاداتِ الزّورِ فَإِنّهَا سَتُعَادُ لأصحابِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُعَادُ مِنْ حَسَنَاتِ الظّالِمِ، وَتُعْطَى لِلْمَظْلُومِ، وَمِنْ أَعْظَم أَكْلِ أَمْوَالِ النّاسِ بِالْبَاطِلِ

---

(١) الترمذي (٢٣٤١)، الدارمي (٥٣٦).
(٢) أحمد (١٩٧٧٤).
(٣) البخاري (٢٩٥٩)، مسلم (٣٠٢٠).
(٤) البخاري (٢٢٣٩)، مسلم (١٩٧).

أَخذُهَا بِالرِّبَا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ إلى قَوْلِهِ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾[البقرة: ٢٧٥ ـ ٢٧٩] وقال النبيُّ ﷺ: «لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَشَاهِدَيهُ وَكَاتِبَه»[١] فَلَعْنُ الآكِلِ، وَلَعْنُ الدَّافِعِ لِلرِّبَا، وَلَعْنُ الْمُعينِ عَلَيْهِ وَهُوَ الْكَاتِبُ وَالشَّاهِدُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى غِلَظِ أَمْرِ الرِّبَا وَشِدَّةِ إِثْمِهِ، وَعُقُوبَتِهِ عِنْدَ اللهِ وَقَدْ أَصْبَحَ الرِّبَا في هَذا الزَّمانِ مُنْتَشِرًا بَيْنَ النَّاسِ وذلك من علامات الساعة، من علاماتِ الساعةِ فُشوُ الرِّبَا قال ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَأْكُلُونَ الرِّبَا فَمَنْ لَمْ يَأْكُلْهُ أَصَابَهُ مِنْ غُبَارِه»[٢] وكما تَرَوْنَ غالبُ مُعَامَلاتِ النَّاسِ فِي الْبُنُوكِ وَالشَّرِكَاتِ وغيرها غَالِبُهَا مِنَ الرِّبَا ولا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلا باللهِ. لكنَّ الواجبَ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَقِي اللهَ بِنَفْسِهِ وَلَوْ كَثُرَ الرِّبَا فَإِنَّهُ يَنْجُو بِنَفْسِهِ قال سبحانه وتعالى: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٠].

ومن أَعْظَمِ أكلِ أموالِ النَّاسِ بالباطلِ أكلُها بِالْقِمَارِ. وَالْقِمَارُ هُوَ الْمَيْسِرُ وَهُوَ قَرِينُ الرِّبَا، وَالْمَيْسِرُ وَالْقِمَارُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ وَهُوَ أَخْذُ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْمُغَالَبَاتِ وَالْمُرَاهَنَاتِ وَالْمُخَاطَرَاتِ الَّتِي يَكْثُرُ التَّعَامُلُ بِهَا فِي هَذَا الْوَقْتِ،

---

(١) أحمد (٣٥٣٩)، مسلم (٢٩٩٤)، الترمذي (١١٢٧).
(٢) النسائي (٤٣٧٩)، ابن ماجة (٢٢٢٦٩)، أحمد (١٠٠٧).

وَيُسَمّونَهَا بِالْجَوَائِزِ وَيُسَمُّونَهَا بِالْمُسَابقَاتِ وَيُسَمّونَهَا بِالْحَوَافِزِ التِّجَارِيَةِ فَيَجْعَلُونَ هَذِهِ الْمُسَابقَاتِ مَصْيَدَةً لأكلِ أموالِ النّاسِ بالباطلِ فَلاَ يَجُوزُ أَخْذُ الأَمْوَالِ عَلَى الْمُرَاهَنَاتِ وَالْمُسَابقَاتِ إلا فِيمَ أَحَلّهُ رسولُ اللهِ ﷺ وَذَلِكَ فِي ثلاثةِ أَشْيَاء فقط قال عليه الصلاةُ والسلامُ: «لاَ سَبْقَ» والسّبْقُ الْمُرَادُ بِهِ الْجَائِزَةُ: «إلاَّ فِي ثَلاثٍ فِي نَصْلٍ أَوْ خُفٍّ أَوْ حَافِرٍ»[1] والنّصلُ المرادُ به: الرّمَايَةُ فَيَجُوزُ أَنْ يَتَسَابَقَ الْمُسْلِمونَ في الرّمَايَةِ فيُعْطَى الحاذِقُ منهم جائزةً تَشْجيعًا له لأنَّ ذَلِكَ مِنْ وَسَائِلِ الجهادِ والتدرُّبِ على السلاحِ، وَالْخُفّ المرادُ بِهِ الْمُسَابقَةُ عَلَى الإبلِ لأَنّهَا مِنْ دَوَاب الْجِهَادِ أَيْضًا، وَالْحَافِرُ الْمُرَادُ بِهِ الْخَيْلُ، وَهُوَ الْمُسَابقَةُ عَلَى رُكُوبِ الْخَيْلِ فَيُعْطَى السّابِقُ جَائِزَةً عَلَى سَبْقِهِ تَشْجِيعًا لَهُ لأَنّ ذَلِكَ مِنَ التّدرُّبِ عَلَى وسائلِ الْجِهَادِ في سبيلِ اللهِ. أما ما يُسَمُّونَه بالتّرْشِيحِ في مسابقة الخيولِ والترشيحُ وهو أَنّ كلّ واحدٍ يَخْرُصُ وَيَقُولُ: يسبق الجواد الفلانِيّ والاخر يقول: يَسْبِقُ الْجَوَادُ الْفُلانِيّ ثم يأخذُ على ذلك مَبْلَغًا منَ المال إذا وَافَقَ خَرْصه هَذَا مِنَ الميسر هذا هو القمار. لاَ تَحِلّ الْجَائِزَةُ إلا لِلْمُسَابِقِ المسلمِ فَقَط الذي يَرْكَبُ الْفَرَسَ وَيُسَابِقُ عَلَيْهَا بقصدِ تَعَلّمِ الْفُرُوسِيّةِ أما الذي يجلس على كُرْسِيّهِ وَيَخْرُص ويقول: يَسْبِقُ الْجَوَادُ الْفُلانِي أو أَتَوَقّعُ أَنّ الْجَوَادَ الْفُلانِيّ هو الذي يَبقى ثم يأخُذُ على ذلك الجائزةَ: سَيّارَةً أو مئَاتِ الآلاف منَ الرّيَالاَتِ، فهذا مَيْسِرٌ وَقِمَارٌ وَحَرَامٌ وأَكْلٌ لِلْمَالِ بِالْبَاطِلِ، وكذَلِكَ منْ أَعْظَمِ أَكْلِ الأَمْوَالِ بِالْبَاطِلِ أَخْذُ الرّشْوَةِ، وَالرّشْوَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مِا الرّشْوَة التي اتّخَذَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُوَظّفِينَ مَصْدَرًا لِكَسْبِهِمْ. أَوْ هي ما يُدْفَعُ للموظف والمسؤولِ من أجل أن يُنْجزَ مُعَامَلاتِ

---

(١) الترمذي (١٦٢٢)، أبو داود (٢٢١٠)، ابن ماجة (٢٨٦٩).

الرَّاشِينَ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يُقَدِّمَ الرَّاشِي على غَيْرِهِ مِنَ الْمُرَاجِعِين وَيُنْهِي مُهِمَّتَهُ ويتركُ الْبَقِيَّةَ الَّذِين لم يُقَدِّمُوا رِشْوَةً، يَتْرُكُهُمْ وَلاَ يَهْتَمُّ بِمُعَامَلاَتِهِم قال ﷺ: « لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الرَّاشِيْ وَالْمُرْتَشِيْ»[1] .

فقد لَعَنَ أَخْذَ الرِّشْوَةِ، وَلَعَنَ دَافِعَهَا، وَاللَّعْنُ هُوَ الطَّرْدُ وَالإِبْعَادُ عَنْ رَحْمَةِ اللهِ، لأَنَّهُ يَجِبُ على الموظف والمسؤول أنْ يَعْدِلَ بينَ النّاسِ وألا يُقَدِّمَ أحدًا عَلَى أَحَدٍ، أو يُنْهِيَ مُعَامَلَةَ أَحَدٍ بِغَيرِ حَقٍّ، بَلْ يُسَوِّي بَيْنَ الْمُرَاجِعِينَ بِالْعَدْلِ يُقدِّمُ الْمُتَقَدِّمَ ويُؤَخِّرُ الْمُتَأَخِّرَ، يُقَدِّمُ مَنْ معاملتُهُ صَحِيحَةٌ مُستوفِيَةٌ لِلشروطِ. ويؤخِّرُ مَنْ مُعاملتُهُ ناقصةٌ أو غيرُ مستوفيةٍ للشروطِ هذا هو العدْلُ الذي أمرَ اللهُ بِهِ لأنّه لو قَدَّمَ وأخرَّ حَرُمَ ذلك عليه ولَوْ لَمْ يأخذْ مَالاً فكيف إذا أخذَ مالاً فَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ الظّلمِ وبين أَكْلِ الْمالِ بالباطلِ وقد يَتّفِقُ الموظفونَ مع جماعةٍ من السَّمَاسِرةِ فيقولون لهم: قولوا لأصحاب المعاملات نحن نسعى في إنجازِ معاملتك بشرط أن تعطينا مبلغًا من المال تُنْقَلُ إذا كنت تطلبُ النقلَ أو تُوَظّف إذا كنت تطلب الوظيفةَ أو ترْفعُ إذا كُنت تُرِيدُ التّرْفِيعَ تُعْطِينَا مَبْلَغًا منَ الْمَالِ ونحنُ نَسْعَى لَكَ عندَ الْمُوَظّفِينَ هُمُ اتّفَقُوا وَصَارُوا شركةً وجَعلوا هَؤلاءِ سَمَاسِرةً يأخذونَ الرّشَا، وَيَقتَسِمُونَهَا فاحذَرُوا مِنْ ذلكَ يَا عِبَادَ اللهِ! ما فشت الرّشوةُ في مجتمعٍ إلا أفْسَدَتْهُ وإلا رَفَعَتِ الأَشْرَارَ، وَوَضَعَتِ الأخْيارَ وَعَطّلَتِ المعاملاتِ وَعَطّلَتِ الحقوقَ وغَرّرَتِ بالحُكّامِ، وغيّرَتِ الأحكام وجعلتِ الحقَّ باطلاً والباطلَ حقّا، وأهانت الكريمَ ورفعتِ اللئيمَ وجرّأَتِ الْفَسَقَةَ، ومَنْ أَكْلِ أموالِ النّاسِ بِالباطلِ أَخذُهَا بمعاملاتِ الخديعةِ وَالْغِشِّ وَالْخِيَانَةِ في السِّلَعِ وتدليسِ العُيوبِ لأنّ كَثيرًا

---

(١) ابن ماجة (٢٣٠٤)، أحمد (٦٦٨٩).

مِنَ الناسِ يَبِيعُونَ السِّلَعَ، ويخدَعُون النّاسَ ويقولُون: إنها سَلِيمةٌ، وهي مَغْشوشةٌ يُظهرُون في أَعْلاها الطيّبَ، ويجعلونَ في أسفلِها الرّدِيءَ، وقد مَرَّ النبيّ صلى الله عليه وسلم على بائعِ طعامٍ عندهُ صُبْرَةٌ منَ الطعامِ، (أي كَوْمَة منَ الطعامِ) فأدخَلَ ﷺ يَدَهُ في هذِهِ الصّبْرَة فوجَدَ في أسفلِهَا بَللاً (أي رُطوبةً) فقال لَهُ: «ما هَذا يا صاحبَ الطعامِ؟» قال: هذا أصابته السماءُ (أي المطرُ) يا رسولَ الله قال: «أَلا جَعلتَهُ ظَاهِرًا حتى يَرَاهُ النَّاسُ مَنْ غَشّنَا لَيْسَ مِنّا»[1] باللهِ عَلَيكم! انظرُوا في كَثيرٍ مِمَّن يَبِيعُونَ الخُضَارَ أوْ يَبِيعُونَ السِّلَعَ يجعلونَ الردِيْءَ في أسفلِ الأَوَاقِي أو الصّناديق ويجعلون أعلاَها مُزوّقًا يُغَرِّرُ بالنّاظِرِ والمشتري وكذلكَ في بقيةِ البُيوعِ حَدّثْ ولا حرجَ مِنَ الْغِشّ والخديعةِ والمكرِ و(مَنْ غَشّنَا فَلَيْسَ مِنّا).

وليعلم الغاشُّ أنّهُ يأخذُ أموالَ الناسِ بغيرِ حَقٍّ واللهُ جَلَّ وعلا يقولُ: ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ﴾ [الأعراف: ٨٥]. أي (لاَ تنقصُوهَا) أعطُوهم تمامًا وخُذوا تماماً﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين: ١ ـ ٦]. فكّر يَا مَنْ تَخْدَعُ الناسَ وتأخذُ منهم حَقّكَ كاملاً، وتعطيْهم حُقوقَهم ناقصةً ومغشوشةً فَكِّر في الخلاصِ من مَقَامِكَ بين يدَيْ الله سُبحانه وتعالى يومَ القيامةِ، فاتَّقُوا الله عبادَ الله! طَهِّرُوا مُعَامَلاَتِكُمْ وَاحْفَظُوا أَمْوَالَكُمْ مِنْ أَنْ يَدْخُلَهَا شَيْءٌ مِنَ الْغِشّ وَالْحَرَامِ فإنّ الْحَرامَ سُحْتٌ وَحَرَامٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ كَمَا قَالَ النّبِيّ صلى الله عليه وسلم: «فِي الّذِي يمدُّ يدَيْهِ إِلَى السّمَاءِ يَا ربُّ، يا ربُّ ومَطْعَمُهُ حَرَامٌ ومَشْرَبُهُ حَرَامٌ وملْبَسهُ حرام، وَغُذِّيَ بِالحَرامِ فَأَنَّى

---

(١) ابن ماجة (٢٢١٦)، أحمد (٤٨٦٧)، الدارمي (٢٤٢٩).

يُستجابُ لِذَلِكَ»[١] الحرامُ سحتٌ إذا جَمَعْتَهُ يَكُونُ حَطَبًا عَلَيْكَ في جَهَنَّم، أو أَكَلْتَهُ، أَوْ شَرِبْتَه، فإنّ كُلّ جِسْمٍ نَبَتَ مِنَ السّحْتِ فَالنّارُ أَوْلَى بِهِ، أو تَرَكْتَهُ لِوَرَثَتِكَ يكونُ لهم غُنْمُهُ وعليك غُرْمُهُ، عليك حِسَابُه يومَ القِيَامَة، فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واقْنَعُوا بِمَا أَحَلَّ اللّهُ عَزّ وجلّ فإنّه فيه الخيرَ والبركةَ واتركوا ما حرَّمَه اللهُ، فإنّه شَرٌّ وَوَبالٌ على صَاحِبِهِ ولاَ يَقْتَصِرُ الأمرُ عَلى العُقُوبةِ في الدُّنيا هُنَاكَ العُقُوبةُ أشدُّ في الدّارِ الآخِرةِ مَعَ ما قَدْ يُصيبُهُ فِي الدُّنْيَا مِن دَعَواتِ المَظلومينَ والمُخَدوعِينَ والمغشوشينَ ما يصيبُهُ منَ الآفاتِ وما يصيبُهُ منَ العقوباتِ وما يصيبُهُ من تَلَفِ مالِهِ ولكن ما ينتظرُ في الدارِ الآخِرَة مِنَ العُقوبةِ أشدُّ، ولاحِظُوا أن حقوقَ الناسِ لا تسقطُ إلا بعَفْوِهِم وَمُسَامَحَتِهِم، حتّى لَوْ تَابَ إِلَى اللّهِ، لو تابَ الذي يأكلُ أموالَ النّاسِ بِالْبَاطِلِ لو تاب إلى اللهِ لا يقبلُ الله توبَتَهُ، حتى يسامِحَ عنهُ صاحبُ الحقّ لأنَّ حقوقَ النّاسِ مبنِيّةٌ على المشاحةِ، فلا يتوبُ اللهُ على مَنْ يظلِمُ الناسَ حتى يسامحَهُ المظلومُ، ويعافِيهُ المظلومُ فاتقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ وحاسِبُوا أنفسَكُم ولا يأخذُكُمْ حُبُّ الْمَالِ على أنْ تُغَامِرُوا بِذِمِمِكُمْ تُغَامِرُوا بِدِينِكُمْ تُغَامِرُوا بِآخِرتِكُم فإنّكُم مَسْؤُولُونَ أمامَ اللهِ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨ـ٨٩].

بارِكَ اللهُ لِي ولكم بِالقرآنِ العظيمِ . .

---

(١) مسلم (١٦٨٦)، الترمذي (٢٩١٥)، أحمد (٧٩٩٨).

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ عَلَى فضلِهِ وإحْسانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ له تعظيمًا لِشأْنِهِ، وأَشْهدُ أَن مُحَمَّدًا عبدُهُ ورسولُه صلَّى الله عليهِ وعلى آلِهِ وأصْحَابِهِ وسلّمَ تسليمًا كثيرًا، أمّا بَعْدُ:

أَيّهَا النّاسُ، اتقُوا اللهَ تعالى، واعلَمُوا أنّه كما يَحْرُمُ على الإنسانِ أنْ يأكُلَ مالَ غيرِهِ بالباطلِ يَحْرُمُ عَلَيهِ أنْ يأكلَ مَالَ نَفْسِهِ بالباطلِ فَلاَ يجوزُ لَهُ أن يصْرِفَ مَالَهُ في حرامٍ، أَنْ يَشْتَرِي بِهِ الْمَوادَّ الْمُحَرّمَة مِنَ الْمُسْكِرَاتِ وَالْمُخَدّرَاتِ والدُّخانِ والقاتِ، أو يشتريَ بِهِ أشْيَاءَ مُحَرّمةً؛ فإنّ الله سبحانه وتعالى أمرنا بأنْ نُطَيّبَ أمْوَالنَا وما نأْكُلُهُ فِي أَجْوَافِنَا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ حَلالٍ وَلاَ يَقُولُ الإنْسَانُ هَذَا مَالِي أَنَا أَتَصرّفُ فِيه. هُوَ مَالُكَ لَكِنَّكَ مَسْؤُولٌ عنهُ لأنّهُ مالُ اللهِ ولكِنّ اللهَ اخْتَبَرَكَ وامْتَحَنَكَ بِهِ وَسَيَسْأَلُك عَنْهُ وَأَنْتَ مُسْتَخْلَفٌ فيه فَأَحْسِنِ التّصَرّفَ فِيهِ لا تُنْفِقْهُ فِي حَرَامٍ لا تُنْفِقْهُ في شَهَوَاتٍ محرّمَةٍ، وكذلك الإسرافُ والتبذيرُ حرامٌ، لا يجوز للإنسانِ أنْ يُسْرفَ فِي إنفَاقِهِ، وفي بَذْلِهِ. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦ ـ ٢٧]، وقالَ سُبْحانَهُ وَتَعالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، وكذلكَ الذي يُسافِرُ بالأموالِ إلى بلادِ الْكُفْرِ وَيُنْفِقُهَا فِي معصيةِ اللهِ هناكَ يُنْفِقهَا فِي شَهَوَاتٍ مُحَرّمَةٍ وفي بلادٍ مُحَرّمٌ السّفَرُ إِلَيْهَا هذا مِنْ أَكْلِ الْمَالِ

بالباطلِ، فاعْلَمْ أَنَّكَ مسؤولٌ عنْ هذهِ الأموالِ قِرْشًا قِرْشًا، ومُحَاسَبٌ عنها يومَ القيامَةِ. تُسْأَلُ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبْتَهَا؟ وَفِيمَ أَنْفَقْتَهَا؟ فَاتقُوا اللهَ عِبَادَ اللّهِ وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالباطِلِ. وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحديثِ كِتابُ اللهِ. . .

* * *

فِيمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَمَوَاسِمِ الْخَيْرِ

الْحَمْدُ لله مُصَرِّفِ الأَيَّامِ وَالشُّهُورِ. أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لا تُحْصَى، وهو الغفورُ الشَّكُورُ، وَأَشْهَدُ أن لا إله إلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عبْدُهُ ورسولُهُ الْبشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ صلّى الله عليهِ وعَلى آلِهِ وأصْحَابِهِ وسَلّمَ تَسْلِيمًا كثيرًا أمّا بعد:

أيّهَا النّاسُ، اتقُوا اللهَ تَعَالَى وَتَفَكَّرُوا فِي سُرْعَةِ اللّيَالِي وَالأَيّام، تَفَكّرُوا فِي سُرْعَةِ مُرُورِ اللّيَالِي وَالأَيّامِ فَإِنّهَا مِنْ أَعْمَارِكُمْ، وهي خزائنُ أَعْمَالِكُمْ تَشْهَدُ عليكمْ بما أَوْدَعْتُمُوهُ فِيهَا من خيرٍ أوْ شرٍّ. فهذه الليالي والأيام خَزَائِنُ تُفْتَحُ يومَ الْقِيَامَةِ لأَصْحَابِهَا فَالْمُحْسِنُونَ يَجِدونَ في خزائِنِهم الْعِزّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمُفَرِّطُونَ يَجِدُونَ فِي خَزَائِنِهِمُ الذّلّةَ وَالنّدَامَةَ.

بالأمسِ الْقَرِيبِ كُنّا نعيشُ في شهرِ رمضانَ المباركِ وما فيه منَ الْخَيْراتِ وما فيه من النفحاتِ، أُغْلِقَتْ فيه أبوابُ النّيرانِ وفُتِحَتْ فيهِ أَبوابُ الْجِنَانِ، وَصُفِّدَ فِيهِ الشّيْطَانُ فَكَانَ جواً صَافِيًا للأعمالِ الصّالِحَةِ سَهُلَتْ فِيهِ الطّاعَاتُ على النفوسِ وَارْتَاحَتْ فِيهِ الْقُلُوبُ فَتَسَابَقَ الْمُتسابقونَ إلى جناتٍ عَرْضُهَا السمواتُ والأرضُ أُعِدّتْ لِلمتقينَ. واليومَ يَنْقَضِي ويرحلُ عَنّا شاهدٌ عَلَيْنَا أَو شاهدٌ لنا بما أودَعْنَاهُ فِيهِ عندَ اللهِ سبحانَهُ وتعالى فَأَمّا مَنْ وَفّقَهُ اللهُ لِلطّاعَةِ وَاغْتَنَمَ هذا الشهرَ بِالْعِبَادَةِ فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَى ذلكَ وَلْيَسْأَلْ مِنَ اللهِ الْقَبُولَ فَإِنّمَا يتقبّلُ اللهُ مِنَ

المتقينَ، كانَ السلفُ الصالحُ يَدْعُونَ اللهَ ستّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يُبَلّغَهُمْ رَمَضَانَ، فَإِذَا بَلّغَهُم إِيّاهُ وَاجْتَهَدُوا فِيهِ سَأَلُوا اللهَ سِتّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يَتَقَبّلَهُ مِنهُم، وَهَؤُلاَءِ هُمُ الّذِينَ قال اللهُ تعالى فيهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون ٦٠ ـ ٦١] إنَّ عِبادَةَ اللهِ ليستْ مَحدودةً في شهرِ رَمَضانَ بَلْ كُلّ حياةِ المسلمِ وَقْتٌ ثَمِينٌ لِعِبَادَةِ اللهِ عَزّ وَجَلّ وَالتزَوّدِ بالأعمالِ الصالِحَةِ، وما شهرُ رمضانَ إلاّ زيادةُ خَيْرٍ لِلْمُسْلِمِ، وَغُنْمٌ يَغْتَنِمُهُ الْمُسلمُ وَإِلاّ فَإِنّ العملَ لا ينقضِي بانقضاءِ شهرِ رمضانَ قال الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾أي استمرْ في العبادةِ حتى يأتيكَ الموتُ، فَلَمْ يجعلْ لِعَمَلِ المسلمِ غايةً دون الموتِ، وقالَ النبيُّ ﷺ: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاّ مِنْ ثَلاثٍ صَدَقَةٍ جاريةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[1] ، فأخبرَ ﷺ أن ابنَ آدمَ لا ينقطعُ عملُه إلا بالموتِ فالذين يظنونَ أنّ عبادةَ اللهِ مقصورةٌ على شهرِ رمضانَ فَيَجْتَهِدُونَ في شهرِ رمضانَ فإذا انْتَهَى رمضانُ عادُوا إلى الكَسَلِ وتَضييعِ الواجباتِ وفعلِ المُحَرّمَات هَؤلاء إِنّمَا يَعبُدونَ الله فِي شَهرٍ وَاحِدٍ، وهَذِهِ العِبَادةُ لا تنفعُهُم لأنّهَا لَيْسَ لها أصْلٌ ولاَ فَرْعٌ.

قِيلَ لِبَعضِ السَّلَفِ: إنَّ قَوماً يَجْتَهِدُونَ في شَهْرِ رَمَضَانَ بِالعِبَادَةِ فَإذا انتهى شهرُ رَمَضَانَ تَرَكُوا الْعَمَلَ فَقَالَ: بِئْسَ الْقَوْمُ لاَ يَعرِفُونَ اللهَ إِلاَّ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ! إنّ ربّ الشهورِ وَاحِدٌ وهو مُطّلِعٌ على العبادِ وَشَاهِدٌ فيجبُ على المسلمِ أنْ يُوَاصِلَ الْعَمَلَ الصّالِحَ وأن يَتقِيَ اللهَ فِي كلّ حَيَاتِهِ وأنْ يَسْأَلَ اللهَ حُسْنَ الْخِتَامِ

---

(١) مسلم (٣٠٨٤) الترمذي (١٢٩٧) النسائي (٣٥٩١).

والوفاةِ على الإسلامِ يا مَنْ تَعَوَّدْتُم في شهرِ رمضانَ على قيامِ الليلِ واصِلُوا قِيَامَ الليلِ في غيرِ شَهْرِ رمضانَ مِنَ الشُّهُورِ وَالأَيَّامِ وَلَوْ بنصيبٍ يَسِيرٍ تُصَلّونَ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ آخِرِ الليلِ مَا تَيَسَّرَ لَكُم وَتَخْتِمُونَ بِالْوَتْرِ وَتَجْلِسُونَ لِلاسْتِغْفَارِ ثم تَحْضُرُونَ صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ الْجَمَاعَةِ قال الله سبحانه وتعالى في وصفِ أهلِ الجَنَّةِ: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ [الذاريات: ١٦ ـ ١٩]. هذهِ صِفَتُهُم على الدوامِ لا في شهرِ رمضانَ فَقَطْ، يَنْزِلُ ربُّنَا سبحانه وتعالى كلَّ لَيْلَةٍ مِنْ ليالي السنَةِ لا في شهرِ رمضانَ فَقَطْ. يَنْزِلُ ربّنَا كلّ ليلةٍ إلى السماءِ الدّنْيَا حين يبقى ثُلُثُ الليل الآخر؛ فيقولُ: هل من سائلٍ فأعطيه؟ هل من داعٍ فاستجيبُ له؟ هل من مُسْتَغْفِرٍ فاغْفِرُ لَهُ؟ وذلك في كلِّ ليلةٍ فَتَعَرّضُوا لِنَفَحَاتِ الله عزّ وجل في كل ليلةٍ اجعلوا لكم نصيبًا من قيام الليل تداومونَ عليه ولو كانَ قليلاً واحْرِصُوا على أن يكونَ من آخرِ الليلِ لِتكونُوا من المستغفرينَ فِي الأسحارِ لِتَفوزُوا بجَنّةٍ تجري تحتَهَا الأنْهارُ.

يا مَنْ تَعَوّدْتُمْ على تلاوةِ القرآنِ في شهر رمضانَ، إنّ كِتَابَ اللهِ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ لِتَتْلُوهُ وتعْمَلُوا به في سائِرِ الأيامِ فاجْعَلُوا لكُم نَصِيبًا مِنْ تلاوةِ كتابِ اللهِ في كلِّ يومٍ وارْتَبِطُوا بكتابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ولا تَهْجُرُوهُ، اقْرَؤوهُ بِتَدَبّرٍ وَتَفَهّمٍ وَعَمَلٍ بِمَا فِيهِ، لِيَكُونَ حُجّة لكُمْ عند الله يومَ القيامةِ فالقرآنُ كما قالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: حُجّةٌ لَكَ أَوْ حُجّةٌ عليك إنْ عَمِلْتَ بِهِ صَارَ حُجّةً لك، وإنْ لَمْ تَعْمَلْ بِهِ صَارَ حُجّةً عليك.

يا مَنْ تَعَوّدْتُمُ الصّيَامَ في شهر رمضانَ اجْعَلُوا لَكُمْ نصِيبًا منَ الصّيَامِ في سائر السّنَةِ تَطَوّعًا فهُنَاكَ سِتّة أيّام مِنْ شَوالٍ وهُنَاكَ صِيامُ الإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ مِنْ كُلِّ أُسْبُوعٍ وَهُنَاكَ ثَلاثَةُ أَيّامٍ منْ كل شهر وهناك صومُ عشر ذي الحجة ويوم عرفة لغير

الحاج وهناك صومُ شهرِ الله المحرمِ ولا سيمَا اليومَ العَاشِرِ منهُ وصِيَامِ يوم قبله أو يوم بعده فالصيام لا ينتهي بشهر رمضانَ وإنما صيامُ رمضان هو الفرضُ والواجبُ وأما صيامُ ما زَادَ عَلَى ذلكَ فإنَهُ تطوعٌ تَجِدُونَهُ عندَ الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، يا مَنْ تعودْتُمْ على الصدقةِ وإخرَاجِ الزَّكَاةِ في رمضانَ وَتَفَقّدِ الْمَسَاكِين وَالْفُقَرَاءِ، دَاوِمُوا على ذلك في غير شهر رمضانَ فإنَّ الفقراءَ موجودُونَ فِي كُلِّ وقتٍ وهم بحاجةٍ إلى الصدقةِ في كل وقتٍ والصدقةُ مقبولةٌ عند الله سبحانَهُ وتعالَى في كُلِّ وقتٍ وأبوابُ القَبولِ مَفتُوحةٌ عَلَى الدَّوامِ فِي سَائِرِ العَامِ.

يا مَنْ تُبْتُمْ إلى اللهِ في شهرِ رمضانَ، وَاصِلُوا التَّوْبَةَ في كُلِّ أَعْمَالِكُم وفي كُلِّ أيَّامِكُم فإنَّ التوبةَ مطلوبةٌ فِي كلِّ وقتٍ لاَ فِي شهرِ رَمَضَان فَقَطِ فالذِي لا يتوبُ إلاَّ في شهرِ رَمضان توبتهُ مردودةٌ وغيرُ مَقبُولة لأنَّ مِن شُروطِ صِحةِ التوبةِ أن يَعزم ألاَّ يَعُودَ إلَى الذَّنْب فِي كُلِّ حَيَاتِهِ فَمَن تَابَ فِي شَهْرِ رَمضانَ وفي نِيَته أن يعود إلى الذنوب والمعاصي بعد رمضان فإن توبتهُ مردودة عليه لأنها فاقدة لشرطٍ من أهم شروط صحة التوبة فَدَاوِمُوا رَحِمَكُم اللهُ على عبادةِ اللهِ في كلِّ حَيَاتِكُم، وَاصِلُوا العملَ الصالحَ فَإِنّ مِنْ عَلامَةِ قبولِ الحسناتِ فِعْلَ الْحَسَنَاتِ بَعْدَهَا ومن علامة قبول شهر رمضانَ أن تكون حالُ الإنسانِ بعدَ رَمَضان أحسنَ مِن حَالِهِ قَبلَ رَمَضانَ فإذَا أردتَ أَنْ تَعْرِفَ هَلْ عَملُكَ مُتَقَبّل عندَ اللهِ في رمضانَ فانظُرْ إلى حَالكَ بعدَ رَمَضان فإنْ كَانَت حَالُكَ أحْسنَ من حَالكِ قَبل رَمَضَان فَهذِهِ عَلامةُ القبولِ فَاحْمَدِ اللهَ وَاشْكُرْهُ وَوَاصِلِ الْعَمَلَ الصّالحَ وإن وجدتَ أنَّ نَفسَك وعَمَلَكَ أَسْوَأَ أو على مِثلِ مَا كَانَ قَبل رمضانَ من سوءِ العملِ فاعلم أن باب القبول عنك مسدودٌ فَتُبْ إِلَى اللهِ وَلاَ تَقْنَطْ منْ رَحْمَةِ اللهِ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ

مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٣ ـ ٥٤] ما شهرُ رمضانَ إلاّ مُرَبٍّ لِلنّفُوسِ ما شهرُ رمضان إلا مَوْسِمٌ يَتَعَوَّدُ فيه الْمُسْلِمُ عَلَى الْعِبَادَاتِ ويَأْلَفُ الطّاعَاتِ فَيَسْتَمِرّ عَلَيْهَا.

يا مَنْ أَلِفْتُمُ الْمَسَاجِدَ في شهرِ رمضانَ، المساجدُ مَبْنِيّةٌ لِلصلاةِ في سائرِ الأيام قال تعالى: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٦ ـ ٣٧] (بالْغُدُوِّ وَالآصَالِ) في كلِّ السَنَةِ، في أَوَّلِ النّهَارِ وآخرِ النّهَارِ يترددونَ عَلَى الْمَسَاجِدِ والتَرَدُّدُ على المَسَاجِدِ عَمَلٌ صَالِحٌ فِي كُلِّ يومٍ تُكتبُ آثارُكُمْ إِلَى المَسَاجِدِ، ذهَابًا وَإِيَابًا، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْۚ﴾ [يس: ١٢] مشيَهُم إِلَى الْمَسَاجِدِ وفي الحديث الصحيح: «بَشّرِ الْمَشّائِينَ فِي الظّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنّورِ التّامّ يَوْمَ الْقِيامَةِ»(١) وقال ﷺ: «أَلاَ أَدُلّكُمْ عَلَى ما يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيُكَفّرُ بِهِ السيئاتِ قالُوا: بَلَى يَا رَسولَ اللهِ قال: كَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وانتظارُ الصّلاةِ بعد الصّلاةِ فَذَلِكُمُ الرّبَاطُ فَذَلِكُمُ الرّبَاطُ فَذَلِكُمُ الرّبَاطُ»(٢)

الصلواتُ الخمسُ مفروضةٌ على المسلمِ في اليوم والليلةِ والرجالُ يؤَدُّونَها في المساجدِ والنساءُ تُؤَدّيهَا في البيوت: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]، فالرجالُ لا يليق بِهِم أن يُصَلّوا فِي البُيوتِ إلا مِنْ مرضٍ أو خَوْفٍ كما قال ﷺ: «مَنْ سَمعَ النّدَاءَ فَلَمْ يُجِب فَلاَ صَلاَةَ لَهُ إلاّ مِنْ عُذْرٍ». قِيلَ:

---

(١) أبو داود (٤٧٤)، الترمذي: (٢٠٧).
(٢) مسلم (٣٦٩)، الترمذي (٤٧)، النسائي (١٤٣).

وَمَا الْعُذْر؟ قال: «خَوْفٌ أو مَرَضٌ»[١] فالرَجلُ لا يُصَلِّي مع النساءِ في البيوت وَإِنَّمَا يُصلِّي في المساجدِ مع المُسْلِمينَ يَتَكررُ هَذا مِنه في اليومِ والليلةِ خَمس مَراتٍ لا يَنقطع أثرُكَ أيُّها المُسْلِمُ عنِ المَسَاجِدِ لا يَنقطِعُ بَعدَ رَمضانَ فتُكْتَبُ مِنَ الْمَحْرُومِينَ ومن الْمَطْرُودِينَ ومنَ الْمُبْعدين من رحمة الله عز وجل لأَنَكَ إذا ابْتَعَدْتَ عن طاعةِ اللهِ أَبْعَدَكَ اللهُ من رحمتِهِ وإذا تَقَرَبْتَ من طاعةِ اللهِ قَرَبَكَ اللهُ إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ فالأمر مُعَلَّقٌ بِكَ أَنْتَ وَعَمَلكَ وَنِيَتكَ فاتَّقُوا اللّهَ عبادَ اللهِ اتَّقُوا الله في أَنْفُسِكُمْ وَحَافِظُوا عَلَى طَاعَةِ رَبّكُمْ فِي سَائِرِ الأيام والشهورِ والسنينَ إلى أن يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ كما قال الله سبحانه: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٩].

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ في القرآن العظيم..

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ عَلَى فَضْلِهِ وإِحْسَانِهِ، والشّكْرُ لهُ على تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وأشْهدُ أنْ لاَ إله إلاَّ الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لهُ تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ، وأَشْهدُ أنّ مُحمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدّاعِي إِلَى رِضْوَانِهِ صلى الله عليه وعلى آله وأصحَابِهِ وسَلِّم تَسلِيمًا كَثيرًا أَمَّا بعدّ:

أيّهَا الناسُ، اتّقُوا اَلله تَعَالَى واشْكُرُوهُ عَلَى ما أَنْعَمَ عليكم منْ هَذِهِ النّعَمِ الْعَظيمةِ أَنّهُ يَفْتَحُ لَكُمْ أَبْوَابَهُ يَفْتَحُ أَبْوَابَهُ لِلتّائِبِينَ مِنْكُمْ ويجعلُ لكم مَوَاسِمَ تَتكَرّرُ عليكم في اليومِ والليلةِ خَمْسَ مَرّاتٍ وهم الصلواتُ الْخَمْسُ ومَوْسِمًا يَتَكَرّرُ في

كلّ أُسْبُوعٍ وهو صلاة الْجُمْعَةِ ومواسِمُ تتكرّرُ ومن ذلك أَنّهُ لما انْتَهَى شهرُ رَمَضَانَ المباركُ أَعقبَهُ اللهُ بأَشهُرِ الْحجّ إِلَى بَيْتِهِ الْعَتِيق قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧] وأَشْهُرُ الْحَجُّ هم شوّالٌ وذُو الْقِعْدَةِ وعشرةُ أيامٍ من ذِي الْحِجّةِ فَمَنْ أَحْرمَ بالحَج فيها فقد انعقد إِحْرَامُهُ؛ لأَنَّ فِي وَقْتِ الْحَجّ وفيها الأشهرُ الحرمُ وفيها عَشْر ذي الحجةِ، وفيها يومُ عَرَفَةَ وفيها يومُ عِيدِ الأَضْحَى الذي هو يومُ الْحَجّ الأَكْبَر. ففيها فضائلٌ عظيمةٌ. وَهَكَذَا مَا يَنْتَهِي مَوْسِمٌ مِنْ مَوَاسِمِ الْخَيْرِ إلاَّ ويعْقُبُهُ مَوْسِمٌ آخرُ منها فاتّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، واشكُرُوا نِعَمَ اللهِ عَلَيْكُم وَبَادِرُوا بِالأَعْمَالِ الصّالِحَةِ وَاسْتَغِلُّوا أَعْمَارَكُم بِطَاعَةِ اللهِ وَبِالأَعْمَالِ الصّالِحَةِ، وَلاَ تُضَيعُوهَا بِاللّهْوِ وَالْغَفْلَةِ وَالإعْرَاضِ، فَإِنَّ بَعْضَ النّاسِ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أَتْبَعْهَا بسيئةٍ ومنْ ذلكَ أنّ كثيرًا منَ الناسِ يُتْبِعُونَ شَهْرَ رَمَضانَ بِاللّهْوِ وَاللّعِبِ وَالْغَفْلَةِ بَلْ وَيُضَيّعُونَ الصّلَوَاتِ الْخَمْس فِي لَهْوِهِمْ وَغَفْلَتِهِمْ وَحَفَلاتِهِمْ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوّةَ إلا باللهِ.

إِنّهُ في يومِ القيامةِ تُوضَعُ الموازينَ الْقِسْطَ فَتُوضَعُ الْحَسَنَاتُ فِي كفةٍ وَتُوضَعُ السّيِّئَاتُ في كفةٍ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢ ـ ١٠٤]، فهناك الموازينُ يومَ الْقِيَامَةِ تُوضَعُ فِيهَا حَسَنَاتُكَ وتُوضَعُ فيها سَيّئَاتُكَ ثم ما رَجَحَ مِنْهَا ترتبَ عَلَيْهِ سَعَادَتُكَ أَوْ شَقَاوَتُكَ في وقتٍ لا يمكنك التوبةَ، ولا يمُكنكَ التزودَ مِنَ الْحَسَنَاتِ ولا يمكِنُكَ التّوْبَة منَ السّيّئَاتِ، ما هِيَ إلاَّ حَسَنَاتُكَ أَوْ سيّئَاتُكَ وما هي إلاَّ الْجَنّةُ أو النّارُ فَتَفكّرُوا في هذا ـ رحمكمُ الله ـ فإذا عَمِلْتُمْ عَمَلاً صَالِحًا وَقَدّمْتُمْ حَسَنَةً في

رمضانَ أو في غيرهِ فأَتْبعوُهاَ بالحسنات والأعمالِ الصالحاتِ حتى تنموَ وتزيدَ ولا تتبعوها بالسيئات، فتكونَ حَسنَاتُكُم مَرجوةً في ميزانِكم يومَ القِيَامَة، واعْلَمُوا أَنَّ خيرَ الْحديثِ كِتَابُ اللهِ. . .

* * *

فِي شُكْرِ النِّعَمِ وَلاَ سِيّمَا نِعْمَةُ الأَمْنِ

الْحَمْدُ للهِ على نعمهِ الظاهرةِ والباطنةِ. لا نُحْصِي لِنِعَمِهِ عدداً، وَلاَ نُحصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ هُوَ كَمَا أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلاّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ. وَعَدَ الشاكرينَ لِنِعَمِهِ بالمزيدِ. وَتَوَعّدَ الكافرينَ لِنِعَمِهِ بالعذابِ الشديدِ، وأشهدُ أنَّ مُحَمّدًا عبدُهُ وَرَسُولُهُ أَفْضَلُ الشاكرينَ صلَّى الله عليه وعَلَى آلِهِ وأصحابه وَسَلّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إلى يومِ الدِّينِ أَمّا بَعْدُ:

أَيّهَا النّاسُ، اتّقُوا اللهَ تعالى وَاعْلَمُوا أَنّ نِعْمَةَ الأَمِنِ مِنْ أَعْظَمِ النّعَمِ بَعْدَ نِعْمَةِ الإِسْلاَمِ لأنّ يَأْمَنُ الإنْسان فيه على نفسِهِ وَعَلَى مَالِهِ وَعَلَى عِرْضِهِ وَبِهِ تَتِمُ النعمةُ وبه يطمئنُ الناسُ فِي بِلاَدِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ بالأمنِ والاستقرارِ، فحينما يَسْتَتِبُّ الأمنُ، يمتدّ الناسُ في طلبِ الأرزاقِ، وفي مصالحِهم ومعايشهم فهو نعمةٌ عظيمةٌ يَمُنُّ اللهُ بها على مَنْ يشاءُ مِنْ عبادِه، وهذهِ النِّعمةُ لا تحصَّلُ بِقوةِ السلاحِ أَوْ قُوّةِ العُدّةِ وَالاختراعِ، أو بالحصونِ والمباني المنيعةِ، فها هُمُ الكفارُ يملكون من العَدَدِ والعُدّة أقوى ما في الوجودِ أقوى مَا فِي هَذِهِ الدُّنيَا ومَعَ هَذَا هُمْ في اضطرابٍ وقَلَقٍ وحِيرةٍ ولَمْ يَنفَعْ اليهودَ حصونُهُم حيث ظنوا ﴿ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [الحشر: ٥٩] وسلَّطَ اللهُ عَلَيهم رسولَهُ والمؤمنين.

إنَّ الأَمنَ لا يحصلُ إلا بالأسبابِ التي جعلَهَا الله أسبابًا لتحصيلِهِ، وأَعظمُ هذهِ الأَسبابِ توحيدُ اللهِ جلّ وعلاَ بعبادتِهِ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ وَالإيمانِ بِهِ والعملِ

الصّالحُ كما قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور: ٥٥] فجعَلَ توحيدَهُ والإيمانَ بِهِ وَالْعَمَلَ الصالحَ أَسبابًا لتوَفرِ الأمنِ وبِفَقْدِ هذه الأسباب يفقد الأمنُ وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٥٢] (الّذِينَ آمَنُوا) آمَنُوا بِاللهِ وَوَحّدُوهُ وَأَطَاعُوهُ وأخلَصُوا له العِبادَةَ(وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) أي لَمْ يَخْلِطُوا تَوْحِيدَهُم بِشِرْكٍ فَالظُّلْمُ هُنَا هوَ الشِّركُ كما فسّرَهُ بذلك النبي ﷺ (أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ) أمّا غيرُهُم فلا أمنَ لَهُم [وَهُمْ مُهْتَدُونَ] أو إنّمَا الأَمنُ في الدُّنيا والأمنُ في الآخرةِ بسببِ الإيمان وإخلاص العبادةِ لله سُبحَانَهُ وتَعَالَى وكَذلِكَ مِنْ أسبابِ الأمنِ طاعةُ ولاةِ أمورِ المُسلمين لِجَمْعِ الْكَلِمَةِ وَوِحْدَةِ الصَّفِ ولِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [النساء: ٥٩]، فالله سُبحَانهُ وتَعَالَى أَمَرَ بطَاعَتِهِ وطَاعةِ رسولِهِ وطاعَةِ أُولِي الأَمرِ مِنَ المُسلمين. لأنَّ شَقَّ عَصَا الطَّاعةِ والخُروجَ عَنِ الجَمَاعةِ، والخُروجُ على وُلاةِ الأُمور يُسَبّبُ تَفرُّقَ الكلمةِ وضعفَ القوةِ وَتَسَلُّطَ الأَعدَاءِ وسَفْكَ الدِّمَاءِ وسَلْبَ الأموالِ وتسلطَ الظلمةِ، والله أَمرَ بِنَصْبِ وُلاةِ الأُمورِ مِنَ المُسلِمِينَ لِيُقِيمُوا العدلَ بينَ الناسِ، ويمنَعُوا الظُّلمَ ويُقِيمُوا الحُدودَ، حتّى يستتبَّ الأَمْنُ والاطمئنانُ في البلدِ، ومِنْ أَسبَابِ الأَمنِ إِقَامَةُ الحُدودِ التي جعلَهَا اللهُ رَادِعَةً للمُجْرِمِينَ عَن إِجْرَامِهِم وبغيِهم وفَسَادِهم قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩] فالقصاصُ به تُحفَظُ الأنفسُ ويأمَنُ المُجْتَمعُ، وقطعُ يَدِ السَّارِقِ تُحْفَظُ بِهِ الأمْوالُ، وَجَلْدُ

الشَّارِبِ والسَّكْرَان تُحْفَظُ بِهِ العُقُول وَقَتلُ المُرتَدِّ تُحفظُ بِهِ العَقِيدةُ وإقَامَةُ الحَدِّ عَلَى الزَّانِي تُحْفَظُ بِهِ الأنسابُ وإقَامَةُ الحَدّ عَلَى القَاذِفِ تُحفَظُ بِهِ أَعْرَاضُ المُسْلِمِينَ إلى غَيرِ ذَلِكَ .

وقال ﷺ: «لَحَدٌّ يُقَامُ في الأرضِ خَيْرٌ لها من أن تُمْطَرَ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا»[1] وكذلك من أسبابِ توفرِ الأمنِ تَحْكِيمُ القرآنِ والسّنّةِ، وتَحكيمُ الشَّرعِ بيْنَ النَّاسِ قال ﷺ: «وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ إلاّ جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُم»[2] فبِهَذِهِ الأُمور يَتَوفَرُ الأَمْنُ، وإذَا رَجعْنَا إلَى مَا قَبلَ بَعثةِ النبيِّ ﷺ إلَى الجَاهِلِيَّةِ وَجدْنَا الاضطِرَابَ والقَلَقَ والخَوْفَ وَسَفْك الدِّماءِ وَسَلْبَ الأمْوَالِ وَتَسلُّط الظَّلَمَةِ فَلَمَّا جَاءَ اللهُ جَلَّ وَعَلاَ بِهَذَا النَّبيِّ ﷺ بهذا الدين ودخلَ النَّاسُ فِيهِ أفواجًا أَمِنُوا عَلَى دِمَائِهِمْ وأَمْوَالِهِم وَأَعْرَاضِهِم واستتبَّ الأَمْنُ وَذَهَبَ الْخَوْفُ وأقْرَبُ مِثَالٍ لِذَلِكَ هَذِهِ البِلاَدُ كَانَتْ فِي قَلَقٍ وَخَوْفٍ وَتَنَاحُرٍ كُلُّ قَريةٍ تُقَاتِلُ الْقَرْيَةَ الأُخْرَى الّتِي بِجَانِبِهَا، ومَا يَحْصُلُ مِن سَلْبٍ لِلأَمْوَالِ، وَهَتْكٍ لِلأَعْرَاضِ وَقَتْلٍ لِلأَنْفُس ونحارات ، فلمّا جَاءَ اللهُ بِدَعْوَةِ الإمام المُجدِّدِ الشيخ محمدِ بنِ عَبْدِ الْوَهّابِ رحمهُ الله وَسَاعَدَهُ آل سعودٍ وَأَيّدُوهُ وَقَامَ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ وأُقِيمَتِ الحدودُ أَمِنَتْ هَذِهِ البلادُ، واتّحَدَتْ وَصَارَتْ دولةً واحدةً بدلَ ما كانت إمَارَاتٍ مُتفرّقَةً وقبائلَ مُتَنَاحِرَةً جَمَعَهُم اللهُ على هذا الأمر حَاضِرَتَهُمْ وَبَادِيَتَهُم حَتى اسْتَتَبَّ الأمنُ وَأَشْبَهَ زَمَانُهُم زَمَانَ رسولِ الله ﷺ. كل ذلك بِنِعْمَةِ الله سبحانه وتعالى وأمّا الدولُ الكافرةُ والدولُ الْمُدّعِيَةُ لِلإسْلاَم وَهْيَ لاَ تُحَكِّمُ الشّرِيعَةَ فَكَمَا تَرَوْنَ وَكَمَا تَسْمَعُونَ فِيهَا مِنَ الْقَلَقِ وَالْفَوْضَى وَالاضْطِرَابِ مَا لاَ يَعْلَمُهُ إلاَّ اللهُ فَهِي عِبْرَةٌ وَعِظَةٌ تُوجِبُ الشّكْرَ علينا لله الذي مَنّ عَلَيْنَا بهذا الأمن وهذا الاستقرار قال تعالى:

---

(١) ابن ماجة (٢٥٢٩)، النسائي (٤٨٢١).

(٢) ابن ماجة (٤٠٠٩ص).

تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٧] اللهُ جلّ وَعَلاَ يُذَكِّرُنَا بهذا الأمنِ ويَحُثُّنَا على الشكرِ والاستقامةِ حتّى يتوفّرَ وَيَدُومَ لَنَا وَإِلاّ إِذَا ضَيَّعْنَا دينَ اللهِ جَلّ وَعَلاَ ضَاعَتْ دُنْيَانَا وَآخِرَتُنَا وَضَاعَ أَمْنُنَا واستِقرَارُنَا وَعُدْنَا إِلَى مَاكَانَ عَليهِ أَهْلُ الجاهليةِ وَمَنْ شَابَهَهُمْ مِنَ المجتمعاتِ في قلقٍ واضطرابٍ وفَوْضَى لا يستقرّ قَرَارٌ ولا يَأْمَنُ خَائِفٌ. ولِهذَا لَمَّا دَعَا إبراهيمُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ لِبَلَدِ اللهِ الحرامِ وأهلِهِ قال: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [البقرة: ١٢٦] فَبَدَأَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بالأَمْنِ قبل الرّزْقِ لأنّ الأمنَ إذا توفر فإنّ الناسَ يَتَمَتّعُونَ بالرزقِ وَيَطْمَئِنّونَ، وأمّا إذا لَمْ يَتوفّرْ الأَمْنُ فَإنّ النّاسَ لا يَطْمَئِنُونَ، وَلاَ يَرْتَاحُونَ ولا يَتَلَذّذُونَ بِالأكلِ وَالشّرْبِ بسبب الخوفِ والقلقِ؛ ولِهَذَا بَدَأَ بِالأَمْنِ فَهَذَا يَدُلُ على أهميةِ الأمْنِ وأَنّهُ لاَ ينفعُ المَالُ وَسَعَةُ الرّزْقِ مع فُقْدَانِ الأمنِ بل لاَ يَتَمَكّنُ النّاسُ مِنِ اكْتِسَابِ الْمَالِ ولاَ يطمئنّ الناسُ من حفظِ المالِ إذا حَصَلُوا عليه، ولاَ يَطمئِنُ النّاسُ من التّمَتّعِ بالأموَالِ وهُم خَائفونَ وفقدانُ الأمنِ له أسبابٌ إذا فَعَلَها النّاسُ ضَاعَ أَمْنُهم من هذه الأسباب وهي كثيرة إذا لَمْ يَشْكُرُوا نعمةَ اللهِ عَلَيْهِم بِأَنْ كَفَرُوا النّعْمَةَ واحْتَقَرُوهَا قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النحل: ١١٢]، وقال سبحانه: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [القصص: ٥٨] ﴿بطرت معيشتها﴾ يعني: كفرتْ بِنِعمَةِ اللهِ عَزَّ وجلَّ فَأَبدَلَهَا اللهُ بأمْنِها خوفًا وَأَبدَلَهَا اللهُ بِشِبَعِهَا جُوعًا وَفقْرًا وَفَاقَةً كُلُّ ذَلِكَ بِسَبَبِ عَدَمِ الشُّكرِ للهِ عزَّ وَجلَّ

والشُّكْرُ إِنَّمَا يَكُونُ بِثَلاثَةِ أُمورٍ:

أَوّلاً: التحدثُ بِنِعْمَةِ اللهِ ظاهرًا، ثانيًا: الاعترافُ بِهَا في الْقَلْبِ باطنًا، ثالثًا: صَرْفُهَا في طاعة مُسْدِيهَا وَمُولِيهَا وهو اللهُ سبحانه وتعالى. فَبِشُكْرِ اللهِ تَطْمَئِنّ النّعَمُ. قال تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧] فبالكفر بِنِعَمِ اللهِ تَزُولُ قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٥٣] فالوَاجِبُ عَلَيْنَا أن نعترفَ بهذهِ النّعَمِ العظيمةِ، وأنْ نَشْكُرَهَا وأنْ نَسْأَلَ اللهَ أَنْ يُدِيمَهَا وَأَنْ لاَ يُزِيلَهَا عَنا بِذُنُوبِنَا وأنْ نُصْلِحَ مِنْ أَعْمَالِنَا ونتوبَ إِلَى اللهِ مِنْ ذُنُوبِنَا حتّى تَبْقَى عَلَيْنَا هَذِهِ النّعَمُ في الدنيا وفي الآخرةِ فَلَسْنَا بأقوى الأُممِ وَلَسْنَا بأقوى الدُّول وَلَم نَحصُلْ عَلَى هَذَا الأمنِ وَهذهِ النِّعمَةِ بِقُوّتِنَا وَلَكِن حَصلْنَا على ذلك بِهذَا الدِّينِ، وهذا التوحيدِ وهذهِ العَقِيدةِ وهذهِ الطاعةِ للهِ ورَسُولِهِ قَالَ تَعالَى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١] الدّنْيَا الآن تَرْتَجِفُ مِنْ حَوْلِكُمْ والتهديداتُ مِنَ الْكُفّارِ وَالظّلْمُ وَالْجُورُ والطغيانُ كُلّ ذَلِكَ تَمُوجُ بِهِ بِلادُ الْعَالَمِ اليومَ فَنَحْنُ على خَطَرٍ عَظِيمٍ إِنْ لَمْ نَشكُرْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْنَا، وَنَقُومُ بواجِبِنَا فإنّنَا على خطرٍ عظيمٍ، وَقَدْ جَاءَتِ النّذُرُ فَفِي أَوّلِ شَهْرِ شَوّال كَانُوا يَلهُونَ وَيلعبُونَ بعدَ العِيدِ بِالْحَفَلاتِ وَالرّقَصَاتِ وما يشاؤونَ منَ الشهواتِ وفي آخرِ الشهرِ يَسمَعُونَ صَوتِ صُفّارَاتِ الإنذارِ يَسْمَعُونَهَا تَخْوِيفًا مِنَ الله عز وجل لَعَلّهُمْ يَرْجِعُونَ وَيَتُوبُونَ إلى اللهِ وَيُصْلِحُونَ أَعْمَالَهُم وَإِلاّ فَإِنّ النّقْمَةَ قريبةٌ ولاَ حَولَ وَلاَ قُوّةَ إلاّ باللهِ فَاتّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ واشكرُوا نعمةَ اللهِ عليكم ولا تكفروها ولا تكونوا من ﴿ ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ

ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩] بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . .

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ عَلَى فَضْلِهِ وإحسَانِهِ، وَالشّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ وأشهدُ أَنْ لا إلَه إلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وأشهدُ أَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلى الله عليه وعلى آله وأصحابِهِ وَسلّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أما بعد:

أَيّهَا النّاسُ، اتّقُوا اللهَ تَعَالَى وَاعْلَمُوا أَنّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَاب بَقَاءِ النّعْمَةِ وَاسْتِقْرَارِهَا الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنّهْي عَنِ الْمُنْكَرِ كما في قولِهِ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١] فالأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر هو من أعظم أسبابِ بقاءِ النّعْمَةِ وَاسْتِقْرَارِهَا، وتركُ الأمرِ بالمعروفِ وَتَرْكُ النّهْيِ عنِ المنكرِ مِنْ أعظمِ الأسبابِ لزوال النّعَمِ وحلُولِ النّقَمِ قال ﷺ: «كَلَّا واللهِ لَتَأْمُرُنّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنّ عَنِ المنكَرِ وَلَتَأْخُذُنّ عَلَى يَدِ السّفِيهِ وَلَتَأْطُرُنّ عَلَى الْحَقّ أَطْرًا أَو لَيَضْرِبَنّ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ ثُمّ يَلْعَنُكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ»[1] (أيْ بنِي إسرائيل). قال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩]، وقال ﷺ: «إِنَّ النَّاسَ

---

(١) أبو داود (٣٧٧٤).

إِذَا رأَوْا المُنكَرَ فَلم يغُيرُوه أَوشَكَ أَن يَعمهُم اللهُ بِعقابٍ مِن عِندِه»[١] وقال ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإيمَان »[٢] قَدْ كَثُرَتِ الْمُنْكَرَاتُ اليومَ في بيُوتِنَا وَفِي أَسْوَاقِنَا وَفِي تَجَمّعَاتِنَا، وَقَلّ مَنْ يُنْكِرُ ذَلِكَ، فَالْوَاجِبُ عَلَى كلّ مُسْلِمٍ أَنْ يُنْكِرَ الْمُنْكَرَ حَسْبَ اسْتِطَاعَتِهِ وَمَقْدِرَتِهِ، وَلاَ يَعْجَزُ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَ الْمُنْكَرَ في بَيْتِهِ، فإنَّ البيتَ مِلْكٌ لَكَ وَمَنْ فِيهِ مِنْ رَعِيَّةٍ تَحْتَ يَدِكَ وَأَنتَ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ فَلاَ أَحَدٌ يَعْجَزُ عَنْ أَنْ يُنْكِرَ الْمُنْكَرَ فِي بَيْتِهِ، وَأَيْنَ الذينَ يُنْكِرُونَ المنكرَ فِي بيوتِهِم إلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ فَضْلاً عَنِ الّذِينَ يُنْكِرونَ عَلَى النّاسِ؟

فَاتّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، تآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عنِ الْمُنْكَرِ وابْدَؤوا بِأَنْفُسِكُمْ وَبِبُيُوتِكُمْ وَجِيرَانِكُمْ، وَمِنْ أَعْظَمِ الْمُنْكَرَاتِ التّهَاوُنُ بِالصلاةِ اليوم الّتِي هي الركنُ الثّانِي مِنْ أركانِ الإسلام، مِنَ النّاسِ مَنْ لا يُصَلّي وَيَقُولُ: الإسْلامُ لَيْسَ هُوَ الصّلاَةُ وَالنّبِيّ ﷺ يقول: «رأسُ الأَمْرِ الإسْلامُ وَعَمُودُهُ الصلاةُ»[٣] وهذا يقولُ: الصّلاةُ لَيْسَتْ هِي الإسْلامُ وَيَتْرُكُ الصّلاةَ جِهَارًا نَهَارًا وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَتْرُكُ الصّلاةَ فِي الْوَقْتِ الْمُحَدّدِ لَهَا وَإِنّمَا يُصَلّي إِذَا قَامَ مَتَى مَا قَامَ فَيُغَيّر شَرْعَ اللهِ عَزّ وجلّ لأَنّ اللهَ شَرَعَ الصلاةَ في وقتٍ محددٍ لَيْسَتْ عَلَى حَسبَ هَوَاكَ تَنْقُلُهَا حَيْثُمَا شِئْتَ الصّلاةُ لَهَا وَقْتٌ فَإِذَا صَلّيْتَ خَارِجَ الْوَقْتِ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ فَلا صلاةَ لَكَ لأَنّكَ لَمْ تُصَلّ الصلاةَ التي أَمَرَكَ اللهُ بها وإنما صلّيْتَ الصلاةَ التي أَمَرَتْ بِهَا نَفْسُكَ وَالشّيْطَانُ فلا يقبلُها اللهُ مِنْكَ، وَمِنَ النّاسِ مَنْ يتركُ صلاة الجماعةِ وهو

---

(١) ابن ماجة (٣٩٩٥)، الترمذي (٢٠٩٤).
(٢) أبو داود (٣٧٧٧)، مسلم (٧٠)، الترمذي (٢٠٩٨).
(٣) أبو داود ٣٧٧٧، مسلم (٧٠)، الترمذي (٢٠٩٨).

يسمعُ الأذانَ والمَسجدُ إلى جَانبِ بَيْتِهِ ولاَ يَحضُر للصَّلاة وصَلاَة الجَمَاعةِ فرْضٌ عَلَى الأعيَانِ عَلَى كُلِّ مُسلِمٍ كَمَا قَالَ سُبحَانَهُ وتَعَالى: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۞ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧]، لو حافَظْنَا عَلَى الصَّلاةِ لانْتَهَيْنَا عَنْ كُلِّ مُنْكَرٍ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] فَمَاذَا يُتَوَقَّعُ مِنَ الذي لا يُصَلي أَو يُصَلي عَلَى حَسبِ هَوَاه؟ ماذا يُتَوَقَّعُ مِنْهُ؟ أَنْ يُنْكِرَ الْمُنْكَرَ وهو لا يصلي؟! نَسْأَلُ اللهَ العافيةَ والسلامةَ وأن يَهْدِيَ ضَالّ المسلمينَ، وَاعْلَمُوا أنّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كتابُ اللهِ. . .

* * *

فِي وُجُوبِ الْمَحَبَّةِ فِي اللهِ وَالْبُغْضِ فِي اللهِ

الحمدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى فضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ. جَعَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِخْوَةً مُتَحَابِّينَ، وأَشْهَدُ أَن لاَ إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ شهادة الْحَقِّ واليَقِينِ وَأَشْهَدُ أنّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ الصادقُ النّاصِحُ الأَمِينُ صلَّى اللهُ عَلِيهِ وَعَلَى آله وَأَصْحَابِهِ والتابعين وَمَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا أما بعد:

أَيُّهَا النَّاسُ، اتقُوا اللهَ تَعَالَى قالَ الله تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] وقالَ النبي ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِم لاَ يَحْقِرُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ بِحَسْبِ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»(١) وقال عليه الصلاة والسلام في خطبته في حجة الوداع: «إنّ دِمَاءَكُمْ وَأَموَالَكُمْ وأعراضَكُم عليكم حرامٌ كحرمَةِ يَوْمِكُمْ هذا في بلدِكم هذا في شهرِكُم هذا أَلا هَلْ بَلّغْتُ؟ اللّهُمّ اشْهَدْ»(٢).

أَيُّها المُسلِمُونَ إنَّ حُرمةَ المُسلمِ عندَ الله عَظِيمةٌ جَاءَ فِي الحَدِيثِ أَنّ حُرمَةَ المسلمِ عندَ الله أَعْظَمُ مِن حُرمَةِ الكَعبةِ وذَلِكَ لأنّ المُسلِمَ عَبدٌ لله سُبحَانَهُ وتعالى يعبدُ الله وَيُسَبِّحُهُ وَيذكُرُهُ فَهُوَ كَرِيمٌ عِندَ اللهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى وَلِذَلِكَ حَرَّم الاعتَداء عليهِ بِأَي نَوعٍ مِنَ الاعتداء، حَرَّم الاعتداءُ عَلَى دَمِهِ بِالقتلِ بغيرِ حَقّ قَالَ ﷺ: «لاَ يَحِلّ دَمُ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ إلاّ بِإِحْدَى ثَلاثٍ الثَّيِّبُ الزّانِي وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالتّارِكُ لِدِينِهِ

---

(١) الترمذي ١٨٥٠، مسلم ٤٦٥٠.

(٢) البخاري ٦٥، مسلم ٢١٣٧، الترمذي ٢٠٨٥٠.

الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»[١] وَقَد توعَّدَ اللهُ سبحانه وتعالى مَنْ يَقْتُلُ مُسْلِمًا متعمّدًا بغيرِ حَقٍّ بأَشَدِّ الوَعِيدِ قَالَ سُبحَانَهُ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣] فَهَذَا وعيدٌ شديدٌ في حقِّ منِ اعتدى في قَتْلِ مُسلمٍ بِغَيرِ حَقٍ وَقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ٣٢] ولَمَّا قَتَلَ أحدُ ابْنَيْ آدمَ أَخَاهُ بغيرِ حَقٍّ ذَكَرَ الله قِصَّتَهُ فِي القُرْآن تَحذيرًا لَنَا مِن أن نُقدِم عَلَى مِثْلِ هَذَا قَالَ تعالى: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٢٧]، وأخبر النبيّ ﷺ أَنَّهُ مَا قَتلت نَفسٌ بِغَيرِ حَقٍّ إلاَّ كَانَ عَلَى ابنِ آدَمَ الأول كِفْلٌ مِن دَمِهَا لأنّهُ أولُ مَنْ سَنّ القتلَ فَدِمَاءُ المُسلِمين حَرَامٌ عِندَ الله عَزّ وَجل أشَدّ مِن حُرمةِ الكَعبةِ لِمَا فِي ذلك مِنَ العُدوَانِ، وَلِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الظُّلم، وَلِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ قَطْعِ عِبَادَة الله وَذِكرِه عز وجل بقتل هذا المسلم الذي يذكرُ اللهَ ويَعَبْدُهُ ويسبحُهُ وَيُهَلِّلُهُ وَيُكَبِّرُهُ، فلأي شيءٍ يَتَسَاهَلُ الناسُ الآن بِدِمَاءِ المُسلِمينَ؟ بِأي شَيءٍ يَتَساهَلُ أصحابُ السياراتِ في دِماءِ المسلمينَ يتسببونَ بقَتلِ الأعدادِ الكَثِيرةِ فِي الحَوادِثِ التي تقعُ في الطرقاتِ؟ ولَقَد أَصبَحَ القَتلُ بِالحوادِثِ فِي الطُرقَاتِ بِهَذِهِ السياراتِ أكثرَ مِن حوادِثِ الحُروب. كمْ في المستشفياتِ مِن جَرحَى؟ وكَمْ في المقابر من قتلى؟! وكم في البيوت من معوقين؟! بسببِ هذهِ الحوادثِ التي يتساهلُ قَائدُو السَّياراتِ بِشَأْنِهَا وَيَتَلاعبُونَ بِدمَاءِ النَّاس، وَيَظُنُّونَ أَنَّ هَذَا سَيذهبُ سُدًى، كَلاّ إن هَذِهِ الدِّمَاء وَهَذِهِ الأنفُسَ وَهَذِهِ الأَعْضَاءَ الَّتي تَقطعُ، لَها مَسؤولية عِندَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ

(١) السنن الكبرى (٦٩٢٣)، مسلم (١٦٧٦).

فَعَلَيْهم أَنْ يَتَّقُوا اللهَ سبحانه وتعالى فِي أَنفِسهم أولاً ثُم في إخوَانَهُم المُسلِمِينَ فيتعقّلُونَ فِي قِيادةِ السَّيارات وَلاَ يَقودُهَا إلا من يحسن القيادة ويتقيدُ بأنظمة المرور وأسباب السلامةِ وَحَرّم الإسْلامُ الاعْتِدَاءَ عَلى أعراضِ المسلمينَ، وَالْعِرْضُ مَا يقبلُ الْمَدْح والذمّ حُرْمَةُ العرض كحرمةِ الدّم وحرْمَةُ المالِ فلا يَجُوزُ لأَحَدٍ أَنْ يَعْتَدِي عَلَى عِرْضِ أَخِيهِ بالغيبةِ أو النّميمَةِ أو السّبّ أو الشّتْم قال صلى الله عليه وسلم: **«لَعْنُ المؤمنِ كَقَتْلِهِ»**[1] **«وَمَنْ قَالَ لأخِيهِ: يا فاجرُ يا فَاسِقُ يا عَدُوّ اللهِ وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ رجَعَ الإثمُ عَلَى قَائِلِهِ»** وكذلك حَرّمَ الفروجَ والاعتداءَ على أعراضِ المسلمينَ بِالزّنَى واللّوَاطِ وغير ذلك من الفواحشِ وَهَذَا أَعْظَمُ مِنَ الْقَتْلِ وَأَشَدّ خَطَرًا قال الله سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٢] وَدَمّرَ اللهُ مَملَكَةً كَاملةً ومُدنًا كَثيرة وَاسِعة، دَمّرَهَا اللهُ بِسَبَبِ جَرِيمَةِ اللّوَاطِ كَمَا تَقْرَؤُونَ في قصّةِ قَوْمِ لُوطٍ. كلّ ذلكَ محافظةً عَلَى أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ وَشَرَعَ اللهُ رَجْمَ الزّانِي المُحصنِ، والمُحصَنُ هُوَ الذي سَبَقَ لَهُ أَن تَزَوجَ زَواجاً شَرعياً وَوطِىء امرَأتَهُ بِالحَلالِ، إِذَا زَنَى فَإِنّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ بِرَجْمِهِ بالحجارةِ حَتّى يَمُوتَ فَيُقْتَلُ شَرّ قِتْلَة وَإِذَا كَانَ بِكْرًا لَمْ يَتَزَوّجْ وَوَقَعَ في الزّنَى فَإِنّهُ يُجلدُ مِئَةَ جَلْدَةٍ وَيُغرّبُ عَنْ وَطَنِهِ قال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [النور: ٢] كُلّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ حِفْظِ أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ، وتطهير المجتمع. فَأَعراض المُسلِمين مُحرَّمة تَحريماً شَديداً وَلكِن كَثيراً مِنَ النَّاس يَتَطاوَل عَلى أَعرَاض المُسلِمين، إمّا بِالتّجْرِيحِ بِالْكَلامِ وَالْغَيْبَةِ وَالنّمِيمَةِ، وَإِمّا أَنْ

(١) البخاري (٥٦٤٠)، مسلم (١٦٠)، الترمذي (١٥٢٧)، المعجم الكبير (١٣٤٠)، أحمد (١٦٤٣٢).

يَتَطَاوَلَ على أعراضِ المسلمينَ بِالنّظَرِ الْمحرَمِ إِلَى عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ قال الله جل وعلا: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [المؤمنون: ٣٠، ٣١] الآية فَقَدْ حَرَمَ الْوَسَائِلَ الّتِي تُفْضِي إلى الفاحشةِ، وانتهاكِ العرضِ، حرّمَ النظرَ إلى ما لا يجوزُ النظرُ إليه، حَرّمَ السّفورَ عَلَى المرأةِ وتكشّفها أمامَ الرّجَالِ، وحرّمَ سَفَرَ الْمَرْأَةِ بِدُونِ مَحْرَمٍ، وحَرّمَ خُلْوَةَ الرّجُلِ بالمرأةِ التي لا تَحِلّ لهُ كُل ذَلِكَ سَدّا للذّرَائعِ وحِفْظًا لأعراضِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الانتهاكِ وَكَذَلِكَ أموَال المُسلِمين فَإِنّهَا حَرَامٌ كَحُرْمَةِ دِمَائِهِمْ وَأَعْرَاضِهِم وَلِذَلِكَ شَرَعَ اللهُ قَطْعَ يَدِ السّارِقِ الذي يسرقُ أموالَ الناسِ خُفْيَةً بعدما تَأَمّنًا أصْحَابُهَا عَلَيْها هَتَكَ حِرْزَهَا مُسْتَهْتِرًا بِأَحْكَامِ اللهِ، مُسْتَهْتِرًا بِإِخْوَانِهِ المسلمينَ، فَشَرَعَ اللهُ رَدْعَهُ بقطعِ يَدِهِ التي امتدت إلى السرقة قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المائدة: ٣٨] فإِذَا سَرَقَ مرةً ثلاثةَ دَرَاهِم أو أكثر فَقُطِعَتْ يَدُهُ فأصبحَ مقطوعَ الْيَدِ طُولَ حَيَاتِهِ هَذَا عَذَابُهُ فِي الدّنْيَا، وَأَمّا عَذَابُهُ فِي الاخِرَةِ فَهُوَ أَشَدّ وَأَنْكَى إِنْ لَمْ يَتُبْ إِلَى الله سبحانه وتعالى وَحَكَمَ عَلَى قُطّاعِ الطّرِيقِ وهم الذين يتعرضونَ للنّاسِ بِسَلْبِ أَمْوَالِهِم بالقوةِ حَكَمَ عَلَيْهِم بأن يُقَتّلُوا أَوْ يُصَلّبُوا أَو تُقَطّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أو يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا أَوْ يُصَلَّبُوٓا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَـٰفٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [المائدة: ٣٣، ٣٤] ولا يَقْتَصِرُ تَحْرِيمُ الأَمْوَالِ عَلَى أَخْذِهَا سَرِقَة أَوْ أَخْذِهَا

مُجَاهَرَةً بل يتناولُ ذَلِكَ أَيْضًا الّذين يأخذُونَهَا عَنْ طَرِيقِ الاحْتِيَالِ، يأخذونَهَا بالْغِشّ فِي الْبَيْعِ والشّرَاءِ، والخيانةِ في المُعَامَلاتِ يَأْخُذُونَهَا بالخصوماتِ الفاجرةِ، قال ﷺ: «مَنْ حَلَفَ على يمين هُوَ فيها فاجر ليقتطعَ بها مَالَ امرىءٍ مُسلمٍ لقيَ اللهُ وهو عليه غَضْبانُ»[1]. وفي الحديث الصحيح «مَنْ اقتطعَ شبراً منَ الأرضِ بغير حَق طَوَّقَهُ إيَّاهُ يَومَ القيامةِ مِنْ سَبْعِ أرضينَ»[2]. وكثيرٌ من الناسِ يتساهلُون في الغِشِّ، يتساهلُون في الرِّبا، يتساهلون في الرشوةِ، يتساهلون في الخصوماتِ، يتساهَلُونَ بأخذِ أموالِ الناسِ بمعاملاتٍ مُحرَّمةٍ أو بالاحتيالِ والخديعةِ ولا يَظنُّونَ أنَّ اللهَ جَلَّ وعَلا يُحصي عليهم هَذهِ الأعمالَ وسيحُاسِبُهم عليها، وسَتُردُّ المظالمُ إلى أهلِهَا مِنْ حَسَناتِهم يومَ القيامةِ.

فعلىٰ المسلمِ أنْ يحاسبَ نفسَهُ، وأن يحترمَ دماءَ المسلمينَ، ويحترمَ أعراضَ المسلمين، ويحترمَ أموالَ المسلمينَ فإنْ لَمْ يفعلْ فإنه مُحاسَبٌ ومعاقَبٌ يوم القيامة. فعلى كُلِّ مسلمٍ أن يتذكرَ موقِفَهُ أمامَ اللهِ سُبحانه وتعالى أَنْ يتذكرَ تعلقُ العبادِ به يوم القيامة ليأخذُوا مظالمَهُم مِنه أمامَ أحكمِ الحاكمينَ.

فـاتقـوا اللهَ عبـادَ اللهِ، واحتـرمُـوا دِمـاءَ المسلميـنَ، احتـرمُـوا أعـراضَ المسلمينَ، احترموا أموالَ المسلمين فكَما لا تُحبُّ أنَّ أحداً يَعتدِي عليك في دَمِكَ أو مالِكَ أو عرضِكَ فكيف ترضى هذا لإخوانِكَ المسلمينَ؟ «لا يؤْمنُ أحدكُم حتى يُحبَ لأخيهِ مَا يحبُّ لِنَفْسِهِ»[3]. باركَ اللهُ لي ولكُم في القرآن العظيم...

---

(١) البخاري (٢٢٣٩)، مسلم (١٩٧) (بلفظٍ مقارب).
(٢) البخاري (٢٩٥٩)، مسلم (٣٠٢٠).
(٣) البخاري (١٢)، الترمذي (٢٤٣٩)، النسائي (٤٩٣٠).

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ لله على فَضْلِهِ وإحسانِه وأشكُره على توفيقه وامتِنَانِه، وأشهدُ ألاّ إلهَ إلاّ اللهُ وحدَهُ لا شَرِيكَ له، تعظيماً لِشَأْنِهِ، وأشهد أن محمداً عبده ورسولُه الدَّاعِي إلى رضوانِه صلى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه وسلَّمَ تسليماً كثيراً، أمَّا بعدُ:

أيها الناسُ، اتقوا اللهَ واعلمُوا أنها لا تقتصرُ حُرْمَةُ المسلمِ على حرمتِه حَيًّا بلْ تمتدُّ حُرمتُهُ وهُوَ مَيِّتٌ ولذلكَ شَرعَ اللهُ وأوجب على المسلمينَ أن يعتنُوا بأخِيهم الميتِ، يغسلُونَه ويُكفِّنُونَهُ ويُصلُّونَ عليه ويُشَيِّعُونَه ويدفنُونهُ في مقابرِ المسلمينَ ولا ينتهِي الحدُّ عند ذلكَ بل شرعَ لهم أن يزورُوا قَبْرَهُ، وأنْ يستغفرُوا لَهُ وأن يدعُوا له، وأن يعتبروا بحالِهِ، وحَرَّمَ ﷺ امتِهَانَ القبور، وحَرَّمَ القعودَ عليها، وحرَّمَ المشي على القبورِ، وحرَّم العَبثَ بجنازَةِ الميتَ قال ﷺ: «إنَّ كَسْرُ عظمِ المُسلم مَيِّتاً مثل كسْرِه حيَّاً»[1]. «حُرمَةُ المسلمِ ميتاً كحُرمتِهِ حَيًّا». كُلُّ ذلك من أجل كرامةِ المسلم على اللهِ سبحانه وتعالى حيًّا وميتاً فلا يجوزُ امتهانُ المقابرِ؛ لأنَّ بعضَ الناسِ يمتهِنُونَ المقابرَ فيقيمونَ عليها المبانيَ ويلقُون فيها القِماماتِ ويمشُون عليها بالأرجُلِ أو بالسيارات ويرسلُونَ عليها المياهَ وذلكَ أذىً للمؤمنينَ وقد قال الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

فاتَّقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واحترِمُوا إخوانكم أحياءً وأمواتاً كما أمركُم الله بذلك، واعلمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هَديُ محمدٍ ﷺ.

---

(١) أحمد (٢٣١٧٢)، ابن ماجة (١٦٠٥) (بلفظ مقارب).

بمناسبةِ حُلولِ شهرِ رمضانَ المباركِ

الحمدُ الله ذي الفضلِ والإحسانِ. ما زالَ يوالي علينا مواسمَ الخيرِ كُلَّ أوانٍ، وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسولُه صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّمَ تسليماً كثيراً. أما بعد:

أيُّها الناسُ، اتقوا الله تعالَى واشكُروه حَيثُ أحلَّ عليكم شهرَ رمضانَ. الشهرَ العظيمَ الذي نَوَّهَ اللهُ بشأنِه في محكمِ كتابِه حيثُ قال سبحانه ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

عبادَ اللهِ، إنَّ هذا الشهرَ شهرٌ عظيمٌ كانَ النبيُّ ﷺ يذكرُ لأصحابِه فضائِله قبلَ أن يدخُلَ لِيُنَشِّطَ هِمَمَهُم ويُوقِظَ عَزائِمَهُم للاهتمَامِ به، والحفاوَةِ به بالأعمالِ الصالحةِ واغتنامِ أوقاتِه قَبلَ فواتِها. فالله سبحانَهُ وتعالى خَصَّ هذا الشهرُ بفضائِلَ عظيمةٍ ومزايا كريمةٍ لاَ توجَدُ في غيرِهِ مِنَ الشهورِ أعظمها أنَّ الله سبحانَه وتعالى خصَّه بإنزالِ القرآن فيه. فقال: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾[البقرة: ١٨٥] فهذهِ مَيزَةٌ عظِيمةٌ وهي ابتداءُ نزولِ القرآنِ في هَذَا الشهر المباركِ؛ هذا القرآنُ الذي جعَلَهُ اللهُ هُدًى للناسِ، وبيِّنَاتٍ مِنَ الهُدىٰ والفرقانِ وبدايَةُ نِزُولِهِ في هذا الشهرِ مما يدلُّ على فضلِ هَذَا الشهرِ العظيمِ، وخاصيةِ القرآن به، ولهذا كانَ النبيُّ ﷺ يكثرُ من تلاوةِ القرآن في شهرِ رمضانَ ويتفرغُ لذلك من أعمالِه ويُقبل على تلاوةِ القرآنِ وعبادةِ ربِّه في هذا الشهرِ، وكانَ جبريلُ عليه السلامُ ينزلُ إلى رسولِ الله ﷺ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ شهرِ رمضانَ يدارسُه

القرآنَ. وكان السَّلفُ الصالحُ يقبِلُونَ على تِلَاوةِ القرآنِ في شهرِ رمضانَ ويتركونَ دروسَ العلمِ وحِلَقِ الذكرِ ويتفرغونَ لتلاوةِ القرآنِ لأن اللهَ خَصَّ هذا الشهرَ بإنزالِه فيه فتلاوةُ القرآنِ في هذا الشهر لها مَزيّةٌ عظيمةٌ على تلاوةِ القرآنِ في غيره وإنْ كانتْ تلاوةُ القرآنِ مطلوبةً كُلَّ زمانٍ ولكنْ في هذا الشهرِ خاصَّةً تتضاعفُ لهم أجور التلاوةِ فيه. ومِنْ مزايا هذا الشهرِ أنَّ اللهَ سبحانَه وتعالى فرضَ صِيَامَهُ على هَذِه الآمَّة، وجَعلَ صِيَامَهُ رُكناً من أركانِ الإسلامِ قالَ تعالَى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾[البقرة: ١٨٥] وقال النبي ﷺ **«بُنِيَ الإسلامُ على خمْسٍ شهادةِ أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ والحج وَصَوْمِ رمضانَ»**[1] فجعل صِيَامَ رمضانَ رُكناً من أركانِ الإسلامِ، فمن جَحَدَ وجُوبَ صيامِ رمضانَ فإِنَّهُ كافِرٌ بالله عزّ وجلّ مُرْتَدٌّ عن دينِ الإسلامِ إنْ كَانَ قَبْلَ ذلكَ مُسلماً. ومن أقر بوجوبِهِ ولكنهُ تركَ الصيامَ تكاسُلاً، فإنه يُجْبَرُ على الصيامِ وَيُعَزَّرُ بما يراهُ ولي أمرِ المسلمينَ رادِعاً له ولأمثالِه عن انتهاكِ حُرْمَةِ هذا الشهرِ العظيمِ، ومِنْ مزايا هذا الشهرِ أنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالى شرعَ قيامَهُ على لسانِ رسولِه ﷺ، فقد جاءَ في الحديث أنَّ الرسولَ ﷺ يقول: **«شهرٌ كَتَبَ اللهُ عليكمْ صيامَهُ وسَنَنْتُ لكُم قِيامَه»**[2] وذلك بصلاةِ التراويحِ وما تيسَّرَ معها مِنَ التهجُدِ في آخرِ الليل ولكنَّ صلاةَ التراويح سُنةٌ مؤكدةٌ وهي خاصةٌ برمضان. أما قيامُ آخرِ الليلِ فإنه مشروعٌ في كُلِّ وقتٍ، وصلاةُ التراويح تُقَامُ جَماعةً في المسجدِ، وقد قامَ ﷺ بأصحابِهِ ليالِي مِنْ رمضانَ ثم تأخَّرَ عنهم خَشْيَةَ أَنْ تُفْرَضَ عليهم فيعجزوا عنها وبقي

---

(١) البخاري (٧)، مسلم (٢١) (بلفظ مقارب).

(٢) ابن ماجة (١٣١٨)، النسائي (٢١٨٠).

المسلمونَ يُصَلُّونها، لكنهم كانُوا يُصلُّونها مُتفرقِّين فلما كان في عهدِ عُمَر رضي اللهُ تعالى عنه وَهُوَ الخليفةُ الراشدُ رأىٰ أن يجمعَ الناسَ على إمامٍ واحدٍ في صلاةِ التراويحِ فكانوا يصلُّونها خلفَ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ رضيَ الله عنه، وَكَانَ يصلِّي بهم ثلاثاً وعِشْرِينَ ركعةً في مسجِدِ رسولِ اللهِ ﷺ وبمحضرٍ مِنَ المهاجرينَ والأنصارِ، فكانتْ سُنةُ التراويح سُنةٌ مؤكدةٌ بفعلِ رسولِ اللهِ ﷺ وعَدَدُهَا بسُنةِ الخليفةِ الراشدِ عُمرَ بنَ الخطَّابِ رضي اللهُ عنه. وقد قال ﷺ: «عليكُم بسُنتِي وسُنةِ الخلفاءِ الراشدينَ المهديينَ»[١]. فصلاةُ التراويحِ سُنةٌ مؤكدةٌ بسنةِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم وسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدين، وبعملِ المسلمين المُسْتَمرِ، فلا ينبغي التهاونُ بها أو التكاسلُ عنها. قال ﷺ: «مَنْ قَامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفِرَ لَهُ ما تقدَّمَ من ذنبِهِ»[٢]. وقال عليه الصلاةُ والسلام «مَنْ قَامَ مَعَ الإمَامِ حتى ينصرفَ كُتِبَ له قيامُ ليلةٍ»[٣] فهيَ سنةٌ مؤكدةٌ لا ينبغي لمسلمٍ أَنْ يفرطَ فيها بَلْ يحضُرَها مع جماعةِ المسلمينَ في المسجدِ وإنْ صلاَّها في بيته فلا بأسَ ولكنْ تفوتُه فضيلةُ الجماعةِ وفضيلةُ إقامةِ هذه الشَّعِيرة في بيوتِ اللهِ عز وجل، لكنْ على كُلِّ حالٍ لا ينبغي تركُها والتهاونُ بشأنِها، فإنَّ بعضَ الناسِ قد يقولُ ما دامت أنها ليستْ واجبةً فلا علي إنْ تَرَكْتُهَا. نقولُ لهُ: ليسَ عليك إثمٌ في تركها ولكنْ يفوتُكَ أجرٌ عظيمٌ في فعلها أنت بحاجةٍ إليه. أنت فقيرٌ إليه، وهي فرصةٌ سانحةٌ فلا تضيِّعْها بالكَسَلِ والغفلَةِ. ومن فضائِلِ هذا الشهرِ أنَّ الله خصَّهُ بليلةٍ هي خيرٌ مِنْ أَلْفِ شهرٍ وهي ليلةُ القدر التي قال الله فيها بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّآ

---

(١) أبو داود (٣٩٩١)، الدارمي (٩٥).

(٢) البخاري (٣٦)، النسائي (٢١٧٠)، أبوداود (١١٦٤).

(٣) الترمذي (٧٣٤)، النسائي (١٣٤٧)، أبو داود (١١٦٧).

أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر: ١ـ٥] وقال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾﴾ [الدخان: ٣ـ٥].

فهي ليلةٌ عظيمةٌ تُعادِلُ ألفَ شهرٍ في العمل الصالح، وألف الشهر بثلاثٍ وثمانينَ سنةً وزيادةِ أشهر يستغلُّها المسلمُ كلَّها في عبادة اللهِ من أولها إلى آخرها، ليلةُ القدر تعادلُ ذلك كُلَّهُ لمن وفقَهُ الله سبحانه، ومن قامَ هذه الليلةَ إيماناً واحتساباً فقد قال النبيُّ ﷺ **«من قام ليلةَ القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذَنْبِهِ»** يُغْفَرُ له ما تقدَّمَ من ذنبِه ويحصلُ على عَملِ ألفِ شهرْ زيادةً ومضاعفةً مِنَ اللهِ سُبحانه وتعالى، هذا فضلٌ عظيمٌ لا يفرطُ فيه إلا محرومٌ، ولكن هذه الليلةَ أخفَاهاَ اللهُ في شهرِ رمضانَ فلمْ يُبَيِّنْ في أيْ ليلةٍ مِنْ لياليه من أجل أن يجتهدَ المسلمُ في كلِّ ليالي رمضان ليحصُلَ على أجرِ قيامِ رمضانَ وقيامِ ليلةِ القدر. فمن قامَ جميعَ ليالي رمضانَ فإنهُ قد قام ليلةَالقدر فكان عندهُ عملانِ جليلانِ قيامُ رمضانَ وقيام ليلة القدر، وهذا فضلٌ عظيمٌ، أما مَنْ اقتصرَ على بعضِ الليالي وترك البعض الآخرَ فلا يُضْمَنُ له أنه أدْرَكَ ليلةَ القدر فقد تكونُ ليلةُ القدر في الأيام التي تركَها، وهذه هي الحكمةُ الإلهيةُ في إخفاءِ هذه الليلةِ في هذا الشهر حتى يجتهدَ المسلمُ في كلِ الشهرِ لينالَ ثواب ليلةِ القدر وثوابَ الشهر كاملاً، وهذا فضلُ الله يؤتيه مَنْ يَشاءُ والله ذو الفضلِ العظيم، ومِنْ فضائِلِ هذا الشهر أن تفتحُ فيه أبوابُ الجنانِ وتغلَقُ فيه أبوابُ النيرانِ وذلك من أجلِ أنْ يجتهدَ المسلمُ في العمل للجنَّةِ فالعمل مُيَسَّرٌ له، والجنةُ مفتوحةٌ له ويُدْعَى إليها كلَّ ليلةٍ، كلُّ ليلةٍ ينادِي مُنادٍ: يا باغيَ الخير أقبلْ، ويا باغي الشرِّ أقصِرْ وللهِ عتقاءُ

من النار، وذلك في كُلِّ ليلةٍ، فتُفتَحُ أبوابُ الجنةِ، ويُيَسَّرُ العملُ لها ويُسَهَّلُ العملُ لها لأن فتح أبواب الجنةِ يَستدعي منَّا أنْ نرغبَ فيها وأنْ نغتنمها وأن نُكْثرَ من الأعمالِ التي تسبب لنا دخُولها، وتغلقُ أبواب النار وذلك لأجلِ أنَّ المسلمَ يبتعدُ عنِ المعاصِي التي هي سَبَبٌ لدخُولِ النارِ، وسرُّ هذا الحديثِ ظاهرٌ في أنه مطلوب من المسلمين أن يكثروا من الأعمال الصالحة في شهر رمضان لأنها مُفتحةٌ لهم أبواب الجنة يتسابقونَ إليها ومغلَّقةٌ عنهم أبواب النار ولذلك تَقِلُّ المعاصِي في رمضان مِنَ المسلمين لأن أبواب النارِ مُغلقة عنهم فلذلكَ تقلُّ معاصيهم في شهر رمضان وينفُرونَ مِنَ المعاصي لأن النارَ مغلقةٌ عنهم وهذا بفضلِ اللهِ سبحانه ورحمته بعباده. ومن فضائلِ هذا الشهرِ أنه تُغَلُّ فيه الشياطينُ بمعنى أنها تربطُ أيديهم إلى أعناقهم فلا يستطيعون أن يتسلَّطُوا على المسلمين، كانوا قبلَ رمضان، يوسوِسُون، وكانوا يَعُوقون عن الطاعاتِ، ويأمرون بالمنكراتِ فعملُ الشياطين هو الدعوةُ إلى النارِ والدعوةُ إلى المعاصي والتثبيطُ عن الطاعاتِ والتزهيد في الطاعاتِ. هذا عملُ الشيطان مع بني آدمَ يدعُوهم إلى النار ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٦] لكنْ في رمضانَ وللهِ الحمدُ والمِنَّة تُغَلُّ الشياطينُ فلا تقدِرُ على ما كانت تقدرُ عليه قبلَ رمضانَ من إغواء بني آدمَ، وغلُّ الشياطين إنما يكونُ عن أهل الإيمانِ الراغبين في طاعةِ اللهِ فإنَّ الله يحبسُ عنهم عَدُوهُم الذي كان يؤذيهم ويثبطُهم عن الطاعةِ قبل رمضانَ يُكُف اللهُ شرَّهُ عنهم، ويمنعُه منهم ليتمكَّنُوا مِن طاعةِ اللهِ عز وجل، أما أهلُ النفاقِ وأهلُ الكفرِ فإنَّ الشياطينَ لا تزالُ معهم في رمضانَ وفي غيره؛ إنما تُغَلُّ الشياطينُ عن أهل الإيمانِ وأهلِ الطاعاتِ وأهلِ المسابقة إلى الخيراتِ فإنَّ اللهَ جلَّ وعلا يمنعُ عدوَّهُم من أن يُوسْوِسَ لهم، وأن

يثبطَهُم وأن يخذلَهم عن الطاعات وهذا فضلٌ من اللهِ، أنه أسر عنك عدوَّكَ وتمكنَتْ من الفِرار منه، وتمكنْتَ من فِعلِ الخير، وتمكنت من فِكَاكِ نَفْسِكَ من النار ومِنَ الشيطانِ فأيُّ نعمةٍ أعظمُ من هذه النعمة؟! ، ولكنْ لا يتنبهُ لهذا إلاَّ أهلُ الإيمانِ أما أهلُ النفاقِ فإنَّهُم معَ الشيطانِ في رمضانَ وفي غيره نسألُ اللهَ العافية.

باركَ الله لي ولكم في القرآنِ العظيم.

الخطبة الثانية

الحمد للهِ على فضلهِ وإحسانهِ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً أما بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقوا الله تعالى واستغلِوا هذه الفرصةَ العظيمةَ وهذا الشهر المبارَكَ ولا تكْسُلُوا عن الأعمالِ الصالحةِ والمحافظةِ على طاعةِ الله عزَّ وجل، فإنَّ بعض الناسِ نراهُم في أول الشهرِ ينشَطُون ويملؤُن المساجدَ لصلاة الجماعة ولتلاوة القرآنِ والجلوسِ في المساجِد، نراهم يملئون المساجد، وهذا شيءٌ يَسُرُّ وهذا دليلٌ على أن الشيطانَ قد غُلَّ عنهم، الشيطانُ الذي كانَ يعترضُ طريقَهم إلى المسجدِ ويخذُلُهم عنه قد غُلَّ والحمد لله فصاروا طليقينَ من أسْرِهِ يذهبُون إلى المساجدِ ويجلسون فيها ويتلون كتابَ الله عزَّ وجلَّ ويشارِكُون المسلمينَ في صلاةِ التراويحِ فنفرحُ بذلك، ولكن سُرْعَانَ ما نرى تناقُصهم وتخلفَهم وفراغَ المساجدِ منهم لا ندرِي لأيِّ سببٍ هل هُم ماتوا؟! هل هم سَافروا؟! أم أنَّهم جلسوا في بُيوتِهم وبقوا في أعمالِهم الدنيوية وغَفَلُوا عن ذكرِ

الله عز وجلّ. فهذه خَسارةٌ عظيمةٌ. شهرُ رمضانَ أيها المسلمونَ، شهرُ الصَّبرِ لابُدَّ من الصبرِ على الطاعةِ من أول الشهرِ إلى آخرهِ، الصبرِ على الجلوسِ في المساجدِ، الصبر على تلاوةِ القرآنِ، الصبرِ على الأعمالِ الصالحةِ، لابد من الصبرِ ولهذا يُسَمَّى شهرُ الصبر، والصبرُ ثوابهُ الجنةُ، فالذي لَيْسَ عندهَ صبرٌ فإنه يتخلفُ من أولِ الشهرِ يأتي يوماً أو يومين أو أياماً ثم لا يصبرُ فيتخلفُ ويفرُغُ مكانُه في المسجد، وهذه خسارةٌ عظيمةٌ.

فاتقوا الله َعبادَ الله ولا تكسُلوا عن طاعة الله عزوجل. فقد جاء في الحديث «إنَّ الله لا يَمَلُّ حتى تَملُّوا»[١] فعليكُم بالصبرِ والمداوَمةِ ومواصلةِ العمل في شهرِ رمضانَ وفي غيرِ رمضانَ، ولكنْ في شهرِ رمضانَ لما فيه مِنَ الخيرِ العظيمِ وإلاَّ مَطلوبٌ مِنَ المسلمِ أنْ يستمرَّ في العملِ الصالحِ في كُلِّ حَياتِه قال الله جَلَّ وعلا لنبيه محمدٍ ﷺ: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٩] فَلَيْسَ لِعَملِ المُسلِم غايةٌ دون الموت. «إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عَملُه إلاَّ مِن ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ أو علمٍ يُنْتَفَعُ به أَوْ ولدٍ صالحٍ يدعو له»[٢]. فالمسلمُ إذا بدأَ بالخيرِ لا ينبغي له أَنْ يَمَلَّ ويتركَهُ بل يُواصِلُ ويستكملُ الخيرَ ولا سِيَّمَا في هذا الشهرِ المباركِ العظيمِ. فأنتَ مثلاً لو شَرَعْتَ في إقامة مَشرُوعٍ دُنْيَوِيٍّ، وأحضرتَ له الموادَّ والمتطلباتِ ثم إنكَ تكاسَلْتَ وتركته فإنَّكَ لا تنتفعُ ولا يتمُّ لك مشروعٌ فكذلكَ مشروعُ الآخرة مشروعُ العملِ الصالح. مشروعُ شهرِ رمضانَ الذي هوَ سُوقٌ مِنْ أسواقِ الجنةِ يتسابقُ فيه المتسابِقُونَ ويتنافسُ فيه المتنافِسُونَ، كان السَّلفُ الصالحُ لا يُحزنهم شيءٌ إلاّ إذا رأوا غيرهم سَبَقَهُم إلى الخير فكانَ ذلكَ

---

(١) البخاري (١٠٨٣)، مسلم (١٣٠٢).

(٢) الترمذي (١٢٩٧)، النسائي (٣٥٩١) (بلفظ مقارب)، أحمد (٨٤٨٩).

يُحزنُهم حُزناً شديداً، أما إذا سَبَقَهُم إلى أمور الدنيا فهذا شيءٌ لا يهمُّهُم، فعلينا عبادَ اللهِ، أن نغتنمَ هَذا الشَّهرُ في حياتِنا رُبَّما لا يعودُ على كثير منا مَرَّة أخرى فلنغتنمهَ قبل فواتِه وقبلَ أن تنقطعَ حَيَاتُنا وتكونَ خاليةً من الأعمَالِ الصالحةِ، نسألُ اللهَ عز وجلَّ أن يوفقنَا وإياكُم لِصَالحَ القولِ والعملِ في هذا الشهرِ وفي غيره، واعلموا عبادَ الله أن خيرَ الحديث كتابُ اللهِ.

* * *

الخوفُ مِن اللهِ تعالى وثمراتهُ ومضارُّ الخوفِ من غيره

الحمد لله مُعِزُّ مَنْ خافَه واتقاهُ، وأشهد ألا إله إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، ولا نعبدُ إلا إياه، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسوله ومصطفاه صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومَنْ والاهُ، وسلَّم تسليماً كثيراً. أما بعدُ:

أيُّها الناسُ: اتقوا الله تعالى واعلموا أنَّ الخوفَ مِنَ اللهِ سُبحانَهُ وتَعالَى عبادةٌ عظيمةٌ هوَ مِنْ أجلِّ أنواعِ العبادةِ وقد وَعَدَ اللهُ سبحانه مَنْ خافَهُ واتقاهُ بالنصرِ في الدنيا والنعيم في الآخرةِ قال سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٣ـ١٤] وقال سبحانهُ وتَعالَى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ق: ٣١ـ٣٥] وقالَ سُبحانَه: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن: ٤٦] وقالَ سبحانه: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٤٠ـ٤١]، وأما مَنْ خافَ مِنْ غيرِ اللهِ سبحانَه وتعالى من المخْلُوقينَ فإنْ كانَ مع هذا الخوفِ عبادةٌ للمخلوقِ وتقرُّبٌ إليه بشيءٍ من العبادةِ يخافُ شرَّهُ ويرجُو خيرَهُ فهذا شِرْكٌ أكبرُ مُخرجٌ من المِلَّةِ إنْ مات عليه صَاحِبُه فهو خالدٌ مخلَّدٌ في النار قال: تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢] كالذينَ يخافُونَ مَنَ الأصنامِ أَوْ

يخافونَ من الأشجار والأحجار أو يخافون من الجن والشياطين أو يخافون من الآدميِّينَ أحياءً وأمواتاً فالذينَ يخافونَ من الأمواتِ ومنَ القبورِ والأضرحةِ ويتقربونَ إليهم بالقرابينَ يتقربون إلى القبور فيذبحونَ لها وينذرونَ لها، ويَطُوفُون حَولها، ويَستغيثُونَ بها فَهذَا شِركٌ أكبَرُ وذنبٌ لا يغْفرُ إلا بالتوبة إلى اللهِ سُبحانه وتعالى، وأما مَنْ خافَ مِنَ المخلوقِ، ولَمْ يتقربْ إليه بشيءٍ من العبادةِ ولكنَّه تَركَ من أجلِهِ ما وَجَبَ عليه من أمورِ الدين أَوْ فعل من أجلهِ ما حرَّمَ اللهُ عليه، تَركَ لأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ خوفاً من الناسِ وإرضاءً لهم فهذا شِركٌ أصغرُ وذنبٌ كبيرٌ، لأنه يجب على المسلمِ ألاَّ يخافَ إلاَّ اللهَ، ولا يخشَى في اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٣٩﴾ ﴾[الأحزاب: ٣٩]. وأما مَنْ خافَ من الأشياءِ التي تضرُّه وَلَمْ يتركْ مِنْ أجلِها واجباً مِنْ واجبات الدينِ ولم يرتكبْ مُحَرَّماً كأنْ يخافَ من السباعِ أو يخافَ من العدوِّ أو يخافَ من الحرِّ أو البردِ أو الجوعِ، فهذا خوفٌ طبيعيٌّ لا يُؤاخَذُ عليه الإنسانُ لأنه خوفٌ لَيْسَ معه عبادةُ وليسَ معه فِعلٌ مُحرَّمٌ ولا تَرْكُ واجبٍ؛ فهذا خَوفٌ طبيعِيٌّ لا يُلاَمُ عليه الإنسانُ. ويُؤْمَرُ باتخاذِ الوقايةِ منه بما جَعل الله من الأسبابِ الواقيةِ.

أيُّها الإخوةُ، إننا في هذه الأيامِ نسمعُ تهديداتِ الكفارِ للمسلمينَ، وإنهم أعدوا العدة وجاؤوا بالجيوشِ الهائلة وجَاؤوا بالأسلحِة الفتَّاكَةِ فجعلُوها في بلادِ المسلمينَ يُهددونَهم ويُخوِّفونَهم، فالمسلمونَ لا يخافونَ إلا اللهَ عز وجلَّ ولا يعبؤُون بتهديدِ الكفارِ وليس هذا بجديدٍ فالكفارُ يهددُون المسلمين منْ قديمِ الزمانِ ولكنَّ المسلمينَ لا يعبؤُون بتهديدِهم، وإنما يخافونَ مِنَ الله سبحانَه وتعالى. فقد هَدَّدُوا رسولَ الله ﷺ وأصحابَهُ كما حصلَ منهم بعدَ وقعةِ أُحدٍ لما

حَصَل على المسلمينَ ما حصل في هذه الغزوةِ من النكبةِ والقتلِ والجراحِ وانصرفَ المشركونَ عائدينَ إلى مكةِ ثم أرسلُوا إلى المسلمين مَنْ يُهدِّدُهم، ويقولُ عن قائدِ الكفارِ إننا سنرجعُ إليهم ونَقْضِي على بَقيَّتِهم فلمَّا بَلَغَ ذلكَ رسولَ اللهِ ﷺ، وجَاءَهُ المندوبُ من الكفارِ مَا زادَهُ إلاَّ إيماناً وقوةً وثقةً باللهِ سُبحانه وتعالى، فأمرَ أصحابه بأن يخرجُوا في طلب العدوِّ فخرجُوا معَ رسولِ اللهِ ﷺ وهُم بعدَ معركةٍ شرسةٍ، وفيهم الجراحُ، وقُتِلَ منهم مَنْ قُتِلَ؛ خرجوا مَع رسول الله ﷺ في طلبِ العدوِّ الذِّي يُهدِّدهم، ونَزَلُوا في مكانٍ بين مكة والمدينةِ ينتظرون العدوَّ. فلما بلغَ الكفارُ خروجَ رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابه أصابَهم الرعبُ وقالُوا: ما خرجوا إلا وفيهم قُوةٌ، فانهزَمُوا بإذن اللهِ وخابُوا وخَسِروا وَمَضَوْا إلى مكةَ، ورجعَ المسلمونَ سالمينَ غانمينَ بالأجرِ والثوابِ، وأنزلَ اللهُ في ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣ـ١٧٤] ثُمَّ قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥] هذاَ التهديدُ الذي جاءَكم إنَّما هُوَ من الشيطانِ يخَوِّفُكُم بأَوليائِه مِنَ الكفارِ، ويهدِّدكُم بالكفارِ «**فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين**» فلمَّا خافُوا مِنَ اللهِ عز وجل، وقَوِيَ إيمانُهم ويقينُهم ما زادَهُم ذلكَ إلاَّ رِفعةً في الدينا والآخرةِ، وقوةً وأجراً وثواباً. كذلكَ لما جاءَ الأحزابُ مِنَ القبائِلِ وجاؤُوا إلى المدينةِ يُريدونَ قَتْلَ المسلمينَ واستِئْصَالَهم، واجْتَمَعُوا حَوْلَ المدينةِ مَنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وخانَ اليهودُ الذين عَاهدُوا رسولَ اللهِ ﷺ على أن يُدَافِعُوا مَعَهُ عَنْ المدينةِ وانضمُّوا مَع الكفار، وخانَ المنافقونَ الذينَ كَانُوا يُظهرُونَ الإيمانَ ويبطنُونَ

الكُفرَ. فلما جاءتْ جَحَافِلُ الكُفرِ خَانوا اللهَ ورسُولَه، فاجتمعَ على المسلمينَ عَدوٌّ من خَارجِ المدينةِ وعَدوٌّ من داخلِ المدينةِ ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الأحزاب: ١٠ـ١٢] ثم قال الله سبحانه عَنْ المسلمينَ ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢ـ٢٣] هذا مَوقفُ المسلمينَ في الشدائدِ ما تزيدُهم الهزاتُ والتهديداتُ إلا قوةً في إيمانِهم لأنهم يثقُون باللهِ سبحانه وتعالى الذي يملِكُ القوى والقُدَرارِ الذي لا يَغلِبُهُ شيءٌ ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ﴾ [آل عمران: ١٦٠] إنهُ يجبُ علينا في هذه الحالةِ عند تهديدِ الكُفارِ، ومَجيئِهم بِعَدَدِهِم وعُدَّتِهم ونزولِهم بينَنا وفي ديَارنا أنه يجبُ علينا أمور، أولاً: التعلُّق باللهِ عز وجلَّ وقُوةُ الإيمانِ واليقينِ بالله عز وجل فإنه هُوَ المالكُ القوي الذي لا يُعجزُه شَيءٌ، فإذا خِفْنَا مِنْه فإنَّ اللهَ يخيفُ عَدوَّنا وإذا خِفْنَا من عدوِّنا ولَمْ نَخَفْ مِنَ اللهِ سلَّطَ اللهُ علينا عدونا؛ كما في الحكمةِ مَن خَافَ اللهَ خافَه كُلُّ شيءٍ ومَنْ خاف مِن غير اللهِ أخافَهُ اللهُ مِنْ كُلِّ شيءٍ، فعلينا أن نخافَ من اللهِ هذا أول شيءٍ، الأمرُ الثاني: عَلَينا أن نُصْلِحَ أحوالَنا فإنَّ عَدونا لا يتسلَّطُ علينا إلاَّ بسببِ ذُنُوبِنا وسَيئاتِنا، فعلينا أنْ نرجعَ على أنفسِنا ونُحَاسِبَ أنفُسَنا ونُصْلِحُ فَسادَنا حتى يَتَسنَّى لنا النصرُ من اللهِ سبحانه وتعالى فإنَّ العدو لا يتسلّطُ على المسلمين إلاَّ بسببِ ذنوبِهم، ومعاصِيهم قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا

قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٥] هُوَ مِنْ عِنْد أَنْفُسِكُم، فما أُصيبَ المسلمون إلاَّ بسببِ أنفُسِهم وتقصيرهِم في حَقِّ اللهِ سبحانه وتعالى وتفريطِهم في طاعةِ اللهِ عز وجلَّ فعلينا أن نلومَ أنفسَنَا، وأن نرجِعَ إلى أنفُسِنا، ولكِنْ مع الأسفِ ما نسمعُ مَنْ يتحدثُ عن هذا الموضوعِ، ما نسمعُ إلا مَنْ يتكلمُ عن تهديداتِ الكفارِ ويُعظِّمُ من شأنِهم، ولا نسمعُ إلا مَنْ يشتكِي إلى الكفارِ يشتكِي إلى مَجْلسِ الأمنِ، إلى الأُممِ المتحدةِ إلى، إلى، ولم نسمعْ من يشتكِي إلى اللهِ سبحانَهُ وتعالى، هذا خِذلانٌ عظيمٌ.

كانَ الواجبُ علينا أن نُرْجِعَ على أنفسنا باللَّومِ وأن نصلحَ أحوالَنا وأنْ نتوبَ إلى الله سبحانه وتعالى حتى يكونَ اللهُ سُبحانَهُ وتعالىَ مَعنا عليهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: ١٢٨] لما خَرَجَ النبيُّ ﷺ حين أخرجَهُ المشركون مِنْ مكةَ، لَيْسَ معهُ إلا صَاحبُه أبو بكرٍ الصِّديقُ رَضِيَ اللهُ عنه، أُخرِجُوا من مكة، ولجؤوا إلى غَار ثورٍ «غارٍ جَنوبيِّ مكةَ» والتجؤُوا فيه، فلمَّا عَلِمَ الكفارُ بخروجِ رسول اللهِ ﷺ مِنْ بينهم أجلبُوا بِخَيْلِهم وَرَجْلِهم يطلبُونَهُ وبَعثوا في الطرقات والبرارِي مَنْ يأتي بمحمدٍ، وقالوا: مَنْ يأتي به حَيًّا أو ميتاً فلَهُ وزنُه مِنَ الذهب، جَاؤوا إلى الغارِ الذي فيه رسولُ اللهِ ﷺ وفيه أبو بكر ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ [التوبة: ٤٠] فقال أبو بكرٍ رَضِيَ اللهُ عنه: يا رسولَ اللهِ، لو نظَرَ أحدُهم إلى مَوضِعِ قدمِه لأبْصَرنَا، فقالَ ﷺ: «يا أبابكرٍ ما ظَنُّكَ باثنين اللهُ ثالثُهما»، فأعْمَى اللهُ بصائِرهَمُ وأبصارَهُم ولمْ يَروْا رسولَ اللهِ ﷺ ـ وهُو تحتَ أرجُلِهم، أعمى اللهُ أبصارَهُم فرجعُوا خاسِئينَ خائبينَ، وأنزلَ اللهُ في ذلك ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ

وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة: ٤٠] هكذا مواقفُ أهلِ الإيمانِ عند الشدائدِ إنهم يفزعُون إلى الله «إلا ملجأ من الله إلا إليه» «ففروا إلى الله» وإنهم يصلِحُون ما فسَدَ من أمورِهم، يصلحُون معاملتَهُم مع اللهِ سبحانه وتعالى حتى يكونَ اللهُ معَهم وأما إذا لم يُصلِحُوا فسادَهُم فإنَّ اللهَ جلَّ وعلا يتخلَّى عنهم ويُخلِّي بينَهُم وبينَ عدوِّهِم. الأمرُ الثالثُ: يجبُ على المسلمينَ أنْ يُعدُّوا العُدَّةَ، لقتالِ عَدُوهم قال اللهُ جل وعلا ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٠] وقالَ سبحانَهُ وتعالى في صَلاةِ الخوفِ: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ ﴾ [النساء: ١٠٢] أمر المسلمينَ أنْ يتسلَّحُوا حتى في الصلاةِ فيجبُ الاستعدادُ، بالقوَّةِ التي يستطيعُها المسلمونَ وألا يتكِلُوا على الشكْوىٰ إلى (الأمنِ) مجلسِ وإلى هيئةِ الأممَ وإلى، وإلى، بل عليهم أن يُكوِّنُوا أنفسهم، ويُعدُّوا أَنفُسَهم حتى يَرْهَبَهُم عَدوُّهم وحتى يخافَهم عدوهُم، كذلكَ يجبُ على المسلمينَ أنْ يجتهدُوا في الدُّعاءِ في دعاءِ الله سبحانه وتعالى أن ينصرَ دينَهُ ويُعلي كلمتَهُ ويخذُلَ أعداءَه فإنَّ الدعاءَ سِلاحُ المؤمنْ واللهُ قريبٌ مجيبٌ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠] إنه لَيْسَ بغريبٍ أنْ يُهدِّدَ الكفارُ المسلمينَ فهذا قديمٌ وقديمٌ مُنْذُ بَدْءِ الخليقةِ والكفارُ يهدِّدونَ المسلمينَ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ ﴾ [البقرة: ٢١٧] ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ

مِلَّتَهُمْۗ﴾ [البقرة: ١٢٠] فهذا شَيْءٌ معلومٌ مِنْ أحوالِ الكفارِ فعلينا أنْ نتخِذَهم أعداءَنا، وأنْ نتوكَّلَ على اللهِ سبحانه وتعالى، وأن نُعِدَّ العُدَّةَ ونُكثر الدعاءَ ونُصْلِحَ أعمالنا حتى يكون لنا النصرُ من الله سبحانه وتعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠﴾ [آل عمران: ١٦٠] أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ٥﴾ [الفيل: ١ـ٥]. باركَ اللهُ لي ولكُم في القرآن العظيم...

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ على فضلهِ وإحسانِهِ، وأشكُره على توفيقهِ وامتنانهِ، وأشهدُ ألا إله إلاَّ الله وحدَهُ لا شريكَ له تعظيماً لشأنِهِ وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقوا اللهَ تعالى واعلَموا أنه لا بُدَّ مع الخوف مِنْ عقابِ اللهِ مِنَ الرجاءِ لثوابِه سُبحانه فالمؤمنُ يجمعُ بين الخوفِ والرجاءِ فلا يخافُ خوفاً يُقْنِطُهُ من رحمةِ اللهِ ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ [يوسف: ٨٧] ﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ٥٦﴾ [الحجر: ٥٦] ولا يرجُو رَجاءً يحملُه على عَدَمِ مخافةِ الله عز وجل قال سبحانه وتعالى ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩﴾ [الأعراف: ٩٩] فالمؤمنُ يكون بينَ الخوفِ والرجاءِ كما قال سبحانهُ وتعالى عن أنبيائِهِ ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ

فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] قال سبحانه وتعالى ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٧] فلا يخافُ خوفاً يُقنِطُه من رحمةِ اللهِ ولا يرجوُ رجاءً يُؤَمِّنُهُ مِنْ مكْرِ اللهِ بل يكونُ دائماً بينَ الخوفِ والرَّجاءِ؛ لأنَ الخوفَ يَحمِلُه على خَشيةِ اللهِ سُبحانَه وتعالى وتركِ المعَاصِيَ، والرجاءُ يحمِلُه على فِعلِ الطاعاتِ وطَلَبِ الجناتِ، فهذا شأنُ المؤمِن يجمعُ بين الخوفِ والرجاءِ ويَعملُ الصالحاتِ، ويتجنبُ المعَاصِيَ والسيئاتِ هذا شأنُ المرسَلِين وأتباعِهِم مِنَ المؤمنينَ. ثم اعلَمُوا رحمكم الله أن خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . . .

* * *

الأمانةُ وأهميةُ حفظِها وخَطَرُ إضَاعَتِها

الحمدُ للهِ على فضلهِ وإحسانِهِ أمرَ بأداءِ الأمانةِ، ونهى عن الخيانةِ، وأشهد ألا إله إلاّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أن محمداً عبدُهُ ورسولُه دَعَا إلى الحق وأبانَهُ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ذَوِي الأمانةِ والديانةِ وسلَّم تسليماً كثيراً. أما بعدُ:

أيها الناس، اتقوا اللهَ تعالى. قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣] وقالَ سبحانَهُ وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] وقال سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: ٢٧] وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾﴾ [المؤمنون: ٨] وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣]. في هذهِ الآياتِ المتعددةِ الكريمةِ تَعظيمٌ لشأنِ الأمانةِ والأمرِ بحفظِها وأدائِها والنهي عن الخيانةِ فيها، مما يدلُّ على أهميةِ الأمانةِ. ومما يدلُّ على عِظَمِ شأنِها، أَنَّ اللهَ سبحانه وتعالى أخبرَ أنهُ عرضَها على السمواتِ والأرضِ والجبالِ عَرْضَ تَخْييرٍ لاَ عَرْضَ إلزامٍ، وإلاَّ لَوْ أَلْزَمَهَا بذلك لمْ تختزْ ترك تحمُّلِها ولكنَّهُ عَرَضَ ذلك عليها عَرْضَ تَخييرٍ إنْ قامَتْ بأدائِها فإنَّ اللهَ يَعِدُ لها الأَجرَ العظيمَ، وإنْ خَانَتْ فيها، فإنَّ اللهَ يُعذِّبها العذابَ

الأليمَ فآثرتْ هذِه المخلوقاتُ السَّمواتُ والأرضُ والجبالُ آثَرَتْ العافيةَ وغلَّبَتْ جانِبَ الخوفِ «فأبين أن يحملنها وأشفقن منها» أيْ «خِفْنَ مِنْ تحمُّلِها»، وعَرَضَها الله على الإنسانِ آدمَ وذريتِهِ فآثرُوا جانبَ الرجاءِ والغنيمةِ فتحمَّلُوا الأمانةَ طمعاً في ثوابها «وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً» أي الغالب عليه ذلك. فهذا مما يدلُّ على عِظَمِ الأمانة ومكانَتِها، ثم ذكَرَ سُبحانَهُ وتعالى أن الناسَ بعد تحملها انقسَمُوا إلى ثلاثةِ أقسامٍ: مَنْ ضَيَّعها ظاهراً وباطناً وهُم المشركِوْنَ والمشركاتُ وسائرُ الكفار. هؤلاءِ ضَيَّعُوا الأمانةَ ظاهراً وباطناً ولم يعبؤوا بها مَعَ أنَّهُم تحملُوها في الأولِ، والقسمُ الثاني: مَنْ تحملَها ظاهراً وضيَّعها باطناً وهُم المنافقونَ والمنافقاتُ، والقسمُ الثالثُ: مَنْ تَحمَّلَها ظاهراً وباطناً وقام بحقِّها وهُم المؤمنونَ والمؤمناتُ فهولاءِ قامُوا بالأمانةِ ظاهراً وباطناً وهُم أهلُ الإيمانِ لكنَّهم قليلٌ بالنسبةِ إلى الصِّنْفَين السَّابقينِ، والأمانةُ هذهِ التي عظُمَ شَأْنُها ما هي؟ الأمانةُ هي جَميعُ ما أوجبَ اللهُ على عبادِه أن يفعلُوه وجميعُ ما حرَّمَ اللهُ على عبادِه ونهاهُم عنه وأمرَهُم أن يتركُوهُ فهي جَميعُ الأوامرِ والنواهي. هذه هي الأمانةُ التي تَحمَّلَها الإنسانُ، وهي تشملُ جميعَ التكاليفِ الشرعيةِ فالعقيدةُ أمانةٌ بينَ العبدِ وبين ربِّهِ أن يَعْبُدَهُ ولا يشرِكَ به شيئاً وهذا حَقُّ اللهِ على العبيدِ كما قال سبحانه ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] وقال سبحانه وتعالى ﴿۞ وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦] فحقُّ اللهِ على عبادِهِ أمانةٌ في ذِمَّتهم أن يعبدُوه، ولا يشركُوا به شيئاً، وهذه رأسُ الأماناتِ وأعظمُ الأماناتِ كما في حديث معاذ ـ رضي الله عنه ـ أن النبيَّ ﷺ قال له: «يا معاذ هل تدري ما حقُّ اللهِ على العبادِ وما حقُّ العبادِ على الله؟ قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلمُ. قال ﷺ: حقُّ اللهِ على العبادِ أن يعبُدُوه ولا يشركُوا

به شَيئاً، وحَقُّ العبادِ على الله ألا يعذبَ مَنْ لا يشركُ به شيئاً»[1] فيجبُ على المسلمِ أن يُخلِصَ دينَهُ للهِ عز وجلَّ بأنْ يعبدَ اللهَ مخلصاً له الدِّينُ على شريعة محمدٍ ﷺ هذا هُوَ الإخلاصُ في العقيدةِ. أن تُخلِّصَ العقيدةَ مِنَ الشركِ الأكبَرِ والأصغرِ وأنْ تُخلِّصَه مِنَ البدعِ والمحدثاتِ والخرافاتِ، فمَنْ أشركَ باللهِ شيئاً فقد خَانَ الأمانةَ التي بينَهُ وبينَ ربِّه، والتي خَلَقَهُ مِنْ أجلِها ورزقَهُ مِن أجل أنْ يقومَ بها، ومَنْ عَبَدَ اللهَ على غَيرِ الطريقةِ الشرعيةِ التي بَعَثَ بها رسولَه محمداً ﷺ بأنْ عَبَدَ اللهَ بالبدعِ والخُرافاتِ والمحدَثَاتِ التي ما أنزلَ اللهُ بها مِنْ سُلطَانٍ فقد خَانَ الأمانةَ لأنَ اللهَ أمرنَا أنْ نتخذَ محمداً ﷺ قُدوةً لنا فيما نأتِي ونَذَرُ مِنْ أمورِ دينِنا ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١] قال ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عملاً ليس عليه أمرُنَا فهو رَدٌّ»[2] «أي مَردُودٌ وباطلٌ لا يقبلُ عند اللهِ سُبحانه وتعالى»، فالمشركونَ خانُوا الأمانةَ والمُبْتَدِعَةُ خانُوا الأمانَةَ ولمْ يَقُمْ بها إلاَّ أهلُ التوحيدِ والأتباع للرسولِ ﷺ.

العباداتُ أمانةٌ فالصلاةُ أمانةٌ، الزكاةُ أمانةٌ، الصيامُ أمانةٌ، الحجُّ والعُمْرَةُ أمانةٌ، فالصلاةُ أمانةٌ في عُنُقِ كُلِّ مُسلِمٍ أَنْ يُؤدِّيها وأن يقيمَها كَما أمرَ اللهُ سبحانه وتعالى، والطَّهارةُ مِنَ الحدثِ الأكْبرِ والأصغَرِ أمانةٌ في أن يتطهَّرَ المسلمُ طُهُوراً كاملاً كما أمر اللهُ سبحانه وتعالى؛ لأنَّ الطهارةَ شَرْطٌ لصِحَّةِ الصلاةِ فيتطهرُ مِنَ الأحداثِ، ويتطهرُ من الأنجاسِ في ثوبِه وبدنِهِ وبُقْعَتِهِ هذه أمانةٌ بينَ العبدِ وبين رَبِّه أن يُصلي كما أمرَه اللهُ صَلاةً مُشْتمِلَةً على أَرْكَانِها وواجباتِها وأن تكونَ

---

(١) البخاري (٢٦٤٤)، مسلم (٤٣).
(٢) مسلم (٣٢٤٣)، أحمد (٢٣٩٧٥).

مَسبوقةً بالشُروطِ، شُروطِ صحَّةِ الصَّلاةِ فلا بُدَّ مِنْ هذهِ الأمورِ، تحقيقُ الشروطِ التي بها تَصِحُّ الصلاةُ وتحقيقُ الأركَانِ التي تقومُ عليها الصلاةُ وتحقيقُ الواجباتِ التي بها تُكْمَلُ الصلاةُ، فمَنْ صلَّى هذه الصلاةَ فقد أدَّى الأمانةَ، ومَنْ صلَّى شكلياً فَقط وعلى هواهُ مِنْ غير أَنْ يَتَقَيَّد بالصلاةِ التي أمرَ اللهُ تعالى بها فإنَّهُ قدْ خَانَ الأمانةَ، ولمْ يُصلِّ الصلاةَ التي ائتَمَنَهُ اللهُ جلَّ وعلا عليها، الزكاةُ أمانةٌ عظيمةٌ جَعَلَها اللهُ في مَالِكَ سَنوياً تُخرِجُها طيبةً بها نفْسُكَ مُرتاحاً لها، وتضَعُها في مَواضِعَها التي أمر اللهُ جلَّ وعلا أنْ تُوضَعَ فيها حتى تؤدِّي الأمانةَ، فالزكاةُ أمانةٌ، في مالِكَ وفي ذمَّتِكَ أَنْ تؤدِّيها كما أمركَ الله سُبحانَه وتعالى، طيِّبةً بها نفْسُكَ راجياً لِثَوابها، صيامُ رمضانَ وصيامُ الكفاراتِ والنذورِ أمانةٌ بَيْنَكَ وبَيْنَ ربِّكَ بأنْ تؤدِّيَهُ كما أمركَ اللهُ سبحانَه وتعالى مُخلِصاً للهِ النيةَ والقصْدَ، مُؤدياً للصيامِ على الصفةِ التي فعلَها رسولُ الله ﷺ وأمرَ بها حتى يكونَ صِيامُكَ صَحيحاً مقبولاً عندَ اللهِ مُبْرِئاً للذمَّةِ، أما إذا لَمْ تَصُمْ إلاّ على هواكَ ورغْبتِكَ فإنكَ لم تؤدِ الأمانةَ التي ائتمنكَ اللهُ ـ جل وعلا ـ عليها، الحجُّ والعمرة أمانةٌ قال اللهُ جل وعلا ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٦] **«أتمُّوا» «أي أكملُوا المناسكَ ولا تنقُصُوا منها شيئاً» «لله» «أي خالصةً لوجْهِ اللهِ»** لَيْسَ فيها شِركٌ ولا بِدْعَةٌ بل تكونُ على وَفْقِ سُنةِ رسول الله ﷺ كما قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ **«خُذُوا عَنِّي مناسِكَكُم»**[(١)] وقال في الصلاة **«صَلُّوا كما رأيتُموني أُصَلِّي»**[(٢)]، وكذلكَ الأمانةُ تكونُ فيما بينَكَ وبينَ الناسِ في التعامُلِ بأنْ تتعامَلَ معهُم بالأمانةِ وعَدَمِ الخيانةِ وعَدَمِ الغِشِّ والخديعةِ والكذبِ والمكرِ بلْ يكونُ ظَاهِرُكَ وباطِنُكَ، سَواءً مع إخوانِك ناصحاً

---

(١) النسائي (٣٠١٢)، أحمد (١٣٨٩٩) (بألفاظ مقاربة).
(٢) البخاري (٥٩٥)، الدارمي (١٢٢٥).

لهم غيرَ غَاشٍّ ولا مُخادعٍ ولا كذَّابٍ، العملُ الوظيفيُ أمانةٌ في عُنقِ الموظَّفِ أنْ يقومَ به على الوجهِ المطلوبِ، ولا يَبْخَسُ منه شيئاً ولا يحابي أحداً، ولا يُضَارُّ أحداً بل يؤدِّي عملَهُ على الوجْهِ المطلوب ولا يأخذَ الرشوةِ. هذا أمانةٌ: قال اللهُ ـ جل وعلا ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] فإذَا أديتَ العملَ على الوجْهِ المطلوبِ فقد أديتَ الأمانةَ وإذَا نَقصتَ العملَ الوظيفيِ فقد خُنْتَ الأمانةَ، فالوظائفُ يجبُ على وُلاَةِ الأمورِ أنْ يُسنِدُوها إلى مَنْ يقومُ بها «إن الله يأمركم» هذا خطابٌ لولاةِ الأمور «أن تؤدوا الأماناتِ إلى أهلها» أي: أنْ تُسندوا الوظائفَ والأعمالَ إلى الرجالِ «الأكْفَاءِ» الذين يقومُون بها مِنْ غير مُحاباةٍ في إسنادها إلى قريبٍ أو حَبيبٍ أو صديقٍ، وإنما تُسْنَدُ الأمورُ إلى أهلِها هذهِ هيَ الأمانةُ أي أنْ تُسنِدوُا الأعمالَ التي تتعلَّقُ بها مَصَالحُ المسلمينَ أن تُسنِدُوها إلى مَنْ يقومُ بها على الوجْهِ المطلوبِ، وكذلكَ على الموظفينَ الذينَ ابتُلُوا بهذهِ الوظائفِ أنْ يقومُوا بها على الوجْهِ المطلوبِ. وقد جاءَ في الحديث **«أنَّ رجلاً سَأَلَ النبي ﷺ فقال له: مَتَى السَّاعةُ؟ فأعْرَضَ عنه ﷺ، ثم سألَهُ فقال: متى الساعة؟ والنبيُّ ﷺ استمرَّ يتكلَّمُ مع أصحابه، فَلَما فَرَغَ قال: أين السائلُ متى الساعة؟ قال: ها أنا يا رسولَ اللهِ. قال: إذا أُسْنِدَ الأمرُ إلى غَيْرِ أهلِهِ فانتظر السَّاعةَ»**[1] فمِنْ علاماتِ الساعة أنْ تُسنَدَ الأمورُ والوظائفُ إلى غيرِ أهلِها، وعند ذلك تُخرَّبُ الدنيا ويحلُّ الانتقامُ مِنَ الناسِ بسبب الجَوْرِ والظُّلْمِ والعُدوانِ، وكذلِكَ التعامُلُ مع الناسِ في البيعِ والشِّراء والأُجُورَاتِ يكونُ الإنسانُ أميناً في عمله، في بيعه، في شرائهِ على النُّصْحِ والإخلاصِ وعَدمِ الغِشِّ والخديعةِ

(١) أحمد (٨٣٧٤)، البخاري (٦٠١٥) (مقارب).

والكذبِ، وإذَا اِستأْجَرَ أجيراً فأدَّى العملُ فوجب على المستأجِرِ أن يؤدِّيَ الأُجْرَةَ إليه قال ﷺ: «أعطُوا الأجيرَ أجرُهُ قبلَ أَنْ يَجفَّ عَرَقُهُ»[1]. هذهِ أمانةٌ وأخبر النبي ﷺ أنَّ رجلاً أنقذَهُ الله مِنَ الشدَّةِ لما حافظ على الأجرة وأداها إلى صَاحِبها، «فقد جَاء أنَّ ثلاثةً ممَّنْ كَانُوا قبلَنا أووا إلى غارٍ فانطبقَتْ عليهم صَخْرةً فلمْ يستطيعُوا الخروجَ فقالُوا: إنَّه لا يُنْجِيكُم إلاَّ صالحُ أعمالِكم. فذكرَ رَجلٌ أنه كانَ باراً بَوالدَيه فانفرجتِ الصخرةُ يَسيراً، والآخرُ ذكرَ أنَّه عَفَّ عَنِ الزنَا بعدمَا تَمكَّن مِنه تَركَهُ مِنْ أجلِ الله عز وجل فانفرَجَتِ الصخرةُ قليلاً إلاَّ أنهُم لا يستطيعونَ الخروجَ، وقالَ الثالثُ: إنهُ كانَ عندِي أجيرٌ فذهب، وتركَ أجرتَهُ فنميتُها له وكانتِ الأجرةُ ماشيةً فنماها ورَاعَاها حتى مَلأتِ الواديَ فجاءَ الرجلُ وقال: يا فلانُ اتقِ الله أعطني أجرتي، قال: خُذْ كُلَّ ما في هذَا الوادي فهو أجرتُكَ. قال: أتهزأُ بِي يا عبدَ اللهِ؟ قال: لا أسخُر مِنك، هذه أُجرتك فأخذَها وساقها كُلَّها ولمْ يتركْ منها فصيلاً، فانفرَجَتِ الصخرةُ انفراجاً كاملاً وخرجوا يمشونَ»[2] ومنهم هذا الرجلُ الذي حَفِظَ الأمانةَ، وحفظ الأُجرةَ ونمَّاهَا حتى جاءَ صاحبُها، فدفعها إليه، وكذلكَ الأجيرُ الذي إلتزمَ بالعمل يجبُ عليه أن يؤديَ العملَ على الوجهِ المطلوبِ فإنْ نقصَهُ كان خائناً للأمانةِ ولا تحلُّ له الأُجرةُ أما إذا أدَّى العملَ على الوجهِ المطلوب كانَ حافظاً للأمانةِ، لأن صَاحِبَ العمل إئتمنَه على هذا العمل فإن كان حَافظاً للأمانة كانَ مُستحِقاً للأجرةِ، ولكنَّ كثيراً مِنَ الأُجَرَاءِ والمقاولينَ يخونُونَ في أماناتِهم ويُغشُّون في أعمالِهم غِشاً ظاهراً ثُمَّ يأخذونَ أجرتَهُم على غير حقٍّ فتكونُ حراماً لأنها في مُقابلِ إضاعةِ الأمانةِ التي

---

(١) ابن ماجة (٢٤٣٤) (انفرد به).

(٢) البخاري (٢٠٦٣)، مسلم (٤٩٢٦).

استُؤجِرُوا عليها، فالواجبُ على المسلمينَ أنْ يعظمُوا الأمانةَ التي عظَّمها اللهُ، الأمَانةُ التي بينهم وبين اللهِ، الأمَانةُ التي بينهم وبين رسولِ اللهِ ﷺ، الأمَانةُ التي بينهم وبين الناسِ أنْ يقومُوا بها على الوجهِ المطلوبِ، ولا يخُونُوا قال ﷺ: «أدِّ الأمانةَ إلى مَنْ ائتمنَكَ ولا تخُنْ مَنْ خانَكَ»[1]. وقال عليه الصلاة والسلام «على اليدِ ما أخذَتْ حتى تُؤَدِّيَهُ»[2] فاتقوا اللهَ عبادَ الله، لا أحد يخلُو مِنَ الأمانةِ كُلُّ إنسانٍ عليه أماناتٌ، ومن أعظمِ الأماناتِ البيوتُ التي فيها النِّساءُ وفيها الأطفالُ وفيها الرجالُ كلُّهم أمانةٌ في عُنُقِ صاحِبِ البيت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦] وما مِنْ رَجلٍ يستَرْعِيهِ اللهُ رَعيةً ثم يموتُ وهُو غَاشٌّ لرعيته إلاَّ حَرَّمَ الله عليه الجنةَ، فتنبهُوا لذلكَ رَحِمكُم اللهُ، لا أحدَ يخلُو من الأمانةِ أبداً كُلُّ إنسانٍ مُكَلَّف فإنَّه مُتحمِّلٌ لأماناتٍ عظيمةٍ، فعلينا أنْ نتذكرَ هذا وأنْ نستعينَ باللهِ ونقومَ بحفظِ الأمانةِ وأدائِها من غير تفرِيطٍ ومِنْ غيرِ تضييعٍ. بَاركَ الله لي ولكم في القرآنِ العظيمِ...

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ وأشهدُ ألاّ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ وأشهدُ أنَّ محمداً عبْدُهُ ورسولُهُ صلّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ وسلَّمْ تسليماً كثيراً، أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ، إنَّ النبيَّ ﷺ أخبرَ خبراً معناهُ التحذيرُ في أنهُ في آخرِ الزمانِ تُنْزَعُ

---

(١) الترمذي (١١٨٥)، أبو داود (٣٠٦٧)، أحمد (١٤٨٧٧).

(٢) أحمد (٩١٢٢٨)، الدارمي (٢٤٨٣).

الأمانةُ مِنَ النَّاسِ إلاَّ مَا شاءَ اللهُ، قالَ ﷺ: «أوَّلُ مَا تَفقِدُونَ مِنْ دينِكُمْ الأمانةُ وآخرُ مَا تفقدونَ منهُ الصَّلاةَ»(١) «أوَّلُ مَا تفقدُونَ من دينكم الأمانةُ» فدلَّ على أنَّ الأمانةَ مِنَ الدِّينِ، وأنَّها إذَا فُقِدَتْ فُقِدَ جانبٌ عظيمٌ مِنَ الدينِ، وقالَ ﷺ: «تُنْزَعُ الأمانةُ في آخِرِ الزَّمانِ مِنَ قُلُوبِ الرِّجالِ حتى يُقَالَ إنَّ في بني فلانٍ أميناً»(٢) يصيرُ الأمينُ في آخرِ الزمانِ نادراً، تكونُ القبيلةُ كُلُّها ليسَ فيها إلاَّ أمينٌ واحدٌ، وهذا معناهُ التحذيرُ لنا إذَا أدرَكْنَا هَذَا الزَّمانُ وقد بَدَتْ علاماتُهُ ـ ألا نَنْخَدعَ، ونتساهَلَ في الأمانةِ، ونقولَ كُلُّ الناسِ مَا عندهُم أمانةٌ، هذا لا يجوزُ. أنْتَ احفظ الأمانَةَ في نفسِكَ وأدِّهَا في نفسِك وكُلٌّ مَسؤولٌ عن عَمَلهِ. فعلينَا أنْ نَخَافَ مِنْ هَذَا الوقتِ، وكثيرٌ مِنَ الناسِ اليومَ اتخذُوا الأمانةَ مغنماً كما قالَ ﷺ: «تُتَّخذُ الأمانةُ مغنماً»(٣) الذي يحصلُ على الأمانةِ كأنَّها غنيمةٌ لهُ يَستحِلُّها وهذا كثيرٌ في الناسِ اليومَ إلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ لا يبالُونَ بالأماناتِ. فاتقوا الله عبادَ الله وعظِّموا شأنَ الأمانةِ لأن بعض الناسِ يظنُ أنَّ الأمانةَ هي الوديعةُ، إذا أوْدَعْت عِندَ إنسانٍ مالاً يُسمَّى هذا هو الأمانةُ، ولا يَدْرِي أنَّ الأمانةَ عامةٌ في كلِّ ما كلَّفكَ الله به، والوديعةُ قِسمٌ ضئيلٌ منها. الأسرارُ التي يستحفِظُكَ عليها صَاحِبها أمانةٌ لا يجوز لَكَ إفشاؤها إذا أفضَى إليك أخوكَ بسرٍّ فلا تفْشِيه، لأنَّه أمانةٌ عندكَ فإذا أفشَيته فقد خُنْتَ الأمانةَ، إذاً فالأمانةُ عامةٌ وواسعةٌ، وكُلٌّ مُتحمِّلٌ بحملٍ ثقيلٍ منها حِمْلٌ أشفقَت منه الأرضُ والسمواتُ والجبالُ أنتَ متحملٌ له «وحملها الإنسان» تذكرْ هذا!

---

(١) مسند الشهاب (٢١٦)، المعجم الكبير (٩٧٥٤)، مكارم الأخلاق (٢٦٧)، مصنف أبي شيبة (٣٥٨٧٨).

(٢) البخاري (٦٠١٦)، مسلم (٢٠٦) (بألفاظ مقاربة).

(٣) الترمذي (٢١٣٦) (انفرد به).

أنتَ إنسانٌ فمعناهُ أنكَ متحملٌ لهذهِ الأمانةِ التي أبَتِ السمواتُ والأرض والجبالُ أنْ يحملْنَها وأشفقْنَ منها، خِفْنَ منها، كثيرٌ منا لا يخافُ مِنَ الأمانةِ بلْ يعتبرُها شيئاً، ويفرحُ إذا حَصَلَ عليها لأجلِ أن يخونَ فيها وَيَغْدُرَ فيها، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ. ثُمَّ اعلمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . . .

* * *

فضلُ الذِّكرِ

الحمدُ لله كُلمَّا ذكرَهُ الذاكرونَ، وغَفَل عن ذكرِه الغافلونَ، وأشهد ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له شهادةَ الحقِّ واليقينِ، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه الصادقُ الأمينُ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين وسلّم تسليماً كثيراً إلى يومِ الدينِ، أما بعدُ:

أيها الناسُ، اتقوا اللهَ تعالى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ـ٤٣]. يأمرُكم اللهُ سبحانه وتعالَى أنْ تذكرُوه بالطاعاتِ والقُرُباتِ، أنْ تذكرُوه باللسانِ وبالقلبِ وبالأعمالِ ذِكراً كثيراً تداومُون عليه خِلافَ المنافقينَ فإنهُم لا يذكرونَ الله إلا قليلاً، «وسَبِّحوهُ» أي «نزهُوهُ» سبحانَه وتعالى بالتسبيح والذكرِ بُكْرةً وأصيلاً في أولِ النهارِ وفي آخرهِ كما قال سبحانه: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الروم: ١٧ـ ١٨] ثم أخبرَ سبحانه وتعالَى أنه يجازِي الذاكرِينَ له بأنَّهُ يُصلِّي عَلَيهم هُوَ والملائكةُ، يصلي عليهم، أيْ «يُثني عليهم» وتستغفرُ لهم الملائكةُ كما في الحديث القُدسيِّ أنَّ الله جلَّ وعلا يقول: «مَنْ ذكَرَني في نفسِه ذكرتُه في نَفْسِي،

ومَنْ ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في مَلأٍ خيرٍ منهم»[1] «يَعنِي الملائكةَ»، وذكر اللهِ عز وجلَّ فيه فَوائدُ عظيمةٌ، منها طمأنينةُ القلوب قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد: ٢٨]. فذكر اللهُ سبحانَهُ وتعالى فيه خيراتٌ كثيرةٌ، ونِعَمٌ عظيمةٌ، وصِلَةٌ بين العبدِ وبين ربِّهِ فإذا نسيَ العبدُ ربَّهُ ولمْ يذكُرْهُ نسيَهُ اللهُ ـ جلَّ وعلا ـ «بمعْنَى أنْ يترُكَهُ» مِنَ الخير ومِنَ الإحسان ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [الحشر: ١٩] وقال في المنافقينَ ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٧] ونسيانُ الله لهم تركه إياهم لأن اللهَ سبحانه لا ينسَى النسيانَ الذي معناه الذهولُ والغفلةُ. والذكرُ أنواعٌ كثيرةٌ، ولَهُ أوقاتٌ متعددةٌ تستغرِقُ الليلَ والنهارَ وجَميعَ الأحوالِ. قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] فالصلاةُ تشتملُ على فائدتَين عظِيمَتين الفائدة الأولَى: أنها تنهَىَ صاحِبَها عن الفحشاءِ والمنكَر، لأنها تربيهِ على الخيرِ وتبعِدُه عن الشرِّ فمَنْ داومَ على الصلاةِ فإنهُ يحصلُ على هذه الميزَةِ العظيمةِ، ولهذا تجدوُن المصلينَ المحافظينَ على الصلاةِ أبعدَ الناسِ عنِ المخالفاتِ وأقربهِم إلى الطاعاتِ، والفائدةُ الثانيةُ: وهِيَ أعظم ذكر الله ولهذا قال: «ولذِكْرُ اللهِ أكْبَرُ» فالصلاةُ فيها ذكرُاللهِ جلَّ وعَلا، وذكرُ اللهِ أكْبرُ مِنَ النهي عن الفحشاءِ والمنكرِ، لأن الصلاةَ كُلَّها ذكرٌ للهِ بما تشتملُ عليه مِنَ التكبِير ولما تَشتملُ عليهِ مِنَ التسبيحِ، ولما تشتملُ عليه مِنْ تلاوةِ القرآنِ، ولما تشتملُ عليه من الركوعِ والسُّجودِ بينَ يدي اللهِ سُبحانه وتعالى، فكلُّها ذكرٌ للهِ عز وجل بالقولِ وبالفعلِ. ثم إنه سبحانَه وتعالى أمرَ بذكرهِ بعدَ الصلاة، أو أنْ تُتبعَ

---

(١) البخاري (٦٨٥٦)، مسلم (٤٨٣٢).

الصلاةُ بالذكر قال سبحانَهُ وتعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣] قال سبحانَهُ وتعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝﴾ [الجمعة: ١٠] وقد جاءَ بيانُ الذكرِ الذي بعدَ الصلاةِ مِنْ فعلِ النبيِّ ﷺ، فإنه ﷺ كَانَ إذا سَلَّم مِنَ الصلاةِ يستغفرُ اللهَ ثلاثاً بعد السلامِ مُباشرةً وهو متوجِّهٌ إلى القبلةِ ثم يقولُ اللهمَّ إنَّكَ أنتَ السلامُ ومنك السلامُ تباركتَ يا ذَا الجلالِ والإكرامِ، ثم ينصرفُ إلى أصحابهِ بوجههِ الكريمِ ثم يقولُ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ لَهُ لَهُ الملكُ وله الحمدُ وهو على كل شيء قديرٌ، اللهم أعنِّي على ذكرِكَ وشُكرِكَ وحُسْنِ عبادتكَ، اللهمَّ لا مانِعَ لما أعطيت ولا مُعْطِيَ لما مَنعْتَ ولا ينفعُ ذا الجِدِّ منك الجدُّ، لا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العلي العظيم، لا إله إلا اللهُ ولا نعبدُ إلا إياهُ مخلصينَ له الدينَ ولو كَرِهَ الكافرون. وشرع لنا أن نسبِّح الله ثلاثاً وثلاثينَ ونحمدَ اللهَ ثلاثاً وثلاثينَ ونكبِّرَ اللهَ ثلاثاً وثلاثين ثم نقولُ تمامَ المئةِ لا إله إلاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له لَه الملكُ ولهُ الحمدُ وهُوَ على كل شيءٍ قدير.

«وقد جَاءَ فقراءُ الصحابةِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ نادِمينَ مُتَحَسِّرينَ قالوا: يا رسولَ اللهِ سبقَ أهل الدُّثُورِ بالأجور. قال: وما ذاك؟ قالوا: يصلُّون كما نصلِّي ويصُمون كما نصومُ ويتصدقُون من فضولِ أموالهم، ولا نتصدَّقُ. فقال ﷺ: ألا أدُلكُم على شيءٍ إذا فعلتموُه أدركتُم مَنْ سبقكُم، وسبقتُم مَنْ بعدكُم ولا يكونُ أحدٌ مثلكُم إلا من عَمِلَ مثلَ ما عمِلتُم، تسبحونَ الله دُبُرَ كلِّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين وتحمدون الله ثلاثاً وثلاثينَ وتكبرُونه ثلاثاً وثلاثين وتقولُون تمامَ المئةِ لا إله إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كل شيءٍ قديرٌ، فسَمعَ الأغنياءُ، بمقالةِ الرسولِ ﷺ فصارُوا يقولون مثل ما يقولُ الفقراءُ، فجاء الفقراءُ

إلى رسول الله صَلّى الله عليه وسلم: قالوا: يارسولَ اللهِ سَمِعَ إخوانُنا ما نقولُ فصاروا يقولون مثلَنا: فقال ﷺ: ذلكَ فضلُ اللهِ يؤتيهِ مَنْ يَشاءُ والله ذو الفضلِ العظيمِ»[1]. وكذلكَ بعدما يأتي بهذا الذكرِ يقرأُ آيةَ الكرسيِّ ويقرأُ سُورةَ الإخلاصِ والمعوذَتيْنِ وإذا كانَ بعدَ صلاةِ الفجرِ وصلاةِ المغربِ فإنه يُكَرِّرُ سورةَ الإخلاص والمعوذتَيْنِ كُلُّ سورةٍ يُكررها ثلاثَ مراتٍ، وإنْ كانَ بعد صلاةِ الفجرِ وبعد صلاة المغرِب فأنه يأتي بالتهلِيلاتِ العَشْرِ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له له الملكُ وله الحمدُ وهو على كل شيءٍ قديرٌ، يكررُها عَشْرَ مراتٍ بعد صلاةِ الفجرِ وبعد صلاةِ المغربِ، وكذلك يُشْرَعُ الذكر عند دخولِ المنزلِ وعندَالخروجِ منه، وعند دخُولِ المَسجد، وعند الخروجِ منه، وعند الركوبِ، وعندَ دخولِ السُّوقِ. ويُشْرَعُ الذكرُ عندَ النومِ، وعند الاستيقاظ وعند الانتباهِ في أثناءِ الليلِ كلَّما انتبهَ يذكرُ اللهَ سبحانَه وتعالى، ويُشْرَعُ الذكرُ عند الأكلِ وعِنْدَ الشُّربِ، ويُشرعُ الذكرُ فيما عدا هذه الأحوالِ في كل الأوقاتِ المناسبة، كان ﷺ يذكرُ اللهَ على كُلِّ أحيانِه، وقال الصحابةُ رضي الله عنهم كنا نَعدُّ لرسولِ اللهِ ﷺ في المجلسِ الواحدِ مِئةَ مَرَّةٍ أستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه، فينبغي للمُسْلِمِ ألا يغفلَ عن ذكرِ الله سبحانه وتعالى فإنَّ ذكر اللهِ حِرْزٌ مِنَ الشيطانِ فإذا غَفَلَ المسلمُ عن ذكرِ اللهِ تسلَّطَ عليه الشيطانُ، وإذا ذكرَ اللهَ ابتعدَ عنه الشيطانُ، ولهذا سمَّى اللهُ الشيطانَ الوسواس الخناسَ. وَسْوَاسٌ عند الغفلةِ عن ذكرِ اللهِ وخنَّاسٌ عند ذكرِ الله، يعني يَخْنسُ ويبتعدُ عن المسلمِ إذا ذكرَ اللهَ عز وجلَّ. يُوسوسُ عندَ الغفلةِ عن الذكرِ. وجَاءَ في الحديثِ أنَّ يحيي بنَ زكريا عليهما السلامُ قالَ لِبَنِي

---

(١) مسلم (١٦٧٤)، ابن ماجة (٩١٧)، الدارمي (١٣١٩).

إسرائيلَ: وآمُرُكم بذكرِ اللهِ فإنَّ مثلَ ذلك كمثْلِ مَنْ خَرَجَ العدوُّ في طَلَبِهِ فأوىٰ إلى حِصْنٍ حصينٍ فمنعَهُ منهم. كذلك المسلمُ إذا ذكرَ اللهَ عز وجل فإنه يتحصَّنُ به مِنْ أعدائهِ ومن الشياطِينَ. فيجبُ على المسلمِ ألا يغفلَ عن ذكرِ اللهِ، وقد أمر اللهُ نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥] فهكذا ينبغي للمسلمِ أنْ يداومَ على ذكرِ الله عز وجل وأنْ يستمرَّ معه، وإذا كُنتَ لا تعرِفُ الأذكارَ الوارِدَة فإنها مكتُوبةٌ ومُدوَّنَةٌ في كُتُبٍ مختصرةٍ ومُطوَّلةٍ فعليكَ أن تراجِعَها وتذكرَ اللهَ منها، منها كتابُ «الوابلُ الصَّيب» لابن القيم، ومنها كتاب «الكَلِمُ الطيِّبُ» لشيخ الإسلامِ ابن تيميَّةَ، ومنها كتابُ «الأذكارُ» للإمام الحافظِ النوويِّ، وكلُّها ميسورةٌ ولله الحمدُ، ومنها رسالةٌ مختصرةٌ لشيخنا الشيخ عبدالعزيز بن بازٍ ـ رحمَه الله ـ وهي مطبوعةٌ ومُيسرةٌ وبإمكانِ الإنسانِ أنْ يستصحِبَها مَعهُ ويذكرَ اللهَ منها، فالمسلمُ إذا اهتمَّ بهذا الأمرِ يسَّرهُ اللهُ له، وإذا غفلَ عنه فإنه يموتُ قلبه وينساهُ ربُّه ويكونُ من الغافلينَ، فاتقوا اللهَ عبادَ اللهَ وأكثرُوا من ذِكرِ اللهِ على جميع أحوالِكم في الصباحِ والمساءِ، وفي جَميعِ الأحوالِ، مِنْ ليلٍ أو نهارٍ لاتَغْفَلْ عَنْ ذكرِ اللهِ، والذكرُ ـ ولله الحمدُ ـ من بين سائرِ العبادتِ مُيسَّرٌ وسهلٌ لا يحتاجُ منك إلى تعبٍ لأنهُ باللسانِ واللسانُ لا يتعبُ، بخلافِ الصلاةِ فإنها تُتعِبُ البدنَ، وبخلافِ الصوم والجهادِ هذه تُتعِبُ البدنَ وفيها مَشقَّةٌ لكنَّ الذكرَ ليسَ فيه مَشقةٌ، ولهذا قال ﷺ: «لا يزالُ لسانُكَ رَطْباً مِنْ ذكرِ اللهِ عز وجل»[1]. ولكنَّ الشأنَ في الرغبةِ والمحبةِ لذكرِ الله ـ عز وجل ـ، فإذا أحبَّه الإنسانُ تلذَّذَ به وصَحِبَهُ دائماً أَما إذا

---

(١) الترمذي (٣٢٩٧)، ابن ماجة (٣٧٨٣).

غَفَلَ عنه فإنه يكونُ ثقيلاً عليه؛ ولِهذا يُقالُ: الذاكرونَ للهِ يعيشُونَ في الذكرِ كما يعيشُ السمكُ في الماءِ فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ وأكثِرُوا من ذكرِ الله عز وجل فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢] باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ.

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً أما بعدُ:

عبادَ اللهِ، احذرُوا مِنَ الشواغلِ عن ذكرِ اللهِ عز وجل، الشواغلِ التي تبعدُكم عن ذكر الله عز وجل، ومن أعظمِ الشواغلِ ما ابتُلِيَ به كثيرٌ مِنَ الناسِ في هذا الزمان مِنَ القيلِ والقالِ والضحكِ والممازَحاتِ الطويلةِ التي تُشغِلُ الإنسانَ عن ذكرِ الله عز وجل، وأعظمُ من ذلكَ، ما ابتُلِيَ به كثيرٌ من الناس مِنْ متابَعةِ هذا البثِّ الخبيثِ في الإنترنتِ والقنواتِ الخبيثةِ التي أخذَتْ على كثيرٍ مِنَ الناسِ ليلَهُم ونهارَهُم وراحتَهُم، واستغرَقَتْ أوقاتِهم فغفّلَتْهُم عن ذكرِ الله. اللهُ جل وعلا يقولُ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، إنَّ هؤلاءِ الذينَ يبثُّونَ هذا البَثَّ الخبيثَ في هذه الوسائل يريدونَ صَرْفَ المسلمينَ عن ذكرِ الله عز وجلَّ، اغفلَ اللهُ قلوبَهُم فيريدونَ أن يُغْفِلُوا المُسلمينَ عن ذكرِ الله عزَّ وجلَّ، فاحفظُوا وقتَكُم فيما ينفعُكم ويفيدكُم، أَشْغِلُوهُ بذكرِ اللهِ، اذكر اللهَ وأنت على فراشِكَ، اذكرِ الله وأنتَ على أكلِكَ وشُرْبكَ، اذكرِ اللهَ وأَنْتَ

على سيارتَكَ، اذكرِ اللهَ وأنت في بيعكَ وشِرَائِكَ. اذكر اللهَ وأنت في الطريقِ. اذكر الله على كل حالٍ ولا تغفلْ عن ذكرِ الله ـ عز وجل ـ فتكونَ من الهالكين. واعلموا أن خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . . .

* * *

مِنْ أحكامِ الصيامِ وآدابِه

الحمدُ لله رب العالمين. جعلَ شهرَ رمضانَ مَوسِماً لنيلِ الخيراتِ، ورِفْعةِ الدرجاتِ وتكْفِيرِ السيئاتِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له في ربوبيتهِ وإلهيته والأسماءِ والصفاتِ، وأشهد أن محمداً عبده ورسولُه أولُ سابقٍ إلى الخيرات ـ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ـ وسلّم تسليماً كثيراً. أما بعدُ:

أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى واعلَمُوا أنكُم تؤدُّون في هذا الشهرِ رُكْناً من أركانِ الإسلامِ قال الله تعالى فيه: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٥]. فأوجبَ سبحانه وتعالى صَومَ هذا الشهرِ، فَمَنْ كَانَ مُقيماً صَحيحاً فإنه يصومُه أداءً قال تعالى: « فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ » ومَنْ كانَ مريضاً أو على سفرٍ فإنه يُفطرُ لأن ذلكَ أسهلُ عليه في مَرضهِ وسَفرهِ مِنَ الصيامِ وأيسرُ لَهُ واللهُ جلَّ وعلا يريدُ بكم اليسرَ ولا يريدُ بكم العسرَ لكنَّهُ أمركُم بقضاءِ ما أفطرتُم في المرضِ والسفرِ لتكملُوا عدَّةُ الشهرِ ولتكبروا اللهَ على ما هداكُم ولعلكُم تشكرُون الله ـ عز وجل ـ الذي شَرَعَ لكم صِيامَ هذا الشهرِ ويَسَّرَه لكم وسَهَّلَ عليكم في حالة العُذْرِ في أنْ تصومُوه في وقتٍ ليسَ فيه حَرَجٌ عليكُم، وهَذَا مِنْ تَيسيرِ اللهِ ولُطْفِهِ بعبادهِ ورحمتِه بهم حَيْثُ جمع لَهُم بينَ الرخصةِ وأداءِ الواجب.

عبادَ اللهِ، إنَّ الصيامَ معناه الإمسَاكُ بنيةٍ عَنْ المفطراتِ الظاهرةِ والباطنةِ مِنْ طُلوعِ الفَجْرِ الثاني إلى غروبِ الشمسِ. هذا هو وقتُ الصيامِ اليوميِّ، بدايته طُلوعُ الفجر ونهايته غروبُ الشمس، ومن ثَمَّ يتأكَدُ ويجبُ على المؤذنينَ أن يتقيَّدُوا بالوقتِ فلا يؤذِّنُوا متأخِرينَ عن طلوعِ الفجر، لأن بعضَهم يؤذِّنُ متى ما أرادَ، متى ما جاءَ إلى المسجدِ أذَّنَ ولو كانَ الفجرُ قد طَلُعَ منذ دقائق كثيرةٍ، فعلى المؤذِّنِ أنْ يراقبَ الوقتَ وألا يتأخرَ عنه لأن الناسَ يتقيَّدُون بأذانِه ويقلِّدُونه ويصومُون على أذانِه، فإذا تأخَّرَ صَومِهم عن طلوعِ الفجرِ فيكونُ ذلكَ في ذِمتهِ لأنه هو الذي غَرَّرَ بهم. أيها المؤذنونَ قد حَمَّلَكُمُ اللهُ أمانةً عظيمةً فلا تتساهَلُوا فيها، لأن بعضَ المؤذنينَ لا يبالِي أن يؤذنَ في أي وقتٍ ولا يَحْسِبُ حِسَاباً للصومِ وهذا من التفريطِ وعَدَمِ المبالاةِ، إذا تأخَّرْتَ عن الأذانِ في أولِ الوقتِ فلا تؤذن فإنه يكفي أذانُ المؤذنينَ الآخرينَ، فمَنْ تأخر عن الأذانِ عند طلوعِ الفجرِ فلا يُؤَذِّنْ بعد ذلكَ لِئلاَّ يُغَرَّ الناسُ، لأنه يؤذِّن المؤذنُ ويتوضأ المتوضِّىء ويخرجُ الناسُ للصلاةِ وبعضُ المؤذنينَ لا يؤذنونَ إلا عند الإقامَةِ ولا حول ولا قوةَ إلا باللهِ، ألا يتقون اللهَ ـ عز وجلَّ ـ! هذه أمانةٌ عظيمةٌ في أعناقِهم تحمّلُوها، وكذلِكَ بعضُ المؤذنينَ لا يتقيدُ بغروبِ الشمسِ بل يُؤذِّنُ قبل غُرُوب الشمسِ ويُسرعُ في الأذانِ قَبْلَ غُروبِ الشمس فيُفطِرُ مَنْ يسمَعُهُ، قبلَ غروبِ الشمسِ فلا يَكْمُلُ صَومَهُ ويكونُ هذا بذمةِ هذا المؤذِن الذي غَرَّ بِالنَّاسَ، أمَّا مَنْ عَلِمَ أنَّ المؤذنَ يقدمُ الأذانَ فلا يجوزُ له أن يعملَ بأذانِهِ، بل عليه أن يتقِّي اللهَ ـ عز وجلَّ ـ ويحافظَ على صِيامِهِ، ولا يَعْملُ بأذانِ المؤذنِ الذي لا يتقيدُ بالوقت.

عبادَ اللهِ، الصومُ له مُبطلاتٌ وهي تنقسِمُ إلى قسمينِ: القسم الأولُ ما يُدخِلُه الإنسانُ إلى جوفِه مِنَ الطعامِ والشرابِ وما في حُكْمِهما مُتعمِّداً، والقسم

الثاني ما يُخرجُه الإنسانَ من جَوْفِهِ مما به قُوَّةُ بدنِه وغِذَاءِ جِسْمِهِ. أَمَّا القسمُ الأولُ فهو الأكلُ والشربُ متعمداً. قال اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧] فأباحَ الأكلَ والشربَ إلى طلُوعِ الفجرِ الثاني، ثم أمرَ بالإمساكِ «إلى الليل» يعني إلى غُروبِ الشمسِ كما قال ﷺ: «إِذَا أقبلَ الليلُ من هَاهنا وأدبرَ النهارُ من هاهنا وغَرُبَتِ الشمسُ فقد أفطرَ الصائمُ»[١]. أَمَّا مَنْ أكلَ أو شِربَ ناسياً فليتمَّ صَومَهُ، ولا يؤثِّرُ هذا عليه لقولِه ﷺ: «مَنْ نَسِيَ وهو صائمٌ فأكلَ أو شربَ فليتمَّ صَوْمَهُ فإنَّما أطعَمهُ اللهُ وسقاهُ»[٢].

وفي حُكْمِ الأكلِ والشُّربِ كُلُّ ما يبتلِعُهُ الإنسانُ من الأدويةِ، أو يحقِنُ في جِسمِهِ من الإبَرِ المُغذِّيةِ فإنَّ ذلكَ يفطرهُ، فإذا ابتلعَ دواءً، أو شَرِبَ دواءً أو حقنَ إبرةً مُغذِّيةً في وريدِه، أو في أي مَوضِعٍ وهي مغذيةٌ فلا شكَ أنها تُفْسِدُ صيامَه، لأنها بمعنى الأكلِ والشُّرب، أما الإبَرُ التي تُؤْخَذُ عن طَرِيقِ العَضَلِ أو تَحْتَ الجِلْدِ فإنها لا تُؤثِّرُ على الصيامِ، إنما الذي يؤثِّرُ على الصيامِ ما يُؤْخَذُ عن طريقِ الوريد أو يُحْقَنُ في المَعِدَةِ لأنه يُغذِّي الجِسْمَ ويكونُ بمعنى الطعامِ والشرابِ، فعلى المسلمِ أن يتنبَّهَ لذلك.

والقسم الثاني من المفطراتِ هو ما يخرِجُه الإنسانُ من جِسْمِه مما يغذِّيه ويقوي بَدَنَهُ، فَمِنْ الأشياءِ التي تُفْطِّرُ الصائمَ باستفرَاغِها منَ الجسمِ «القيءُ» فإذا

---

(١) البخاري (١٨١٨)، أحمد (١٨٧).
مسلم (١٩٥٢)، البخاري (٦١٧٦) (مقارب).

(٢) الترمذي (٧٠٥)، البخاري (بدون)، أبو داود (٢٠٢٠)، ابن ماجة (١٦٦٩)، أحمد (٨٤١٣).

تقيَّأ الإنسانُ باختيارهِ وأخرَجَ ما في مَعِدَتِهِ عَنْ طَرِيقِ الفَمِ فإنه يَبْطُلُ صِيَامُهُ، أما مَنْ غَلَبَهُ القَيءُ وتقيَّأ بدونِ اختياره فَلا حَرَجَ عليه، وصِيامُه صَحِيْحٌ لأن هذا بغيرِ اختيارِه، وكذلِكَ ما يُخرجُه الإنسان مِنَ الدَّم بالحِجَامَةِ، فإنه يُفْطِرُ لقولِهِ ﷺ، لمَّا رأىٰ صَائماً يحتَجِمُ قال: «أفْطَرَ الحاجِمُ والمحجوم»[1]. لأن الدَّمَ يُقَوِّي البدنَ ويغذِّيهِ فإذَا أخرجَهُ ضَعُفَ بَدَنهُ فَلا يستطعُ الصِّيامَ، فمنْ أَخرجَ الدمَ مِنْ بَدَنِه باختيارِه بأيْ وسيلة كالحجامَةِ وسَحَبَ الدَّمَ للإسْعَافِ أو للتبرُّعِ به أو فَصَدَ عِرْقاً فخرَج منه دَمٌ كثيرٌ فإنه يَبْطُلُ صيامهُ، أما إذا أخرجَ دَماً يسيراً للتحليلِ، فهذا لاَ يَضُرُّ لأنهُ لا يؤثِّر على الصائمِ بخلاف الدمِ الكثير فإنه يؤثِّرُ على الصائمِ، وكذلكَ مَنْ أصيب بجرحٍ وخَرَجَ مِنه دَمٌ كثيرٌ بغيرِ اختيارِه فإنَّ هذا لا يؤثرُ على صِيامهِ؛ لأنهُ بغير اختيارِه فصيامُه صَحِيحٌ ولَوْ نزفَ مِنه دَمٌ كَثيرٌ مِن جَرْحِهِ، وكذلك من الخارج الذي يُبْطِلُ الصيامَ إنزالُ المنيِّ بالجماعِ أو الاستمناءِ ويكونُ هذا مثلُ سَحْبِ الدم بالحجامَةِ، فمن استمنَىٰ بيدهِ أو استمنَىٰ بتكرارِ النظرِ المحرَّمِ أو استمنَىٰ بمباشَرَةِ زوجتهِ فإنه يَبْطُلُ صيامهُ وعليه قضاءُ هذا اليومِ مع التوبة إلى اللهِ عز وجل أما مَنْ جامَع زوجته في الفرج سواءٌ خَرجَ مِنه مَنِيٌّ أو لم يخرجْ إذا جامعَ وهو صَائِمٌ بَطلَ صَوْمُهُما قال تعالى: ﴿عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ﴾ [البقرة: ١٨٧] فأباحَ الجماعَ وأباحَ الأكلَ والشربَ إلى طُلُوعِ الفَجْرِ، فمن جَامعَ بعد طُلُوعِ الفجرِ فإنَّه يُبْطُلُ صِيامُهُ وعليه التوبةُ إلى الله عز وجل، وعليه قضاءُ هذا اليوم، وعليه الكفارةُ المغلظة وهي عتق رقبة فإن لم يجد فإنه يصوم

(١) البخاري (٥٥٩٧)، أحمد (٩٤٦٣).

شهرين متتابعين فإن لم يستطع الصيام فإنه يطعم ستين مسكيناً مَعَ التوبة إلى الله عز وجل والمرأةُ المجَامَعَةُ إذا كانت مُختارةً ومُوافِقةً فإنه تجبُ عليها الكفارةُ كما تجبُ على الرجلِ، أما إذا كانَتْ مُكْرَهَةً ولا اختيارَ لها فإنَّها لا حرجَ عليها بسبب الإكْرَاهِ ويكونُ الإثمُ على ذلكَ الفاسِقِ الذي انتهكَ حُرمةَ الصيامِ وجَامَعَ في نهارِ رمضانَ وارتكبَ ما حرَّمَ اللهُ عليه، وكذلكَ من المفطراتِ التي تخرُجُ مِنَ الجسمِ الحيضُ والنفاسُ وهذا وإنْ كانَ بغير اختيارِ المرأةِ إلا أنه يُبْطِلُ الصيامَ بالنصِ والإجماع، فإن النساءَ كُنَّ يَحِضْنَ على عَهدِ رسولِ اللهِ ﷺ فيتركْنَ الصيامَ ثم يقضينَ بَعْدَ رمضانَ مِنْ أيامٍ أُخر. قالَتْ عائشةُ ـ رضي اللهُ عنها ـ «كُنَّا نحيضُ على عهدِ رسول اللهِ ﷺ فنؤمَرُ بقَضاءِ الصيامِ ولا نؤمَرُ بقضاءِ الصلاةِ».

فالحائضُ والنُفَسَاءُ تفطرانِ ويُحرُمُ عليهما الصومُ حَالَ الحيضِ وحال النِفَاسِ ثم تقضيانِ ما أفطرتا من أيامٍ أُخر. هذه هي المفطراتُ للصائمِ، فعلى المسلمِ أن يتحفظَ منها وأَنْ يبتعدَ عنها وأنْ يحافظَ على صيامِه، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧].

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ على فضلهِ وإحسانهِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله ـ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ـ وسلّم تسليماً كثيراً ـ أما بعدُ:

أيها الناسُ اتقوا اللهَ تعالى واعلموا أنَّ هُناكَ مفطراتٍ مَعنويةً تُبطِلُ ثوابَ الصيامِ فلا يكونُ للصائمِ معها أجرٌ عند اللهِ سبحانَه وتعالى وإنما يكونُ حَظُّهُ مِنْ صِيامِه الجوعَ والعطشَ، وليسَ له أجر عند اللهِ في الحديث عن النبي ﷺ «مَنْ لَمْ يدعْ قولَ الزورِ والعملَ به والجهلَ فليس للهِ حاجةٌ في أن يدعَ طعامَهُ وشرابَهُ»[1].

هناك مُفطِراتٌ معنويةٌ وهي محرماتٌ في حَالَةِ الصيامِ وفي غير حَالةِ الصيام دَائماً وأبداً وتكونُ باللسانِ وتكون بالنظرِ وتكون بالاستماعِ أما المفطراتُ التي باللسانِ، فالكلامُ المحرَّمُ كالغَيْبَةِ والنميمةِ فإنَّ بعضَ الناسِ يَسْهُلُ عليه تَرْكُ الأكلِ والشربِ ولكِنْ لا يَسْهُلُ عليه تَرْكُ الغيبةِ والنميمةِ، فتراهُ مُشتغِلاً بالغَيبةِ والنميمةِ سَواءٌ كانَ صائماً أو غير صَائمٍ وهما كَبيرتانِ منْ كَبَائِر الذنوبِ فمع كَوْنِهما مُحرمتينِ ومُؤثمتَينِ فإنَّهُمايُؤثِّرانِ على الصيامِ، ويُذهِبَانِ بثوابِه فلا يَبْقَى لصاحبِهِ ثوابٌ عندَ اللهِ سبحانه وتعالى، وكذلِكَ الشَّتْمُ والسَّبُّ وقولُ الزورِ فإنَّ هذه مُحرَّماتٌ إذا صَدَرَتْ مِنَ الصائمِ فإنهُ يَبْطُلُ ثوابُ صيامِه، والنبيُّ ﷺ يقول للصائمِ: «فإنْ سابَّهُ أحدٌ أو قاتله أحدٌ فليقل إني امرؤ صَائِمٌ»[2]. فإذا سَبَّكَ أحدٌ

---

(١) البخاري (١٧٧١)، مسلم (١٩٤٤).

(٢) البخاري (٦٩٣٨)، الترمذي (٥٥٨)، النسائي (٢١٩٤).

وأنتَ صائمٌ، أو شتمكَ أو تكلَّمَ في حقِّكَ فلا تَردَّ عليه بالمثلِ وإنْ كانَ القَصَاصُ جَائِزاً لكنَّ الصائمَ يتجنبُ هذا، ويقولُ إني صَائِمٌ، أيْ يمنعه الصيام مِنْ أن يَرُدَّ على مَنْ سَبَّهُ أو شتَمه فكيفَ بالذي يبتدِىءُ الناسَ بالسبابِ والشتمِ والغِيبةِ والنميمةِ وغير ذلكَ مِنَ الكلامِ المحرَّمِ، وكذلكَ النظرُ المحرمُ فبعضُ الناسِ يَسْهُلُ عليه أن يتركَ الطعامَ والشرابَ؛ لكن لا يَسْهُلُ عليه أنْ يتركَ النظر إلى النِّساءِ إنه يذهبُ إلى الأسواقِ، وينظرُ إلى النساءِ أو ينظرُ في الصورِ الماجِنةِ أو ينظر في الشَّاشَةِ التليفزيونيةِ أو الفِيديُو أو الإنترنتِ الذي فيه العُرْيُ والعُهْرُ وفيه الصورُ الفاتِنَةُ لا يَسْهلُ عليه أنْ يترك النظرَ إلى هذه الأشياءِ وهُوَ صائمٌ هذا لاَ صَوْمَ له عندَ اللهِ سُبحانه وتعالى، وإنْ كانَ صَامَ في الظاهرِ لكنَّه لمْ يَصم في الباطنِ فيما بينَه وبينَ اللهِ عزَّ وجلَّ، وكذلكَ الاستماعُ إلى المحرمِ كالاستماعِ للغيبةِ والنميمةِ والاستماعِ إلى الأغَانِي والمعازفِ والمزامير والطَّرَبِ المجُونِ هذا مُحَرَّمٌ دائماً وأبداً ولكنَّهُ مِنَ الصائم أشدُّ تحريماً وأشَدُّ إثماً لأنه يؤثِّرُ على صِيَامِه والنبيُّ ﷺ يقول: «الصَّوْمُ جُنَّةٌ»[1] يعني سُتْرَةٌ بينَ العبدِ وبينَ ما يكرَهُ فإذا خَرَقَها لم تنفَعْهُ هذهِ السَّترَةُ، فإذا خَرَقَها بالكلامِ المحرَّمِ، خَرَقَها بالنظر المحرمِ، خَرَقَها بالاستماعِ المحرمِ لم تكنْ واقيةً له مِنَ العذابِ، اللهُ جل وعلا يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣]. قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فالصيامُ تَقْوى يَقِيْ مَنْ عذابِ اللهِ فإذا خَرَقه بالغِيبةِ والنميمةِ والكلامِ المحرمِ والنظرِ المحرمِ والسماعِ المحرمِ لم يكنْ واقياً مِنْ عذابِ اللهِ ولم يكنْ جُنَّةً مِنْ عذابِ اللهِ عز

---

(١) البخاري ٦٩٣٨.

وجل، فعلى المسلمِ أنْ يحفظَ صِيَامَهُ مِنَ المفطراتِ الحسِّيةِ والمفطراتِ المعْنَويةِ حتى يكونَ صَوْمُهُ صَحيْحاً، ويكونُ مُؤدِّياً لِرُكْنٍ مِنْ أركانِ الإسلامِ، وفقَ اللهُ الجميعَ لصونِ الصيامِ عَمَّا يؤثِّر فيه وعما يَجْرَحُهُ وعما يُؤْثِمُ الصائمَ ويُذْهِبُ بِأَجْرِهِ. ثم اعلمُوا عبادَ اللهِ أن خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ. . .

* * *

في الحثّ على الذّكر والدّعاء

الحمدُ للهِ على فضلِهِ ونعمائِهِ. أمر بذكرِهِ ودعائِهِ مع خوفِهِ ورجائِهِ، وأشهدُ أنَّ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ في ربوبيتهِ وألهيتهِ وصفاتِهِ وأسمائِهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ وسيدُ أصفيائِهِ وأوليائِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وجميعِ أهلِ وُدِّهِ وولائِهِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً، أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقُوا اللهَ تعالَى، واعلمُوا أنَّ الله سبحانَهُ أمرَكُم بذكرِهِ، ودعائِهِ قال سُبْحانهَ وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢]، وقال سبحانه ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠] وقال سبحانه ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦].

عبادَ اللهِ، ذِكْرُ اللهِ سبحانَهُ وتعالَى يكونُ على اللسانِ بالتسبيحِ والتحميدِ والتكبيرِ وتلاوةِ القرآنِ، ويكونُ بالقلبِ بالخوفِ والرجاءِ والخشيةِ، وغيرِ ذلكَ من أعمالِ القلوبِ والرغبةِ والرهبةِ والتوكلِ والاستعاذةِ باللهِ سبحانَهُ وتعالَى ويكونُ بالأَعمالِ الظاهرةِ على الجوارحِ كالصلاةِ والصيامِ والحجِّ والعمرةِ والجهادِ وغيرِ ذلكَ من أَنواعِ الطاعاتِ فكلُّ العباداتِ قوليةٌ كانت أَو فعليةٌ أو قلبيةٌ كلُّها ذكرٌ للهِ سبحانهُ وتعالَى. وذكرُ اللهِ ـ جلَّ وعلا ـ فيه فَوَائِدُ عظيمةٌ للعبدِ أَعظمُها أنَّ منْ ذكرَ اللهَ ذكرَهُ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى قال جلَّ وعلا: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ

ذَكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] وفي الحديثِ القدسي أنَّ الله ـ جلَّ وعلا ـ يقول: «من ذكرني في نفسِهِ ذكرتُهُ في نفسِي، ومَنْ ذَكَرنِي في ملأٍ ذكرتُهُ في ملأٍ خيرٍ منهم»[1] يعني «الملائكة»، وذكْرُ اللهِ سبحانَهُ وتعالى يطردُ الشيطانَ عن الإنسانِ ويبعِدُهُ عنهُ، فالشيطانُ ذِئبُ الإنسانِ فإذَا ذكرَ اللهَ تَنَحَّى عنهُ ولهذا وصَفَهُ اللهُ بأنهُ وسواسٌ خناسٌ، وسواسٌ إذا غفلَ العبدُ عَن ذكرِ ربهِ فإنه يَدْنُو منه ويُوسوسُ لَهُ، وخناسٌ إذا ذكرَ العبدُ ربَّهُ فإنه يَنْخَنسُ، ويبتعِدُ عنهُ فلا نجاةَ لابنِ آدمَ من عدُوهِ إلاَّ بذكرِ الله، فإنهُ حِصْنٌ حصينٌ يتحصنُ به المسلمُ من الشيطانِ، ذِكرُ اللهِ سبحانَهُ وتعالَى تحصلُ بهِ طمأنينةُ القلوبِ وارتياحُها. قال الله سبحانه وتعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨] ذِكرُ اللهِ سبحانَهُ وتعالَى يُكسبُ العبدَ خشيةً للهِ وخوفاً من اللهِ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢] وعلى العبدِ المسلمِ أنْ يذكرَ اللهَ على كلِّ حالٍ، وكانَ النبيُّ ﷺ يذكرُ اللهَ على كُلِّ أحيانِهِ لا يَغْفَلُ عن ذكرِ اللهِ قال اللهُ سبحانَهُ وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١]، وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣] فمطلوبٌ من العبدِ أنْ يذكرَ اللهَ دائِماً وأبداً في بيتِهِ وفي المسجدِ وفي دكانهِ وفي مكتبهِ وفي طريقهِ، يذكرُ اللهَ قائماً وقاعداً وعلى جنبٍ ولا يكلفُه ذلكَ ولا يَشُقُّ عليه مع أنه يقربهُ إلى ربِّهِ سبحانَهُ وتعالى، تُغرسُ لَهُ بالذكرِ

---

(١) البخاري (٦٨٥٦)، مسلم (٤٨٣٢).

أَشجارٌ، وتُبنى له بيوتٌ في الجنةِ كما صح بذلك الحديثُ عن النبيِّ ﷺ، ولذلكَ نهى الله عن الغفلةِ عن ذكرِهِ قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المنافقون: ٩] وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨]، فالغافلُ عن ذكرِ اللهِ يموتُ قلبُهُ ومَثَلُ الذي يذكرُ اللهَ، والَّذِي لا يذكرُ اللهَ كمِثلِ الحيِّ والميتِ. وذِكْرُ الله نورٌ في الوجهِ وحياةٌ في القلبِ وسعادةٌ في الدنيا والآخرة. فاتقوا الله عبادَ الله، وأَكثروا منْ ذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ وداوِمُوا عليهِ فإنهُ غذَاءُ القلوبِ والأَرواحِ. وأَمَّا الدعاءُ فإِنَّهُ هو العبادةُ كما قالَ اللهُ جل وعلا: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠]، فالَّذي يَستكبرُ عن دعاءِ اللهِ فإنهُ يكونُ من أهلِ النارِ أمَّا الذي يذكرُ اللهَ فإنَّ اللهَ يستجيبُ لَهُ ويكونُ من أَهلِ الجنةِ وقال النبيُّ ﷺ «الدعاءُ هُوَ العبادة»[1]. واللهُ سبحانهُ وتعالَى يحبُّ من عبادِهِ أنْ يدعُوهُ ويسأَلُوهُ ويغضبُ عليهم إِذَا لم يَدعوه لأَنه سُبحانَهُ وتعالَى جوادٌ كريمٌ رؤوفٌ رحيمٌ يحبُّ من عبادِهِ أنْ يدعُوهُ؛ ليستجيبَ لَهُم ويرحَمَهم ويُكْرِمَهُم ويستجيبُ لَهُم وهذَا من فضلِهِ سبحانَهُ وتعالَى، والدعاءُ على نوعَيْن: دعاءُ عبادةِ وهو الثناءُ على اللهِ سبحانهُ وتعالَى، ودعاء مَسْأَلةِ وهو طلبُ الحوائجِ من اللهِ، ويجتمعُ النوعانِ في سورةِ الفاتحةِ؛ فأَولُها ثناءٌ على اللهِ وهو دعاءُ عبادةِ وآخرُها سؤالٌ من اللهِ وطلبُ الهدايةِ من اللهِ إلى الصراطِ المستقيم وتجنُّبِ طريقِ المغضوبِ عليهِم والضالِّين وهذا دعاءُ مسألةِ،

---

(١) الترمذي (٢٨٩٥)، أبو داود (١٢٦٤).

فهذهِ السورةُ العظيمة، سورةُ الفاتحة، تشتملُ على نوعَيْ الدعاءِ دعاء العبادَةِ ودعاء المسألةِ، ولذلكَ جعلَ اللهُ قِراءَتها ركناً من أَركانِ الصلاةِ في كلِّ ركعةٍ لحاجَةِ العبدِ إليها ولما تشتملُ عليهِ من نوعيْ الدعاءِ، فأَكثرُوا من دعاءِ ربّكم فإن اللهَ جلَّ وعَلاَ يَنْزلُ كلَّ ليلةٍ إلى سماءِ الدنيا في ثلثِ الليلِ الآخرِ فيقولُ: هَلْ مِنْ سائلٍ فأُعْطِيهُ؟ هلْ منْ داعٍ فأستجيبُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مستغفرٍ فأغفرُ لهُ؟ فاغتنموا هذِهِ الفرصَ وادعُوا ربّكُم، وتضرعُوا إليه، فإنَّ من لا يدْعُو اللهَ فإن قلبَهُ يقسُو ويبعدُ عن اللهِ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٣] فاتقوُا اللهَ عبادَ اللهِ، وأَكْثِروا من دعاءِاللهِ وذكرِهِ لتتَّصلوا بربّكُم عز وجلَّ وتطلبُوا منه وتحصلُ لكم مَطَالبكُم بالدنيا والآخرةِ، فإنهُ لا غِنَى بكم عنِ اللهِ سبحانَهُ وتعالَى وعن ذكرِهِ ودعائِهِ لا غني بكم طرفةَ عينٍ.

أكثرُوا من الذكرِ والدعاءِ والإلحاحِ على اللهِ سبحانَهُ وتعالَى؛ لعلَّ اللهَ أَنْ يستجيبَ لكُم وأنْ يغفرَ لكُم من ذنوبِكم، وأنْ يمتعكُم متاعاً حسناً لتكونُوا من السعداءِ ولا تكونُوا من الغافِلين ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥ـ٢٠٦].

بارِكَ اللهُ لي ولكُم في القرآنِ العظيمِ....

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، والشكرُ له على توفيقِهِ وامتِنَانِهِ وأَشْهَدُ أنْ لاَ إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له وأَشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسولُهُ صلّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ وسَلَّمَ تسليماً كثيراً، أما بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقُوا الله سبحانَه وتعالى واعلمُوا أنَّهُ لقبولِ الدعاءِ أسبابٌ، ولعدمِ قبولِهِ أسبابٌ فأعظمُ أسبابِ قبولِ الدعاءِ الاستجابةُ للهِ عزَّ وجلَّ، وحضُورُ القلبِ. قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦]. أمَّا الدعاءُ من القلبِ الغافلِ اللاهِي فإنهُ لا يُستجابُ، كما جاءَ ذلك في الحديثِ، وكذلك من أَسبابِ قبولِ الدعاءِ أكْلُ الحلالِ والتَغذِّي بالحلالِ، ومن موانعِ قبولِ الدعاءِ أكلُ الحرامِ، كما جاء في الحديثِ عن النبيِّ ﷺ في الذي يطيلُ السفرَ أشعثَ أَغبر يمدُّ يديهِ إلى السماءِ يارب، يارب ومطعمُهُ حرامٌ وملبسهُ حرامٌ وغُذِّيَ بالحرام فأنَّى يُستجابُ لذلكَ، ومن موانعِ قبولِ الدعاءِ الاعتداءُ في الدعاءِ قال سبحانه: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٥] ومن الاعتداءِ في الدعاءِ رفعُ الصوتِ في الدعاءِ حتى يبعثَ ذلكَ على الرياءِ والسمعةِ ولذلك قال: «خُفْية»، أو يؤذي مَنْ حولهُ من المصلِّين أو التالين لكتابِ اللهِ، أو الذينَ يشْتغِلُونَ في الدعاءِ فلا يرفعُ الإنسانُ صوتَهُ بالدعاءِ والاستغْفارِ والذكرِ وإنَّما يدعُو ويرفعُ صَوْتَهُ بقدرِ ما يُسمِعُ نفسَهُ، وكذلكَ من الاعتداءِ في الدعاءِ الابتداعُ بأن يدعوَ اللهَ بدعاءٍ لَمْ يَرِدْ في الكتابِ ولا

في السنةِ، بلْ يكونُ دعاءً مبْتدِعاً، وقال ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فهو رَدٌّ**»[(١)]. وكذلِكَ الابتداعُ بأداءِ الدعاءِ بأذكارٍ جماعيةٍ كما تفعلُهُ الصوفيّةُ المبتدعَةُ بأنْ يرفعُوا أصواتَهم جماعةً بالدعاءِ، هذه صفةٌ لم يشرعْها اللهُ ولا رسولُهُ وهي صفةٌ مبتدعةٌ في الدعاءِ وهي من العدوانِ الذي يُسببُ عدَمَ قبولِ هذا الدعاءِ وكذلكَ من الاعتداءِ في الدعاءِ أنْ يسألَ اللهَ إثْماً أَوْ قطيعةَ رحمٍ، أَوْ يدعُوَ على مَنْ لا يَسْتحقُّ الدعاءَ من المسلمينَ. فتأدَّبُوا في ذكرِكم للهِ وفي دعائِكم للهِ بآدابِ الشرعِ، حتى يستجابَ دعاؤكُم.

واعْلموا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.

* * *

---

(١) مسلم (٣٢٤٣)، أحمد (٢٣٩٧٥).

في الحثِّ عَلَى الاعتبارِ بمرورِ الليالِي والأيامِ

الحمدُ للهِ مصرفُ الشهورِ والأَيامِ، ومقلبُ الليالِي والأيام. أحمدُهُ على جزيلِ الفضلِ والإنعامِ وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ في ربوبيتِهِ وأُلوهيتِهِ وأَسْمائِهِ وصفاتِهِ العظامِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ. أرسَلَهُ إلى سائرِ الأنامِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وأَصْحابِه البررةِ الكرامِ وسَلَّمَ تسليماً كثيراً. أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقُوا الله تعالَى واعتبِرُوا بمرورِ الليالِي والأَيامِ فإنكُم في هذِهِ الأَيامِ تُودعونَ عاماً قد انقضَى وانطَوى على ما أَوْدعتمُوهُ فيهِ منَ الأَعمالِ، وتستقدمُون عاماً جديداً لا تعلمونَ ماذا يحصُلُ لكم فيهِ، فاتقوا اللهَ واستغفروُهُ عمّا مَضَى وأسألُوه الثباتَ على طاعتِهِ فيما يُستقْبَلُ من حياتِكم ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: ٣١].

أَيها المسلمون، إن في مرورِ الليالِي والأَيام عبرةٌ لأولِي الأَبصارِ كما قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النور: ٤٤] فالإنسانُ في هذِهِ الدُّنيا بين ماضٍ لا يستطيعُ رجوعَهُ وبَيْنَ مستقبلٍ لا يَدْري ما اللهُ صانعٌ فيهِ. فما لكم من أيامِكُم إلاَّ ما أنتُم فيهِ مِنْ حَاضِرِكُم، فأَحْسِنُوا أَعْمالكُم وتوبُوا إِلى اللهِ من ذنوبِكم، فهذِهِ الشهورُ تتكونُ منَ الأَيامِ، والأَعوامُ تتكونُ من هذهِ الشهورِ قال اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ ﴾ [التوبة: ٣٦] وقال النبيُّ ﷺ: «الزمانَ

قد استَدَارَ كهيئتهِ يومَ خلقَ اللهَ السمواتِ والأرضَ، السنةُ اثنَا عشرَ شهراً منها أربعةٌ حُرمٌ»(١). والشهرُ يتكونُ من سيرِ القمرِ في منازلِهِ التي قدَّرَها اللهُ لهُ، كما قالَ سبحانَه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ فِى ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝ ﴾ [يونس: ٥ـ٦] وقال سبحانه ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝ ﴾ [يسٓ: ٣٩ـ٤٠]، سألَ الصحابةُ رسولَ اللهِ ﷺ: ما بالُ القمرِ يبدُو ضعفياً ثم يكبرُ ثم يعودُ ضعيفاً كما كانَ، فأنزلَ اللهُ سبحانَه ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ ﴾ [البقرة: ١٨٩] فاللهُ سبحانَهُ وتعالَى جعلَ هذهِ الشهورَ مُقدرةً بمنازِلِ القمرِ وتُعرفُ بظهورِ الهلالِ في بدايةِ الشهرِ وبظهورِهِ في نهايةِ الشهرِ، فالشهرُ هو ما بينَ الهلالَيْن وتسمَّى بالأشهرِ القمريةِ والأَشهرِ العربيةِ وهيَ التي نزلَ بها القرآنُ، ومضتْ فيها سنةُ رسولِ اللهِ ﷺ وكانَ العربُ يُؤَرِّخُونَ بالحوادِثِ والأَيامِ التي تكونُ بينَهُم كحادثِ الفيل وغيرِهِ من أَيامِ الحروبِ، ويُوقِّتُون بها مُعَامَلاَتِهم ويَعرفونَ بها عددَ السنينَ وكانَ للرومِ تاريخٌ يَصطلحونَ عليهِ وللفرسِ تاريخٌ يصطلحونَ عليهِ وللإفرنجِ تاريخٌ يصطلحونَ عليهِ، فلما كانَ في خلافةِ عمرَ رضيَ اللهُ تعالَى عنهُ كانتْ تأتيهِ كتبٌ من عُمَّالِهِ مؤرخَةٌ باسمِ الشهرِ ولا يَدْري هذا الشهرَ من أَيِّ سنةٍ فجمعَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ صحابةَ رسولِ اللهِ ﷺ: فاسْتشارَهُم في وضعِ تاريخٍ للمسلمينَ يَعْرفون بِهِ سُنَّتَهُم، ولا يعرفونَ بهِ آجالَ

---

(١) البخاري (٢٩٥٨)، مسلم (٣١٧٩).

معاملاتِهم فأجمعَ رأيهُمُ رضيَ اللهُ عنهم على أَنْ يضَعُوا التاريخَ من بدايةِ هجرةِ الرسولِ ﷺ. فأمضَاهُ عمر ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ وبقيَ التاريخُ الهجريُّ في المسلمينَ إلى يومِنا هذا، وسيظلُّ إنْ شاءَ اللهُ؛ لأنَّ الهجرةَ حدثٌ عظيمٌ في الإسلامِ فهي أعظمُ حدثٍ في الإسلامِ بعد بَعْثَةِ النبيِّ ﷺ لأنَّ اللهَ نَصَرَ بهذِهِ الهجرةِ دينَ الإسلامِ وأعزَّ بها المسلمينَ وقامتْ بها دولةُ الإسلامِ، وقامتْ بها رايةُ الجهادِ في سبيلِ اللهِ ـ عزوجل ـ وصارَ للمهاجرينَ فضلٌ على غيرِهم من الأنصارِ وسائِرِ المسلمينَ، ولهذا يَرِدُ ذِكْرُ المهاجرين في القرآنِ مثلُ ذكرِ الأنصارِ لِما للمهاجرينَ ـ رضيَ اللهُ عنهُم ـ من الفضلِ على غيرِهم لأنهم تركُوا أَوطانَهم وأَولادَهم وأموالَهم طاعةً للهِ سبحانَهُ وتعالَى، وفِراراً بِدِينِهم كما قالَ الله سبحانَهُ وتعالَى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الحشر: ٨] فلذلكَ اتفقَ رأيُ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم على أنْ تكونَ هذِهِ الهجرةُ هي بدايةُ تاريخِ المسلمينَ؛ لأَنها حدثٌ عظيمٌ، والهجرةُ هِجْرتانِ هجرةٌ من الذنوبِ والمعاصي إلى الطاعاتِ قال ﷺ: «المهاجرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عنهُ»[1]. وقالَ سبحانَهُ ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾ [المدثر: ٥] الرِّجْزَ: «الأصنام»، وهجرها تركها، والنوع الثاني: الانتقالُ من بلد الشركِ إلى بلدِ الإسلامِ لأجلِ الفرارِ بالدينِ كما فِعلَ صحابةُ رسولِ اللهِ ﷺ، فقد خرجُوا من ديارِهم، وخرجَ فيهم رسولُ الله ﷺ ومكةُ أحبُّ البلادِ إلى رسولِ اللهِ، وأَحبُّ البلادِ إلى المسلمينَ ولكنَّهم تركُوها فراراً بدِينِهم لمَّا كانت ثَمتَّ وطأةُ الكفّارِ فدلَّ هذا على أَنَّهُ يَجبُ على المسلمِ أَنْ يعتزَّ بدينِهِ

---

(١) أحمد (٦٦١٨)، البخاري (٩).

وأن يُحافِظَ على دينِهِ ولا يُساومُ عليهِ، وإذا لم يستطعْ إقامةَ دينِهِ في بلدٍ فإنه يُهاجرُ إلى بلدٍ آخر يستطيعُ فيه إظهارَ دينِهِ كما قالَ الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٧ ـ ٩٩]. فالهجرةُ يا عبادَ اللهِ، لها شأنٌ عظيمٌ في الإسلامِ وهي من أجلِ الفرارِ بالدينِ لا منْ أجلِ التمتعِ والتنزهِ في البلادِ الجميلةِ، ولا مِنْ أَجلِ التجارةِ، ولا منْ أجلِ الرفاهيةِ، وإنما هي من أجلِ الفرارِ بالدينِ، وإعزازِ كلمةِ اللهِ سبحانَهُ وتعالى. هذِهِ هِي الهجرةُ التي أَمرَ اللهُ بها ورسولُهُ وفضَّلَ أَهلَها على غيرِهم من المسلمينَ، قال ﷺ: «لا تنقطعُ الهجرةُ حتى تنقطعَ التوبةُ ولا تنقطعُ التوبةُ حتى تخرجَ الشمسُ من مغربها»[1] فالهجرةُ باقيةٌ ما بقيَ الإسلامُ والكفرُ إلى أَنْ تطلعَ الشمسُ منْ مغربِها في آخر الزمانِ عند قيامِ الساعةِ حينَما لا تُقْبلُ التوبةُ ممَن تابَ، ولا يُقبلُ الإسلامُ ممّن أَسلمَ ما لم يكنْ تائباً من قبلِها أَو مسلماً مِنْ قبلها، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨]، الآيةُ هيَ طلوعُ الشمسِ من مغربِها، فالهجرةُ باقيةٌ إلى هذا الوقتِ علَى كلِّ مسلمٍ يجدُ ضَغْطاً عليهِ وعلى دينِهِ، ويجدُ إهانةً من الكفارِ، يجبُ عليهِ أن يهاجرَ إلى بلدٍ يستطيعُ فيها إظهارَ دينِهِ ولوْ تَرَكَ أَمْوَالَهُ وتركَ أَوْلادَهُ وتركَ بلَدهُ كما فعلَ الصحابةُ

---

(١) أبو داود (٢١٢٠)، أحمد (١٦٣٠١)، الدرامي (٢٤٠١).

ـ رضيَ اللهُ عنهُم ـ وفي مقدمَتِهم رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلمِ.

عبادَ اللهِ، اِعتبرُوا بسرعةِ مرورِ الليالي والأيامِ واعتبرُوا بهجرةِ رسول اللهِ ﷺ، واعتبرُوا في أنَّ الصحابةَ ـ رضيَ الله عنهم ـ لم يعبؤُوا بتاريخِ الإفرنجِ، ولا بتاريخِ الفرسِ، ولا بتاريخِ الرومِ وإنما عَدَلُوا عن ذلك كلِّهِ إلى تاريخٍ إسلاميٍّ يَعتزُّ به دينهُم ويفخرُ بهِ قومُهم، هوَ هجرةُ الرسولِ ﷺ، لأنَّ التأريخَ بتاريخِ الكفارِ تشبه بِهم وتقليدٌ لهم، وقد قالَ النبيُّ ﷺ: «مَنْ تشبَّهَ بقومٍ فهو مِنْهم»[١]، ومن ذلكَ التاريخُ الميلاديُّ الذي أَصْبحَ كثيرٌ من المسلمينَ لا يبالُون باستعمالِهِ، ويتركُون التاريخَ الهجريَّ الَّذي عليهِ المسلمونَ من عهدِ خلافةِ عمرَ ـ رضي الله عنهُ ـ، يتركُونَ ذلكَ، إمَّا من عدمِ المبالاةِ وإمَّا منْ محبةِ الكفارِ، وتقليدِ الكفارِ، وهذا أَشَدُّ فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، وتمسّكُوا بسنةِ رسولِ اللهِ ﷺ، وتوبُوا إلى اللهِ ممّا فَرَطَ مِنكُم وسلف منكم في عامِكُم الماضِي، وأَحْسِنوا في عامِكم المستقبلِ لعلَّ اللهَ أَنْ يتوبَ علينَا وعليكُم جميعاً، تَرَونَ يا عبادَ اللهِ، ما حصلَ في هذا العامِ من تأخُّرِ الأَمطارِ، وترونَ ما حصَل للمسلمينَ من قلةِ المياهِ وقلةِ المراعِي، وتلفِ الأَموالِ، وذلكَ كلُّه بسبب ذنوبِنا، وبسبَبِ معاصِينا وإلاَّ فإنَّ خزائنَ اللهِ ملأى، واللهُ سبحانَهُ وتعالَى قريبٌ مجيبٌ يجيبُ من دَعَاهُ لكن بشرطِ أنْ يكونَ الداعي مخلصاً للهِ عز وَجلَّ تائباً من ذنوبِهِ، فإنَّ الله يستجيبُ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦] قال ـ جل وعلا ـ ﴿ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [غافر: ١٤]، فيجبُ أنْ يكونَ الدعاءُ من قلبٍ حاضرٍ وأَنْ يكونَ خالصاً

---

(١) أبو داود (٣٥١٢)، أحمد (٤٨٦٨).

لوجهِ اللهِ وأنْ يكونَ بعد التوبةِ إلى اللهِ ـ عز وجلَّ ـ من الذنوبِ والمعاصِي وإلاَّ فإنَّ الله جلَّ وعلا شديدُالعقابِ يمنعُ القَطْرَ ويمنعُ الرزقَ بسببِ الذنوبِ والمعاصِي، وذلكَ بسببِ ظلمِ العبادِ، وبسببِ أعمالِ العبادِ لعلَّهُم يتوبُون إلى ربِّهم، كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يخرج إلى مصلَّى العيدِ ليسْتسْقِي بالمسلمينَ؛ فيرفعُ يديهِ بالدُّعاءِ والتضرعِ إلى اللهِ فلا يحطُّهما إلاَّ وقد نَزَلَ المطرُ حتى أنَّ المطرَ ليتحادرُ منْ لحيةِ رسولِ اللهِ ﷺ هو يدعُو ربَّهُ، ويتضرعُ إليهِ، يخرجُون والدنيا مُجْدِبةٌ والأَسْواقُ يابسةٌ ثم يرجِعُونَ يخوضُون في المياهِ، ويخُوضُون في السيولِ لأنهُم دَعَوُا اللهَ مخلصينَ له الدينَ، دعَوُا اللهَ بقلوبٍ حاضرة؛ فأغاثَهُم اللهُ سبحانَه وتعالَى، والآن ترونَ كثرةً ما نسْتسقِي، وكثرةَ ما ندعُو ولا يستجابُ لنَا فلا حولَ ولا قوةَ إلاَّ باللهِ، فعلينَا أنْ نتوبَ إلى اللهِ، وأن نُحاسِبَ أنفسَنَا وأن نصلحَ مِنْ أعمالِنا لعلَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالَى أن يرحمنا ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح: ١٠ـ١٢].

فاتَّقُوا الله عبادَ اللهِ، بادِرُوا بالتوبةِ والاعتبارِ، وبادرُوا بإصلاحِ الأعمالِ، وبادِرُوا بالاستعدادِ للرحيلِ فإنَّ الرحيلَ قريبٌ، ترونَ كم رَحلَ في العامِ الذي أنتمْ في آخرِهِ، كم رَحَل فيهِ منْ إخوانِكم وجيرانِكم، وكمْ رَحلَ فيهِ من المسلمينَ الذين كانوا يُصَلُّون معكُم، ويصومُون، رَحَلُوا إلى قبورِهِم وأنتُم على الأثرِ في اليومِ أو غدٍ.

فاتقُوا اللهَ واستعدُّوا لرحيلِكُم، وتوبُوا إلى ربِّكُم من ذنوبِكُم لعلكُم تفلحون.

باركَ الله لي ولكُم في القرآنِ العظيمِ . . .

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، وأَشكُرهُ على توفيقهِ وامتنَانِهِ، وأَشهدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ ـ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأَصحابِه وسلَّم ـ تسليماً كثيراً، أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقُوا اللهَ تعالَى، إنَّ كثيراً من الناسِ لا يعرفُونَ الهجرةَ إلاَّ أَنهُم يحتفلُونَ في هذهِ الأَيامِ بذكرى الهجرةِ، يقيمونَ احتفالاتٍ ويقدمُون الخطبَ والقصائدَ والكلامَ الكثيرَ، ولكن لا يعرفُون معنَى الهجرةِ ولا يعملُون بالهجرةِ فهم لا يهجُرونَ الذنوبَ والمعاصِي، ولا يهاجرُونَ من بلدِ الكفرِ إلى بلدِ الإسلام وإنما نصيبُهُم من هجرةِ الرسولِ ﷺ وذكرَاهَا هذهِ الاحتفالاتُ وهذه المآكلُ والمشاربُ التي يأكلُونها ويقدمُونها بهذه المناسبةِ، وهذا الاحتفالُ بدعةٌ ما أَنزلَ اللهُ بها من سلطانٍ فالاحتفالُ بالذكرياتِ كلِّها من البدعِ، قالَ النبيُّ ﷺ «إنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ وخيرَ الهدْيِ هَديُ محمدٍ ﷺ وشرَّ الأمورِ مُحدثَاتُها وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ وعليكُم بالجماعةِ فإنَّ يدَ اللهِ على الجماعةِ ومنْ شذَّ شذَّ في النارِ»[1].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

---

(١) مسلم (١٤٣٥)، ابن ماجة (٤٤) (بألفاظ مقاربة)، النسائي (١٥٦٠)، أحمد (١٣٨١٥)، الدارمي (٢٠٨).

في يومِ عاشوراء وفضلِ صيامِه

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾ [الكهف: ١ـ٥]، وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الكهف: ١٧]، وأشهد أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ إلى الناسِ كافةً بشيرًا ونذيرًا وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجًا منيرًا ـ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِهِ وأصْحابِهِ ـ وسلَّمَ تسليماً كثيراً، أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقُوا اللهَ تعالَى، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف: ٣] وقال سبحانه: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف: ١١١]. وإنَّ ممّا قصَّهُ اللهُ في كتابِهِ الكريمِ، قصةَ موسى وفرعونَ قالَ سبحانه وتعالى: ﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص: ٣ـ٦]

فرعونُ لقَبُ ملكٍ جبارٍ، وهو لقبٌ لمن ملكَ مصرَ، والمرادُ بِهِ هذا الملكُ الذي كانَ على وقتِ موسَى عليه الصلاةُ والسلامُ، هذا الرجلُ تجبَّرَ في الأرضِ وطَغَى وبغَى، وجَعَلَ الرَّعيةَ أقساماً، قسمٌ هم حاشيتُهُ وأَتباعُهُ أَغدقَ عليهمُ الأَموالَ وأطلقَ لهم الحريةَ يتخبطُونَ في أَموالِ الناسِ وفي رقابِهم، وقسمٌ من الرعيةِ استذَلَّهم، واستضعَفَهُم وهم بَنُو إسرائيلَ؛ لأَن شعبَ مصرَ يتكونُ من القبطِ وهُم جماعةُ فرعونَ ومِنْ بني إسرائيلَ وهُم مِنْ ذُريةِ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ عليهِمُ الصلاةُ والسلامُ، وكانوا هُم أَفضلُ الخلقِ في وقتِهم؛ لأنهم ذريةِ الأنبياءِ فاستذَلُّهم فرعونُ وجنودُهُ وامتهنُوهُم، وجعلُوا يُسَخِّرونَهم في أَخَسِّ الأَعمالِ وأشقِّ الحِرفِ يستعبدُونهَم ويستذلونَهم، ويُقَتِّلونَ أبناءَهم وَيَسْتَحْيونَ نساءَهم وذَلكَ لمَا بلغَ فرعونُ أَنَهُ سيكونُ في بني إسرائيلَ مولودٌ يكونُ زوالُ ملكِ فرعونَ على يدِهِ عندَ ذلكَ أَخَذَ حِذْرَهُ فجعلَ يقتُلُ الذكورَ من المواليدِ الإسرائيليين ويُبْقي النساءَ للخدمةِ، ولمّا شكى إليه القبطُ في أَنَهُ إنِ استمرَّ على هذهِ السيرةِ يقتلُ الذكورَ، فإن بني إسرائيلَ سيفْنَونَ ولا يجدُ القبطُ من يخدمُهُم في المستقبلِ فرُفِعَ القتلُ، وصارَ يُقتلُ سنةً بعدَ سنةٍ، ولمّا كانتِ السنةُ التي وُلِد فيها موسى عليهِ السلامُ كانتْ هي سنةُ القتلِ فأوحى اللهُ إلى أمِّهِ أنْ ترضعَهُ وأن تضعَهُ في تابوتٍ يَعْني في صندوقٍ، وتضعَهُ في نهرِ النيلِ فإذَا جَاؤوا يطلبونَهُ ذهَبَ بِهِ وادِي النيلِ وأبعدَهُ عنهُم، فوضَعَتْه في التابوتِ ووضعتْهُ في النيلِ فذهبَ بهِ إلى بيتِ فرعونَ والتقطَهُ أهلُهُ فلمّا فتحُوا الصندوقَ وجَدُوا فيهِ الطفلَ، ولمّا رأتْهُ امرأةُ فرعونَ أَحبتْهُ حبًّا شديداً، ولما أَرادَ فِرعونُ أَنْ يقتلَهُ، قالتْ: «**لا تقتلُوهُ عَسَى أَنْ ينفَعَنا أَوْ نتخذَهُ ولَداً وهُم لا يَشْعُرون**» لأنه كان لا يولدُ لهُ، فتركَه فرعونُ، ولم يقتلْهُ، استجابةً لامْرَأَتِهِ وطمعاً في المولودِ ولكنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالَى منعَهُ منْ قبولِ

الرضاع من أيِّ امرأةٍ فشقَّ عليهم ذلكَ، وخَشَوْا عليهِ من الموتِ فجاءَتْ أُختُه مختفيةً فقالتْ: هَلْ أَدُلكُم على أهلِ بيتٍ يكفلونَهُ لكُم وهُمْ لَهُ ناصحون؟ فَفَرِحُوا بذلِكَ فأَعطُوها إيَّاهُ، وذهَبُوا معها لينظرُوا فلمّا سلَّمَتْه إلى أُمِّهِ فَرِحَ بها والتقم ثَدْيَها ففرِحُوا بذلِكَ فرحاً شديداً لأنهُم قد تضايقُوا من كَوْنِهِ لا يقبلُ الرضاعَ فصارتْ تُرضعهُ بالأُجْرةِ، ويأتُون إليها به في النهارِ، ويذهبُون بهِ في الليلِ إلى بيتِ فرعونَ إلى أنْ فُطِم واستغْنَى عن الرَّضاعةِ، ونشأَ في بيتِ فرعونَ يأكُلُ من طعامِه، ويشربُ من شَرَابهِ، ويلبسُ من ملابسِ فرعونَ ويركَبُ من مراكِبهِ، وتغذَّى وتربَّى في بيتِ فرعون كأولادِ الملوكِ وهوَ عدوَهُ لكنهُ لا يشعرُ بذلكَ فلمَّا بلغَ أَشُدَّه عليهِ الصلاةُ والسلامُ، وبلغَ مبلغَ الرجالِ دخلَ المدينةَ «مدينةَ مِصْر» فوجدَ فِيها رجلَيْن يتشاجَران: واحدٌ من القبطِ، جماعةُ فرعونَ، وواحدٌ من بني إسرائيلَ من جماعةِ مُوسىٰ فاستغاثَهُ الإسرائيليُّ على القِبْطِيِّ فوكزَهُ يعني «ضَرَبَهُ بيده مقبوضةً» فَقضَى عليهِ أي ماتَ هذَا الرجلُ على إِثْرِ هذهِ الضربةِ فحينئذٍ أَدركَ مُوسى عليهِ السلامُ أَنهُ أَخطأَ واستغفرَ رَبَّهُ فغفر لَهُ. وخافَ من فرعونَ وقومِهِ، وبينما هُو كذلِكَ على خوفٍ وحَذَرٍ وجَدَ هذا الرجلَ الإسرائيليَّ مرةً ثانيةً يتشاجَرُ مع قبطِيٍّ آخرَ فاستَنْصَرَهُ الإسرائيليُّ على القبطيِّ، فأرادَ أن يبطِشَ بالقِبْطِي فقالَ له: يا مُوسَى أتريدُ أنْ تقتلنِي كما قتلتَ نفساً بالأمْسِ، فانكشفَ أمرُ موسَى عليه السلامُ وعُرفَ أَنهُ هُو القاتِلُ فزادَ خوفُهُ منْ فرعونَ وقومِهِ فأَرسلَ اللهُ إِليهِ رجلاً جاءَ مِن أَقْصَى المدينةِ يَسْعَى، يعني: يمشِي بسرعةٍ ليدركَ موسَى عليهِ السلامُ ويخبرُهُ أنَّ فرعونَ وملأَهُ يتشاورُون في قتلِهِ، ونصَحَهُ بالخروجِ من مصرَ فخرجَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ خائفاً يترقبُ وهو يدعُو ربَّه وهو لا يعرفُ الطريقَ، ولا يدري أينَ يذهبُ فهداهُ اللهُ وذهبَ إلى أرضِ مدينَ وهداهُ الله الطريقَ فوصلَ إلى أرضِ

مدينَ ووردَ الماءَ ليشربَ. ووجدَ امرأتينِ مع غنمٍ لهما لا تستطيعانِ أنْ تسقيا غنمهُما إلاَّ بعدَ أنْ يَفرغَ الرعاةُ فسقَى لهما عليهِ الصلاةُ والسلامُ رحمةً بهما على ما فيهِ من التعبِ والجهدِ فلما بلغَ ذلكَ والدُ المرأتين ما صنعَ موسى وكان شيخاً كبيراً أرسلَ في طلبهِ ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ [القصص: ٢٥] أَخْبَرَهُ بخبرِهِ وما حَصَلَ منهُ في مصرَ، وأنهُ مطلوبٌ للقتلِ قال لهُ هذا الشيخُ الكبيرُ ﴿لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص: ٢٥] ثم إنهُ عرضَ عليهِ أنْ يزوِّجَهُ إِحدَى ابنتيهِ على أنْ يرعى عندهُ الغنم ثمانِ سنينَ أو عشرَ سنينَ فقبل موسَى عليهِ الصلاةُ والسلامُ وصارَ يرعَى الغنمَ وتزوجَ بالمرأةِ، فلمّا قضَى الأَجَلَ أرادَ أنْ يرجِعَ إلَى مصرَ وسارَ بأهلِهِ إلى مصرَ فبينَما هو يَسيرُ في الليلِ، والليلُ مظلمٌ والجوُ باردٌ ولم يعرفِ الطريقَ إذْ أبصرَ ناراً في جانبِ الطُورِ فقالَ لأَهْلِهِ امكثُوا إِني آنسْتُ ناراً، فذهبَ إِليها ليسألَ أهلَها عن الطريقِ أو يأتَي بجذوةٍ أي جمرةٍ يستدفِئون بها ويصطلونَ بها فلما وصلَ إلى النارِ فلم تكن ناراً وإنما كما أَخبر اللهُ سبحانَهُ وتعالى إنها نورٌ بعثَهُ اللهُ في هذهِ الشجرةِ ثم إنَّ اللهَ كلَّمهُ وسمعَ موسَى كلامَ ربِّه وأَرسلَهُ إِلى فرعونَ يدعوه إلى اللهِ عز وجل فلم يكُنْ بوسعِ موسَى إلاَّ أنْ يستجيبَ لربهِ سبحانَهُ وتعالَى ولكنه طلبَ من ربهِ أن يجعلَ معهُ أَخاهُ هارونَ يعاضدُهُ على تبليغِ الرسالةِ ولأنهُ أفصحُ منهُ في الكلامِ وأنصحُ له فاستجابَ اللهُ دعوتَهُ وأَرسلَ معهُ أخاهُ هارونَ فذهبا إلى فرعونَ فدعوَاهُ إلى اللهِ ـ عز وجلَّ ـ فعندَ ذلكَ تغيظَ فرعونُ وذكَّرَ موسَى بما سَبَق من أَنَّهُ غذّاهُ وربّاهُ، وأَنهُ قتلَ النفسَ بغيرِ حقٍّ، فكيف يأتي ويدعُوهُ ليتَبعَهُ ويتركَ ملكَهُ فعندَ ذلكَ عرَضَ عليهِ موسَى أَنْ يريَهُ الآياتِ والمعجزاتِ التي تدلُّ على صدقِ رسالتِهِ فطلبَ

فرعونُ منْ موسَى أن يريَهُ ما معهُ من الآياتِ، فموسَى عليه السلامُ ألقَى عصاهُ التي كانَ يتوكأُ عليها، فصارتْ حيةً تسعَى أمامَ فرعونَ ثم أَخرجَ يدَهُ منْ جيبِهِ فإذا هيَ بيضاءُ كالشمسِ ساطعةٌ، فعندَ ذلكَ تحيَّرَ فرعونُ ولكنهُ لجأَ إلى المكرِ والخداعِ فقالَ هذا سحرٌ ونحنُ عندنَا سحرةٌ نحضرهُم ويُبطلونَ سحركَ هذا، فجمعَ فرعونُ السحرةَ من جميعِ أقطارِ الأرضِ ومن جميع أقطارِ مملكتِهِ وتواعدُوا في يومٍ واجتمعَ الناسُ ينظرونَ ماذا سيحصلُ؟ فعندَ ذلك طلبُوا من موسَى أنْ يلقِي ما معَهُ ولكنَّ موسَى طلبَ منهم أنْ يُلقُوا هم أولاً فألقوا ما مَعَهُم من الكيدِ والمكرِ والسحرِ، وامتلأ الوادِي بسحرِهم التخيليّ ﴿ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١١٦] فعند ذلك أَلقَى موسى عصاه ﴿ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١١٧] ابتلعتْ هذهِ العَصا وهذهِ الحيةُ كلَّ ما عملَهُ السحرةُ حتى أنهم خافُوا أنْ تصلَ إليهم وأنْ تلتهِمَهمُ مع السحر فطلبُوا من موسَى أنْ يكُفَّها عنهم فأخذها فعادت عصا وعندَ ذلكَ أدركَ السحرةُ أنَّ هذا الذي معَ مُوسَى ليسَ هو من السحرِ، وإنما هو آيةٌ من آياتِ اللهِ، فآمَنُوا باللهِ وخرّوا ساجدينَ للهِ عزَّ وجلَّ فعندَ ذلكَ هددَهُم فرعونُ بالقتلِ فتمسكوا بدينهم فقتلَهم وصلَبهم وتجبَّرَ وتكبَّر هو وقومُهُ ثم إنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالَى أمرَ موسَى أنْ يخرجَ ببنِي إسرائيلَ مِنْ مصرَ، لمّا حانَ هلاكُ فرعونَ بعدما رأى الآياتِ ولم يقبلْ، أمرَ اللهُ موسَى أنْ يخرجَ بقومِهِ من بني إسرائيلَ من مصرَ، فخرجُوا وسَرَوْا بالليلِ، فلما علمَ فرعونُ بخروجِهم تغيظَ وجَمعَ الجنودَ، وخرجَ في إثرِهم يريدُ أنْ يقضيَ عليهم فلمَّا أصبحَ الصباحُ تراءَى الفريقانِ، فريقُ بنِي إسرائيلَ مع مُوسَى وفريقُ فرعونَ عند البحرِ على ساحِلِ البحرِ عندَ ذلكَ خاف بنُو إسرائيلَ من عدوِّهم لما يعلمونَ من مكرِهِ وجبروتِه ﴿ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ

إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ [الشعراء: ٦١] لأن البحر من أمامهم والعدوُّ من خَلْفِهم، وليسَ لَهم مفرٌّ فقالَ موسى ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء: ٦٢] فأوحَى الله إلى موسَى فضربَ بعصاهُ البحرَ فتجمدَ البحرُ وصارَ يَبَساً، وصارَ أمثالَ الجبالِ، وصارَ طُرُقاً لبنِي إسرائيلَ على عدد قبائِلِهم اثني عشرَ طريقاً كلُّ قبيلةٍ تسلُكُ من طريقٍ فدخَلُوا في البحرِ وهو يبسٌ، ومَشَوْا عليه حتى خرجُوا من الساحِلِ الثاني فعندمَا رآهمُ فرعونُ أرادَ أَنْ يدخلَ في إثرِهِم فدخَلَ فرعونُ وقومُهُ، ومشَوْا على البحرِ وهو متجمدٌ يابسٌ، فلما تكامَلُوا بأَنْ خرجَ بنُو إسرائيلَ كلُّهم، ودخَلَ فرعونُ وقومُهُ كلُّهم في البحرِ أَطبقَهُ اللهُ عليهم وأغرقَهمُ عن آخِرِهم، وبنُو إسرائيلَ ينظرُونَ هلاكَ عدوِّهم، وبذلكَ نجَّى اللهُ موسَى وقومَهُ، وأهلَكَ فرعونَ وقومَهُ وهذهِ سنةُ اللهِ ـ جلَّ وعلا ـ، في خلْقِهِ أَنَّ مَنْ عَصَى رسلَهُ وتكبَّر عن عبادتِهِ، فإنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالَى يقضِي عليهِ قضاءً مبرماً، ويجعلُ الدائرةَ عليهِ فإنَّ هذا الطَّاغوتَ تجبَّرَ حتى قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤] وحتى قال: ﴿يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] أمَرَ وزيرَهُ هامانَ أنْ يبنيَ لَهُ بناءً مرتفعاً يصعدُ عليهِ، فينظرُ في السماءِ هَلْ فيها إلهٌ كما يقولُ موسَى، ويريدُ بذلكَ أنْ يموِّهَ على قومِهِ في هذه المقالةِ وإلاَّ فهو يعلَمُ أنَّ اللهَ ـ جلَّ وعلا ـ هو ربُّ السَّمواتِ والأرضِ ولكنهُ أرادَ أنْ يموِّه على قومِهِ بهذا التمويهِ فماذَا كانت عاقبتُه؟ كانتْ عاقبتُهُ الدّمارَ والخسارَ، وكانتْ عاقبةُ المؤمنينَ النصرَ والتأييد من اللهِ كما قال لهم مُوسَى من قبلُ ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا

جِئْتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأعراف: ١٢٨ـ١٢٩] فحقق الله وعدَهُ ونَصرَ عبدَهُ وأعز جندَه وهزَمَ الأحزابَ وحدَهُ والحمد للهِ ربِّ العالمين.

بارِكَ اللهُ لي ولكُم في القرآنِ العظيمِ...

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ على فضْلِهِ وإحسانِهِ، وأشكُرهُ على توفِيقِهِ وامتنَانِهِ، وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُه صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وسلَّم تسليماً كثيراً، أما بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقُوا الله واعتبرُوا بما قصَّهُ الله سبحانَهُ وتعالى من قَصَصِ موسَى وفرعونَ فإنَّ في ذلكَ العبرةَ والعظةَ، فهذا فرعونُ أُوتيَ من القوةِ ومن الجبروتِ ومن الرَّهْبةِ ومن الهيبةِ ما غرَّهُ باللهِ عزّ وجل وغرَّ أتباعَهُ واستضعفَ المؤمنينَ، فكانت الدائرةُ عليهِ والعاقبةُ للمتقينَ، وهذا في كلِّ زمانٍ ومكانٍ. إنَّ الحقَّ لابدَّ أنْ ينتصرَ، وإنَّ الباطلَ لابدَّ أن يندحِرَ مهما بلغَ الباطلُ من العتوِّ ومهما بلغَ الباطلُ من القوةِ فإنَّ الله يدمّرهُ، وإنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالى يزيلُهُ وتكونُ العاقبةُ للتقوى دائماً وأبداً ولكن بعدَ الامتحانِ ليظهرَ المؤمنُ الصابرُ من المؤمنِ ضعيفِ الإيمانِ، أو المنَافِقِ، ثم إنَّ موسَى عليهِ السلامُ لمَّا أنعمَ اللهُ عليهِ بهذِهِ النعمةِ العظيمةِ شكرَ اللهَ عليها فصامَ هذا اليومَ، وكانَ ذلكَ في اليومِ العاشرِ من شهرِ اللهِ المحرمِ، ويسمَّي يومَ عاشوراءَ وهو اليومُ الذي أعزَّ اللهُ فيهِ مُوسَى وقومَهُ، وأذلَّ فرعونَ وقومَهُ، فشكَر موسَى ربَّه عز وجلَّ فصامَ هذا اليومَ وصامَهُ قومُهُ من بعدِهِ،

وهكذا الأنبياءُ وأتباعُهم يشكرونَ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ على نعمِهِ ولا يَبْطرونَ ولا يَفْخرونَ، فالمناسِبُ في مثل هذهِ الحالةِ شكرُ اللهِ وَعِبَادَتُهُ وإِظْهَارُ الافتقارِ إليهِ سبحانَهُ وتعالَى، لا الفخرُ ولا الخيلاءُ ولا التعاظُمُ كما يفعلهُ كثيرٌ من الجبابرةِ والطغاةِ إنهم يعتبرونَ الأَيامَ التي ينتصرونَ فيها أيامَ فخرٍ وخيلاء وأمَّا أهلُ الإيمانِ فيعتبرونَ هذهِ الأَيامَ أيامَ نعمةٍ ويشكرونَ اللهَ جلَّ وعَلاَ عليها، فمن ذلك أنَّ موسَى عليهِ السلامَ صامَ هذا اليومَ «يومَ عاشوراءَ»، فلمَّا قَدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ مهاجراً وَجَدَ اليهودَ يصومونَهُ فسألَهم، لماذا تصومُون هذَا اليومَ؟ قالوا: هذا يومٌ أعزَّ اللهُ فيهِ موسَى وقومَهُ وأذلَّ فرعونَ وقومَهُ فصامَهُ موسَى فنحن نصومُهُ فقال ﷺ: «نحن أَحَقُّ بموسىَ منكُم»[1]. فصامَهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ وأمرَ الناسَ بصيامِهِ، ولمَّا قالوا لَهُ إنَّ هذا يومٌ تعظِّمهُ اليهودُ، قال ﷺ: «خالفُوهُم، صومُوا يوماً قبلَهُ أو صُومُوا يوماً بعدَه»[2]. وقالَ ﷺ: «لئِنْ بقيتُ إلى قابلٍ لأصومَنَّ التاسعَ»[3] مخالفةً لليهودِ، فصار صيامُ يومِ عاشوراءَ سنةً بسنةِ الرسولِ ﷺ ويضافُ إليها مخالفةُ اليهودِ بصومِ اليومِ التاسعِ أو اليومِ الحاديَ عشرَ، قال ﷺ في صومِ يومِ عاشوراءَ «أحتسبُ عَلَى اللهِ أَنْ يكفِّرَ السنةَ التي قبلَهُ والسنةَ القادمةَ»[4] فصومُهُ سنةٌ مؤكدةٌ وفيه فضلٌ عظيمٌ، فبادِرُوا رحمكُم اللهُ بصيامِ هذا اليومِ مع مخالفة اليهودِ بصومِ يومٍ قبلَهُ وهو آكدُ أو صومِ يوم بعدَهُ، فصيامُ اليومِ العاشرِ وقبلَهُ اليومُ التاسعُ أو بعدهُ اليومُ الحاديَ عشرَ.

---

(١) سنن ابن ماجة (١٧٣٤)، السنن الكبرى (٢٨٣٥)، المسند (٥١٥)، المعجم الكبير (١٢٣٦٢).

(٢) صحيح ابن حبان (٣٦٢٧ ج٤ ص ٣٩١).

(٣) ابن ماجة (١٧٢٦)، أحمد (١٨٦٩).

(٤) مسلم (١٨٧٦)، الترمذي (٦٨٣)، أبو داود (٢٠٧١).

فعلَى كلٍّ حالٍ صِيامُ هذا اليومِ سنةٌ مؤكدةٌ لا ينبغِي للمسلمِ أنْ يتركَهُ اقتداءً بنبيِّ اللهِ محمدٍ ﷺ، وبكليمِ اللهِ موسَى ـ عليهِ الصلاةُ والسلام ـ فقد صامَهُ نبيانِ كريمانِ مُوسَى ومحمدٌ ـ عليهما الصلاةُ والسَّلامُ ـ ، وصامَهُ المؤمنونُ من أتباعِ موسَى والمؤمنونَ من أَتباعِ محمدٍ ﷺ.

عبادَ اللهِ، إنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . . .

* * *

في فضلِ الجهادِ وبيانِ أنواعِه

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، أمرَ بالجهادِ ووعدَ المجاهدينَ أجراً عظيماً. أحمدُهُ وأشكُرهُ على نعمهِ العظيمةِ، وأشهدُ أنَّ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له شَهادةَ الحقِّ واليقينِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ الصادقُ الأمينُ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلهِ وأصحابهِ وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يومِ الدين. أما بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقُوا الله تعالى قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ [الحج: ٧٨] وقال سبحانه وتعالى ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [العنكبوت: ٦] وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩] والجهادُ معناهُ بذلُ الجهدِ في طاعةِ اللهِ سبحانه وتعالَى وابتغاءِ مرضاتِه ومنه جهادُ الكفارِ بالسلاحِ، وهو أفضلُ الأعمال كما قالَ ﷺ: «رأسُ الأمرِ الإسلامُ وعمودُهُ الصلاةُ وذروةُ سنامِهِ الجهادُ»[١] قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٩٥ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ۝٩٦﴾ [النساء: ٩٥-٩٦] وقالَ النبيُّ ﷺ: «إنَّ في الجنةِ مئةُ درجةٍ ما بينَ كُلِّ درجتينِ كما بينَ السماءِ والأرضِ أعدَّها اللهُ للمجاهدينَ في سبيلِهِ»[٢] وقال ﷺ: «غَدْوةٌ في سبيلِ اللهِ أو

---

(١) الترمذي (٢٥٤١)، أحمد (٢١٠٠٨).
(٢) البخاري (٢٥٨١)، أحمد (٨٠٦٧).

روحةٌ خيرٌ من الدنيا وما فِيها»(١). والآياتُ والأحاديثُ في فضلِ الجهادِ والحثِّ عليه كثيرةٌ شهيرةٌ.

عبادَ اللهِ، الإنسانُ في هذهِ الحياةِ هو دائِماً في جهادٍ منذ أنْ بلغَ سنَّ التكليفِ وإلى أنْ يتوفَّاهُ اللهُ وهو في جهادٍ، والجهادُ أنواعٌ كثيرةٌ، لا كما يظنُّهُ الناسُ أَوْ بعضَ الناس أنَّهُ مقصورٌ على قتالِ الكفارِ فقط بَلْ الجهادُ أنواعٌ كثيرةٌ، يكون الجهادُ بالقلبِ، ويكونُ باللسانِ ويكونُ باليدِ ويكونُ بالمالِ. والأشياءُ التي يجبُ المجاهدةُ فيها كثيرةٌ: جهادُ النفسِ، وجهادُ الأَهلِ، وجهادُ الشيطانِ، وجهادُ العصاةِ، وجهادُ المنافقينَ، وجهادُ الكفارِ هذه أنواعُ الجهادِ ويدخُلُ تحتَ كلِّ نوعٍ أنواعٌ كثيرةٌ فجهادُ النفسِ أنْ يجاهِدَ المسلمُ نفسَهُ على طاعةِ اللهِ فيُلزمُ نفسَهَ بطاعةِ الله ويبعدُها عمَّا حرمَ اللهُ ويأخذُ بزمَامِها عن الكسلِ وعن الخمولِ فإنَّ النفسَ دائماً تميلُ إلى الراحةِ وتميلُ إلى الكسلِ فصاحبُها يجاهدُها ويروِّضُها على طاعةِ اللهِ، والنفسُ لا تريدُ الصلاةَ وبالذاتِ الصلاةُ في المسجدِ والصلاةُ وقتَ النومِ، صلاةُ العشاءِ، وصلاةُ الفجر وصلاةُ الليلِ والصلاةُ وقتَ أعمالِ الدنيا وطلبِ الدنيا أو وقتَ اللهوِ واللعبِ فيحتاجُ إلى أنْ يلزمَ نفسَهُ بالمحافظةِ على الصلاةِ، ويجاهدَها في اللهِ عز وجلَّ، النفسُ لا تريدُ بذلَ المالَ تبخلُ بهِ وتشحُّ به فيجبُ على المسلمِ ألاَّ يطاوعَ نفسَهُ في بخلِها وشُحِّها وإمسَاكِها، بل يُنفقُ من مَالِهِ وممَّا أتَاهُ اللهُ ينفقُ في سبيلِ اللهِ ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩] النفسُ لا تريدُ صلةَ الأرحامِ، وقد يكونُ في النفسِ شيءٌ على بعضِ الأقاربِ فتنفِرُ بصاحبِها عن مواصلتِهم فيجبُ

---

(١) مسلم (٣٤٩٢)، الترمذي (١٥٧٥).

على المسلمِ ألاَّ يطيعَ نفسَهُ في ذلكَ، وأنْ يصلَ رحمَهُ، ولو قطعُوه، النفسُ لا تريدُ لقاءَ العدوِّ ولا تريدُ القتالَ في سبيلِ اللهِ، تؤثرُ السلامةَ لا تريدُ القتلَ في سبيلِ اللهِ ولا تريدُ الجراحَ في سبيلِ اللهِ فيُلزمُ نفسَهُ عندما يدعُو داعِي الجهادِ في سبيل اللهِ يلزمُ نفسَهُ بالدخولِ في القتالِ لإعلاءِ كلمةِ اللهِ، والدفاعِ عنْ حرماتِ المسلمينَ والدفاعِ عن دينِ اللهِ فدائماً النفسُ أمَّارةٌ بالسوءِ إلاَّ ما رَحِم ربِّي فيجبُ على المسلمِ أنْ يجاهدَ نفسَهُ دائماً وأبداً على طاعةِ اللهِ سبحانَهُ وتعالَى، وكذلكَ يجاهِدُ أهلَه بإلزامِهم بطاعةِ اللهِ، وإبعادِهم عن محارمِ اللهِ؛ لأنهُ راعٍ عليهم ومسؤولٌ عن رعيتهِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا﴾ [التحريم: ٦] وجهادُ النفسِ هو أصلُ جميعِ أنواعِ الجهادِ، وهو أولُ مراتبِ الجهادِ فإذا لم يَنْجَحْ الإنسانُ في جهادِ نفسِهِ فإنهُ لا ينجحُ في جهادِ غيرِها، ثم بعدَ ذلكَ بعدَ جهادِ النفسِ، وهو كثيرٌ وكثيرٌ جهادُ الشيطانِ العدوُّ الذي يريدُ أَنْ يُهلكَ الإنسانَ فجهادُ الشيطانِ يكونُ بمعصيتِهِ بتركِ ما يأمرُ بهِ وفِعلُ ما يَنْهى عنهُ؛ لأنهُ يأمرُ بالفحشاءِ والمنكرِ، يأمرُ بمعصيةِ اللهِ فالمسلمُ يجاهدُهُ برفضِ أوامِرِهِ وفعلِ نواهِيهِ؛ لأنَّ الشيطانَ ينهَى عن طاعةِ اللهِ، ينهى عن الصلاةِ، ينهىَ عن جميعِ الطاعاتِ فيعصيَهُ المسلمُ فيما ينهَى عنه، وكذلكَ الشيطانُ يُسَولُ للإنسانِ ويزينُ له المعاصِي ويكرِّهُ إليهِ الطاعاتِ فالإنسانُ يَعصيهِ ولا يُطيعهُ فيما يزينهُ لَهُ مِنْ القبائحِ، وفيما يُكرِّهُهُ إليه من الطاعاتِ؛ لأَنهُ عدوُّهُ يريدُ لَهُ الهلاكَ، والشيطانُ يجري من ابنِ آدمَ مجرَى الدم سلَّطَهُ اللهُ من أَجْلِ الابتلاءِ والامتحانِ ولكنَّهُ والحمدُ لله ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠﴾ [النحل: ٩٩] فإذا أطاعَ المُسلمُ ربَّهُ وآمنَ بربهِ ـ عز وجلَّ ـ وأطاعَهُ فإنَّ اللهَ يَعصِمُهُ من الشيطانِ «إن

عبادِي ليسَ لكَ عليهِم سلطانٌ إلاَّ من اتبعَكَ من الغاوين» فلا نجاةَ من عداوةِ الشيطانِ إلاَّ بطاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ والإيمانِ باللهِ عز وجلَّ فليكنِ المسلمُ على حذرٍ من عدوهِ الشيطانِ لأنهُ يأتيهِ من كلِّ وجْهٍ ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾ [الأعراف: ١٧] فهو يأتي من كل طريقٍ، ومن كل اتجاهٍ فيجبُ على المسلمِ أنْ يكونَ على حذرٍ منه وأن يسدَّ عليه جميعَ الطرقِ، ومن أنواعِ الجهاد: جهادُ العصاةِ من المسلمينَ ويكون بالأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، والدعوةِ إلى اللهِ بالتي هي أحسنُ لأنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالَى أوْجَبَ على المسلمِ أنْ يأمُرَ بالمعروفِ، وأنْ يَنْهى عن المنكرِ بحسَبِ استطاعتِهِ. قال ﷺ: «مَنْ رأَى منكُم منكراً فيغيِّرهُ بيدِهِ فإنْ لَمْ يستطعْ فبلسانِهِ فإنْ لم يستطعْ فبقلبِهِ وذلكَ أضعفُ الإيمانِ»[1]. ومن أنواعِ الجهادِ: جهادُ المنافقينَ، وهمُ الذينَ يُظهرونَ الإيمانَ ويبطنونَ الكفرَ ويكيدونَ للمسلمينَ ويحاولونَ أذيَّةَ المسلمينَ، وينخرُونَ في صفوفِ المسلمينَ يتصيدونَ لهمُ العثراتِ، ويريدونَ أَنْ يشيعُوا الفواحشَ بَيْنَ المسلمينَ هؤلاءِ همُ المنافقونُ قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى فيهم: ﴿ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤ ﴾ [المنافقون: ٤] يجاهدُهُم المؤمن بالردِّ عليهِم ودَحْضِ شُبُهاتِهم بلسانِهِ وبقلمهِ وبِنَشْرِهِ للعلمِ النافعِ فيجاهدُ المنافقينَ باللسانِ وذلكَ بالردِّ على شُبُهاتِهِم، وكشفِ مَخَازِيهم وتحذيرِ المسلمينَ منهم، وهم مُنْدسُّونَ في صفوفِ المسلمينَ وهم عَدُوٌّ داخليٌّ يجبُ الحذرُ منهم غايةُ الحذرِ، قد يكونُون أصدقاءَ للمسلمِ، قد يكونونَ أقاربَ لِلمسلمِ، قد يكونونَ جيراناً من جيرانِ المسلمِ، فليأخذْ حِذْرَهُ

---

(١) مسلم (٧٠)، الترمذي (٢٠٩٨).

منهم دائماً وأبداً، وجهادُالكفار بالسلاحِ. وخوضِ المعاركِ ولقاءِ العدوِّ، وهذا هو أشَقُّ أنواعِ الجهادِ؛ لأنَّ الإنسانَ يلاقي الموتَ ويلاقِي المشاقَّ فيحتاجُ إلى إيمانٍ قويٍّ وإلَى عزيمةٍ صادقةٍ عندمَا يدعُو داعِ الجهادِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[التوبة: ٣٨ـ٣٩] واللهُ سبحانَهُ وتعالَى يبتلِي المسلمينَ بالكفارِ، من أَجلِ أنْ يَظْهرَ صدقُ المؤمنِ في إيمانِهِ ويظهرَ كذبُ المنافقِ في دعْواهُ بالإيمانِ ﴿ ذَٰلِكَۖ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٤﴾ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ﴿٥﴾ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴿٦﴾ ﴾ [محمد: ٤ـ٦] فاللهُ سبحانَهُ وتعالَى ابتلى المسلمينَ جماعاتٍ وأفراداً بهذهِ الأعداءِ المتكاثرةِ، النفسِ الأمارة بالسوءِ، الأقارب المنحرفونَ، العصاة والفساقُ من المسلمينَ، المنافقونَ، الكفارُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [التوبة: ٧٣] فلا يجوزُ للمسلمِ أنْ يستسلمَ أبداً، ولْيعلمْ أنهُ في جهادٍ في جميع لحظاتهِ وفي جميعِ حياتِهِ وفي جميعِ ساعاتِهِ هو في جهادٍ مع هذِهِ الجبهاتِ المفتوحةِ عليهِ، فكيف يطيبُ للإنسانِ العيشُ، ويطيبُ للإنسانِ الأكلُ والشربُ وهو بينَ هذهِ الأعداءِ المحيطةِ بهِ، فعليهِ دائماً وأبداً أنْ يكونَ على أُهبةِ الاستعدادِ لجهادِ هذه الأعداءِ التي تحيطُ بهِ من كلِّ جانبٍ، بل هي في داخلِ نفسهِ فإذَا أخْلَدَ الإنسانُ إلى الراحةِ وإذا نسيَ الجهادَ تسلطَتْ عليهِ هذهِ الأعداءُ وتكالبَتْ عليهِ فانسَاقَ وراءَها وانسلخَ من الإيمانِ، ولا حولَ ولا قوةَ إلاَّ باللهِ.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [النساء: ٧٦] باركَ اللهُ لِي ولكُم بالقرآنِ العظيمِ. . .

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وأشهدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ قيومُ السمواتِ والأرضينَ وأَشهدُ أَنَّ محمداً عبدُهُ ورسُولُهُ أفضلُ الأنبياءِ والمرسَلِين صلَّى اللهُ عليهِ وعلى أصحابهِ والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ وسلَّم تسليماً كثيراً، أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقُوا اللهَ تعالَى واعْلَمُوا أنكُم في هذه الدنيا في دارِ ابتلاءٍ وامتحانٍ، وأنَّ عدَّوكُم الكافرَ يغزوُكُم بكلِّ سلاحٍ يغزوكُم بسلاحِ القوةِ والمخترعاتِ والمدمراتِ بالقتلِ والتشريدِ والتخريبِ ويغزوكُم بسلاحِ الشهواتِ ويغزوكُم بسلاحِ الفضائياتِ التي ملأتْ أجواءَ المسلمينَ اليومَ، وتسللتْ إلى بيوتِهم تحملُ لهم الشرورَ تحملُ الإلحادَ والكفرَ وتحملُ الإباحيةَ بجميعِ معانِيها، وتحملُ العُهْرَ والفسادَ، وتحملُ كلَّ مكروهٍ وكلَّ مكرٍ وكلَّ خديعةٍ للمسلمينَ فعلى المسلمينَ أنْ ينتبهُوا الجهادِ أَعدائِهم يجاهدونَهم بالحجةِ والبيانِ ويجاهدونَهم بالسيفِ والسِّنانِ، حتى يردَّ اللهُ كيدَهُم في نحورِهم ويكفي المسلمينَ شرورَهُم واعلموا عبادَ اللهِ، أنَّ الإنسانَ لا يستطيعُ الجهادَ في هذِهِ الجهاتِ المفتوحةِ أمامَهُ إلاَّ إذا أمدَّهُ اللهُ بمددٍ من عندِهِ، واللهُ سبحانَهُ وتعالَى أمدَّنا بمددٍ عظيمٍ إذا تمسكْنا بِهِ انتصرنَا أمدنا بكتابِهِ الكريمِ وأمدَّنا ببعثةِ نبيهِ ﷺ

وسنتِهِ، وبينَ لنا طريقَ النجاحِ والفلاحِ، وحذَّرنا من طريقِ الهلاكِ، اللهُ سبحانَهُ وتعالَى أمدَّنا بالقوةِ، وأمدَّنا بالإيمانِ والإسلامِ الذي لا يوجَدُ عند الكفارِ ولا يوجَدُ عندَ جميعِ أهلِ الأَرضِ هذه القوةُ العظيمةُ لا توجَدُ عند الكَفَرةِ والملاحِدَة وهي قوةُ الإيمانِ الذي بهِ تُهزمُ الجموعُ هذه القوةُ عندَ المسلمينَ خاصةً إذَا هُم استعملُوهاَ، وجاهَدُوا بها، وكذلكَ الاستعانةُ باللهِ عزَّ وجلَّ فإنهُ لا حولَ ولا قوةَ للإنسانِ إلاَّ باللهِ عزَّ وجلَّ، وكذلكَ الصبرُ والاحتسابُ فإنَّ الذي لا صبرَ لهُ لا يبقَى على الجهادِ ولا يقوى على الاستمرارِ في الجهادِ بَلْ ينهزمُ عند أولِ كتيبةٍ من كتائبِ الأَعْداءِ إنما يَثْبُتُ أَهْلُ الصبرِ كما قال موسَى عليه الصلاةُ والسلامِ لبنِي إسرائيلَ أمام عَدُوِّهم فرعونَ ﴿ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٨] وكذلك الإكثارُ من ذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ فإنَّ ذكرَ اللهِ يُحيي القلبَ ويزكِّي النفسَ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨] وكذلك ذِكْرُ اللهِ يطردُ الشيطانَ فإنَّ الشيطانَ وسْواسٌ خناسٌ إذا غفلَ الإنسانُ عن ذكْرِ اللهِ وسوسَ لهُ ودَنا منهُ، وإذَا ذكرَ اللهَ انخنسَ عنهُ وابتعدَ، واللهُ سبحانَهُ وتعالَى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٥ـ٤٧] إننا في معترَكِ الجهادِ في هذه الحياةِ، لا يظنُّ أحدٌ أنَّ الجهادَ مقصورٌ على حملِ السلاحِ والوقوفِ في وجهِ العدوِّ، نعمْ هذا جهادٌ ولكنَّ الجهادَ أكثرُ من ذلكَ فالمسلمُ دائِماً في جهادٍ مع أَعداءٍ كثيرةٍ قريبةٍ وبعيدةٍ، فعليهِ أَنْ يستشعرَ دائماً وأبداً أنَّهُ

مُحاطٌ بالأعداءِ وأنَّه بحاجةٍ إلى حملِ السلاحِ المعنويِّ وهو الإيمانُ باللهِ عزَّ وجلَّ وتقوى اللهِ، والسلاحِ الحسيِّ وهو المذكورُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ واعلمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . .

* * *

في تكريمِ الإنسانِ على غيرِهِ مِنَ المخلوقاتِ

الحمدُ للهِ القائل في مُحكَمِ كتابه المُبينِ: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠ ﴾ [الإسراء: ٧٠]، وأشهدُ أنْ لا إله إلاَّ الله وحدَهُ لا شريكَ له في ربوبيتهِ وإلهيتهِ وأسمائِه وصِفَاتِه، وأشهدُ أَنَّ محمداً عبدُه ورسولُه بعثَهُ بين يديْ الساعةِ بشيراً ونذيراً وداعياً إلى اللهِ بإذنه وسراجاً مُنيراً. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً كثيراً. أما بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقوا الله تعالى وأطيعوه، واعلمُوا أَنَّ الله سبحانه وتعالى كَرَّم بني آدمَ وسخَّر لهم ما يحملُهم في أسفارِهم وتنقلاتِهم سخر لهم ما يحملُهم من الفُلْكِ والأنعامِ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [الإسراء: ٧٠] وكما قال سبحانه ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [يونس: ٢٢] وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤ ﴾ [الزخرف: ١٢ـ١٤] وغير ذلكَ مِنَ الآياتِ التي تدلُّ على عظيمِ فضلِ اللهِ على بني آدَمَ.

عبادَ اللهِ، إن هذه نعمٌ عظيمةٌ، هذه المَركوباتُ البريةُ والبحريةُ والجويةُ، هذه المركوباتُ السريعةُ التي اختصرَتِ المسافاتِ، وقرَّبتْ بين المتباعداتِ وهذه الطرقُ المعَبَّدةُ المسهَّلةُ التي يسَّرها اللهُ لعبادِه في هذه الأزمنة، إنها نعمٌ عظيمةٌ يجب شُكرُها واستعمالُها بالطريقة النافعةِ إلا أن بعضَ الناسِ أو كثيراً من

الناسِ أساؤوا استعمالَها، أساؤوا استعمالَ هذهِ المركوباتِ وأساؤوا استعمالَ هذه الطرقِ السهلةِ، فلم يتقيدُوا بقواعدِ السَّيرِ ولمْ يتحكمُوا في هذهِ المركوباتِ على ماينبغي ومايقلل من حَوادِثها المروعة، لقد أساؤوا استعمالَها، مما نتجَ عن ذلكَ تَلفِيَّاتٌ عظيمةٌ في الأنفسِ وفي الأموالِ، واللهُ ـ جلَّ وعلا ـ حرَّم الأنفسَ والأموالَ، فجعلَ لها حُرمةً عظيمةً وجعلَ لها قيمةً تجبُ مراعاتُها والتقيد قال سبحانهُ وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [النساء: ٢٩ـ٣٠]. لقد تهوَّرَ كثيرٌ ممنْ يقودُون هذه السياراتِ تهوروا في سَيرِهم، مما نتجَ عنه حَوادثٌ مروعةٌ ذهبَ بسببِها كثيرٌ من الأنفسِ في هذه البلادِ الآمنةِ، ذهب كثيرٌ مِنَ الأنفسِ تعدُّ بالآلافِ في مدارِ السَّنَةِ وأكثر منها من المعَوَّقِين الحَسِيرين الكَسِيرين الذين أَصبحُوا لا يطيقُون الحركةَ والمشيَ بعد أنْ كانوا أقوياءَ، بسببِ هذه الحوادثِ التي تنتجُ عن تهورِ هؤلاء المُسْرِفين في سَيرِهِم والذين لا يقدِّرُون العواقبَ، ولا ينظرُون في مصالحِ أنفسِهِم وفي مصالح غيرِهم. إنها مآسٍ عظيمةٌ تسمعُون عنها دائماً وأبداً وترونَها، فقد يخرجُ الرجلُ بعائلتهِ ولا يرجعُ منهم أحدٌ، وقد يحملُ أنفساً كثيرة معهم في سَيَّارته فيحصلُ من نتيجة تهورِه تلفُ هذه الأنفسِ كلِّها مما يُعدُّ بالعشراتِ كما تعلمُون ذلكَ وتسمعُونه. فكم من بيتٍ أُغلِقَ، وكم من أطفالٍ يُتِّمُوا بعد أن فُقِدَ عَائِلهُم، وكم من أحزانٍ وكم من هُمومٍ وكم من أوجاعٍ وكم من مصائِبَ نتجتْ عَن هؤلاءِ المتهورينَ في قيادةِ السياراتِ، فليتقِ اللهَ هؤلاء فإنهم يتحملُونَ أوزار هذه الأنفسِ التي تسبَّبُوا في إتلافها، لأنهم تسبَّبُوا في إتلاف أنفسٍ محرَّمة يُسألُون

عنها أمام اللهِ سُبحانَهُ وتعالى ولذلكَ أوجبَ الله القصاصَ على مَنْ تعمَّدَ قتلَ النفسِ المعصومةِ وأوجبَ الدِّيةَ والكفارةَ على مَنْ قَتَلَ نفساً معصومَةً خطأً فإذا كانَ الخطأُ فيه الكفارةُ «وهي عتقُ رقبةٍ» فَمَنْ لم يجدْ فصيامُ شهرين متتابعين توبةً من اللهِ فما بالُكم بمَنْ يذهبُ معه أنفسٌ كثيرةٌ تبلغُ العشراتِ وأكثرَ، كيفَ يؤدِّي هذه الكفاراتِ أو يتركُها ويتساهلُ فيها فتبقى في ذِمَّتِهِ؟ كيفَ يتحملُ أوزارَ هؤلاءِ الأيتامِ وهذه العوائِلِ وهذه الأرامِلِ التي تسبَّبَ في فقدانها لأوليائها والقائمينَ عليها؟ إنها مسؤُوليةٌ عظيمةٌ.

يا قائدَ السيارةِ، تذكَّرَ حين تحركُها ومعكَ أنفسٌ بريئةٌ أنَّك مسؤُولٌ أمامَ اللهِ عن هذه الأنفسِ التي تحملُها ومسؤُول أمامَ الناسِ ومسؤُولٌ أمامَ أقاربِ هؤلاءِ الذينَ تحملِهُم فتحمَّلْ هذهِ المسؤوليةَ، ومسؤولٌ أولاً وقبل كُلِّ شيءٍ عن نفسِكَ فاتقِ اللهَ وأحسِنِ التصرفَ ولا تتهوَّرْ مع المتهورينَ، كثيرٌ من السائقين لا يتقيدُ بقواعدِ السيرِ ولا يتقيدُ بتعليماتِ المرورِ بَلْ ينْسَى هذا كُلَّه. كثيرٌ من السائقينَ لا يُحْسِنُ القيادةَ ويستلِمُ هذه الآلةَ المدمِّرة ويقودهُا وهو لا يُحسِنُ قيادتَها، كثيرٌ مِنْ السائقينَ لا يتفقدُ السيارةَ قبلَ تحريكِها لا يتفقدُ أحوالَ هذه السيارةِ قد يكونُ فيها عَطَبٌ قد يكونُ فيها عُطْلٌ قد لا تصلُحُ للسيرِ عليها وهو لا يتفقدُها ولا يُبالي بها فينتجُ عن ذلكَ ما تعلمونَهُ مِنِ الحوادثِ والكوارثِ المروعةِ التي تتكررُ في حياةِ الناسِ وتتناقَلُها الأخبار، ولا مِنْ مُتعظٍ ولا من مُنْزَجرٍ عن هذِهِ الأمورِ بل لا يزالُونَ مُستمرينَ في تهورِهم، وفي إهمالِهم وتفريطهم، وفي تحمُّلِهم لهذهِ النفوسِ التالفةِ أو هذهِ النفوسِ المُقْعدةِ العاجزةِ عن الحركةِ العاجزةِ عن الكسبِ وطلبِ الرزقِ إنها مَآسٍ عظيمةٌ ومسؤولياتٌ عظيمةٌ. فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ، اتقوا اللهَ في هذه الأنفسِ البريئةِ، اتقوا اللهَ في أنفُسِكُم واتقوا اللهَ في إخوانِكم، اعلمُوا

أنكم تتحملُّون مَسؤوليةً عظيمةً حينما تحرِّكُونَ هذه الآلياتِ إذا لم تتقيدُوا بأوامرِ السيرِ وقواعِد السيرِ إذا لمْ تُحسِنوا القيادةَ، بعضُ الناسِ قد يقودُ السيارةَ وهو نائمٌ أو ينعِسُ يريدُ الوصولَ إلى البيتِ ولكنه يصلُ إلى القبرِ، يريدُ أن يبيتَ عند أهلِه أو يبيتُ في بيتِهِ فيبيتُ في القبرِ بسببِ سُرعته وجُنونه وتهوُّرِه وعَدمِ مبالاتِه، فعليكم جميعاً أن تتقوا اللهَ في أنفسِكُم، وأن تتقوا اللهَ فيمَنْ يَصحبُكم مِنَ العوائلِ ومِنَ الرجالِ والنساءِ. فلتتقُوا اللهَ فيهم فإنهم أمانةٌ تحملتمُوها، وأنتمْ مسؤولونَ عنها، لا يُقالُ هذا حَادِثٌ انتهىَ وسَمَحَ أهله، بعضُ الناسِ يظنُّ أنهُم إذا سَمَحوا وانتهتِ القضيةُ أنه ينتهِي حِسَابُه عند اللهِ سبحانه وتعالى. فعليكَ أن تتذكر أنكَ واقفٌ أمام اللهِ، ومَسؤولٌ عن تصرفاتِكَ هذهِ، ومَسؤول عمَّا نتجَ عن فِعلِكَ فحاسِبْ نَفْسِكَ وتُقَيَّدُ بقواعِد السيرِ واستعمِلِ الرِّفق. بعضُ الناسِ إذا أمْسَكَ قيادةَ السيارةِ، فإنه يَنْسَى أنه بين حَدِيدٍ ونارٍ ينسَىٰ أنَّهُ يحملُ أنفساً مَسؤولاً عنها أمامَ اللهِ سُبحانه وتعالى فيُسرعُ السُّرعةَ الجنونيةَ أو يتصادمُ مَعَ الآخرينَ وليتَ أنَّ تفريطَهُ وليت أنَّ إهمالَهُ اقتصرَ على نفسِه، ولكنه يتعدَّىٰ إلى الآخرينَ يتعدَّى إلى منْ مَعه من الرُّكابِ يتعدَّى إلى السياراتِ الأُخرىٰ يروعُ المسلمينَ في عملِهِ هذا فليتقِ اللهَ هؤلاءِ، وليتعقلُوا وليعلَمُوا أنَّ قيادة السيارةِ مَسؤوليةٌ وأمانةٌ وحمالةٌ، وأنَّ لها نتائجُ، وأنَّ لها عواقبَ، وأنَّ لها حِسَاباً عندَ اللهِ سُبحانه وتعالى، فليتقِ هؤلاءِ في أنفسِهم ألا يتهوَّروا في قيادةِ السيارةِ، ألا يقودُوها وهُم لا يُحسِنون القيادةَ ألا يقودُوها وهُم في حَالَةٍ لا تسمحُ لهم بقيادةِ السيارةِ، كأنْ يكونُ في طريقٍ ضَيِّقٍ أَوْ في مُلْتَقى سياراتٍ أو يكونُ يغالِبُه النعاسُ أو غير ذلكَ مِنَ الأمورِ العَوارضِ التي ينتجُ عنها كثيرٌ مِنْ هذه الحوادثِ المرَوعةِ.

إنَّ هذه الحوادثِ لم تأتِ من فراغٍ، إنما جاءَتْ بأسبابِ بني آدمَ، وإهمالِ

بني آدمَ فهم الذينَ تسبَّبوا فيها وهُم الذينَ تساهلُوا في شأنِها وهم الذينَ تحمَّلُوها، وهم الذينَ فرَّطُوا وضَيَّعُوا ويظنون أنَّ الأمورَ قد انتهت وأنه حادثٌ قد انتهَى، ولا يعلمون أن هناكَ حساباً أمام الله سبحانه وتعالى، ولا يعلمونَ أن هناك من العوائِل ومِن الأطفالِ ومن الأراملِ مَنْ تأثَّرَ بهذهِ الكوارثِ وأصيبَ بالفقرِ وأُصيبَ بالعَوَزِ وأُصيبَ بفَقْدِ عَائِلهِ، فليتذكرِ الإنسانُ كُلَّ هذا وليتقِ اللهَ في نفسهِ، ليحتطْ لنفسِه في هذه الأمور فإنها مَسؤوليةٌ عظيمةٌ، تسمعونَ الأخبارَ وتعقدُ الأسابيعُ للمرورِ، وتُعْرَضُ أمامُكم نماذجُ من هذه السياراتِ المهشَّمَةِ والمحطَّمةِ لتعتبرُوا وتتعظُوا، ولكن أينَ مَنْ يتعظُ ويعتبرُ إنها تُصبحُ أموراً عاديةً عند كثيرٍ من الناسِ، فاتقوا اللهَ في أنفسِكُم واتقوا اللهَ في إخوانِكم واتقوا اللهَ في مُواطنِيكُم، اتقوا اللهَ، فإنَّ الله سُبحانه وتعالى رقيبٌ لا يغفلُ حَسِيبٌ لا يُهْمِلُ سبحانه وتعالى، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [النساء: ٢٩ـ٣٠]. باركَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ....

الخطبةُ الثانيةُ

الحمد لله على إحسانه، وأشكره على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له وأشهد أن محمداً عبده ورسُوله ـ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ـ وسلّم تسليماً كثيراً، أما بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقوا الله سبحانه وتعالى واعلمُوا أنه يجب على كل مَنْ يحركُ سيارةً، ويقودُ سيارةً أن يتقيَّدَ بتعليماتِ المرورِ، يتخذ الأسبابَ الواقية ولا يهملْ بسمعِ تعليماتِ المرورِ التي تكرر عليه في وَسائلِ الإعلامِ، ومن خلالِ رجالِ المرور الذين يقِفون على الطُرقِ ويراقبونَ السياراتِ وكذلكَ يتقيدُ بربْطِ الأحزمة التي هي سَببٌ للنجاة بإذنِ اللهِ، والتي يؤكدُ أصحابُ الخبرةِ على جَدواها وعلى ربطِها عند السيرِ للسائقِ وللركاب الذينَ معه، فإن هذا من الأسبابِ الواقيةِ بإذنِ اللهِ سبحانه وتعالى، وكذلكَ يتقيدُ بالوقوفِ عند الإشاراتِ؛ لأن بعضَ الناسِ يتساهلُون في أمورِ الإشاراتِ وهي مذابحُ. كَمْ حَصَلَ عندها مِنْ حوادثَ مروعةٍ بسببِ السرعةِ، وبسببِ عدم التقيدِ بإشارةِ المرورِ فتجدُه يُهاجمُ الآخرينَ فإذا رأى أن الإشارةَ ستُغْلَقُ قبلَ أَنْ يصلَ إليها أسرَعَ ثم تجاوَزَها بسرعةٍ، وربَّما يُصادِفُ سيارةً أخرىٰ، فتحصُل الكارثةُ، قد يصادِفُ سيارةً قد فُتِحَتْ لها الإشارة وسَمَحَ لها بالمرورِ فيأتيَ هذا المتهوِّرُ الذي خالفَ قواعدَ المرورِ فيضربُ هذه السيارةَ، وربما يتلَفُ هو ومُقابِلُه ومَنْ معهُما. إن هذه قضيةٌ عظيمةٌ، عليكُم بالرفقِ فقد يُسرعُ الإنسانُ وإلى أين يسرع؟ يسرع إلى القبرِ. وهو يُريدُ أن يصلَ إلى غرضهِ وإلى بيته، لكنَّ المقاديرَ تحمِلُه إلى القبرِ وهو المسؤولُ لأنَّهُ تساهلَ ولَمْ يَتخذِ الأسبابَ الواقيةَ، فأمورُ الإشاراتِ الضوئيةِ التي على مُفْتَرَقِ وملتقى الطُرقِ لها شأنٌ عظيمٌ. عليكَ بالرفقِ. لا تسرعْ، فإذا رأيتَ أنها قد تنغَلِقُ فقفْ حتى ولو قبل أَن تنغَلِقَ قِفْ عندها، وبعضُ الناسِ يقطعُ الإشارةَ ولو كانَتْ منغلقةً يقطعُ الإشارةَ ويسرع كالسهمِ الخاطفِ، ولا يبالي بمَنْ أمامَه مِنَ الناسِ. يا أخي ما الذي حَمَلَكَ على هذا؟ لماذا لا تنتظرُ ثانية أو دقيقة أو خمسَ دقائقَ إلى أن يُفْتَح لك الطريقُ ويُسمَحَ لكَ بالمرورِ وتسلَمَ أنتَ ومَنْ معكَ ويسلَمَ مُقابلُكَ مِنَ

المسلمينَ ومِنَ المعصومينَ؟! . فاتقوا اللهَ في هذه الأمورِ التي يتساهَلُ فيها كثيرٌ مِنَ الناسِ، ويظنُّونَ أنها يَسِيرةٌ وينتجُ عنها حوادثُ خطيرةٌ.

ثم اعلموا عبادَ اللهِ أنَّ خيرَ الحديثِ كتابَ اللهِ. . . . .

* * *

في التحذيرِ منَ المعاصِي وعقوباتِها

الحمدُ لله مُعِزِّ مَنْ أطاعَه واتقاه. ومُذِلِّ مَنْ خالَفَ أمْرَهُ وعَصاه، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحدَهُ لا شريكَ له ولا نعبدُ إلاَّ إياه، وأشهد أن محمداً عبدهَ ورسُوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَنْ اتبعَهُ ووالاه، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعدُ:

أيُّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى وتدبرُوا واعتبِروا بما قَصَّ اللهُ عليكم مِنْ أحوالِ الأمَمِ الغابرةِ، وما أحلَّ الله بهم من العُقوباتِ والنكباتِ بسبَبِ كُفرِهم ومَعَاصِيهم وإعراضِهم عن طَاعةِ اللهِ ورُسُلِه. فاللهُ سبحانه وتعالى أهلكهم، ولم يبقَ إلا أذكارُهم وديارُهم عِبرةً للمعتبرينَ، كما قصَّ الله عليكُم من نبأِ قومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ والذينَ مِنْ بعدِهم لا يعلمُهم إلا اللهُ ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠].

واعتبرُوا بما يَحِلُّ بالأمَمِ المعاصرةِ مما تسمعُونهَ مما يَحُلُّ بهم مِنَ النكباتِ من الزلازلِ والبراكينِ المروعةِ ومِنَ الأعاصيرِ المدمرةِ ومن الفيضاناتِ المغرقةِ والحروبِ الطاحنةِ التي تجتاحُ ديارَهم وتشرّدُهم، وتُهلكُ الكثيرَ منهم كل ذلكَ بسببِ الكُفرِ والمعاصِي: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦] ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ

لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المرسلات: ١٦ـ١٩] وكانت هذهِ البلادُ تعيشُ بأمنٍ واستقرارٍ ورَغَدٍ من العيشِ بسببِ تمسُّكِها بكتابِ اللهِ وسنةِ رسولِ الله ﷺ وتحكيمِ الشريعةِ فكانت تمتازُ على سَائِرِ أهلِ الأرضِ بما وفّرَ اللهُ لها من الأمنِ والأرزاقِ، ولكن بدَرَت في الآونةِ الأخيرةِ منها أفعالٌ وتغييراتٌ يُخْشَىٰ أن يُغيرَ اللهُ تعالى عليها كما قال سبحانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٣] كَثُرَ التهاونُ في الصلاةِ التي هي عمود الإسلام، كثر أكلُ الرِّبا الذي أعلنَ اللهُ الحربَ على مَنْ اللهُ، ولعن النبيُّ ﷺ «آكِلَهُ ومُؤكِلَهُ وشَاهِدِيَه وكَاتِبَهُ»[١]، كَثُرَ تمرُّدُ النِّساءِ وخروجهنَّ على الآدابِ الشرعيةِ فظهرَ فيهنَ السُّفُورُ والتبرجُ والاختلاطُ بالرجالِ، وصَارَ هناكَ مَنْ يطالبُ بإزالةِ الفوارقِ بينهُنَّ وبينَ الرجالِ، وهذا مُؤْذِنٌ بعذابٍ ومؤذن بتغييرٍ مِنَ اللهِ سبحانه وتعالى، فتكون هذه البلادُ كغَيرِها مِنَ البلدانِ التي غيَّرَ اللهُ عليها، وما سمعتمُوه الآنَ مِنَ الوباءِ الغامضِ الذي هَلَكَ به كثيرٌ مِنَ الناسِ في أطرافِ هذه البلادِ وحَواليها ما هُوَ إلاَّ منذرٌ لأهلِ الإيمان بأنْ يتوبُوا إلى اللهِ سُبحانه وتعالى، إنَّهُ مرض خفَيٌّ لمْ يتوصلْ إلى سَبَبِه إلاَّ ما يزعمُون إنه نَوْعٌ مِنَ الحُمَّى تنقُلُه البَعُوضُ إلى الناسِ. فانظروا يا عبادَ اللهِ كيفَ ضَعُفَ بنوُ آدَمَ أمَامَ البعوضِ، إذا سَلَّطَ اللهُ عليهم جُنداً مِن جُنودهِ، ولو كانَ هذا الجندُ ضعيفاً كالبعوضِ فإنَّ الناسَ لا يستطيعونَ مُقاومَتَهُ، إنهم يرشُّونَ عليه المبيداتِ بالطائِراتِ ولكنَّه ينمُو ويزيدُ، وإذا سلَّطَه اللهُ عليهم فلنْ يستطيعُوا الخَلاصَ منه إلا بالتوبةِ إلى الله سُبحانه وتعالى، ثُمَّ إن

---

(١) الترمذي (١١٩٧)، ابن ماجة (٢٢٦٨)، أحمد (٣٥٣٩).

بعضَهُم يتبجَّحُ بكلماتٍ قبيحةٍ ويقولُ قضينَا على المرضِ، سيطرْنَا على المرضِ، وما أشبهَ ذلكَ من الألفاظِ المحرمةِ، الواجبُ على المسلمينَ أنْ يتضرَّعُوا إلى اللهِ وأنْ يتوبُوا إلى اللهِ ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٣] فالواجبُ عند نزولِ مِثلِ هذا المرضِ وهذا الوباءِ، الواجبُ على المسلمينَ أن يتوبُوا إلى اللهِ وأن يتضرعُوا إليه ولا بأسَ أن يتخذُوا الوقايةَ النافعةَ ولا بأسَ أن يتداوَوْا بالأدويةِ المُباحَةِ؛ لأنَّ ذلكَ سببٌ مِنَ الأسبابِ التي أمرَ اللهُ بإتخاذِها ولكنْ أن نُعجَبَ بأنفسِنا وقوتِنا، ونقولَ: سيطرنَا على المرضِ، قضينَا على المرضِ، قهرنَا المرضَ، إلى آخرِ العباراتِ القبيحةِ التي تُروَّجُ في بعضِ الصُّحفِ وعندَ بعضِ المتكلمينَ والمذيعينَ فهذَا في الحقِيقةِ يُخْشَىٰ على المسلمينَ مِن عواقبهِ الوخِيمةِ. إنه لا حَولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ، ولا ملجأَ مِنَ اللهِ إلا إليهِ ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الذاريات: ٥٠] لاشَكَّ أَنَّ هذَا المرضَ إنه بقضاءِ اللهِ وقدرِه ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الرعد: ١١] فلمْ يبقَ إلا التضرعُ إلى اللهِ سبحانه وتعالى بالدعاءِ والتوبة إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، والرجوع إليهِ بالأعمالِ الصالحةِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهي عَنْ المنكرِ، وهذا الجانبُ ضَعُفَ أو عُطِّلَ في بعضِ النواحِي، وهُوَ مُؤذِنٌ بالعذابِ ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [هود: ١١٦] إلى ما ترونَ مِنْ حَبْسِ الأمطارِ وغَورِ الآبارِ ويُبْسِ الأشجارِ وإصابة الثمارِ التي لا تخفَى عليكُم ومَا هَذَا إلا مُؤْذِنٌ ونذيرٌ ومُنبهٌ لكم لتتوبُوا إلى اللهِ سبحانه وتعالى، ولتتآمَرُوا بالمعروفِ وتتناهُوا عن المنكر فإنَّ النبي ﷺ قالَ: «لتأمُرُنَّ بالمعروفِ ولتنهوُنَّ عن المنكرِ ولتأخُذُنَّ

يَدِ الظَّالمِ ولتأطُرُنَّهُ على الحقِ أطْراً ولتُقصِرنَّه على الحقِ قَصْراً أو ليعمنَّكُم اللهُ بعذابٍ مِنْ عندِهِ»[١]. وقال عليه الصلاة والسلام فيما رُوِيَ عنه: «مَا ظهرتِ الفاحشةُ في قومٍ حتى أعلنُوها إلاَّ أخذَهم اللهُ بالطواعِينِ والأوجاعِ التي لمْ تكُنْ في أسلافِهم»[٢]. فلنتقِ اللهَ سبحانه وتعالى، ولنرْجِعْ إليه وكلُّ يحاسِبُ نفسَهُ، فالإنسانُ يحاسبُ نفسَه وكذلِكَ يقومُ على مَنْ ولاَّهُ اللهُ عليه مِنْ أهلِ بيته، ومَنْ هُو مَسؤولٌ عَنهم فيأمُرُ بالمعروفِ وينهَى عن المنكرِ ويُطَهِّرَ بيتَهُ مِنَ المعاصِي والعُصاة فإذا طَهُرَتِ البيوتُ طَهُرَ المجتمعُ، وصَارَ ذلكَ سبباً لزوالِ العذابِ وزوالِ النكباتِ التي ما حَلَّتْ بالمجتمعاتِ إلا بسبب الذُّنُوبِ والمعَاصِي، فلنتقِ اللهَ يا عبادَ اللهِ، فإن الخَطَر عظيمٌ وإنَّ البوادرَ التي ظَهَرتْ كلُّها مُؤذنةٌ بما هو أشدُّ منها وأنكَىٰ إنْ لَمْ نَتُبْ إلى اللهِ سبحانه وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم: ٦]. فلنتقِ اللهَ سبحانهَ وتعالى في أنفسِنا، ولا نُلْقِ باللائمةِ على الآخرينَ، فكلٌّ مِنَ الناسِ يُلْقِي باللائِمةِ على غيره ويقولُ: الواجبُ على فلانٍ، والواجبُ على فلانٍ، نعمَ كُلٌّ عليه واجبٌ، وأنتَ عليكَ واجبٌ فِلمَاذا تُلْقِي باللائمة على غيرِكَ وأنت لمْ تؤدِ الواجبَ الذي عليك مِنَ الأمْرِ بالمعروفِ والنهي عن المُنكرِ والنصيحةِ والموعظةِ فإنَّ كلَّ إنسانٍ مَسؤولٌ عن رعيَّتِه، ومَسؤولٌ عن نفسِه، ومسؤول عما كلَّفَه اللهُ به، ولا يُغني أحدٌ عن أحدٍ يَومَ القيامةِ، كُلٌّ يُؤخَذُ بجريرتِه وكلٌّ يؤخذُ بذنبهِ كذلك في الدنيا ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ﴾ [العنكبوت: ٤٠] ما أُخِذَ بذنبِ غيره بل أُخِذَ بذنبه هُوَ.

---

(١) أبو داود (٣٧٧٤)، ابن ماجة (٣٩٩٦) (بلفظ مقارب).
(٢) ابن ماجة (٤٠٠٩) (بلفظ مقارب).

فلنتقِ اللهَ يا عبادَ اللهِ، ولنبادِرْ إلى التوبةِ ومحاسبةِ النفوس، والقيامِ على مَنْ تحتَ أيدينا بطاعةِ اللهِ ـ عز وجل ـ والأمر بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، وإخلاء البيوتِ مِنَ المنكراتِ التي تسرِي إليها وتدخُلُها مِنْ كلِّ حَدَبٍ وصَوْبٍ إذا غَفَلَ القائمونَ عليها وضيعُوا أمانتَهُم. فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وحاسِبُوا أنفسكُم وارجِعُوا إلى ربكمُ وتوبوا من ذنوبكُم قبلَ أنْ يحلَّ بنا مَا حَلَّ بالأمَمِ الأخرىٰ. قبلَ أن تزولَ هذه النعمةُ، قبل أن نصبح كما وقع غيرُنَا بالتشريدِ والجَوعِ والأمراضِ والحروبِ الطاحنةِ والحوادثِ المروعةِ فإنَّ اللهَ سُبحانه وتعالى يَغارُ: **«لا أحدَ أغير مِنَ الله أن يزنِيَ عبدُه أو تزني أمتُه»**[1]. إنَّ الله جل وعلا يُمْهلُ ولا يُهملُ حليمٌ لا يَعْجَلُ ولكنَّه إذا أخذ القُرىٰ بظلمٍ فإنَّ أخذَهُ أليمٌ شديدٌ، فتوبوا إلى اللهِ جميعاً أيُّها المؤمنوَن، حَاسِبُوا أنفسَكُم وتناصَحُوا فيما بينكُم وليأخذْ بعضُكُم على يَدِ بعضٍ بطاعةِ اللهِ والأمرِ بالمعروفِ، والنهي عَنِ المنكرِ فإنَّ هذا واجبٌ على الجميعِ، قال ﷺ: **«مَنْ رأىٰ منكم منكراً فليغيِّرْهُ بيدِهِ فإنْ لم يستطعْ فبلسانِه فإنْ لمْ يستطعْ فبقلبِهِ وذلكَ أضعفُ الإيمانِ»**[2] فلمْ يُعْفِ الرسولُ ﷺ مِنَ الأمرِ بالمعروفِ، والنهي عن المنكرِ أحداً، ولكنه بيَّنَ أنَّ كلَّ واحدٍ يقومُ بما يستطيعُ، وآخِرُ المراتبِ أنْ يزيلَهُ بقلبِهِ وإذا أنكَرَهُ بقلبه فإنَّهُ يُبْغِضُ الشرَّ وأهلَه، ويبتعدُ عنهم ولا يتركَهُم في بيته أو تحتَ يدهِ بل يبتعدُ عنهم، ويُخْلِي بيتَهُ منهم إذا عَجَز عن إصلاحِهم وإلا فإن العقابَ يَعُمُّ الجميعَ يعمُّ الصالحَ والطالحَ قالت زينب بنت جحش رضي الله عنها للرسول ﷺ: **«أنُهْلَكُ وفينا الصالحونَ؟ قال: نعمْ،**

---

(١) البخاري (٩٨٦)، مسلم (١٤٩٩) (بلفظ مقارب).

(٢) أبو داوود (٣٧٧٧)، مسلم (٧٠)، الترمذي (٢٠٩٨).

إذا كَثُرَ الخَبَثُ»[1]. فإذا كثرَ الخبثُ هَلكَ الجميعُ هلكَ العُصاةُ بمعاصِيهم، وهَلَكَ الساكِتونَ بسكوتِهم عن الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ.

فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، وتوبُوا إليه، وارجِعُوا إلى دينكم، وإلى ما كانَ عليه أسلافُكُم من سَلَفِ هذه الأمةِ من التمسكِ بكتاب اللهِ، وسُنةِ رسول الله ﷺ والأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر. أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝ ﴾ [الحج: ٤٠ـ٤١] باركَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ......

الخطبةُ الثانيةُ

الحمد لله على فضلِهِ وإحسانِه، وأشكره على توفيقه وامتنانه، وأشهدُ أنَّ لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ـ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ـ وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقوا الله سبحانه وتعالى وأصلِحُوا ما فَسَدَ من أحوالِكم بالتوبة إلى اللهِ، والرجوعِ إلى اللهِ سبحانه وتعالى، واعلمُوا أنه ما نزلَ بلاءٌ إلاّ بذنبٍ، ولا رفع إلا بتوبةٍ ولولاَ حِلْمُ اللهِ سبحانه وتعالى وعَفْوه لرأيتُم ما يَبْهَرُ العُقولَ، ورأيتمُ من العقابِ ما لا طاقةَ لكم به ولكنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يُمْهِلُكم مِنْ أجلِ أنْ تتوبُوا، وترجعُوا إليهِ فإذا لمْ تتوبُوا ولم ترجعُوا إليه فإنه يستدرِجُكم بالنعم

---

(١) البخاري (٦٦٠٢)، الترمذي (٢١١٣)، ابن ماجة (٣٩٤٣).

كما استدرج الذين من قبلكم، ثم يأخذكم على غِرَّةٍ ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا بِمَآ أُوتُوٓا أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٥ ﴾ [الأنعام: ٤٤-٤٥] فاتقوا اللهَ عبادَ الله، وتوبُوا إلى ربكم وخذوا على أيدي سُفَهائكم وتآمروا بالمعروفِ وتناهَوا عن المنكرِ لِئَلاَّ يَحِلَّ بكم ما حَلَّ بمجاورِيكُم مِنَ الأممِ الأخرَىٰ، وما حلَّ بسابقِيكُم مِنَ الأممِ الماضيةِ فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى كما أنهُ غفورٌ رحيمٌ، فإنه شديدُ العقابِ. ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ﴾ [غافر: ٣] فلا تنسَوا أنه سبحانه وتعالى شديدُ العقابِ. ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝١٠٢ ﴾ [هود: ١٠٢] نسألُ اللهَ العافيةَ ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝٤٨ ﴾ [الحج: ٤٨].

ثم اعلمُوا رحِمَكم اللهُ أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . . .

* * *

في الشُّكرِ على نعمةِ الإسلامِ

الحمدُ للهِ على نعمه الظاهرةِ والباطنة وأجلِّها نعمةِ الإسلامِ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الرحمن: ٨٧]، وأشهد أن محمداً عبده ورسولُه أرسلَهُ إلى كافةِ الأنام صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً على الدوامِ، أما بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقوا الله سبحانه وتعالى واشكرُوه على نعمهِ الظاهرةِ والباطنةِ قال اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ [المائدة: ٣].

عبادَ اللهِ، إنَّ هذا الإسلامَ هو الدينُ العظيم الذي اختاره اللهُ لهذهِ الأمة، ولم يقبلْ ديناً سِواهُ قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥] فأيُّ دينٍ غيرُ دينِ الإسلامِ فإنه مَردودٌ عندَ اللهِ سبحانه وتعالى، والإسلام هُوَ الاستسلامُ للهِ بالتوحيدِ والانقيادُ له بالطاعة والبراءةِ من الشركِ، وأهلِه هذا هُوَ الإسلامُ، الانقيادُ للهِ بالتوحيدِ، وذلكَ بعبادتِه وحده لا شريكَ له وتركُ عبادةِ ما سِوَاه كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ ﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] والانقيادُ له بالطاعةِ فمن أسلمَ للهِ فإنه ينقادُ لطاعةِ اللهِ، فيفعلُ ما أمرَ اللهُ ويتركُ ما نَهى اللهُ عنه هذا هُو الانقيادُ، وقد بيَّنَ النبيُّ ﷺ أن هذا الإسلام ينبَنِي على خمسةِ أركانٍ،

شهادةَ أن لا إلٰه إلا اللهِ وأن محمداً رسولُ الله، وإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ وصومِ رمضانَ، وحجِّ بيت اللهِ الحرام مَنِ استطاعَ إليه سبيلاً. فهذهِ أركانُ الإسلام التي ينبني عليها وما عَدَاها مِنَ الطاعاتِ والقُرُباتِ فإنه مُكَمِّلٌ له ومُتَمِّمٌ له، ومِنْ حُقوقِه فلا يستقيمُ الإسلامُ إلا على هذه الأركانِ الخمسةِ، فلابُدَّ أنْ تَتحققَ أولاً ثم بعدَ ذلِكَ تَأتي بَقِيةُ الطاعاتِ واجتنابُ المُحرمَّاتِ، والبراءَةُ مِنَ الشركِ مَعناهَا أنْ يكفُرَ بما يُعبدُ مِن دُونِ اللهِ قال تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وكُلَّما جاءَ الأمرُ بالتوحيدِ جاء النهيُ عن الشركِ كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: ٣٦] لأنه لا يصحُّ التوحيدُ إذا خَالَطَهُ الشركَ، ولا تقبلُ العبادةُ إلا إذا كانتْ خالصةً لوجه اللهِ سُبحانهَ وتعالى، وكذلِكَ التبرؤ مِنَ المشركينَ فمنْ لَمْ يتبرأْ مِنَ المشركين، فإنَّهُ لَيْسَ بمسلمٍ؛ لأنَّ دِينَ الإسلامِ لا يجتمعُ معه دِينٌ آخرُ، لا بُدَّ مِنَ البراءةِ منَ المشركينَ ولا بُدَّ من بُغضِهم ومُعاداتِهم لأنهم أعداءُ الله ورسولِه قال سبحانه: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢٢] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الممتحنة: ١] ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة: ٥١] فالذي يقول إن اليهودَ والنصارَى يؤمنونَ باللهِ، وأنهم على دينٍ صَحيحٍ لهم أن يبقُوا عليه بعدَ بَعْثَةِ النبيِّ ﷺ وأنه يجبُ أن نتقاربَ معهم؛ لأنهم إخواننا، مَنْ يقول هذه المقالة، فإنه كافرٌ باللهِ عز وجل بنصِّ هذه الآياتِ وغيرها لأنهُ لمْ تبرأْ مِنَ المشركينَ، ومن دينهم، مَنْ صَحَّحَ ما هُم عليه

واعتبرَهُم مُؤمنِينَ باللهِ وهم كُفَّارٌ ليسوا بمؤمنينَ بالله ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التوبة: ٢٩] إنَّ هذا الإسلامَ شاملٌ للزمانِ، وشَامِلٌ في المكانِ، وشامِلٌ في الأحكامِ فهو شاملٌ في الزمان فهو دِينٌ الخليقةِ من الجنِّ والإنسِ إلى أنْ تقومَ الساعةُ لا يُنْسَخُ ولا يُبَدَّلُ ولا يُغَيَّرُ وهو شاملٌ في المكانِ، فهو دِينٌ لجميعِ أهلِ الأرضِ لا يسعُهم إلا أن يدخُلوا في هذا الإسلام فإن لم يدخُلوا في هذا الإسلام فهم كُفَّارٌ أعداءُ للهِ ورسولِه، وهُم من أهلِ النارِ مَهما كانُوا عليه من المِلَلِ والنِّحَلِ، وهو شاملٌ في الأحكامِ فهو شاملٌ لأحكامِ العَقيدةِ، وشاملٌ لأحكامِ العبادَةِ وشامِلٌ لأحكامِ المُعاملَةِ وشامِلٌ للحُكْمِ بينَ الناسِ، فهو شَامِلٌ لأحكامِ العقيدة لأنه دينُ التوحِيد والإخلاصُ للهِ سُبحانه وتعالى، وتَرْكُ الشركِ والابتعادُ عن كل ما يخالِفُ هذهِ العقيدةِ التي هيَ عقيدةُ التوحيدِ وهو شاملٌ في العبادةِ فلا تكونُ العبادةُ إلا للهِ سبحانه وتعالى؛ والعبادةُ تشمل كلَّ ما شَرَعَ اللهُ مِنَ الأقوالِ والأفعالِ الظاهرةِ والباطنةِ، وهُو شاملٌ في المعاملات يُبَيِّنُ للناسِ المعاملاتِ الصحيحةِ في البيعِ والشراءِ والمؤاجراتِ وسائِر العُقُودِ وينْهى عَنِ الغِشِّ والخديعَةِ، وينْهَى عن كُلِّ مُعَامَلَةٍ مُحَرمَّة، يُحَرِّمُ الربا ويُحَرِّمُ القِمَارَ ويُحرم الميسرَ ويحرمَ كُلَّ ما فيه خَديعةٌ وغِشٌّ وإخلالٌ بالعقودِ الصحيحةِ، وهو شاملٌ كذلك للحُكْمِ بينَ الناسِ في دمَائِهم وأموالِهم وأعراضِهم شاملٌ للحكم بينهم في هذهِ المجالاتِ وفي غيرِها شَاملٌ للحُكْمِ بالعدِل قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١١٥] وقال تعالى ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل: ٩٠]، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾

[الأنعام: ١٥٢] ﴿ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨] فهُو يحكمُ بالعدلِ بين الناسِ حتى مَع الكُفَّارِ، فإنه لا يجيزُ ظُلْمَهُم والتعدِّي عليهم بغَيرِ حَقٍّ، يأمرُ بالوفاءِ بالعهودِ ويأمرُ بكلِّ ما فيه خَيرٌ وصَلاحٌ للبشريةِ، وينهى عن كل ما فيهِ شَرٌّ وفتنةٌ وكل ما هُوَ من سَفَاسِفِ الأعمالِ وسَفَاسِفِ الأقوالِ، فهو يَشْملُ أيضاً الأخلاقَ الطيبةَ وينهى عن الأخلاقِ الرديئةِ، يأمرُ بالقولِ الحسَنِ، ويأمرُ بالصمتِ عن الكلامِ إلاَّ بالحقِ، يأمر ألا يتكلمَ الإنسانُ إلا بخيرٍ وأن يسكُتَ عن كُلِّ شَرٍّ فهو دينٌ شَامِلٌ لَمْ يترُكْ شيئاً يحتاجُه البَشَرُ في حياتِهم وفي آخرتِهم إلاَّ بينَّهُ أتمَّ بيانٍ، كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] فهو دينٌ كاملٌ شاملٌ صَالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ إلى أنْ تقومَ السَّاعةُ، وكذلِكَ هُوَ شامِلٌ لكل ما يَجدُ ويَحْدُثُ مِنَ القضايا فما مِنْ قضيَّةٍ وحَادثةٍ إلاَّ وفي الإسلامِ بيانُ حُكْمِها الحكمِ الصحيحِ المبنيِّ على كلامِ اللهِ وكلامِ رسولِه ﷺ ولَيْسَ على الآراءِ وليس على أقوالِ الناسِ وليس على القوانين الوضْعِيةِ والأنظمةِ البَشريّةِ التي هي ناقِصَةٌ بنقصهم والتي يعتَرِيها الهَوَى ويعتريها النقصُ الظاهِرُ أمَّا دينُ الإسلامِ فإنه ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٢].

أيُّها المؤمنونَ، إذا كانَ الإسلامُ ديناً كاملاً من جميعِ جَوانبه فإنَّه لا يجوزُ الابتداعُ فيه وإحداثُ شيءٍ لمْ يشْرَعْهُ اللهُ ولا رسولُه قال ﷺ: «مَنْ أحدثَ في أمرِنا هذا ما لَيْسَ منه فهو رَدٌّ»[1]. وفي رواية: «مَنْ عَمِلَ عَملاً ليسَ عليه أمرنا فهو رَدٌّ»[2]. وقال عليه الصلاة والسلام: «وإياكُم ومُحدثاتِ الأمورِ فإنَّ كُلَّ

(١) البخاري (٢٤٩٩)، مسلم (٣٢٤٢).
(٢) مسلم (٣٢٤٣)، أحمد (١٣٩٧٥).

مُحدَثةٍ بِدْعَةٌ وكُلَّ بدعَةٍ ضَلَالَةٌ»[(١)]. فهذا الدِّينُ لا يقبلُ الزياداتِ والإضافاتِ ولا يقبلُ البدعَ والمحدثاتِ؛ لأنهُ دينٌ كاملٌ غنيٌّ بأحْكَامِه وتشريعاتِه صَالحٌ للبشريةِ لا يجوزُ لأحدٍ أَنْ يُحدِثَ شَيئاً لَمْ يَشْرَعْهُ اللهُ ولَمْ يَشرعْهُ الرسولُ ﷺ ويَنْسِبُه إلى هذا الدين؛ لأن مَنْ أحدثَ في الإسلامِ شيئاً فقد اتَّهم الإسلامَ بالنقصِ، وكَذَّبَ اللهَ في قوله تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: ٣]، فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وأحمدُوه على هذه النعمة واشكرُوه وتمسكُوا بهذَا الدين، أعوذُ باللهِ مِن الشيطانِ الرجيمِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠٣ ﴾ [آل عمران: ١٠٢ـ١٠٣].

باركَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ على فضلهِ وإحسانهِ، وأشكرهُ على توفيقهِ وامتنانهِ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأَشْهدُ أَنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ـ وسلم تسليماً كثيراً. أما بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقوا اللهَ تعالى واعلموا أن للإسلامِ نواقضاً تُخْرِجُ صاحبَها من هذا الإسلامِ إلى الكُفْرِ، وهي نَواقِضُ كثيرةٌ ذكَرَها أهلُ العلمِ، وأخذُوها مِنَ

---

(١) مسلم (١٤٣٥)، ابن ماجة (٤٤)، النسائي (١٥٦٠)، أحمد (١٣٨١٥).

الكتابِ والسنةِ، أولُها وأخطرُها: الشركُ باللهِ ـ عز وجل ـ الشركُ الأكبرُ بجميعِ أنواعِه مِن دُعاء غير اللهِ أو الاستغاثةِ بغير اللهِ أو الذبحِ لغيرِ اللهِ، أو غيرِ ذلكَ من أنواعِ العبادةِ، فَمنْ صَرفَ شيئاً مِنْ أنواعِ العبادةِ لغيرِ الله، فإِنَّهُ يكونُ مشركاً كافراً خَارجاً مِنْ دِينِ الإسلاَمِ، وإنْ كَانَ يَتلفَّظُ بالشهادتينِ، وإنْ كانَ يُصلِّي ويَصُوم ويحجُّ ويَعْتمِرُ، إذا كانَ على شيءٍ مِنَ الشركِ الأكْبرِ فإنَّ أعمالَهُ بَاطِلَةٌ وتَعَبٌ بلا فَائدةٍ قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦] قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨] وكذلِكَ مِنْ نواقضِ الإسلامِ عدمُ البراءَةِ مِنَ المشركينَ فإنَّ مَنْ لَمْ يتبرأْ مِنَ المشركينَ فإنَّهُ يكونُ منهم كَمَا قالَ تعالى: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١] فالواجبُ على المسلمِ أنْ يتبرأَ مِنَ المشركينَ، واللهُ قدَّمَ الكُفْرَ بالطاغوتِ على الإيمانِ باللهِ قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦-٢٥٧] كذلكَ مِنْ نواقِضِ الإسلامِ السِّحرُ بجميعِ أنواعِه، تَعَلُّماً وتَعْليماً، وكذلِكَ مِنْ نواقضِ الإسلامِ الكَهَانَةُ وهي ادِّعاءُ عِلْمِ الغَيْبِ، وكذلكَ مَنْ يُصدِّقُ الكُهَّانَ فإنَّه يكونُ حُكْمُهُ حُكْمُهُم كما قال ﷺ: «**مَنْ أَتَى كاهِناً أو عرافاً فصدَّقَهُ بما يقولُ فقد**

كفرَ بما أُنزِل عَلى مُحَمدٍ»[١]. ونواقضُ الإسلامِ كثيرةٌ ذَكَرَها أهلُ العِلْمِ في كُتُبِ التَوحيدِ، وفي كُتُبِ الفِقْهِ فالواجبُ على المسلمِ أَنْ يقفَ عليها، وأَنْ يعرفَها خَشْيةَ أن يَقَعَ في شَيْءٍ منها، فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ وحافظوا على إسلامِكُم واعلموا أَنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ. . .

في التحذيرِ من عُقوباتِ المعاصِي

الحمدُ لله غَافِر الذنبِ وقابلِ التوبِ شديدِ العقابِ، وأشهدُ أَنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له وإليه المرجعُ والمآب، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه خيرُ مَنْ تابَ إلى ربِّه وأنَابَ، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه مِنْ كُلِّ صَالحٍ أوابٍ، وسلّم تسليماً كثيراً، أمّا بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقوا الله سبحانه وتعالى واحذرُوا مِنَ الذنوبِ والمعاصي، فإن عُقوبتها أليمةٌ وعاقبتَها وخيمةٌ، إنَّ الذنوبَ والمعاصي تؤثِّرُ في القلوبِ، وتؤثر في الأبدانِ وتؤثر في البُلدانِ، أما تأثيرُها في القلوب فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥﴾ [الصف: ٥] وقال سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾ [المطففين: ١٤] إنَ الذنوبَ تؤثر في القلوبِ بالزيغ، وتؤثر في القلوب بأنْ تعميَها عن الحقِّ وتؤثر في القلوب بأنها لا تقبلُ الهدَى، وذلك أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يَطمِسُ على قلب العاصِي فلا يأنَفُ من الذنوبِ والمعاصي، ويَنفِرُ من الطاعاتِ وذلك بسببِ أنه

(١) أحمد (٩١٧١)، الترمذي (١٢٥) (مقارب)، ابن ماجة (٦٣١).

لم يتجنبْ ما حرَّمَ اللهُ، فإن اللهَ سبحانه وتعالى إذا رأى مِنْ عَبدِه إعراضاً عن طاعته، وإقبالاً على معصيته فإنه يستدرجُه ويُعمي قلبه، فلا يأنفُ من المعاصي ولا يألَفُ الطاعاتِ فيصبحُ قلبه قاسياً فاسِداً مطموساً قد أثرتْ فيه الذنوبُ والمعاصي، كما جاء في الحديث «إنَّ المؤمِن إذا أذنبَ نُكِتَ في قلبه نُكْتَةٌ سوداءٌ، فإنْ تابَ إلى اللهِ صُقِلَتْ هذه النكتة وإنْ لمْ يَتُبْ إلى الله فإن هذه النكتةُ السوداءُ تَزِيدُ وتزيدُ حتى تُغَطِّيَ القلبَ وتعميَهُ»[1] ولا حول ولا قوةَ إلا بالله، وكذلكَ الذنوبُ والمعاصي تؤثرُ في الأبدانِ بالأمراضِ الفتاكةِ، والأوجاعِ المؤلمةِ والموتِ المفاجِيء كما تُشاهدونَ اليومَ مما حلَ بالعالمِ مِنَ النكباتِ والأمراضِ المستعصية التي لمْ تكنْ في أسلافهم، كما أخبر النبيُّ ﷺ بذلك، وأقربُ ما ترونه هذا المرض الذي حدث في أطرافِ المملكة، ولا يزالُ يسيرُ فيها ويزيدُ، فإنْ لم تتوبُوا إلى الله وترجعُوا إليه فإنه يُخْشَى أنْ يَعُمَّ هذا المرضُ جميعَ أرجاءِ المملكةِ أو ما هو أشدُّ منه، فإنه نذيرٌ مبينٌ فاتقوا اللهَ وتوبُوا إليه، وارجعوا إليه وحَاسِبُوا أنفُسَكُم، فإن الله سبحانه وتعالى يُمهلُ ولا يُهملُ، ولكنه سبحانه وتعالى يُمهل عبادَه لعلهم يتوبونَ إليه ويُنيبون إليه، وكذلِكَ للذنوبِ تأثيرٌ في البُلدانِ بالخرابِ والدَّمارِ وحَبْسِ الأمطار كما ذكرَ اللهُ سبحانه وتعالى عَنِ الأمَمِ السابقةِ، عن قوم نوحٍ وعادٍ وثمودَ والذينَ من بعدهم، فما الذي أغرق أهلَ الأرضِ حتى علا الماءُ رءوسَ الجبالِ، وما الذي أرسلَ الريحَ العَقيمَ على عادٍ فأصبحوا لا يُرَى إلاَّ مَساكِنُهم، وما الذي أرسلَ الصيحةَ على ثمودَ فكانُوا كَهَشِيم المُحتظِر؟ وما الذي أُرسِل الظُّلَّةِ على قومِ شُعيب حتى ظللهم سحاب

---

(١) ابن ماجة (٤٢٣٤)، أحمد (٧٦١١).

أسود فَخرَجُوا يُرجونَ المَطَرَ فَأَمطرَ الله عليهم ناراً تَلَظَّى؟ ومَا الذي خَسَفَ بقومِ لُوطٍ فرفَعَ ديارَهم إلى عَنَانِ السَّماءِ ثُم نكسَها عَلِيهم واتَّبعُهم بِحِجَارة مِنْ سَجِّيل؟ وما الذي أغرقَ قومَ فرعونَ؟ وما الذي حَلَّ بالأمَمِ السابقةِ؟ أليسَ هو الذنوبُ والمعاصِيْ؟ وما الذي أنزلَ آدمَ عليه السلامُ مِنَ الجنةِ، وأهبطَهُ إلى الأرضِ إلا ذنبٌ واحدٌ وقعَ منه عليه السلام ولكنَّهُ لما تابَ، تابَ اللهُ عليه، وما الذي طَرَدَ إبليس من الملأِ الأعلى وجَعلَهُ طَرِيداً لعيناً قوَّاداً إلى كُلِّ فِتنة قواداً إلى كُلِّ فاحشةِ إلا أنه أبى أن يسجُدَ لآدمَ كما أمَرهُ اللهُ سبحانه وتعالى:

تصلُ الذنوبَ إلى الذنوبِ وترتجي ... درجَ الجَنانِ بها وفَوْزَ العابدِ

ونسيـــت أنَّ اللهَ أهبـــط آدمـــاً ... مِنْها إلى الدُّنيا بذنبٍ واحـدِ

فاتَّقوا اللهَ عِبادَ الله، وحاسبوا أنفسكم، وتجنَّبُوا أسبابَ المعاصِي التي تُوقِعُكُم فيها، ومن أعظمِ أسبابِ المعاصي أكلُ الحرامِ، فإنَّ آكلَ الحرامِ يتجرؤا على معاصي اللهِ لأنه يتغذَى تغذية خبيثةً فتؤثرُ في قلبه وتؤثرُ في جسْمِه وتُعمي بصيرته، ولا يأنَفُ مَنْ فَعَل المعاصي وفعل الفواحشَ وكذلك المعاصي تُسبِّبُ مخالطة الأشرارِ ومُجالسةَ الفجار، فإنَّ للجليس تأثيراً على جليسِه:

إذا صَحبتَ قوماً فاصحبْ خيارِهُم ... ولا تصبح الأردى فتردى مع الرَّدِي

فعليكمُ باختيارِ الجلساءِ الصالحينَ، وفروا مِنْ جلساءِ السوءِ الذين يجرُونكم إلى الإثم والعُدوانِ وما أكثرهُم ـ لأ أكثرهُم الله ـ خصوصاً في هذا الزمان، وكذلك مِنْ أسباب الوقوع في المعاصي ومنْ أكبرها ما حدثَ في هذا الزمان من وسائلِ الإعلام المفسدة المدمِّرةِ التي تدمرُ العقيدة، وتدمرُ الأخلاق، وتدمرُ القلوبَ، هذه الآلات الخبيثة التي ينصُبها كثيرٌ من الناسِ على أسطُحِهم، أو هذا المسمَّى بالإنترنتِ الذي يجلبُ المحطاتِ الخبيثة في مختلفِ العالم بما

فيها من عُهْرٍ وفجورٍ وعُري وإباحيةٍ وإلحادٍ، وتصبُّ في بيوتِ كثيرٍ مِنَ المسلمينَ على رؤوُسِهم وعلى أولادِهم وذراريهم فيتأثَّرون بها، ومِنْ أعظمِ ما تجرهُ عليهم أنهم يسهرون عليها كلَّ الليلِ وينامُونَ عن صلاةِ الفجر ولا يصلُّونها ـ إن صلوها ـ إلا بعدَ خروج وقتها، وإلاَّ فالكثيرُ منهم لا يصلُّونَها أبداً، ولا يصلُّون ما بعدَها مِنَ الصلواتِ لأنهُم تمرَّنُوا ومرنوا على الكُفرِ والنفاقِ ـ إلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ منهم، فاتقوا الله عباد اللهِ، وتجنبُّوا أسباب الذنوب والمعاصِي أما ترونَ ما أنتم فيه من حَبْسِ الأمطار عن مزارعِكُم وعن آبارِكُم وعن فَلواتِكم؟ أما ترونَ أن اللهَ حَبَس عنكمُ المطرَ بسبب ذنوبكم وإنكُم تدعونَ وتستسقُون وتصلُّون فلا يستجابُ لكم لأنكُم لم تغيروا ما وقَعَ منكم، ولم تتوبُوا إلى الله سبحانه وتعالى والله جلَّ وعلا يقولُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد: ١١]. وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال: ٥٣].

بارِكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمدُ لله على إحسانه، وأشكرُه على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابهِ وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد: أيها الناسُ، اتقوا اللهَ سبحانه وتعالى جاءَ في الأثر: أنَّهُ مَا نَزَل بَلاءٌ إلا بِذنبٍ ولا رُفِعَ إلا بتوبةٍ، فتوبوا إلى الله جميعاً

أيُّها المُؤمنون لَعلَّكم تُفلحون، والتوبةُ هي الرجوعُ إلى اللهِ سبحانه وتعالى وتركُ المعاصِي والتزامُ الطاعات ولها شروطٌ لا تصحُّ إلا إذا توفَّرتْ، الشرطُ الأولُ: الإقلاعُ عن الذنوب أي تركُ الذنوبِ تركاً نهائياً، أما الذي يتوبُ وهو مقيمٌ على الذنوبِ والمعاصي وإنما يتوبُ بلسانِه فقط فهذه توبةٌ غير صحيحةٍ، الشرطُ الثاني: الندمُ على مَا فَات مِنَ الذنوبِ، بِأن يندَمَ الإنسان على ذُنوبه وسيئاتِه ويخجلُ ويخافُ مِنَ اللهِ سبحانه وتعالى أما الذي لا يندمُ ولا يستحيي مِنَ الله سبحانه ومما حَصَل منه فإنَّ اللهَ لا يتوبُ عليه، وكذلكَ من شروط التوبة: العَزمُ على ألا يعودَ إليها مَدَى الحياةِ، فمن تابَ توبةً مؤقتة وفي نيته أنْ يرجِعَ إلى المعاصي بَعد ذلِكَ فإن الله سبحانه وتعالى لا يقبلُ توبتَهُ، والله جَلَّ وعلا يعلمُ ما في القلوبِ فلا يخْفَى عليه خافيةٌ يعلمُ توبةَ التائبِ الصحيحةِ وتوبةَ المخادع، وكذلكَ مِنْ شُروطِ التوبةِ إذا كانتِ التوبة مِنْ مَظْلَمَةٍ بينه وبين العبادِ بأخذِ أموالِهم أو الوقوعِ في أعراضِهم أو ظلَمَهم فلا بُدَّ أن يستحلَّ منهم، وأنْ يستبيح منهم وأن يردَّ عليهم ما أخذ من أموالهم وإلا فإن توبتَهُ لا تُقبلُ عندَ اللهِ لأن حقوقَ العبادِ مبنيةٌ على المسامحةِ، فلا تسقطُ إلا بمسامحتهم عنها، وكذلكَ على التائبِ أن يبادرَ بالتوبةِ ولا يؤخِرُها ويقولُ: أتوبُ في اليومِ الفلانيِّ أو في العامِ الفُلانيِّ فإنه لا يدري متى تُقْبَضُ روحه؟ وقد يكون مصراً على ذنوبِه ومعاصِيه فيخترمُه الموتُ قبل الأجلِ الذي ضربه للتوبةِ والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ [النساء: ١٨].

ثم اعلمُوا رحمكم اللهُ أن خيرَ الحديثِ كتابُ الله . . .

في الأكلِ من الحلالِ وتركِ الحرام

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، أحلَّ لنا الطيباتِ، وحرَّم علينا الخبائث، أحمده وأشكرهُ أغنانا بحلاله عن حرامه وكفانا بفضله عمَّن سواهُ وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريك له ولا نعبدُ إلا إياهُ وأشهد أن محمداً عبده ورسولُه ومصطفاه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن والاه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

أيها الناسُ، اتقوا الله سبحانه وتعالى، عباد اللهِ، جاء في صحيح مسلمٍ عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ طيبٌ لا يقبلُ إلا طيباً وإنَّ اللهَ أمرَ المؤمنين بما أمر به المرسلينَ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٣] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكرَ الرجلَ يطيلُ السفرَ أشعثَ أغبر يمد يديه إلى السماءِ، يا ربُّ يا ربُّ، ومطعَمُه حرامٌ ومشربُه حرام، وغذيَ بالحرامِ، فأنَّى يُستجابُ لذلك». (١)

أيها المسلمون، إن اللهَ سبحانه وتعالى أحل لنا الطيباتِ لما فيها من الخير والتغذية الطيبةِ والآثارِ الحسنةِ على الأبدانِ والقلوبِ والأعمالِ وحرَّمَ علينا الخبائثَ لما فيها من الأضرارِ الظاهرة والباطنةِ على القلوبِ وعلى الأبدانِ وعلى الأعمالِ، فاللهُ سبحانه وتعالى حرَّم علينا الرِّبا والقمارَ والرِّشوة والمكاسبَ الخبيثةَ، وأكلَ أموالِ الناسِ بالباطِل لما يترتبُ على ذلكَ مِنَ الأضرارِ الظاهرة

(١) مسلم (١٦٨٦)، الترمذي (٢٩١٥).

والباطنةِ المعلومة والخفية، وأباحَ لنا البيعَ، وأباحَ لنا المكاسِب الطيبة لما فيها مِنَ الآثارِ الحميدة ولما فيها من المنافِع العاَجِلة والآجلةِ، وحرَّم علينا المطاعَم الخبيثةَ لأنها تُغذِّي تغذيةً سيئةً وتؤثر على القلوبِ وتؤثرُ على الأبدانِ، وتؤثر على الأعمالِ والسلوكِ، قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٢] وقال سبحانه وتعالى في وصف نبيه محمد عليه الصلاة والسلام ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وحرَّمَ علينا المطاعَم الخبيثةَ كالميتةِ والدمِ ولحمِ الخنزير وما أُهِلَّ به لغير الله وأباحَ لنا المذكاة مِنْ بهيمةِ الأنعام وأباح لنا صيدَ البرِّ والبحرِ، قال سبحانهُ وتعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٨]، إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٤﴾ ﴾ [المائدة: ٤]، وأباح لنا المشاربَ الطيبةَ المفيدة التي تُغذِّي الجسمَ تغذيةً طيبةً وتؤثرُ على القلبِ تأثيراً طيباً، ويتمتعُ بها الإنسان ويتلذذُ بها، وحرم علينا المشاربَ الخبيثةَ مِنَ الدُّخانِ والخمرِ والمخدراتِ والمُسْكراتِ لما يترتبُ عليها مِنَ الأضرارِ الظاهرةِ والباطنةِ، ولما لها مِنَ الآثارِ السيئةِ والعواقبِ الوخيمةِ. أحلَّ لنا سُبحانه وتعالى الاستمتاعَ بالزوجاتِ ومِلْكِ اليمين، لما يترتبُ على ذلكَ مِنَ المصالح العظيمةِ مِنْ إعفافِ الفروج وحصول الذُّريةِ الطيبةِ، وبناءِ الأسرِ الكريمة وطهارَةِ الأعراضِ وطهارةِ النفوسِ، وحرَّمَ علينا

الزِّنى واللواطَ لأن الزنى فاحشةٌ وساءَ سبيلاً، لما فيه من اختلاطِ الأنسابِ ولما فيه من الأمراضِ الخبيثةِ، ولما فيه من فسادِ الأخلاقِ وضياعِ الأعراضِ، وما فيه من الآثار القبيحةِ وكفى قوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٢]، وجعل لنا البديل الصالحَ فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥، ٦]، وقال النبي ﷺ: «يا معشرَ الشبابِ مَنِ استطاع منكمُ الباءةَ فليتزوجْ فإنهُ أغضُّ للبصرِ، وأحْصَنُ للفرجِ، ومن لم يستطعْ فعليهِ بالصوم فإنه له وجاء»[1]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَالصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النور: ٣٢]، وحرَّمَ اللواطَ لما فيه من القضاءِ على الرجولةِ ووضع النطف في غير موضع الحرث وجلب الأمراض الخبيثة وفساد الأخلاق ولذلك أوقع الله باللوطية عقوبةً لم يوقِعْها بغيرهم من العالمين لأنهم أتوا فاحشةً لم يسبقهم عليها أحدٌ من العالمين. وهكذا ما حرمَ الله علينا شيئاً إلا أباح لنا ما هو خيرٌ وأطيبُ، ما حرمَ علينا إلا ما هو مضرٌ وخبيثٌ وسيىء الآثارِ، وما أباحَ لنا إلا ما هو طيبٌ وصالحٌ ونافعٌ ومفيدٌ فلله الحمدُ والمنةُ وله الشكرُ وله الفضلُ وله الثناءُ الحسنُ. أعوذ باللهِ من الشيطانِ الرجيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [المائدة: ٨٧، ٨٨].

بَاركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم.

---

(١) البخاري (٤٦٧٨)، مسلم (٢٤٨٥).

الخطبة الثانية

الحمدُ لله على فضْلِه وإحسانِهِ، وأشْكُرُه على توفيقهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له تعظيماً لشأنِهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً. أما بعد:

أيها الناسُ، اتقوا الله سبحانَه وتعالَى، قال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلم: «**إنه لا يدخل الجنة لحم نبتَ من السحتِ فالنار أولَى به**»[١]. وسمعتم الحديثَ في الرجل الذي يطيلُ السفر أَشعثَ أغبرَ يمدُّ يديه إلى السماءِ، يا رب، يا رب، هذه كلها أسبابٌ للإجابةِ، أولاً: إنهُ مسافرٌ، والمسافرُ مظنةٌ إجابة الدعوةِ، وثانياً: إنه أَشعث أغبرُ، وثالثاً: إنه يمدُّ يديه إل السماءِ إلى ربِّهِ وهذا من أسبابِ الإجابة، ورابعاً: إنّه يكررُ ويقول يا رب، يا رب، وهذا من أسبابِ الإجابةِ ومع ذلك كلِّه تغلقُ دونَهُ أبوابُ الإجابة لماذا؟ لأنهُ يأكلُ الحرامَ ويشرب الحرامَ ويتغذى بالحرامِ ويلبس الحرامَ، فما بالكم بالذين كل كسبهم أو غالب كسبهم من الحرامِ؟ يأكلونَ ويشربونَ ويتغذونَ منه قد حيل بينَهم وبينَ قبولِ الدعاءِ، وصارَ بينهم وبين اللهِ حجابٌ بسبب أفعالِهم القبيحةِ ومكاسِبهم الخبيثةِ، كذلك أيها المسلمونَ، المالُ الحرامُ إنْ أكله صاحبُهُ أكلَ حراماً، وإن تصدقَ منه لم يُقبل منه «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا**»[٢]، وإنْ تركَهُ وراءَه صار زادَهُ إلى النار، فاتقوا الله عبادَ اللهِ، وأطيبُوا مطَاعِمكم وطَهِّروا مكاسِبَكُم، واتقوا ربكم لعلكم تفلحون.

واعلموا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ.

---

(١) أحمد (١٣٩١٩)، الدارمي (٢٦٥٧) (مقارب).
(٢) مسلم (١٦٨٦)، الترمذي (٢٩١٥).

بمناسبة قرب قدوم شهر رمضان المبارك

الحمدُ لله العزيزِ الغفارِ، جعلَ في تعاقبِ الليلِ والنهارِ دليلاً على انقضاءِ الأعمار، ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [النور: ٤٤] وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له الواحد القهار، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله المصطفى المختار وصلى الله عليه وعلى أصحابه البررة الأطهار وسلم تسليماً كثيراً، أما بعدُ:

أيها الناسُ، اتقوا الله سبحانه وتعالى واعلموا أنه يفرح بطولِ العُمرِ إذا كان في طاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى. قال ﷺ «**خيركُم من طالَ عمره وحَسُنَ عمله**»[١]، وإن الله سبحانه وتعالى جعلَ لكُم مواسِمَ للخيرات تتكررُ عليكم في اليومِ والأسبوعِ والسنةِ، ففي اليوم تتكرَّرُ عليكم الصلواتُ الخمسُ، وفي الأسبوع تتكررُ عليكم صلاةُ الجمعة، وفي السنةِ يتكررُ عليكم شهرُ رمضانَ المبارك وقد قال ﷺ «**الصلواتُ الخمسُ والجمعةُ إلى الجمعةِ ورمضان إلى رمضانَ كفارةٌ لما بينهنَّ ما اجتنبتِ الكبائرُ، والحجُّ المبرورُ ليسَ له جزاءٌ إلا الجنة**»[٢].

عبادَ الله، عما قريب يحلُّ عليكم ضيفٌ كريمٌ وموسمٌ عظيمٌ ألا وهو شهرُ رمضانَ المباركُ الذي جعلَه اللهُ موسِماً لعبادِه المؤمنين يتزودُون فيه لآخرتهم، ويقدِّمون فيه خيراً لأنفسِهم فهو شهرٌ عظيمٌ مباركٌ، شهر أنزلَ الله فيه القرآن ﴿ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، شهرٌ جعلَ الله

---

(١) الترمذي (٢٢٥١)، أحمد (١٧٠٢٠).
(٢) مسلم (بدون)، أحمد (٨٣٥٨).

صيامَهُ فريضةً، ورُكناً من أركانِ الإسلام، وجعل قيامَ ليلهِ تطوعاً، شهرٌ تغلُّ فيه الشياطينُ فلا يَخْلُصون إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره من أشغالِ العبادِ عن طاعة الله، وإغرائهم بالمعاصِي، شهرٌ تُفْتَحُ فيه أبوابُ الجِنانِ، وتغلقُ فيه أبوابُ النيرانِ، فبادروا رحمكم اللهُ في اغتنامِ هذا الشهر، واحمدُوا الله عز وجلَّ واشكرُوه إذ مكنكم من حُلوله عليكم ومكّنكم مِنَ العملِ فيه فاغتنمُوه، فإنَّ كثيراً مِنَ الناسِ تخترمُهم المنونُ قبل أن يدركُوه، ومن أدركَ هذا الشهرَ ومَنَّ اللهُ عليه بالاجتهادِ فيه بالطاعةِ فقد حَصَل على خيرٍ كثير «**كان ثلاثة مجتهدين في العبادةِ يتسابقُونَ في الخيرات، فاستُشهِدَ اثنانِ منهم في سبيل اللهِ، وبقي الثالثُ ماتَ على فِراشِه فرُئِيَ سابقاً لهما في الجنة، وتعجَّبَ الناسُ من ذلكَ، كيفَ الذي مات على فراشِه يسبقُ الشهيدين في سبيل الله؟! فقال النبي ﷺ: أليسَ قد عاشَ بعدهُما كذا وكذا؟ قالوا: بلى يا رسولَ الله، قال: أليسَ صلى كذا وكذا من الصلواتِ، قالوا: بلى يا رسولَ الله، قال: أليسَ قد أدركَ شهرَ رمضانَ فصامَه وقامَه، قالوا: بلى يا رسولَ الله، قال: والذي نفسِي بيده إنَّ بينهم كما بينَ السماءِ والأرضِ**» فهذا يدلُّ على فضل هذا الشهر العظيم، صَعدَ النبيُّ ﷺ المنبرَ فقال: آمين، آمين، آمين، فلما نزلَ أخبر أصحابه بأنَّ جبريلَ عليه السلامُ اعترضَه وهو يصعدُ المنبرَ فقال: يا محمدُ، مَنْ أدركَ أبويه أو أحدهما فلم يُدْخِلاَه الجنةَ فماتَ فدخلَ النارَ فأبعدَهُ اللهُ، قل: آمين، فقلت: آمين، قال: ومَنْ أدركَ شهرَ رمضانَ فماتَ ولم يُغفَرْ له فدخلَ النارَ، فأبعده الله، قلْ: آمين، فقلت: آمين، قال: ومَنْ ذُكِرْتَ عندَه يا محمدُ ولم يُصَلِّ عليكَ فماتَ فدخلَ النارَ، قل: آمين، فقلت:

آمين»[١].

عبادَ الله، إنها فرصةٌ عظيمةٌ ومنْحةٌ كريمةٌ مِنْ ربِّ العالمينَ إذا مَكَّنكُم مِنْ إدراكِ هذا الشهر ويَسَّرَ لكُم قيامَه وصيامَه. قال ﷺ: «مَنْ قامَ رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّمَ مِنْ ذنبِهِ»[٢]. وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: «مَنْ قامَ ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّمَ مِنْ ذنبه»[٣]. وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ قامَ مع الإمام حتى ينصرفَ، كُتبَ له قيامُ ليلة»[٤]. إنه شهرٌ عظيمٌ، شهرُ تلاوةِ القرآنِ، شهرُ الذكرِ والعبادةِ، شهرُ الصيامِ الذي هو أحدُ أركانِ الإسلام الذي قال الله تعالى فيه كما في الحديث القدسي: «الصومُ لي وأنا أجزي به، إنَّه تركَ شهوتَهُ وطَعامَه وشرابَه من أجلي، وللصائم فرحتانِ، فرحةٌ عند فِطْرِه وفرحَةٌ عند لقاءِ ربِّه، ولخلُوفُ فَمِ الصائم «أي الراحة التي تخرجُ من فمه بسبب الصيام» أطيبُ عند اللهِ مِنْ ريح المسك»[٥].

فيا له من شهرٍ عظيمٍ وموسمٍ كريمٍ، لمن وفقهُ اللهُ، فاشكروا الله على هذه النعمةِ العظيمةِ، واعرفُوا قدرَها، وقدرُوا لها قيمتها، اجعلوها في ديوانِ حَسَناتِكم يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ إلا مَنْ أتى اللهَ بقلبٍ سليم. يَحلُّ شهرُ رمضانَ على المسلمين فمنهم مَنْ يكونُ محسناً في جميع السنةِ فيكونُ رمضانُ زيادةً له في الخير، وبعضُ المسلمينَ يكونُ غافلاً ومقصراً في سائِرِ أيامِ السنة فإذا حلَّ عليه شهرُ رمضانَ تنبَّهَ لنفسِهِ، وتابَ إلى اللهِ واشتغلَ بالطاعاتِ، فيغفرُ اللهُ له ما

---

(١) مسلم (٤٦٢٧)، أحمد (٨٢٠١) (مقاربة).
(٢) النسائي (٢١٦٩)، أبو داود (١١٦٤).
(٣) البخاري (١٧٦٨)، مسلم (١٢٦٨).
(٤) الترمذي (٧٣٤)، ابن ماجة (١٣١٧).
(٥) البخاري (٦٩٣٨)، مسلم (١٩٤٥).

كانَ منه من تقصيرٍ، وبعضُ الناسِ قد يكونُ واقعاً في الكبائر الموبِقَةِ التي هي دونَ الشركِ قد استحقَّ دخول النارِ فيحلُّ عليه شهرُ رمضانَ فيتوبُ إلى اللهِ سبحانه وتعالى فيعتقُهُ اللهُ من النار كما جاءَ في الحديث المروي عن نبي الله ﷺ ـ أنه شهر أولَهُ رحمةَ وأوسطُه مغفرةٌ وآخرهُ عِتْقٌ مِنَ النارِ، ولكنَّ بعضَ الناسِ لايعرفُ شَهْرَ رمضانَ إلا أنه شهرٌ للسهرِ في الليلِ على ما يُغضِبُ الله، وعلى ما يُضيِّعُ وقتَهُ وينامُ بالنهارِ، ويتركُ الصلواتِ الفرائضَ فلا يصليها إلا إذا استيقظَ أو لا يصليها أبداً مع أنه يصومُ، ولكن أينَ الصيامُ من تركِ الصلواتِ الخمس؟ فإنَّ الصلواتِ الخمسَ هي الركنُ الثاني من أركانِ الإسلامِ، وهي عمودُ الإسلام فإذا لم يحافظ عليها لم ينفعْهُ صيامٌ ولا قيامٌ، بعضُ الناسِ لا يعرفُ شهرَ رمضان إلا أنه شهرٌ للأكلِ والشربِ وتنويعِ المآكلِ والمشاربِ فتجدُه يجمعُ الكمالياتِ لشهر رمضانَ ويسمونَها حوائجَ رمضان فيشتغلونَ بالأكلِ والشربِ وملءِ البطونِ والكَسَلِ عن الطاعاتِ، وشهرُ رمضانَ شهرٌ للصيامِ والقيامِ وليسَ شهر الأكلِ والشهواتِ، الله جلَّ وعلا ـ يقولُ في الحديث القدسي: «إنَّهُ تركَ شهوتَهُ وطعامَه وشرابَه من أجْلي» لا مانِعَ أنَّ الإنسانَ يأكلُ من طيباتِ الرزقِ ما يُقيمُ صُلْبَهُ، وما يستعينُ بهِ على طاعة الله ولكنْ ليقللْ من الطعامِ والشرابِ، فإنَّ كثرة الأكلِ تكَسِّلُ عن الطاعةِ وتثبطُ العزيمةَ وتثقلُ الجسمَ والمسلمُ مطلوبٌ منه أن ينشطَ في هذا الشهر العظيم بطاعةِ الله وذكرِ الله وعبادِته وتلاوةِ كتابهِ والمسارعَةِ إلى الخيراتِ، وبعضُ الناس لا يعرفُ شهرَ رمضان إلا أنه شهرٌ للتجارة والبيع والشراءُ فينشَطُون على البيعِ والشراءِ والجلوسِ في الأسواقِ في كلِّ ليل رمضان، وينامُون في النهارِ أو يشتغلون بالليلِ والنهار في الأسواقِ، ولا يحضرونَ في المساجد إلا وقتاً قصيراً لأداءِ الفرائضِ أو أداءِ بعضها وهم مشغُولون بدنياهُم مقبلون على

تجارَتِهم وينسَونَ التجارةَ الرابحةَ، التجارةَ التي تَبْقَى لهم، ويشتغلون بالتجارة التي هي لغيرهم، وسيتركونها وينتقِلونَ عنها، وبعضُ الناسِ لا يعرفونَ شهرَ رمضانَ إلا أنه شهرٌ للتسولِ فيمضُون وقتهم بينَ ذهابٍ وإيابٍ، ويشغلون المصلين ويشوِّشُون في بيوتِ اللهِ برفعِ أصواتِهم بالسؤالِ، ويكذبون ويحتالُونَ وأكثرهم أغنياءُ ليسوا بحاجةٍ إلى السؤالِ، وقد قال ﷺ: **«مَنْ سألَ الناس أموالهم تكثراً فإنما يسألُ جَمْراً فليستقلَّ أو ليستكثر»**[1]. وقال عليه الصلاة والسلام: **«لا تزالُ المسألةُ بأحدكم حتى يلقى الله وليسَ في وجهه مُزْعة لحَم»**[2]. وفي الحديث **«ولا فتح عبد باب مسألةٍ إلا فتح الله عليه بابَ فقرٍ»**[3]. إنَّهُ لا يجوزُ السؤالُ إلا عند الضرورةِ وبقدرِ الحاجةِ أمَّا السؤالُ لجمعِ المالِ من غير حاجةٍ أو زائد على ما يحتاجُ، فإنَّه مُتوعَّدٌ بهذا الوعيدِ الشديدِ، ومهما تخفَّفَ الإنسانُ ـ حتى مع الحاجةِ ـ مهما تخفف مِنَ السؤال وطلبَ الرزقَ مِنَ اللهِ سبحانَه وتعالى فهو خيرٌ له، قال ﷺ: **«لأن يأخذ أحدُكم حَبْلَهُ فيذهبَ إلى الجبل فيأتي بحُزْمةٍ مِنَ الحطبِ فيبيعها ويكفَّ اللهُ بها وجْهَه خيرٌ له من أن يسألَ الناسَ، أعطَوْهُ أو منعُوْه»**[4]. وبعضُ الناسِ لا يعرفُ شهرَ رمضانَ إلا أنه شهرٌ للتسكُّعِ في الأسواقِ الليلية، والنظرِ إلى النساءِ أو المغازلاتِ أو الاختلاطِ المحرمِ، فينتهزون وجودَ النساءِ ومع الأسفِ النساءُ تنسابُ في الأسواقِ في ليالي رمضان فيتبعُها هؤلاءِ بالنظر والمغازلة والمزاحَمَةِ في أفضلِ وقتٍ من أوقاتِ السَّنَةِ فيضيِّعُونَه في هذا

---

(١) مسلم (١٧٢٦)، أحمد (٦٨٦٦).
(٢) مسلم (١٧٢٤)، النسائي (٢٥٣٨) (مقارب).
(٣) الترمذي (٢٢٤٧)، أحمد (١٥٨٤).
(٤) البخاري (٢٢٠٠)، مسلم (١٧٢٨) (مقارب).

العملِ القبيحِ، نسألُ اللهَ العافيةَ والسلامة.

فاتقوا الله عبادَ اللهِ، واعرفوا قدْرَ هذا الشهر وعظِّمُوه كما عظَّمَهُ الله، قال الله سبحانه وتعالى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٦].

بَاركَ اللهُ لِي ولَكُمْ فِي القُرآنِ العظيم، ونفعنا بما فيه من البيان والذكرِ الحكيمِ، أقول قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولجميع المسلمين مِن كُلِّ ذنبٍ، فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّهُ هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، الرحمنِ الرحيمِ، مالك يومِ الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ الحقُّ المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسولُه الصادقُ الأمينُ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين

وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد:

أيُّها الناسُ، اتقوا اللهَ سبحانه وتعالى، عظِّمُوا شهركم كما عظَّمَه الله وقدِّمُوا فيه لأنفسِكُم ما تجدونَه مُدَّخراً عند اللهِ وأنتم أحوجُ إليه مِنء كلِّ شيء ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الانفطار: ٨٢]، يا أئمةُ المساجدِ اجتهدوا في قيامِ هذه الليالي المباركةِ من شهر رمضانَ، اجتهدوا في قيامِها على الوجهِ المشروعِ من أجلِ أن تفيدُوا أنفسَكُم، وتفيدوا مَنْ وراءَكُم مِنَ المصلينَ ولا تحرُموهم من هذا الأجرِ العظيم، لا تحرمُوا أنفسَكُم وتحرمُوا جماعاتِكم وتتهاونون بقيامِ رمضانَ أو تنشغلونَ بالجدالِ والقيلِ والقالِ والاجتهاداتِ الخاطئةِ، والخلافاتِ التي نهَى اللهُ سبحانه وتعالى عنها، صلُّوا كما يُصلِّي المسلمون في هذه البلادِ من قديمِ الزمانِ ولا تُحدثُوا في صَلاةِ التراويح آراءً واجتهاداتٍ مِنْ عند أنفُسِكُم، أو من عند فلانٍ وعلانٍ، أيها المؤذِّنون تقيَّدُوا بالأوقاتِ، أوقاتِ السَّحَرِ وأوقاتِ الإفطارِ فإنكُم مسؤولون أمام الله سبحانه وتعالى، وأنَّ الناسَ يأكلُون بأذانكم ويقلِّدونكم فيصومون على الأذانِ ويُفطِرونَ على الأذانِ، فتقيدوا بالوقتِ، واحرصوا كلَّ الحرصِ على أنْ يكونَ أذانكُم مطابقاً للوقتِ عند طلوعِ الفجر، وعند غروبِ الشمسِ لا تتعجلوا ولا تتأخَّروا، راقبوا الوقت، فأذِّنوا عليه، فإنَّ المؤذنَ إذا زَلَّ، زَلَّ بسببِهِ أممٌ كثيرةٌ فإذا أخَّر الأذانَ عن طُلُوعِ الفجر تأخَّرَ أناسٌ كثيرون في الصيام عن وقت الصيام، وأكلوا في النهارِ وإذا قدَّمُوا أذانَ المغربِ قبل غُروبِ الشمس، أفطرَ بأذانِهم كثيرٌ ممَّن يسمعُهم قبلَ حُلُولِ الإفطارِ، ومَنْ الذي يتحمَّلُ هذه الأخطاءَ العظيمة، إنما يتحملها المؤذنونَ، فالمؤذنُ مؤتمنٌ، كما لقال النبيُّ ﷺ، فتقيَّدوا بالتوقيتِ إذا لم ترَوا طلوعَ الفجرِولم ترَوا غروبَ الشمسِ، فتقيدوا

بالتوقيت المعتمدِ وهو توقيتُ أم القُرى، التوقيت المحلي للبلد وما حولَها ولا تتهاونوا في هذا الأمرِ فإنَّه خطيرٌ، ويترتَّبُ عليه أخطاءُ عظيمةٌ، بالإمساكِ والإفطارِ، وأنتم المسؤولونَ وأنتم المؤتمنونَ على الوقتِ، أعانكُم الله وسدَّدَ خُطاكم وأعانكم على تحمُّلِ هذه المسؤولية العظيمة. أيها المسلمون اتقوا اللهَ سبحانه وتعالى في أنفُسِكُم، وعظِّمُوا شهرَ رمضانَ كما عظَّمه اللهُ، واغتنموُه لصالحِ أنفسِكُم.

واعلموا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . . .

* * *

في بيانِ مفسداتِ الصيامِ

الحمدُ للهِ ذي الفضلِ والإنعامِ. أَهلَّ علينا شهرَ الصيامِ والقيامِ، وجعلَهُ موسِماً لذَوِي الهِمَمِ والاغتنامِ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له في ربوبيتهِ وإلهيتهِ وأسمائهِ العظامِ، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، أفضل من صلَّى وصام واستقامَ على الطاعةِ على الدوام ـ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررةِ الكرامِ ـ وسلّم تسليماً كثيراً، أما بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقوا اللهَ سبحانَهُ وتعالَى واشكرُوه على ما خصَّكُم به مِنَ الفضلِ والإنعامِ.

عبادَ اللهِ، قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣] أخبرَ سبحانه وتعالى أنه فَرَضَ الصيامَ على هذه الأمةِ كما فَرضَهُ على الأممِ السابقةِ، وأخبر أنَّ الصيامَ سَببٌ لتقوى اللهِ سبحانَهُ وتعالَى، فالصيامُ فيه فوائدٌ عظيمةٌ ولهذا شرَعَه اللهُ لأنبيائهِ وعبادِه المؤمنين لما يعلَمُه فيه من الخيراتِ، أعظمُها أنه يُكسِبُ صاحِبَه تقوى اللهِ «لعلكُم تتقونَ»، وقد اختصَّ اللهُ الصيامَ لنفسِه من بين سائرِ الأعمالِ تشريفاً له، فقالَ سبحانَه وتعالى في الحديث القُدسِي الذي رَواه عنه نبيه ﷺ أنه قالَ: «الصَّومُ لي وأنا أجزِي به، إنَّه تركَ شهوتَه وطَعامَه وشرابَهُ من أجلي»[1]، فالصائمُ تَرَكَ شهواتِه التي تحبها نَفْسُه طاعةً لربِهِ سبحانه وتعالى ومن

---

(١) البخاري (٦٩٣٨)، مسلم (١٩٤٥).

أجلِ اللهِ، فلذلِكَ شَكَر اللهُ له هذا الصنيعَ واختصَّ عملَه لنفسِه مِنْ بين سَائِرُ الأعمالِ، وإنْ كانتْ الأعمالُ الصالحةُ كلُّها للهِ سبحانه وتعالى، ولكنَّ اختصاصَه للصيامِ من بينها دليلٌ على شرفِ الصِّيامِ ومِنْ فضائِلِ الصيامِ أنَّ أنفاسَ الصائمِ عند اللهِ سبحانه وتعالى أطيبَ مِنْ ريح المسْكِ، لأنها أنفاسٌ نشأَتْ عن طاعةِ اللهِ وآثار نشأت عن عبادِ الله فهي كغبارِ المجاهدِ في سبيل اللهِ، ومِنْ فضائِلِ الصيامِ أنَّ الصائمَ له دعوةٌ لا تردُّ، وله فرحَتانِ، فَرْحَةٌ عند فِطْرِهِ وفَرْحَةٌ عَنْدَ لقاءِ ربِّهِ عزَّ وجلَّ، ومِنْ فضائِلِ الصيامِ أنَّ اللهَ خصَّصَ له باباً من أبوابِ الجنة يُسَمَّىٰ بالريَّانِ يدخُل منه الصائمونَ، لا يدخلُ منه غيرهم فإذا دَخَلُوا أُغْلِقَ.

والصيامُ هو: الإمساكُ عن المفطراتِ بنيةٍ من طُلوعِ الفجرِ الثاني إلى غروبِ الشمسِ، هذا هو الصيامُ، الإمساكُ عن المفطراتِ بنية، لأنَّ الأعمالَ لا تصحُّ إلا بالنياتِ كما قال عليه الصلاةُ والسلامُ: «إنَّما الأعمالُ بالنياتِ، وإنما لكلِّ امريءٍ ما نَوىٰ»[1]. فيجبُ على الصائمِ صَومُ الفريضةِ أن ينويَ الصيامَ من الليلِ وألا يطلعَ عليه الفجرُ وهو لم ينوِ الصيامَ، لقوله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَبِتْ بِنيةِ الصيامِ قبلَ الفجرِ فلا صيامَ لَهُ»[2]، والصيامُ، إمساكٌ عن المفطراتِ، والمفطراتُ قِسْمانِ: مفطراتٌ حِسِيَّةٌ وهي أنواعٌ ولكنَّها لا تخرجُ عن قِسْمَينِ، القسمُ الأولُ: إدخالُ الأشياءِ إلى الجوفِ، والقسمُ الثاني: إخراجُ أشياءَ مِنَ الجوفِ.

أمَّا النوعُ الأولُ: وهو الإدخال فالأكلُ والشربُ متعمداً، قال الله سبحانَهُ وتَعالَى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ

---

(١) البخاري (١)، أبو داود (١٨٨٢).
(٢) الدارمي (١٦٣٦)، النسائي (٢٢٩١).

﴿أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، فمن أكل أو شَرِبَ متعمداً، فإنه يبطلُ صَومُهُ ويأثمُ على ذلكَ إلاّ إذا كانَ له عُذْرٌ شَرعِيٌّ كالمرضِ أو السَّفَرِ إنْ أكلَ أو شَرِبَ ناسِياً فإن هذا لا يؤثرُ على صِيامِه لقوله ﷺ: **«منْ نَسِيَ وهو صائمٌ فأكلَ أو شَرِبَ فليتمَّ صَومُه فإنما أطعَمه الله وسَقاه»**(١)، ومثلُ الأكلِ والشربِ المفطرين ما بِمعنَاهُما مِن الإبرِ المغذية، والإبر الوريديةِ التي تُحقَنُ في الوريدِ فإنَّ هذه الإبرَ بنوعيها تبطلُ الصيامَ لأنَّها تَنْفُذُ إلى الجوفِ وتسيرُ في العروقِ، وتغذِّي الجسمَ فهي بمعنَى الطعَامِ والشرابِ، وكذلِكَ بمعنَى الأكلِ والشربِ تعاطِي الأدويةِ، سَواءٌ كانت جامدةً أو سائلةً، فابتلاعُ هذه الأدويةِ ووصولُها إلى جوفِه كالحبوبِ وغيرها ممّا يُؤخَذُ عن طريقِ الابتلاعِ فإنَّ له حُكْمُ الأكلِ والشربِ في إبطالِ الصيامِ، وكذلِكَ كُلُّ ما يصلُ إلى الجوفِ فإنه يفطِّرُ الصائِمَ؛ لأنه بمعنى الأكلِ والشربِ. وأمَّا القسمُ الثاني: وهو ما يُخرجُه الإنسانُ من جوفِه متعمداً فهُو أنواعُ: النوعُ الأولُ: الاستفراغُ فإذا استفرغَ الإنسانُ ما في مَعِدَتِه عن طريقِ الفَمِّ وهو ما يُسمَّى بالقيءِ فإنَّه يُبْطلُ صِيامُه لأنَّ هذا إخراجٌ للغذاءِ الذي يقوي الجِسْمَ فالتقيؤُ يبطلُ الصيامَ كما في الحديثِ، أمّا إذا غلبَهُ القيءُ وخرجَ بدون اختيارِه فإنَّهُ لا يؤثِّرُ على صِيامِه، وكذلِكَ الجماعُ، فإذا جَامعَ الصَّائمُ فإنَّهُ يبطلُ صيامهُ ويجبُ عليه التوبةُ إلى الله عز وجلَّ والإمساكُ في بقيةِ اليومِ وعليه أن يقضيَ يوماً بدَلَه، وعليه الكفارةُ المغَلَّظَةُ وهي عِتْقُ رقبةٍ، فإنْ لم يجدْ فإنه يصومُ شهرينِ متتابعينِ، فإن لم يستطعْ الصيامَ فإنَّه يُطْعِمُ سِتِّينَ مِسْكيناً، وكذلِكَ استفراغُ المَني بما يُسَمَّى بالاستمناءِ وهُو العادةُ السِّريةُ فإنها تبطلُ الصومَ، وتُؤْثِمُ صاحِبَها فعلى

---

(١) مسلم (١٩٥٢)، البخاري (٦١٧٦) (بلفظ مقارب).

مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ أن يتوبَ إلى اللهِ وأن يُمسِكَ بقيةَ يومِهِ وعليه قضاءُ هذا اليومِ الذي أفسدَهَ، أما الاحتلامُ، إذا احتلمَ النائمُ فإنَّ هذا لا يبطلُ صومَه ولو خَرَجَ منه مَنيٌّ لأنَّ هذا بغيرِ اختيارِه، وإنَّما عليه الاغتسالُ مِنَ الجنابةِ فقط، ومما يفَطِّرُ الصائمَ إخراجُ الدَّمِ مِنَ البدنِ بالحِجَامَةِ. قال ﷺ: «أفطرَ الحاجِم والمحجومُ»(١). فالحجامةُ تُفْطِرُ الصائمَ، وهي إخراجُ الدمِ من الجِسْمِ مِنْ بابِ العِلاَجِ، ومثلُ الحجامَةِ سَحْبُ الدمِ إما للتبرع به، وإمّا لإسْعَافِ مَرِيضٍ فإنَّ ذلك بمعنَى الحجامةِ يُبطلُ الصيامَ، أما إذا جُرحَ الإنسانُ وخَرج منه دَمٌ بغيرِ اختيارِه فإنَّ هذا لا يؤثرُ على صِيامهِ، ولو كانَ الدمُ كثيراً، فهذهِ أنواعُ المفطراتِ على سبيلِ الاختصارِ ويجبُ على المسلمِ أنْ يحافظَ على صيامِه، وأنْ يتجنبَ ما حرَّمَ اللهُ عليه مِنْ كُلِّ ما يؤثِّرُ على صِيامِه، واللهُ جعلَ فترةً للصائم يتناولُ فيها ما يحتاجُ إليهِ، وما يشتهيهِ ممّا أباحَ اللهُ له، أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝١٨٧﴾ [البقرة: ١٨٧].

باركَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ.

---

(١) الترمذي (٧٠٥)، أبو داود (٢٠٢٠)، ابن ماجة (١٦٦٩).

الخطبةُ الثانيةُ

الحمد لله على فَضلِه وإحسانِه، وأشكره على توفيقهِ وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلاَّالله وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أَنَّ محمداً عبُده ورسولُه ـ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ـ وسلّم تسلّيماً كثيراً، أما بعدُ:

أيها الناسُ، اتقوا اللهَ تعالَى واعلُموا أن هناكَ مفطراتٍ مَعنوية لا تبطلُ الصيامَ ولكنها تبطلُ ثوابَه، وهي كُلُّ ما حرَّمَ الله سبحانه وتعالى على المسلمِ في غير وقتِ الصيامِ، فإنَّ المحرماتِ يجبُ تجنبُها دائماً وفي حالةِ الصيامِ يكونُ تجنبُها آكدُ لأنها تذهبُ بأجرِ الصائمِ فلا يبقَى له أجرٌ مع التعبِ وتحمُّلِ العطشِ والجوعِ، قال ﷺ: «**رُبَّ صائمٍ حَظُّهُ مِنْ صيامَه الجوعُ والعطشُ ورُبَّ قائمٍ حظُّه مِنْ قيامِهِ السَّهرُ**»[1]، وذلِكَ مثلُ الكلامِ المحرَّمِ كالغِيبةِ والنميمةِ وشهادَةِ الزورِ والقَذْفِ والسَّبِّ والشتمِ، فإنَّ الكلامَ المحرمَ بجميعِ أنواعِه يؤثرُ على الصيامِ تأثيراً بالِغاً وقد يذهبُ بأجرهِ كُلِّه فلا يبقَى للصائمِ أجرٌ، فيجبُ على الصائمِ أنْ يُمْسِكَ لسَانَهُ عن الكلامِ المحرمِ كما يجبُ عليه أنْ يُمْسِكَ لسَانَهُ في سائرِ عُمرهِ، ولكنه في حالةِ الصيامِ يتأكّدُ عليه ذلِكَ ليبقى له أجرُ صيامِه، ولا يكونُ صِيامُه تعباً بلا فائدةٍ ولهذا يقول ﷺ: «**فإنْ سابَّه أحدٌ أو شاتمه أحد فليقل: إنِّي صائمٌ، إني صائمٌ**»[2]، وكذلِكَ النظرُ المحرمُ، فالنظرُ المحرمُ حرامٌ على المسلمِ في كل وقت قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ

---

(١) أحمد (٨٥٠١)، ابن ماجة (١٦٨٠).
(٢) البخاري (١٧٧١)، مسلم (١٩٤٤).

لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠] والنظرةُ إلى الحرامِ سَهْمٌ مَسْمُومٌ من سِهَامِ إبليسَ، وإنْ هذا السهمَ المسمومَ يصيبُ قلبَ الناظرِ، ولا يصيبُ غيره فليغضَّ المسلمُ بصرَه دائماً وأبداً، وفي حالةِ الصيامِ آكدُ فلا ينظرُ إلى ما حرَّم اللهُ من النساءِ أو إلى الصُّورِ الماجنةِ التي تكونُ في المجلاتِ الخليعةِ، أو النظر في الشَّاشَاتِ التليفزيونيةِ أو نحوِها مما ينقلُ صوراً محرمةً، صوراً فاتنةً خليعةً، فإذَا نظرَ إليها الصائمُ فإنَّ هذا يؤثرُ في صِيامِه، يؤثرُ أولاً في قلبِه، ويؤثرُ أيضاً في صِيامِه وقد لا يبقَى له أجرٌ في صيامِه، وكذلكَ السماعُ المحرَّمُ كالاستماعِ إلى الأغانِي والمعازِف والمزاميرِ والمطربينَ والمطرباتِ مُحَرَّمٌ دائماً وأبداً لما يؤثِرهُ في قَلْبِ السَّامِعِ مِنَ النفاقِ، وما يؤثر في قلبِه مِنْ حُبِّ المعاصِي، وهو صوتُ الشيطانِ فلا يجوزُ للمُسلمِ أنْ يستمعَ إلى الأغانِي دائماً وأبداً، وفي حَالةِ الصيامِ أشدُّ فلا يستمعُ إلى ما حَرَّمَ اللهُ سبحانه وتعالى. قال اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]. فليحافِظْ الصائمُ على صيامِه مِنْ هذه الأمورِ، لأن بعضَ الناسِ يظنُّ أنَّ الصيامَ إنما هو تَرْكُ الأكلِ والشربِ فقطْ، ولا يعلمُ أنَّ الصيامَ من باب أولى تَرْكُ للمحرماتِ القوليةِ والفعليةِ، فإنَّ المحرماتِ تجرحُ الصيَامَ وقد تُذهِبُ بثوابِه فيجبُ على الصائمِ أنْ يحافظَ على صيامِه، مِنْ كُلِّ مُؤثِّمٍ ومِنْ كُلِّ مُفسِدٍ.

ثم اعلموا عبادَ اللهِ أَنْ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ. . .

في صلاةِ التراويحِ

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، جَعَلَ شهرَ رمضانَ موسماً للخيراتِ والبركاتِ، وميداناً للمسابقَةِ في الطاعاتِ والقرباتِ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له في ربوبيتهِ، وإلهيتهِ وما له مِنَ الأسماءِ والصفاتِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أول سابقٍ إلى الخيراتِ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ذَوِي المناقِب والكرامَاتِ، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقوا اللهَ سبحانهَ وتعالى واشكرُوه على ما مَنَّ به عليكُم من بُلُوغ شهرِ رمضانَ وتمكِينِكُم فيه مِنَ الأعمالِ الصالحةِ التي تُقَرِّبكُم منه سبحانَهُ، وتكونُ رفعةً في دَرَجَاتِكُم.

أيها المسلمونَ، وممّا يُشْرَعُ في هذا الشهرِ المباركِ صَلاةُ التراويحِ التي هي مِنْ قيامِ الليلِ الذي أمر اللهُ به نبيَّهُ محمداً ﷺ، فقَالَ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٩] وقال سبحانه بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴾ [المزمل: ١ـ٦] ووصف عباده المؤمنين بقيام الليل، فقال سبحانه ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٦ـ١٧]، وقال سبحانه: ﴿ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ [الذاريات: ١٦ـ١٩]،

وإنَّ صلاةَ التراويحِ في شهرِ رمضانَ من أعظمِ قيامِ الليلِ، فقد قال ﷺ: «من قامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[١] وقال عليه الصلاة والسلام: «من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليله»[٢] وقال عليه الصلاة والسلام: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[٣]، ليلةُ القدرِ التي هي خيرٌ مِنْ ألفِ شهرٍ، هي في شهرِ رمضانَ، فمَنْ قامَها إيماناً واحتساباً، ومَنْ عَبَد اللهَ فيها واجتهد فيها بالعبادةِ، فإنها خيرٌ مِنْ ألفِ شهرٍ يُمضِيها المسلمُ في الطاعةِ، وألف شهرٍ تزيدُ على الثمانينَ عاماً، وهذا فضلٌ عظيمٌ يَدلُّ على فضلِ هذا الشهر صيامهِ وقيامهِ؛ لأنَ هذه الليلةَ لا شَكَّ أنها في رمضانَ، ولكنَّ اللهَ لم يُبيِّنْها في أي ليلةٍ ولم يحددِهَا لِحكمةٍ عظيمةٍ مِنْ أجلِ أنْ يجتهدَ المسلمُ في جميعِ ليالي الشهرِ، من أجلِ أنْ يقومَ المسلمُ كُلَّ ليالي الشهر حتى يَكْمُلَ أجره فيكونُ قد أدرك ليلة القدر قطعاً؛ لأنها لا تخرجُ عن ليالي رمضانَ، فإذا قامَها المسلمُ كلها فقد مَرَّتْ عليه ليلةُ القدرِ وقامَها ويكونُ بقيةُ الليالي زيادةً في حَسَناتهِ ورِفْعةً في درجاتِه، وصَلاةُ التراويح سُنَّةٌ مؤكدةٌ من آكدِ السننِ صَلاَها رسولُ اللهِ ﷺ بأصحابهِ ليالٍ ثلاثٍ أو أربعٍ، ثم إنه تأخر عليه الصلاةُ والسلامُ فلم يخرج إليهم، وبيَّنَ لهم أن سببَ عَدَمَ خُروجِه إليهم خَشْيةَ أن تُفْرَضَ عليهم فيعجَزُوا عنها، فتأخُرُه ﷺ رحمةً بالأمةِ لبيانِ أنَّ صَلاةَ التراويحِ غيرُ فَريضةٍ، ولكنْ تبقى سُنيتُها لأنَّ السنةَ هي ما يجوزُ تركُه، فتركُ النبيِّ ﷺ لها دليلٌ على أنها غيرُ واجبةٍ ولكنَّهُ سَنَّها لأصحابهِ ﷺ وحَثَّهم على قيامِ الليلِ ورَغَّبهم فيه، وهذا يشملُ قيامَ

---

(١) البخاري (٣٦)، النسائي (٢١٧٠)، أبو داود (١١٦٤).
(٢) الترمذي (٧٣٤)، النسائي (١٣٤٧)، أبو داود (١١٦٧).
(٣) البخاري (١٧٦٨)، مسلم (١٢٦٨).

رمضانَ من بابِ أَوْلَىٰ لما فيهِ من الفضلِ، واقتداءً بالنبي ﷺ، والنبيُّ ﷺ لم يتأخرْ عن صحابتِهِ في صلاةِ التراويحِ من أجلِ النَوْمِ في بَيْتِهِ وإنما تأخَّر وكان يصلي في بيته ويتهجدُ في الليلِ، فهي سُنَّةٌ مؤكدةٌ، وعليها عمل المسلمينَ إلى يومنا هذا، فينبغِي للمسلمينَ أنْ يحافِظُوا عليها وأن يداوموا عليها في المساجِدِ؛ لأنها شَعيرةٌ ظاهرةٌ في هذا الشهرِ، فقد كانَ المسلمون يصلونها في حياةِ النبيِّ ﷺ، وفي خلافةِ أبي بكرِ وفي أولِ خلافةِ عمرَ ـ رضي اللهُ عنهما ـ، كانوا يصلُّونها جماعاتٍ مُتفرقَةً في المسجدِ، يصلِّي الرجلُ فيصلي بصلاتهِ الرجلانِ، ويصلي الرجلُ فيصلي بصلاتهِ الرَّهْطُ، فخرجَ عليهم عمرُ ـ رضي الله عنه ـ ذاتَ ليلةٍ فرآهُم يصلُّون أوزاعاً متفرقين، جماعاتٍ متعددةٍ، فرأىٰ ـ رضي اللهُ عنه ـ بثاقبِ رأيهِ وعظيم اجتهادِه أن يجمعَهم على إمامٍ واحدٍ بَدَل أنْ يكونُوا متفرِّقين إلى جماعاتٍ؛ لأنَ دينَ الإسلامِ يَحثُّ على الاجتماعِ، ويحثُّ على الجماعةِ فجمعَهم ـ رضي الله عنه ـ على إمامٍ واحدٍ كما كانُوا على عَهدِ النبي ﷺ في الليالي التي صلاّها بهم فأعَادَ ـ رضي اللهُ عنه ـ سُنَّةَ الرسولِ ﷺ، وأحياها لأنه بذلكَ قد انتهت الفرضيةُ بموتِ النبيِّ ﷺ، وبقيتِ السُنَّةُ فلم يكنْ في اجتماعِهم على إمامٍ واحدِ المحذورُ الذي خافَ منه النبيُّ ﷺ، فهي سُنةٌ مؤكدةٌ وهي شَعيرةٌ ظاهرةٌ، وهي مِنْ خصائصِ هذا الشهرِ، تُسنُّ لها الجماعةَ، ويُسنَّ إقامتُها في المساجدِ بعد صلاةِ العشاءِ، ومن أرادَ أن يتزودَ من التهجدِ في آخر الليلِ فالمجالُ مفتوحٌ أمامَه، ولكنْ في صلاةِ التراويحِ خيرٌ كثيرٌ، ومن صلاَّها مع الإمامِ وأكملَها مع الإمامِ فله من الأجرِ مثلُ أجر من قامَ الليل كلَّه، صلاّها الصحابةُ في مسجدِ رسول اللهِ ﷺ في خلافةِ عمرَ وبمحضرِ من المهاجرينَ والأنصارَ، صَلّوها ثلاثاً وعشرينَ ركعةً، وكان النبيُّ ﷺ في تهجدهِ الخاصِ لا يزيدُ على إحدى عشرة

ركعةً أو ثلاث عشرةَ ركعةً، لكنَّه كان يطيلُ القيامَ، ويطيلُ الركوعَ، ويطيلُ السجودَ عليه الصلاةُ والسلامُ، وقد روى حذيفةُ بنُ اليمانِ ـ رضي الله تعالى عنهما ـ روى لنا صفةَ صلاةِ النبيِّ ﷺ في الليلِ، قال: «قامَ رسولُ الله ﷺ فقمتُ معهُ فافتتحَ البقرةَ فقلتُ يركعُ عند المئةِ فمضى حتى أكملَها، ثم شَرَعَ في سُورة النساءِ حتى أكملَها، ثم شَرَعَ في سورة آل عمرانَ حتى أكملَها»[1] «يعني في ركعتين» قرأ أكثرَ من خمسة أجزاءٍ في ركعتين، ومع هذا كانَ يقرأُ ﷺ مُترسِّلاً، لأنَّ اللهَ قال له: ﴿ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ ﴾ [المزمل: ٤] فكانت قراءتُه ﷺ مترسِّلَة آية آية، وكان يقف عند آية الرحمة فيسألَ اللهُ، ويقف عند آية العذاب فيستعيذ باللهِ، هذه صفة صلاته ﷺ، ولذلكَ كان يقتصرُ على إحدى عشرة ركعةً أو ثلاث عشرة ركعةً ومَنْ يُطيقُ ذلك إلا رسولُ الله ﷺ، فالصحابةُ رضي الله عنهم لاحظُوا أن المسلمينَ لا يطيقونَ قيامَ الرسول ﷺ، فصلُّوا ثلاثاً وعشرين ركعةً، زادُوا في العددِ، وخَفَّفوا في الهيئةِ رفقاً بالمسلمينَ، وعلى كل حالٍ فإنَّ عدد صلاةِ التراويح إنما يرجعُ إلى صفةِ الصلاةِ، فمَنْ كان يطيلُ القراءةَ والركوعَ والسجودَ فإنَّه يقلِّلُ من عَددِ الركعاتِ كفعلِ النبي ﷺ، ومَنْ كانَ يخفِّفُ القراءةَ والركوعَ والسجودَ فإنَّه يزيدُ في عدد الركعاتِ كما فعلَ الصحابةِ ـ رضي الله عنهم ـ في خلافة عمرَ وبمسجدِ رسولِ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلّم ـ فعددُ الرَّكْعَاتِ يُرجَعُ فيه إلى نوعية الصلاةِ لا يُرجَعُ فيه إلى التشهي والكَسَلِ كما يفعلُ كثيرٌ مِنَ الناسِ اليومَ، يطلبونَ قلةِ العَددِ، ويخففونَ الصلاةَ جداً حتى لا تستغرقُ صلاتُهم إلاَّ زمناً يسيراً من الليل، والمشروعُ هو الخشوعُ في الصلاةِ والطمأنينةُ فيها

والمشروعُ فيها إتقانها وإتمامُها. والنبيُّ ﷺ لم يحدِّدْ لأمتهِ في صلاة التراويحِ حدّاً معيناً وإنما رغَّبَ في قيامِ رمضانَ وحَثَّ عليه ولم يحددْ عدداً فهذا يرجُع إلى نوعيةِ الصلاةِ من تطويلٍ أو تخفيفٍ مع تقوَى اللهِ سبحانَه وتَعَالَى فحافظوا رحمكُم الله على صلاةِ التراويحِ مع الإمامِ مِنْ أولِ الشهر إلى آخرهِ من أجلِ أنْ تفوزُوا بهذا الوعدِ الكريمِ «مَنْ قامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفرَ له ما تقدَّمَ من ذنبه»[1]، وتحوزوا على قيامِ ليلةِ القدرِ التي مَنْ قامَها إيماناً واحتساباً، غُفرَ لَهُ ما تقدمَ من ذنبهِ والتي هي خيرٌ من ألفِ شهرٍ بنصِ القرآنِ الكريمِ.

اتقُوا الله عبادَ اللهِ، يا أئمةَ المساجد اتقوا الله في جماعَاتِكم، لا تحرمُوهم من صلاةِ التراويحِ ومِنَ التهجدِ في العَشْرِ الأواخرِ فإن بعضَ الأئمة يمضِي عليه شهرُ رمضانَ وهُم في جدالٍ حول صلاةِ التراويحِ وعددِها وكيفيتها ووقتِها، فيمضي عليهم شهرُ رمضانَ وهُمْ في جدالٍ ويحرِّمُون جماعاتِهم من اغتنامِ هذَا الشهرِ بصلاةِ التراويحِ والتهجدِ، وإننا نقولُ لهؤلاءِ اتقُوا اللهَ، فقد وُلِّيتُم هذه الإمامة فإمَّا أن تقومُوا بها على الوجهِ المطلوبِ، وإما أنْ تَعتَزلُوا عنها وتتركوا غيركم يقومُ بها، ولا تحولُوا بَيْنَ المسلمينَ وبين ربِّهم، فاتقوا اللهِ عبادَ الله، وبادِرُوا بالأعمالِ الصالحةِ قبل فواتِها وحاسِبوا نفوسَكُم عن هفواتِها. أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا

---

(١) البخاري (٣٦)، النسائي (٢١٧٠)، أبو داود (١١٦٤).

سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٥ـ١٨٦] باركَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ.

* * *

في فَضْلِ العَشْرِ الأواخِرِ مِنْ رمضانَ

الحمدُ لله الذي فضَّلَ شهر رمضان على سائرِ الشهورِ، وخَصَّ العشرَ الأواخرَ منه بعظيمِ الأجورِ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ الغفورُ الشكورُ، وأشهدُ أَنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُه البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ صلَّى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ أهلِ الجدِ في العبادةِ والتشميرِ وسلّم تسلّيماً كثيراً، أما بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقوا الله سبحانه وتعالى، واعلمُوا أن مرورَ الليالي والأيام يُنقصُ من أعمارِكم وتُسجِّلُ فيه أعمالُكُم، فانظروا ماذا تطوون هذه الأيامَ، فقد مضى من شهركم العشرُونَ الأول، وأنتمُ الآنَ على أبوابِ العَشْرِ الأواخرِ منه، فانظروا ماذا قدَّمتُم في العشرينَ التي مضت فمَنْ كان مُحسِناً فليواصِل الإحسانَ فإنَّ العملَ بالتمام، ومَنْ كان مُسِيئاً فعليه بالتوبةِ وحُسْنِ الختام، فإنَّ الأعمالَ بالخواتِيم، لاسيَّما في هذا الشهرِ الكريمِ، والموسمِ العظيمِ.

عبادَ اللهِ، إنَّ العَشْرَ الأواخرَ من رمضانَ لها فضائلُ كثيرةٌ، أولها: أَنَّها ختامُ هذا الشهرِ المباركِ، وثانيها: إن هذه العشرَ خصَّها النبيُّ ﷺ بمزيدِ اجتهادِ وأعمالٍ صالحةٍ، فقد ثَبَتَ في الصحيحينِ عَنْهُ ﷺ «أَنَّهُ كانَ إِذَا دخلتِ العَشْرُ الأواخرُ مِنْ رمضانَ شَمَّرَ وشَدَّ المئزرَ وأيقظَ أهلَهُ وأحيا ليلَهُ»[1] فَقَوْلُهُ: شَمَّرَ وشَدَّ المئزرَ، كناية عن الجدِّ والاجتهادِ في الأعمالِ الصالحة في هذهِ العَشْرِ، في

---

(١) البخاري (١٨٨٤)، أحمد (٢٣٩٨٣)، مسلم (٢٠٠٨).

ليالِيها وأيامِها، فكانَ ﷺ يشغلُها بالأعمالِ الصالحةِ، وكَونه ﷺ يُوقظُ أهلَهُ دليلٌ على أنَّ الإنسانَ مكلَّفٌ بأنْ يأمرَ أَهْلَه بطاعةِ الله عزَّ وجل وأن يحرِّصَهم على اغتنامِ الوقتِ فهو يريدُ لهمْ ما يريد لنفسِه، وهذا منه عملاً بقولِهِ سبحانه: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢]. وبقَوْلِهِ سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦] وبقوله ﷺ «مُروا أولادَكم بالصلاةِ لِسَبْعٍ واضرِبوهُم عليها لِعَشْرٍ وفرقوا بينَهم في المضاجعِ»[1] فكونُه ﷺ يوقظ أهله، «أي أهلَ بيتِهِ» لأجل أن يشارِكُوا في الأعمالِ الصالحةِ، ويغنموا من خير هذه الليالي بالتهجُدِ وتلاوةِ القرآن وتَرْكِ النومِ والكَسَلِ، وهكذا ينبغي للمُسلِم أن يقتديَ بالنبيِّ ﷺ ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فينبغي للمسلمِ أن يهتمَّ بأهلِهِ الذين يعيشونَ معه في بيته مِنْ نساءٍ وأطفالٍ ورجالٍ بأنْ يأمرَهُم بطاعةِ اللهِ ولاسيَّما في هذه العَشْرِ، أن يغتنِمُوها بالطاعةِ وأعمالِ البر؛ لأنها خيرُ أيامِ أعمارِهم التي تمرُّ بِهم، وكَثيرٌ مِنَ الناسِ لا يهتمُّ بهذا الأمرِ فيتركَ أولادَهُ يسيِّبُون في الشوارعِ، ويهيمون في الشوارعِ طوالَ الليلِ، لا يأمرُهم ولا ينهاهُم، ولا يأخذُهُم معه إلى المسجدِ، هذا إذا كانَ هو يشاركُ في قيامِ الليلِ، أمَّا إذا كان هو لا يُشاركُ في قيامِ الليلِ فلا شكَ أنَّه حَرَمَ نَفْسَهُ أَوْلاً وحَرَمَ أَوْلاَدَه، وفاقدُ الشيءِ لا يعطيهِ، وفي كونِه ﷺ يُحيي ليلَهُ، يعني يَسهرُ ليالِي هذه العَشْرِ بالتهجدِ وتلاوةِ القرآنِ وذِكْرِ اللهِ عزَّ وجلَّ لأنَّها ليالٍ عظيمةٌ، غُرَّةُ العُمْرِ، وهي في ميزانِ المسلمِ تزيدُ في أعمالِهِ وحسناتِهِ، فلا يتهاونُ بها ويتكاسلُ عنها إلاَّ المحرومَ.

---

(١) أبو داود (٤١٨)، أحمد (٦٤٦٧).

وكَونُه ﷺ ـ يُحيي ليلَهُ ويتهجدُ فيها هذا دليلٌ على ميزة هذه العشرِ على غيرها من ليالِي الشهرِ، والمسلمونَ درَجُوا على هذا من عَهْدِ الرسول ﷺ إلى وقتنا هذا يُصلُّون أولَ الليلِ بعد صَلاةِ العِشَاءِ صَلاةَ التراويحِ كما هي في سَائِرِ الشهرِ ثم يَزِيدُون في آخرِ الليلِ صلاةَ التهجدِ إلى صلاةِ التراويحِ فيكونُونَ بذلِكَ قد أحْيَوا ليلَهم اقتداءً بالنبيِّ ﷺ، وكانُوا يُطيلونَ القيامَ في التهجدِ ويطيلونَ الركوعَ والسجودَ حتى إنهم يخشَوْنَ أن يفوتَهم السَّحورَ، وهم في صَلاةٍ وقيامٍ وركوعٍ وسُجودٍ وتلاوة للقرآنِ، هذا دأبُ السلفِ الصالحِ ـ رحِمَهُم الله ـ اقتداءً بالنبيِّ ﷺ، فينبغي للمسلمينَ أن يقتَدُوا بنبيِّهم وبِسَلفِهم الصالحِ، وأن يعملُوا لأنفسِهم ما يجدُونه مُدَّخَراً عند اللهِ سُبحانه، فإن الناسَ إذا جاءَ مَوسِمُ طَمَعٍ وتجارةٍ في هذه الدُّنيا رأيتُهم يتسابقُونَ إليها، ويمضُون لَيلهم ونهارَهُم في الحُصولِ عليها، هذا شأنُهم مع الحُطامِ الفَانِي، وأما أعمالُ الآخرةِ التي تبقَى فإنَّ القليلَ مِنَ الناسِ هُمُ الذينَ يهتمونَ بها والكثيرُ غَافلون عنها وهذا مِنَ الحرمانِ والخَيبةِ والخُسرانِ، ومَاذا يستفيدُ الإنسانُ من دنياهُ إذا كانت تَمرُّ عليه كما تمرُّ على البهائمِ إلاّ أَنّ البهائمَ غيرُ مُكْلَفةٍ، ومنْ فضائل هذه العَشْرِ المباركةِ أَنَّها الليالي التي تُرجَى فيها ليلةُ القدرِ، التي قَالَ اللهُ سبحانَهُ وتَعَالَى فيها: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر: ٣] وقال النبيُّ ﷺ فيها: «مَنْ قَامَ ليلةَ القدرِ إيماناً واحتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تقدَّمَ مِنْ ذَنْبِه»[١]. وهذهِ الليلةُ أرجى ما تكون في هذهِ العَشْرِ، فإذا اجتهدَ المسلمُ في هذهِ الليالِي فإنه يُرجَى أن تكون مَرَّتْ عليه هذهِ الليلةُ وقامَها إيماناً واحتساباً، فيحصُل على هذا الثوابِ العظيمِ، فيكون كمَنْ عَمِلَ

---

(١) البخاري (١٧٦٨)، مسلم (١٢٦٨).

عملاً صالحاً في ألفِ شهر ويكونُ قد غفر له ما تقدم مِنْ ذنبه، ولهذا كَانَ ﷺ يتحرَّاهَا في هذهِ الليالي المباركةِ ويأمرُ بتحريها، ومعنى يتحراها، أنه كان يجتهدُ في الطاعةِ والعبادةِ في هذه الليالي لعَّله أن يصادِفَها فيحْصُل على هذا الوَعْدِ الكريم مِنْ رَبٍّ رحيم، ومِنْ مَزَايا هذه العشرِ أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يعتكفُ فيها بمعنَى أنه كانَ يمكثُ في المسجدِ ولا يخرجُ إلا للحاجَةِ التي لا بُدَّ منها ثم يَعودُ، يجلسُ في المسجدِ وفي مكانٍ منعزلٍ يتفرغُ فيه لعبادةِ ربه ـ عز وجل ـ ويقبلُ على الطاعةِ من صَلاةٍ وذكرٍ وتلاوةٍ للقرآنِ، فهذا دليلٌ على مَزِيَّةِ هذه العَشْرِ أنَّ النبيَّ ﷺ في آخرِ حياتِه خصَّها بالاعتكافِ، وهو لزومُ المسجدِ لطاعةِ الله سبحانه وتعالى، إنها عَشْرٌ عظيمةٌ، عشرٌ مباركةٌ وهي غنيمةٌ للمسلمِ الذي يوفقه الله سُبحانه وتعالى لمعرفةِ قدرِها واغتنام فضلِها، وأمّا المحرومُ فإنها تمرُّ عليه هي وغيرُها مِنْ مواسِمِ الخيرِ ولا يُلقِي لها بالاً ولا يرفعُ بها رأساً لأنَّ همَّهُ نيلُ شهواتِه في هذه الدنيا ولا يفكِّرُ في مُستقبلِه ولا يُفكِّرُ في الآخرةِ، فهذا هُوَ المحرومُ الذي تكونُ حياتُه عليه وَبالاً وعمّا قليلٍ سَيندمُ فإنَّه لا يبقى للإنسان من هذه الدُّنيا إلا ما قدَّمَهُ مِنَ الأعمالِ الصالحةِ، وأما المتعُ والملذاتُ، وأما الأموالُ، وأما الجاهُ، وأما الشرفُ وأمّا، وأمَّا فكلُّه ينقطعُ. قال ﷺ: «إذَا مَاتَ بنُ آدمَ انقطعَ عملُه إلا من ثلاثٍ، صدقةٍ جاريةٍ أو علمٍ يُنتفَعُ بِهِ أَوْ ولدٍ صَالحٍ يَدعُو لَهُ»[1] وقَالَ ﷺ: «يتبعُ الميتَ ثلاثةٌ، أهلهُ ومالُه وعملُه فيرجعُ اثنانِ ويبقَى الثالثُ، يرجعُ أهلُه ومالُه، ويبقَى عَملُه»[2]. فانظروا رحمكُم اللهُ ما يتبعكُم في آخرتِكم فاتقوا اللهَ عباد اللهِ، واغتنموا هذه الأوقاتِ قبل فواتِها، أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ

---

(١) مسلم (٣٠٨٤)، الترمذي (١٢٩٧)، النسائي (٣٥٩١).

(٢) البخاري (٦٠٣٣)، مسلم (٥٢٦٠).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحشر: ١٨ـ٢٠]. باركَ اللهُ لِي ولَكُم في القرآنِ العظيمِ.

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلاّ اللهُ وحده لا شريكَ له مخلصينَ له الدِّينَ، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه الصادقُ الأمينُ ـ صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه ـ ومَنْ تبعهم بإِحسانٍ إلى يوم الدين وسلّم تسليماً كثيراً، أما بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقوا الله سبحانه وتعالى، واعلَمُوا أن اللهَ سبحانه وتعالى جعل الليلَ والنهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أرادَ أن يذّكرَ أو أرادَ شُكوراً، فإنَّ الليلَ والنهارَ فيهما بركةٌ عظيمةٌ لمن عَرفَ قدرهُماوقدْرَ نفسِه وقدرَ حَاجَتِه إلى اللهِ سُبحانَه وتعالى فاستغلَّ ليلَهُ ونهارَهُ فيما ينفعُه وفيما يُصْلِحهُ وفيما يَجدُه عندَ اللهِ سبحانه وتعالى، وقد جاء في الأثر أنَّ هذا الليلَ والنهارَ خِزَانتَانِ تضعونَ فيهما أعمالكُم ثم في يومِ القيامةِ تُفْتَحُ هذه الخزائنُ، فالمحسنونَ يجدونَ في خزائِنهم العِزَّ والكرامةَ والمذنبونَ يجدونَ في خزائنهم الحسْرةَ والندامةَ، تضِيعُ هذه الليالي والأيامُ وهي أنفَسُ وأغلَى ما عند الإنسانِ، تضيعُ هباءً منثوراً إلاّ مَنْ وفقَهُ اللهُ لاغتنامِها، ولو أنها تضيعُ فقط ربَّما يهونُ الأمرُ على بعضِ الناسِ، ولكنَّها تضيعُ ويضيعُ معها مُستقبلُه في الآخرةِ فلا يجدُ له زَاداً ولا يجدُ لَهُ رَصيداً عند ربِّه عزَّ وجلَّ إذا

قَدِمَ عليه، يأتيه بِصَحائفَ مَلأَىٰ بالسيئاتِ والذنوبِ والمعاصِي فيا خيْبةَ الخاسِرِ ويا خيبةَ منْ مضت عليهِ حياتُه لم يَستفدْ منها إلاّ الذنوبَ والمعاصي.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واغتنِمُوا هذه الأوقاتِ، اغتنموا حَياتكم كُلَّها، واغتنموا أوقاتِ الفضائلِ فإنها زيادةٌ منحكُم اللهُ إياهَا زيادةٌ في أعمالِكُم، فاغتنموا حَياتكم وأعمارَكم، واغتنمُوا مواسِمَ الخيرِ التي جَعَلها اللهُ لكم زِيادَةً في الأجرِ وفُرصَةً للطاعَةِ فلا تضيعُوها باللهوِ واللعبِ والغَفْلَةِ والإعراضِ، فإنكُم ـ واللهِ ـ ستندمونَ عمّا قريبٍ إذا لَمْ تحفظُوا هذه الليالي والأيامَ وهذهِ الساعاتِ والأوقاتِ فيما ينفعكُم عند اللهِ سبحانه وتعالى والسعيدُ مَنْ وَعِظَ بغيرِه، ولا يغرنَّكم طُولَ الأملِ، فَرُبَّ مؤمِّلٍ أملاً لا يُدرِكُه، فالإنسانُ بينَ ماضٍ لا يستدركُه، وماضٍ لا يرجعُ إليهِ وبينَ مُستقبلٍ لا يدْرِي ما اللهُ صَانعٌ فيه وإنّما لَهُ الساعةُ التي هُو فيها الوقتُ الحاضرُ، فليبادِرْهُ بطاعةِ الله سُبحانه وتعالى قبلَ أَنْ تقولَ نفسٌ: ﴿ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝٥٦ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٥٧ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٨ ﴾ [الزخرف: ٥٦ـ٥٨].

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ، حَاسِبُوا أنفسكُم قبلَ أن تُحاسَبوا، وزنُوا أعمالكُم قبلَ أنْ توزَنُوا وتأهَّبُوا للعرضِ الأكبرِ علَى اللهِ ﴿ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ۝١٨ ﴾ [الحاقة: ١٨] واعلموا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.

في ختامِ شَهرِ رَمضانَ

الحمدُ للهِ الذي بنعمتهِ تتمُ الصالحاتُ، وبمحضِ فضلِه تُغفَرُ الذنوبُ، وتُنَالُ الدرجاتُ، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له في ربوبيتهِ وإلٰهيتهِ وما لَهُ من الأسماءِ والصفاتِ، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه كان كُلُّ أيامِه طاعاتٌ وعلى آلِهِ وأصحابهِ المداومِينَ على فِعْلِ الخيراتِ وسلّم تسليماً كثيراً، أما بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقوا اللهَ تعالى واعتبرُوا بمرورِ الليالِي والأيامِ، فهذَا شهرُ رمضانَ أوشكَ على الانصرامِ وعَزَمَ على الرحيلِ بَعدَ المقامِ وهُوَ شاهدٌ عليكُم بما أَودعتموُه عند الملكِ العلاَّمِ، فمَنَ كان مُحسناً فَعليهِ بالإتمامُ ومَنْ كانَ مُسيئاً فعليه بالتوبةِ، فإنَّ العملَ بالختامِ، عبادَ اللهِ: إنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالى شَرَعَ لكُم في ختامِ هذا الشهرِ أعمالاً جليلةً تودِّعُونه بها وتتبعونَهُ إياهَا زيادَةً في الخيرِ وتكفيراً للخطأِ والتقصيرِ، شرع لكُم في ختَام هذا الشهرِ أن تكبرُوه فقال سُبحانَهُ وتَعالَى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٥] فيستحبُّ التكبيرُ في ليلةِ العيدِ وعندَ خُروجِ الناسِ إلى المصلَّى، يكبِّرُ المسلمُ ويرفعُ صوتَهُ بالتكبيرِ في المساجدِ والطُرقاتِ وفي البيوتِ. وصِفَةُ التكبيرِ أَنْ يقولَ: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ لا إله إلاّ اللهُ، واللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ وللهِ الحمدُ. يكرِّرُ هَذَا، ويُكثرُ منه في ليلةِ العِيدِ عَملاً بهذِهِ الآيةِ الكريمةِ وشكراً للهِ سبحانه على ما وفقَهُ لإدْراكِ هذا الشهرِ وإكمالِه، وممّا شَرَعَهُ اللهُ في ختامِ هذا الشهرِ إخراجُ صَدَقَةِ الفِطرِ، وهيَ زكاةٌ عَنِ البَدنِ طُهْرةٌ للصائمِ مِنَ اللغْوِ والرفَثِ

وطُعْمَةٌ للمسَاكِينِ، وهي صَاعٌ مِنَ الطعامِ المقتاتِ في البلدِ مِنْ بُرٍّ أو شَعيرٍ أو تَمرٍ أو زَبِيبٍ أو أقْطٍ أو غيرِ هذه الخَمسةِ مِنْ كلِّ ما يعتادُ أهلُ البلدِ أن يجعلُوه طعاماً لَهُم كالرزِ والذُّرةِ والدَّخَنُ وغيرِ ذلكَ من أنواعِ القُوتِ، ومِقدارُها صَاعٌ بالصَّاعِ النَّبويِّ، ومِقدارُه بالكيلُو ثلاثةُ كيلواتٍ تقريباً، ويجبُ إخراجُها مِنَ الطعامِ كما أمرَ النبيُّ ﷺ بذلِكَ ولا يجوزُ إخراجُ القيمةِ، لأنَّ النبيَّ ﷺ أمرَ بإخراجِ الطعامِ ونصَّ عليه وكانتِ النقودُ موجودةً في عَهدِه ﷺ، ومع ذلِكَ عَدلَ عنها وأمرَ بإخراجِ الطَّعامِ، فالذي يُخرجُ النقودَ يكونُ مخالفاً للنصِّ، مخالفاً لما أمرَ به النبيُّ ﷺ، ووقتُ إخراجِها من ثبوتِ هِلاَلِ العيدِ، الليلةَ الأولى مِنْ شوالَ إلى خروجِ الناسِ إلى المصلَّى، وكُلَّما تأخرتَ إلى عند الخُروجِ إلى المصلَّى فهُو أفضَلُ ويجوزُ أن يخرجَها قبلَ العيدِ بيومٍ أو يومين ولا يُستحبُّ؛ ويخرجُها ولو فاتَ الوقتُ آثماً بتأخيرِها ومَحلُّ إخراجِها في البلدِ، في فقراءِ البلدِ الذي وافاهُ تمامُ الشهرِ وهو فيه لأنها زكاةٌ للبدنِ، يُخرجُ المسلمُ عَنْ نفسهِ ويخرجُ عمَّن يُمونُهم أي مَنْ ينفقُ عليهم ولَوْ في شهرِ رمضانَ، ويستحبُّ إخراجُها عن الجنينِ، وهُو الحَمْلُ الذي في البطنِ وأما إخراجُها عن المولودِ ولو كان في سِنِّ الرضاع فهذا أمرٌ واجبٌ؛ لأن النبيَّ ﷺ فرضَها على المسلمينَ، على كُلِّ ذَكَرٍ وأنثى وحُرٍّ وعبدٍ، صَغيرٍ أَوْ كَبيرٍ، وممّا شرعه اللهُ سُبْحَانَهُ في ختامِ هذا الشهرِ صَلاةُ العيدِ، وهي شَعِيرةٌ عَظيمةٌ مِنْ شعائرِ الإسلامِ، يَخرجُ المسلمونَ إلى المصلى جميعُ أَهلِ البلدِ يخرجونَ في مَكانٍ واحدٍ إذا أمكنَ ذلِكَ فإنْ لَمْ يُمْكِنْ فلا بأسَ أَنْ تتعدَّدَ المصلَّياتُ بِحَسَبِ حَاجةِ الناسِ ويكونُ عليهم الخشوعُ والسَّكِينةُ والتكبيرُ والتواضُعُ والشُكْرُ للهِ سُبحانَهُ وتعالى، وممّا شرعه الله في ختامِ هذا الشهرَ إتباعه بصيامِ ستةِ أيامٍ من شوالَ، قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ

صَامَ رمضانَ ثم أتبعَهُ بستٍ مِنْ شوال فكأنَّما صَامَ الدَّهرَ»[(١)] يعني السَّنَةَ فمنْ صَامَ رمضانَ وأتبعَهُ بصيامِ سِتَّةِ أيام من شوّال، فكأنَّما صَامَ اثني عَشرَ شهراً في الأجرِ والثَّوابِ؛ لأن الحَسَنةَ بعَشْرِ أمثالِها، فشهرُ رمضانَ عن عَشْرَةِ أشهُرٍ وسِتَّةُ أيامٍ عن شهرينِ فيكونُ كأنَّهُ قد صامَ اثنَيْ عَشَرَ شَهراً، وهذا هُو الدَّهرُ، يَصُومُها المسلمُ في أوَّلِ الشهرِ وهذا أفضلُ، بعدَ العيدِ مباشرةً، أو يصومُها في وسطِ الشهرِ أو يصومها في آخرِ الشهرِ، يصومُها متتابعَةً وهذا أفضلُ أو يصومُها متفرقَةً ويحصلُ بذلِكَ على هذا الموعودِ الكريم، كأنما صامَ الدَّهرَ.

وهذه الأعمالُ الجليلةُ التي يُتبَعُ بها شهرُ رمضانَ تدلُّنا على أنهُ يجبُ إتباعُ الشهرِ بالطاعاتِ والعباداتِ والشُّكرِ للهِ عزَّ وجلَّ، ولا يجوزُ اتباعُه بالحفلاتِ الراقصةِ والأغاني والأهازيجِ والحَفَلاتِ التي يحصُلُ فيها منكراتٌ عظيمةٌ مِنْ تضييعِ الصَّلواتِ وحضورِ النِّساء متبرجاتٍ، وحُصولِ الفِتنِ، ما هَكَذا يكونُ المسلمُ بعدَ شهرِ الصيامِ! ما هكذا يكونُ الشُّكرُ للهِ سبحانه وتعالى! ما هكذا يُتْبَعُ شهرُ رمضانَ، كأنَّهُ عدُوٌّ انتصروا عليه! إنهُم بهذا يُظهِرُونَ أنهم كانُوا مستثْقِلِينَ لشهرِ رمضانَ وكانوا في سِجْنٍ عَن شَهواتِهم فلمّا انتهى رمضانُ انفلتُوا وكانُوا كالتي نَقَضَتْ غَزلَها مِنْ بعد قُوَّةٍ أنكاثاً، يجبُ احترامُ شعائرِ اللهِ، قَالَ اللهُ سبحانَهُ وتَعالَى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج: ٣٢] فعظِّمُوا شهرَ رمضانَ واشكرُوا اللهَ أنْ بَلغَّكُم إياهُ وأتَمَّهُ عليكُم ووفقكُم لصيامِه وقيامِه، إنها نعمةٌ عَظيمةٌ يفرحُ المسلمُ بها، فالمسلمُ يفرحُ في نهايَةِ رمضانَ لا لأنَّه تخلصَ من الصيامِ والقيامِ، وإنما يفرحُ لأنَّ اللهَ وفقَهُ في هذَا الشهرِ

---

(١) أبو داود (٢٠٧٨)، مسلم (١٩٨٤).

فصامَه وقامَه، وعَبَد اللهَ فيه بما ينبغِي فهُو يفرحُ بذلِكَ رجاءَ ثوابِ اللهِ قال الله سبحانَهُ وتَعَالَى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: ٥٨] أمّا الذي يفرحُ بانتهاءِ الشهرِ لينطلقَ إلى شهواتِه وإلى أفعالِهِ القبيحةِ، ويُظهرُ المنكراتِ بعدَ هذا الشهرِ فهذا دليلٌ على أنه مَخذولٌ ودليلٌ على أنه مَحرومٌ ودليلٌ على أنَّ عملَهُ عليه مَردودٌ ـ إن كانَ له عَمَلٌ ـ فعلينا أن نحترمَ هذا الشهرَ وهذه الأيامِ المبارَكَةِ، وألا نتبعَهَا باللهوِ والغَفْلَةِ واللعِبِ المُحرَّمِ والمعَازِفِ والمزامِيرِ والطبولِ والحَفَلاتِ الآثمةِ، ليسَ هذا شأنُ المسلمينَ. وَفَقَ اللهُ الجميعَ لما يحبُّ ويرضى، ونسأله أنْ يتقبلَ منَّا ومِنْ جَميعِ المسلمينَ صِيامَنَا وقيامَنا وأن يعفوَ عَن زللِنَا وإجرامِنَا وعن تقصيرِنا إنَّهُ قريبٌ مجيبٌ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، في ختامِ هذا الشهرِ واحترمُوه بالأعمالِ الصَّالحةِ وبذكرِ اللهِ وبالنَدمِ على فَوَاتِه وانقضَائِه، فإنه مَوسِمٌ عظيمٌ مِنْ مَواسِمِ الجنةِ وسُوقٌ عظيمٌ مِنْ أسواقِ الآخرةِ وهُوَ التجارةُ الرابحةُ. أعوذُ باللهِ منَ الشيطانِ الرجيمِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الصف: ١٠ ـ ١٣]. باركَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ...

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ على فضلِه وإحسانِه، وأشهد أن لا إله إلاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابِهِ وسلّم تسليماً

كثيراً. أما بعدُ:

أيُّها الناسُ، اعلموا أن عملَ المسلمِ لا ينتهي إلا بالموتِ، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩] فليستِ العبادةُ مقصورةً على شهرِ رمضانَ، وإنما شهرُ رمضانَ يزيدُ في اجتهادِهم وما كان خُروجُه يُنقصُ من اجتهادِهم، كانُوا يسألونَ اللهَ ستةَ أشهرٍ أنْ يبلغَهُم رمضانَ ثم يسألونَهُ ستةَ أشهرٍ أن يتقبلَ منهم رمضانَ، كانوا يبكُون عندَ نهايةِ الشهرِ لأنهُم لا يدرونَ هَلْ تُقُبِّلَتْ أعمالُهم أم لا، لأنَّ اللهَ جلَّ وعلا يقولُ: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧] ويقول سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١] يامَنْ تعوَّدتُم على الصيامِ اجعلُوا لكم نصيباً منه في سَائرِ السَّنةِ من الأيامِ التي يُستحبُّ صِيامُها، يا مَنْ تعودْتم على قيامِ الليلِ اجعلُوا لكم نصيباً من قيامِ الليلِ تداومُون عليه، وإنْ قَلَّ. فإنَّ أحبَّ العملِ إلى اللهِ أدومُه وإنْ قَلَّ. يا مَنْ تعودتُم تلاوةَ القرآنِ في هذا الشهرِ المباركِ، لا تقطعُوا صِلَتَكُم بالقرآنِ بعدَ نِهايةِ شهرِ رمضانَ بلْ دَاوِمُوا على تلاوتِه، وأقبِلُوا على تلاوته وتدبُرِه فإنَّه هو صراطُ اللهِ المستقيمِ وحَبلُ اللهِ المتين، هُوَ الهُدى والنورُ ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]، فالقرآنُ هو النورُ الذي تسيرُ عليه في حياتك أيها المسلمُ، فكيفَ تبتعدُ عن هذا النورِ وتقعَ في الظلماتِ؟! دَاوِمْ على تلاوةِ كتابِ ربِّكْ. اجعلْ لكَ حِزباً منه في كُلِّ يومٍ حتى تُنْهِيَه وتكرِّرَهُ فإنَّه حياةٌ للقلوبِ ونورٌ للبصائرِ وهُدًى مِنَ الحيْرةَ والضَّلالِ، يا مَنْ تعوَّدتُم كَفَّ ألسنتِكم وجَوارِحكُم عَنِ الآثامِ داوِمُوا على كَفِّها في سَائرِ الأيامِ ﴿ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [الإسراء: ٣٦] وذلِكَ في رمضانَ وغيره، فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ

وحَافِظُوا على الأعمالِ الصَّالحةِ ولا تقتصرُ أعْمَالُكُم على شَهرِ رمضانَ. سُئِلَ بعضُ السَّلَفِ عن قومٍ يجتهدُون في رمضانَ فإذا انتَهى رمضانُ عادُوا إلى الكَسَلِ وإلى المعَاصِي، فقال: بِئْسَ القومُ، لا يعرفُونَ اللهَ إلا في رمضانَ، فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ وداوِمُوا على طاعةِ اللهِ والتوبةِ من الذنوبِ والمعاصِي إلى أَنْ تلقَوْا اللهَ سُبحانَهُ وتعالَى.

واعلموا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ. . . .

* * *

ما يكونُ عليه المسلمُ بعدَ شهرِ رمضانَ

الحمدُ لله ربُ العالمين. ما زالَ يوالي على عبادِه مَواسمَ الخيرِ والإنْعامِ. أحمدُه على فضلِهِ العَامِّ، وأشهد أن لا إله إلاّ اللهُ وحدَه لا شريك له ذو الجلالِ والإكرامِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه عليه أفضلُ الصلاةِ والسلامِ وعلى آلِهِ وأصحابه البَرَرةِ الكرام، أما بعدُ:

أيها الناسُ، اتقوا اللهَ تعالى واشكرُوه على ما أولاَكم مِنَ الخير فإنهُ سبحانهُ وتعالى، مازالَ يوالي عليكم مَواسمَ الفضلِ فما انتهَى شهرُ رمضانَ حتى أعقبَهُ بأشهُرِ الحجِّ إلى بيتهِ الحرامِ قال الله سبحانه وتعالى ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾ [البقرة: ١٩٧] وهذه الأشهرُ هي: شهرُ شوال، وشهرُ ذي القِعْدَةِ، وعَشْرُ أيامٍ من ذِي الحِجَّةِ مَنْ أحْرمَ بالحجِ في هذه الفترة صَحَّ إحْرَامُه، ولكنَّ المناسِكَ إنما تؤدَّى في أوقاتِها التي حَدَّدها اللهُ لها وأما الإحرامُ فيجوزُ تقديمُه مِن أوَّلِ يومٍ من شهرِ شوالَ؛ لأنَّه أولُ أشهرُ الحجِ وهذهِ الأشهرِ لها فضائلُ عظيمةٌ، فشهرُ شوالَ هو أولُ أشهرِ الحجِّ، وكذلِكَ يُستحبُ صِيامُ سِتَّةِ أيامٍ منه اتباعاً لرمضانَ قال ﷺ: «من صامَ رمضانَ وأتبعَهُ سِتاً من شوالَ فكأنما صَامَ الدهرَ» وذلِكَ أنَّ الحسنَةَ بعَشْرِ أمثالِها وشهرُ رمضانَ عن عَشْرَةِ أشهر، وسِتةُ أيَّامٍ عن شهرينِ فهذه اثنا عَشَرَ شهراً وهي شهورُ السَّنةِ فَمَنْ صَامَ رمضانَ وأتبعَهُ سِتةً من شوالَ فكأنما صَامَ السنةُ كُلَّها في الفضلِ وهذا فضلٌ مِنَ اللهِ سبحانه وتعالى، وأما شهرُ ذِي القعدةِ فهو أولُ الأشهرِ الحُرُمِ وهي الأربعةُ الحُرمُ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾

[التوبة: ٣٦] وهذه الأربعةُ هي شهرُ ذي القعدةِ وشهرُ ذِي الحجةِ وشهرُ اللهِ المحرمُ وشهرُ رجب. ثلاثةٌ سَرْدٌ وواحدٌ فَرْدٌ، حَرَّمَ اللهُ فيها القتالَ، ولذلِكَ سُمِّيَتْ بالأشهرِ الحُرُمِ، وشهرُ ذِي القعدَةِ هُوَ أولُ الأشهرِ الحُرمِ، وهذا من فضائلِهِ على غيرِه من الشهورِ، وكذلِكَ من فضائِلِه أنَّ جميعَ العُمَرِ التي أداهَا رسولُ الله ﷺ كانت كُلُّها في ذِي القِعْدةِ، فقد اعتمرَ ـ صلّى اللهُ عليه وسلم ـ أرْبعَ عُمَرٍ كُلُّها في شَهرِ ذي القِعْدَةِ، فهذا يَدلُّ على فضِل هذا الشهرِ العظيمِ، وأما شهرُ ذي الحجة ففيهِ فضائلُ عظيمةٌ أَوْلُ هذه الفضائلِ العَشْرُ الأوَلُ التي أقسمَ اللهُ تعالى بها في كتابهِ الكريمِ فقال سبحانه: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفجر: ١ـ٢] وهي عَشْرُ ذي الحجةِ أقسمَ اللهُ بها، لفضلِها وشرفِها وشرفِ العملِ فيها ولهذا قال ﷺ: «ما مِنْ أيامِ العملُ فيهنَّ أحبُّ إلى اللهِ مِنْ هذه الأيامِ العَشْرِ. قالوا: يا رسولَ اللهِ ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ؟ قال: ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ إلاّ مَنْ خرجَ بِنفسِه ومالِه، فلم يرجعْ من ذَلِكَ بِشَيْءٍ»[1]. وهذهِ العشرُ فيها أعمالٌ جليلةٌ، فيها ذِكْرُ اللهِ بالتكبيرِ. قد قال الله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٨] والأيامُ المعلوماتُ هي: عَشْرُ ذي الحجةِ ويُستحبُّ صيامُها لأن صيامَها يدخُلُ في الأعمالِ الصالحةِ التي خَصَّها النبيُّ ﷺ في هذه العَشْرِ، وقد رُويَ عنه ـ صلى الله عليه وسلَّم ـ أنَّه كان يَصومُ عَشْرَ ذِي الحِجَّةِ، وفيه اليومُ التاسعُ وهو يومُ عرفَةَ الذي قالَ النبيُّ ﷺ: «خَيرُ الدعاءِ دُعاء عَرَفَةَ وخيرُ ما قلتُ أنا والنبيونَ مِنْ قبلِي لا إله إلاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ له الملكُ وله الحمدُ وهو على كل شيءٍ قديرٌ»[2]. ويُستحبُّ لغيرِ الحاجِّ أن يَصومَ يومَ عَرفةَ

---

(١) الترمذي (٦٨٨)، أبو داود (٢٠٨٢).
(٢) الترمذي (٣٥٠٩)، مالك (٤٤٩).

قال ﷺ: «صَومُ يومِ عرفةَ يكفِّرُ السنةَ الماضيةَ والسنةَ الباقيةَ»(١). وهذا فضلٌ عظيمٌ وكذلِكَ في شهرِ ذي الحجةِ يومُ عيد الأضحى وهو يومُ الحجِ الأكبرِ سُمِّيَ بذلِكَ؛ لأنَّه تُؤدَّىٰ فيه مَناسكُ الحجِ مَنْ رَمي ونَحْرٍ وطَوافٍ وسَعْي وحَلْقٍ أو تقصيرٍ للرؤوسِ، ففيه تؤدَّى مناسكُ الحجِ ولذلِكَ سمَّاهُ اللهُ يومَ الحجِّ الأكبرِ، وفيه أيامُ التشريقِ التي هي الحاديْ عَشَرَ والثاني عشَرَ والثالثَ عشَرَ وقد قال النبيُّ ﷺ فيها: «أيامُ التشريقِ أيامُ أكلٍ وشُربٍ وذكرٍ للهِ عزَّ وجلَّ»(٢)، وفيها التكبيرُ، المقيدُ بعد الصلواتِ قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [البقرة: ٢٠٣] والأيامُ المعدوداتُ هي أيامُ التشريقِ، وأمَّا شهرُ مُحرَّم فهُوَ أيضاً من الأشهرِ الحرمِ التي حَرَّمَ اللهُ فيها القتالَ، وقد قال النبي ﷺ: «أفضلُ الصيامِ بعدَ رمضانَ شهرُ اللهِ الَّذي تدعُونَه المحرمَ، وأفضلُ الصلاةِ بعدَ الفريضةِ صلاةُ الليلِ»(٣). فأضافَ النبيُّ ﷺ هذا الشهرَ إلى اللهِ فقالَ شهرُ اللهِ، وهذهِ إضافةٌ تقتضِي التشريفَ والتكريمَ، وهذا يَدلُّ على فضْلِ شهرِ المحرمِ، وفيهِ اليومُ العاشرُ وهو يومُ عَاشوراءَ الذي نَجَّىٰ اللهُ فيه مُوسىٰ وقومَه، وأَغْرَقَ فيه فِرْعونَ وقومَه فصامَهُ مُوسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ شُكراً للهِ وصَامَه محمد ﷺ اقتداءً بمُوسَىٰ عليه السلامُ وأمَرَ بِصَومِ يَوْمٍ قبلَهُ أو يومٍ بعدَهُ فهذا يدلُّ على فَضْلِ هذا الشهرِ العظيمِ، وهُو أوَّلُ شُهورِ السَّنَةِ الهجريةِ، فهو الشهرُ الذي اختار صحابة رسول الله ﷺ في خلافةِ عُمرَ أن يجعلوه بدايةً للسَّنَة الهجرية، فهو

---

(١) مسلم (١٩٧٧).
(٢) مسلم (١٩٢٦)، أحمد (١٥١٧٦).
(٣) مسلم (١٩٨٢)، الترمذي (٤٠٢).

شهرٌ عظيمٌ تُضَاعَفُ فيه الأعمالُ فللهِ الحمدُ والمنَّةُ ما زالَ الخيرُ متواصِلاً، ومازالَ الخيرُ متتابعاً لمنْ وفَّقَهُ اللهُ سبحانه وتعالى فالأعمالُ لا تنتهي بشهرٍ معينٍ ولا بيومٍ معين وإنما قد يُفَضِّلُ اللهُ بعضَ الشهورِ أو بعضَ الأيام أو بعضَ الساعاتِ زيادةَ خيرٍ وإلاّ فكلُّ الأيامِ كلها مجالٌ للعملِ الصالحِ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٢] فالحمدُ للهِ على فضلِه وإحسانِه، والموفَّقُ مَنْ وفقَهُ اللهُ لاغتنامِ هذهِ الفضائلِ، وحفْظِ وقتهِ فيما ينفعُه ويُفيدُه، ولمْ يغفلْ عن ذكرِ اللهِ ولمْ يقتصرْ عملُه على أيامٍ معينةٍ أو شهورٍ معينةٍ، وإنَّما عملُ المسلمِ متواصلٌ إلى وفاتِه كما قالَ اللهُ جلَّ وعَلا لنبيه عليه الصلاةُ والسلامُ ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٩] نسألُ اللهَ سبحانَهُ وتعالى أن يوفقنا لاغتنامِ الأوقاتِ والتوبةِ قبلَ المماتِ، وأنْ يُحسِنَ لنا ولكم الختامَ وييسرَ لنا ولكُم الوفاةَ على الإسلامِ. أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولجميعِ المسلمين مِنْ كُلِّ ذنبٍ فاستغفروه إِنَّهُ هوَ الغفورُ الرحيمُ.

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ على فضلِه وإحسانِه، وأشهدُ أن لا إله إلاّ اللهُ وحدَه لا شريكَ لَهُ تعظيماً لشأنِه وأشهدُ أن محمداً عبدُهُ ورسولُه ـ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ـ وسلّم تسليماً كثيراً. أمَّا بعدُ:

عبادَ اللهِ، اعلمُوا أنَّهُ لا يَصحُّ التقربُ إلى اللهِ بالنوافِلِ إلاّ بعدَ أداءِ الفرائضِ والمحافظةِ عَلَى الفرائضِ فَفِي الحديثِ القُدْسِيِّ أنَّ اللهَ سُبحانه وتعالى يقول «مَا تقربَ إليَّ عبدي بشيءٍ أحَبَّ إليَّ مما افترضْتُه عليه ولا يزالُ عبدي يتقربُ إليَّ

بالنوافِلِ حتى أحبَّهُ فإذا أحببتُه كنتُ سمعَهُ الذي يسمعُ به وبَصرَه الذي يبصرُ به ويده التي يبطشُ بها ورجلَهُ التي يمشي بها، ولئِنْ سألَني لأعطينَّهُ، ولئن استعاذني لأعيذَنَّه. وما تردَّدتُ في شيءٍ أنا فاعِلُه تردُّدِيْ في قَبْضِ رُوح عَبدي المؤمن يكرَهُ الموتَ، وأكرَهُ مُسَاءَتَه ولا بدَّ لهُ منْهُ»[1]. فهذا يدلُّ على أنهُ لا يصحُّ التقربُ إلى اللهِ بالنوافلِ ولا يتقبلُها اللهُ إلا بعدَ أن تؤدَّىٰ الفرائضُ مثلُ الصلواتِ الخَمْسِ والمحافظةِ عليها في اليومِ والليلةِ مع الجماعة في المساجِدِ. وفي مواقِتها، كماقال اللهُ سبحانَه وتعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨] قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ٩ـ١١] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ٢٣] وكذلكَ بقيةُ فرائضِ الإسلامِ التي أوجبَها اللهُ على عبادِه مِنَ الزكاةِ والصيامِ وحجَّةِ الإسلامِ وعُمْرَةِ الإسلامِ وطاعةِ اللهِ ورسولِهِ وبرِّ الوالدين وصِلَةِ الأرحامِ وغَيرِ ذلكَ مما أوجَبَهُ اللهَ سبحانَهُ وتَعالَى، فإنَّه يَجبُ على المسلمِ أنْ يؤديهُ، ثمَّ بعدَ ذلكَ يأتي بما تيسَّرَ لهُ مِنْ نوافلِ العباداتِ، ثمَّ اعلموا رحمكم اللهُ أن كُلَّ عُمْرِ المسلمِ مجالٌ للعملِ بجميع أيامِه وشهورِه وأعوامِه فمادامَ المسلمُ على قيدِ الحياةِ وهو عاملٌ فإنَّه تجبُ عليه طاعَةُ اللهِ جلَّ وعلا والمداومَة على طاعةِ اللهِ وتركِ ما حرَّمَ اللهُ لأنَّهُ عَبدٌ للهِ يجبُ عليه أنْ يعبدَ اللهَ بما شَرَعَهُ له مِنَ الفرائضِ وتستحبُّ له النوافلُ وفعلُ الخيراتِ وهذا يرجعُ نفعُه إليهِ وخيرُه إليه فإنْ ضيَّعَ شيئاً مِنَ الأعمالِ، فإنما تكونُ الخسَارةُ عليه قال اللهُ سبحانهُ وتعالَى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ

---

(١) البخاري (٦٠٢١)، أحمد (٢٤٩٩٧).

لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت: ٤٦] فأنتَ تعملُ لنفسِكَ وإنْ أسأتَ فإنما تُسيءُ لنفسِكَ ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾ [البقرة ٢٨٦] لها ما اكتسبَتْ مِنَ الأجرِ والطاعاتِ وعليها ما اكتسبَتْ مِنَ الإثمِ والعِصْيانِ، فأنتَ تعملُ لنفسِكَ ولا تعملُ لغيرِكَ فاللهُ جَلَّ وعلا غَنيٌّ عنكَ وعنْ عبادَتِكَ وعنْ جميعِ العالمينَ ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ [إبراهيم: ٨] وفي الحديث القدسي إنَّ اللهَ سبحانَه وتعالى يقولُ: «**يا عبادِي لو أنَّ أولكُم آخِركُم وإنْسَكُم وجِنكُم كانوا على أتقى قلْبِ رجلٍ منكم ما زادَ ذلكَ في مُلكي شيئاً ولو أنَّ أولكُم وآخركُم، وإنسَكُم وجنكُم كانوا على أفجرِ قلبِ رجلٍ منكُم ما نَقَصَ ذلكَ مِنْ ملكي شيئاً وإنما هي أعمالِكم أحصِيْها لكُم، وأوفيكمُ إياهَا فمنْ وجدَ خيراً فليحْمِدَ اللهَ ومنْ وَجَد غيرَ ذلكَ فلا يلومَنَّ إلاَّ نَفْسَهُ**». فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واعملُوا لإنفسِكم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ [فاطر: ٥ـ٦] خسارةٌ على المسلمِ بل أعظمُ خسارةٍ بل لا يُعادِلُها خسارةٌ أن يعيشَ في هذهِ الدُّنْيا ويخرجُ منها مُفْلِساً مِنَ الأعمالِ الصالحةِ ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر: ١٥] فليسَ الخاسِرُ هو الذي تفُوتُه الدُّنيا، ولو فاتتْهُ الدُّنيا بحذافيرها إنَّما الخاسرُالذي يَخْسَرُ دينَه، ويخسَرُ نفسَه، ويخسَرُ الجنةَ، ولا حولَ ولا قوَّة إلا باللهِ. فبَادرُوا لأنفسكم واعملوا لأنفسكم واتقوا اللهَ في أنفسكم فإنكمُ عما قريبٍ سترحلُون عن هذه الدنيا بما عَملتُم مِنْ خيرٍ وأو شرٍّ، وستواجهونَ الحسابَ الذي لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أحصاهَا، ﴿ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾. فتذكروا مصيركم واعملوا لآخرتكم وتذكروا في دنياكم ما دُمْتُم في زمنِ الإمهالِ وقيد الحياةِ قبل أنْ يُحالَ بينكم وبينَ الأعمالِ.

في الموعظةِ والاعتبارِ

الحمدُ للهِ العزيز الغفارِ. جعلَ في تعاقُبِ الليلِ والنهارِ عبرةً لأولي الأبصارِ، وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له الواحدُ القهارُ، وأشهدُ أنْ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختارُ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابِه البررةِ الأطهارِ وسلم تسليماً كثيراً. أما بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقوا اللهَ تعالى واعتبرُوا فيما بينَ أيديكُم مِنَ العِبَرِ والعظاتِ فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى نَصَبَ لكم مِنَ العبرِ والمواعظِ ما به ما نتذكرُ مَنْ يتذكَّرُ وينيبُ إليهِ سُبحانه من أنابَ، وأولُ ما بينَ أيديكم مِنَ العِبَرِ والعظاتِ كتابُ اللهِ، القرآنُ العظيمُ وما تضمنَّنَهُ مِنْ أخبارِ الماضين، وأخبارِ المستقبلِ، قصَّ عليكُم مِنْ نبأِ الأممِ السابقةِ ما كأنَّكُم حضرتم وقوعَهُ وقصَّ عليكُم من أخبارِ المستقبلِ في الدنيا والآخرةِ ما كأنكم تشاهِدُونه. قالَ اللهُ سبحانهُ وتعالَى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾ [ق: ٤٥] وقالَ سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾ [ص: ٢٩] وقالَ سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ۝١٣﴾ [غافر: ١٣] فهذا القرآنُ العظيمُ إذا تدبَّرَهُ المسلمُ وجدَ فيه منَ القِصصِ والأخبارِ والعبرِ والعظاتِ ما لا يُحصيهِ إلاّ اللهُ سبحانه وتعالى، فالمؤمنُ ينتفعُ بذلِكَ، ويستيقظُ ويتوبُ إلى اللهِ، ويتزوَّدُ مِنَ الأعمالِ الصالحةِ لئلاَّ يحصلَ له مَا حَصَل لأولئكَ الذينَ قصَّ اللهُ عنهم وأخبر عنهم في الماضي ولأجلِ ألا يقع في المحاذيرِ والمهالِكِ في المستقبلِ، ومِنَ العبرِ والعظاتِ التي تجري بين أيدينا ليلاً ونهاراً الموتُ الذي به تنتهي حياةُ الإنسانِ

ويختمُ به عملُه، وينتقلُ مِنْ دارِ الدنيا إلى دارِ الآخرةِ إلى دارِ الحسابِ والجزاءِ، الموتُ الذي ما ترك أحداً إلا أخذَهُ مِنَ الأولينَ والآخرين قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٦ـ٢٧] قال سبحانَهُ وتعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الزمر: ٣٠ ـ ٣١] فالواجبُ على المسلمِ ألا ينْسَى الموتَ؛ لأنه نهايةُ أجلِه وختامَ عملِه ولا يدرِي في أيْ لحظةٍ وفي أي ساعةٍ ينزلُ به وإذا نزلَ فإنَّهُ لا يرتفعُ ولا يقبلُ المعاذيرُ ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [النحل: ٦١] والنبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذكرنا بالموتِ وأمرنا بتذكُّرِه قال ﷺ: «**أكثروا منْ ذكرِ هادِمِ اللذاتِ ـ يعني الموت ـ فإنكم لا تذكُرونه في قليلٍ إلا كَثَّرَهُ، ولا تذكرونه في كثير إلا قلَّلَهُ**»[١]. فعلينا ألا نغفلَ عن الموتِ وسَاعةِ الأجلِ وأنْ نستعدَّ لذلكَ، نستعدُّ للرحيلِ ونستعِدُّ لمغادرةِ هذه الدُّنيا واستقبالِ الآخرة على أحسنِ حالٍ وأكمل استعدادٍ لئلا يُفجئنا الموتُ ونحنُ على غفلَةٍ وفي إعراضٍ، وأكثرُ ما ينزلُ الموتُ في حالةِ الغفلَةِ، وفي حالةِ الأمنِ مِنْ مَكْرِ اللهِ سبحانه وتعالى، وممّا يَجري مِنَ العِبَرِ والعظاتِ ويتكرر علينا بلْ جَعَلَه الله في هذه الدُّنيا من المذكراتِ التي تذكِّرُ بالآخرةِ تذكر بالنارِ وتذكر بالجنةِ، فما في الدنيا مِنْ همومٍ وأحزانٍ وأمراضٍ وأسقَامٍ وما فيها منْ مُكَدِّرَاتٍ، وما فيها من حرٍّ وبردٍ فإنَّ في النار ما هو أشدُّ منه. قال سبحانه وتعالى في المنافقين: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

---

(١) الترمذي (٢٢٢٩) (مقارب)، ابن ماجة (٤٢٤٨).

[التوبة: ٨١] وقال سبحانه وتعالى في نارِ الدنيا ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝٧٣ ﴾ [الواقعة: ٧١ـ٧٣] «تذكِرةً» أي «تذكر بنارِ الآخرةِ» وقال ﷺ: «فإنَّ شِدَّةَ الحرِّ مِنْ فَيْحِ جهنمَ»(١). وأخبر ﷺ أنه جُعِلَ للنار نَفَسَانِ نَفَسٌ في الشتاءِ، وذلك أشدُّ ما تجدُون من البرْدِ، ونَفَسٌ في الصيفِ وذلك أشدُّ ما تجدونَ من الحَرِّ. فلنتذكرْ بهذهِ الأمُورِ ما يكون في النارِ والعياذُ باللهِ، إذا كنا لا نطيقُ الحَرَّ في هذه الدُّنيا، ولا نطيقُ البردَ، ولا نطيقُ القُرْبَ من النارِ التي نُوقدُهَا نحنُ، ونطفِئُها نحنُ فكيفَ بنارِ جهنَّمَ التي وقُودُها الناسُ والحجارةُ ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩ ﴾ [الهمزة: ٦ـ٩] لماذا لا نخافُ منَ النارِ ولا نتذكرُ النارَ ونستعدُّ؟ وما في الدنيا من السُّرورِ والنعيمِ والملذاتِ فإنَّ في الجنَّةِ ما هو أعظمُ منه وألذُّ! فلماذا ـ إذا كُنَّا نَرغبُ في هذه الملذاتِ في الدنيا، هذه الروائحُ الطيبةُ وهذه الطعومُ اللذيذةٌ وهذه الفواكهُ الشهيةُ وهذه المآكلُ المرغوبةُ لماذا لا نتذكرُ ما في الجنةِ من لذّةٍ لا تنقطعُ وقرةِ عينٍ لا تنقطعُ؟! لماذا لا نستعدُّ للجنةِ ونطلبُ ما فيها مِنَ النعيمِ والسرورِ الدائمِ الذي لا ينقضِي؟ ومما يجري في هذه الدنيا ما تسمعُونَهُ ليلاً ونهاراً من الكوارثِ التي تنزِلُ بأهل الأرضِ فتهلكُ الأمَمَ وتخرِّبُ الديارُ وتهدمُ المباني كالزلازلِ المدمرةِ، وما الزلزالُ الذي حَلَّ بالهند عنكم ببعيدٍ هَلَكَ فيه آلافُ البشرِ وتدمَّرتْ فيه مِئاتُ الديارِ وتشردَّ بسببهِ الألوفُ ومئاتُ الألوفِ، وتشردَّوا من ديارِهم وبيوتِهم إلى العَراءِ خائفينَ وجلينَ جائعينَ في عَراءٍ ليسَ لهم ما يقيهم مِنَ الحرِّ

---

(١) البخاري (٥٠٢)، مسلم (٩٧٢).

والبردِ، لَيْسَ لهم ما يطعمُهم من الجوعِ، خَرُبتْ ديارُهم على ما فيها منَ الأمتعةِ وخرجوا مجرَّدينَ ليس معهم شيءٌ بمئاتِ الألوفِ ينتظرونَ المساعداتِ مِنَ الناسِ فلماذا لا نعتبرُ؟! ولماذا لا نتعظُ بما نسمعُ؟! وكذلك ما يحدثُ من الطوفانِ التي يُسمونها بالفيضاناتِ وهي الطوفانُ الذي أهلكَ اللهُ بهِ قومَ نوحٍ وأهلكَ بهِ فِرعَونَ، والطوفان هو: الماءُ الذي يطْغىٰ على الأرضِ فيُهلكُ البشرَ ويُهلك البهائمَ ويُهلكُ الزروعَ والمحاصيلَ. لماذا لا نعتبرُ ونتعظُ؟! وكذلك ما نسمعُ ما يجرِي في البلادِ الأُخرى من الحروبِ الطاحنةِ وتسلُّطِ الظَّلَمَةِ والسَّلْبِ والنهبِ وذهابِ الأمنِ وحُلولِ الخوفِ. كما تسمعونَ وكم تسمعونَ ممَّنْ حولكُم؟ ألا تخشونَ أن يحلَّ بكُم؟!. قال عبدالله بنُ عُمَرَ: **«أخذَ رسولُ اللهِ ﷺ بِمنكِبي فقال: كُنْ في الدنيا كأنَّكَ غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ، وكان ابنُ عمرَ ـ رضي الله عنهما ـ يقولُ: إذا أصبحتَ فلا تنتظرِ المساءَ وإذا أمْسَيتَ فلا تنتظرِ الصباحَ»**[١].

هذا هُو اليقينُ وهذا هو الإيمانُ الصادقُ أن الإنسانَ لا يطمعُ في طولِ الحياةِ، وإنما يُقَصِّرُ أملهُ ويستعدُّ لرحيلهِ، ويتوبُ إلى اللهِ منْ ذنوبِهِ، ويكونُ على أهبةِ الاستعدادِ لئلا يفجئهُ الموتُ وهو على غيرِ استعدادٍ. وبغيرِ زادٍ، وما أكثرَ ما تُشيِّعُونَ من الأمواتِ صَباحاً و مساءً! وهمْ منْ إخوانِكم وأبنائِكُم وجيرانِكُم، وأنتمُ عما قريبٍ ستلحقُون بهم **«كان ﷺ إذا مرَّ بالمقابرِ يستقبِلُهم بوجهِهِ ويقول: السلام عليكم يا أهلَ الديارِ مِنَ المسلمينَ والمؤمنينَ وإنا إنْ شاءَ الله بكم لاحقون يرحمُ اللهُ المستقدِمينَ منكمُ والمستأخرينَ، اللهمَّ لا تحرمنا أجرَهُم ولا تفتنَّا بعدهُم واغفر لنا ولهُم»**[٢]. وحَثَّ ﷺ على زيارةِ القبورِ. وقال: إنها تذكِّرُ

---

(١) البخاري (٥٩٣٧)، الترمذي (٢٢٥٥) (مقارب).

(٢) ابن ماجة (١٥٣٥)، أحمد (٢٣٢٨٨).

الآخرة. «وقَالَ عليه السلاة والصلام: زُورُوا القبورَ فإنها تذكِّرُ بالآخرةِ»[1].
فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، تفكرُوا واعتبروا وتوبوا إلى اللهَ واستعدوا للنُّقلَةِ من دارِ المهْلَةِ إلى دارِ القرارِ. أعوذُ باللهِ منَ الشيطانِ الرجيمِ ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلى: ٩ـ١٩]. باركَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ.

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ على فضلِه وإحسانِه، وأشكرُه على توفيقِهِ وامتنانِه، وأشهدُ أن لا إله إلاّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له تعظيماً لشأنِه، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه الداعي إلى رضوانِه ـ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ـ وسلّم تسليماً كثيراً. أمّا بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقوا الله تعالى إن اللهَ سبحانَهُ وتعالى تَوعَّدَ مَنْ لم ينتفعْ بالمواعظِ ولم ينتفعْ بالتذكيرِ قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٥] وقال سبحانه: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ

---

(١) ابن ماجة (١٥٥٨).

ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [يونس: ١٠١ـ١٠٢]، وقال سبحانه: ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾ [سبأ: ٩] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٠٠] وقال سبحانه: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأنعام: ١١] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج: ٤٦] فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واعتبرُوا واتَّعِظُوا فإنَّ اللهَ أعطاكُم عقولاً تفكرونَ بها وإدراكاً تدركونَ به الأمورَ ولمْ يجعلْكُم كالبهائِم التي لا تعرفُ إلاّ أنها تأكلُ وتشربُ ولا تفكر فيما وراء ذلِكَ لأنها ليسَ لها حِسَابٌ، وليسَ لها آخرةٌ أمّا أنتُم فإنكم مُكَلَّفُون، وإنكم محاسبون وإنكم مَبْعُوثُون ومَجزيُّونَ وإنَّ آخرتكُم تتركَّزُ على دنياكُم فإنْ حفِظْتُم هذه الدنيا بالأعمالِ الصالحةِ صَلُحَتْ لكم الآخرةُ، ومَنْ صَلُحَتْ لَهُ دنياهُ صَلَحَتْ لَهُ آخرتُهُ وإنْ ضيعتُم هذهِ الدنيا باللهوِ واللعبِ ضاعتْ عليكُم الدارُ الآخرةُ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [الحج: ١١] واعلمُوا أنَّ خَيْرَ الحديثِ كتابُ اللهِ. . . .

في الأخوّةِ الدينيةِ ومُتطلبَّاتِها

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ. جَعَلَ المؤمنينَ إخوة متحابِّينَ مُتعاونينَ على الخيرِ متناصِحين عن الشَّرِّ، وأشهدُ أَنْ لا إله إلاّ اللهُ وحدَه لا شريك له، ولا نعبد إلا إياه مخلصينَ له الدينَ ولو كَرِهَ المشركونَ، وأشهدُ أَنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُه الناصحُ الأمينُ ـ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابِهِ الطيبينَ الطاهرينَ وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدينِ أما بعدُ:

أيها الناسُ، اتقوا اللهَ تعالى، قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] وقالَ النبيُّ ﷺ «**المسلمُ أخو المسلم لا يحقرهُ، ولا يخذلهُ ولا يسلمُه، بحسبِ امريءٍ من الشرِ أنْ يحقرَ أخاهُ المسلمَ، كُلُّ المسلمُ على المسلمِ حرامٌ: دمُه، ومالُه، وعرضُه**»[1]. وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ في خطبتِه عامَ حجَّةِ الوداعِ في يَومِ النَّحْرِ: أيُّها الناسُ، أيُّ بلدٍ هذا؟ قالوا: اللهُ ورسولُه أعلمُ. فسكتَ حتى ظنَّوا أنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بغيرِ اسمهِ. ثم قالَ: أيُّ شهرٍ هذا؟ قالوا: اللهُ ورسولهُ أعلمُ. فسكتَ حتى ظنُّوا أنهُ سيسمِّيهِ بغيرِ اسمهِ. ثم قال: أيُّ يومٍ هذا؟ قالوا: اللهُ ورسولهُ أعلمُ. فسكتَ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلم ـ حتى ظنَّوا أنَّهُ سيسمِّيهِ بغيرِ اسمهِ. ثم قال: أليسَ هذا هوَ البلدُ الحرامُ؟ قالوا: بلى، يا رسولَ اللهِ. قال: أليسَ هذا هو الشهرُ الحرامُ؟ قالوا: بلى، يا رسولَ اللهِ. قال: أليسَ هذا هو يومُ النحرِ؟ قالُوا: بلَى يا رسولَ اللهِ. قالَ: فإِنَّ دماءَكُم وأموالَكُم

---

(١) مسلم (٤٦٥٠)، أبو داود (٤٢٣٨).

وأعراضَكُم عليكُم حَرامٌ كحُرمةِ يومِكم هذا في بلدِكم هذا في شهرِكم هذا في يومِكم هذا ألا هَلْ بلَّغتُ؟»(١).

عبادَ اللهِ، إن اللهَ سبحانَه وتعالَى حرَّمَ أذى المسلمِ بغيرِ حَقٍّ قال ﷺ: «لاَ يحلُّ دَمُ امريءٍ مُسلمٍ يشهدُ أَنْ لاَ إلهَ إلاّ اللهُ، وأَنَّ محمداً رسولُ اللهِ إلا بإحدىٰ ثلاثٍ، النفس بالنفسِ والثَّيِّب الزانِي والتارك لدينهِ المفارقُ للجماعةِ»(٢). وقَدْ حرَّمَ اللهُ قَتْلَ المسلمِ بغيرِ حقٍّ. قالَ اللهُ سبحانه وتعالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٢ـ٩٣] هذا جزاؤُه في الآخرةِ وأمَّا جزاؤُه في الدُّنيا فإنَّهُ يُقامُ عليهِ القِصَاصُ بطلب أَوْلياءِ الدَّم بأنْ يُفْعلَ بهِ كما فعلَ بالمجنِي عليه قالَ اللهُ سبحانَهُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ﴾ [البقرة: ١٧٨] وقالَ تعالَى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة: ١٧٩] هذا في حُرْمَةِ دمِ المسلمِ، وأما حُرمةِ مالهِ، فالمالُ هو ما يكتسبهُ المسلمُ من وَجْهِ حَلالٍ لينفقَهُ في حَوائجِهِ وليتصدقُ منه وينتفعُ به في حياتهِ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾

---

(١) البخاري (٦٥)، مسلم (٢١٣٧).
(٢) مسلم (٣١٧٥)، الترمذي (١٣٢٢).

[النساء: ٥] فالأموالُ نعمةٌ مِنَ الله سُبحانه وتعالَى، وأباحَ اللهُ لعبدِه المسلمِ أنْ يكتسبَ المالَ الحلالَ من الوجوهِ المباحةِ وأن يتموّلَ، وأنْ يكونَ لهُ ثروةٌ مِنَ المالِ الحلالِ وحرَّمَ أن يُعْتَدَي على مالِه بأيِّ وجهٍ من أنواعِ الاعتداءِ فمَنْ اعتدَى على مالِ المسلمِ بالسَّرقَةِ فإنَّه تُقْطَعُ يدهُ اليمنىٰ مِنْ مِفْصَلِ الكفِّ لقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المائدة: ٣٨] وإنْ اعتدَى عليه جَهْرَةً فأخذَ مالَه قَهْراً تحتَ وطأةِ السلاحِ، فإنَّ هذا هُو المُحَارِبُ الذي قال الله جل وعلا فيه: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٞ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [المائدة: ٣٣] وحرَّمَ أخذَ مالِ المسلمِ بطريقِ الغِشِّ والخداعِ والمكرِ والكذبِ والمعاملةِ الباطلةِ، حرَّم الرِّبا وحَرَّمَ الميسرَ، وحرَّم الرِّشْوةَ، وحرَّم كلَّ اعتداءٍ أو احتيالٍ على أخذِ مالِ المسلمِ بغيرِ حقٍّ، وأمرَالمسلمَ أنْ يُدافعَ عن مالِهِ كما يدافعُ عن نفسِه، فإنْ قُتِلَ دونَ ماله فإنَّهُ شهيدٌ كما قالَ النبيُّ ﷺ. وحرَّمَ عِرْضَ المسلمِ، وعِرْضُ المسلمِ أغلَى عليهِ مِنْ مَالِه وقد يكونُ أغلَى عليه مِنْ بَدَنِه، وعرضُ المسلمِ سياجٌ منيعٌ يحتمِي به المسلمُ مِنَ الذَّمِّ ويعيشُ به بينَ الناسِ، فإذا انتُهِكَ عِرْضُهُ فإنَّ ذلِكَ يؤثِّرُ عليهِ تأثيراً بالِغاً، فلا يُعتدَىٰ على عِرْضِ المسلمِ بالقَذْفِ بالفاحِشَةِ، فإنْ قَذَفَهُ أَحدٌ ورَمَاهُ بفعلِ الفاحشةِ من زِنى أو لواطٍ ولَمْ يأتِ بأربعةِ شُهودٍ يُثْبِتُونَ ما يقولُ، فإنَّهُ يُجْلَدُ ثمانينَ جَلْدةً ولا تُقْبَلُ له شهادةٌ ويُصبحُ فَاسِقاً لا يقبلُ له خبرٌ ولا يوثَقُ به حتى يتوبَ إلى اللهِ سبحانَهُ وتعالَى. قال تعالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةٗ وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ

ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [النور: ٤ـ٥] وقالَ تعالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النور: ٢٣ـ٢٥] وكذلِكَ حَرَّمَ عِرْضَ المسلم فحماهُ مِنَ الغيبةِ، قالَ تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١٢] وقد فسرَ النبيُّ ﷺ الغِيْبَةَ بأنها ذِكْرُكَ أخاكَ بما يكْرهُ قالُوا يا رسولَ اللهِ: أرأيتَ إنْ كانَ في أخِي ما أقولُ؟ قالَ: إنْ كانَ فيهِ مَا تقولُ فقد اغتبْتَهُ، وإنْ لم يكُنْ فيه ما تقولُ فَقَدْ بَهتَّه. فَعِرْضُ المسلم حرامٌ من جميعِ الوجوهِ لا يجوزُ أنْ يُنْتَهَكَ، وعرضُ المسلمِ أغلَى عليهِ مِن مالِه؛ لأنَّ المالَ إذَا فُقِدَ يمكن أن يُعوَّضَ بخلاف العِرْضِ فإنَّهُ إذا انتُهِكَ لا يمكنُ أنْ يُعَوَّضَ كما قالَ الشاعرُ:

أصونُ عِرضِي بمالِي لا أدنِّسُـهُ ... لا باركَ اللهُ بَعْدَ العِرْضِ بالمـالِ

احتالُ بالمالِ إنْ أودَىٰ فأجمَعهُ ... ولستُ للعِرْضِ إنْ أودىٰ بمُحتَالِ

فأعراضُ المسلمينَ لها حُرْمَةٌ عظيمةٌ لا يجوزُ أن يُعْتَدى عليها، ولكِنَّ كثيراً مِنَ الناسِ لا يُبالُونَ بهذهِ الحُرْمَةِ بَلْ فاكِهَتُهم التي يتفكَّهُونَ بها هِيَ تناولُهم لأعراضِ إخوانِهم المسلمينَ بالغِيبةِ والنميمةِ وغيرِ ذلِكَ من أنواعِ التَّنقُّصِ كالإزدِرَاءِ والاستهزاءِ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ

أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١١ـ١٢] وقالَ تعالَى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾ [الهمزة: ١] وقالَ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [المطففين: ٢٩ـ٣٣] وقالَ سبحانَهُ وتَعالَى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التوبة: ٧٩] وقالَ فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، واحترمُوا حُقوقَ إخوانِكم المسلمينَ وعظِّمُوا ما عظَّمَهُ اللهُ قال الله سبحانَهُ وتعالَى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠] باركَ اللهُ لي ولكم بالقرآنِ العظيم. . .

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ على فضلِهِ وإحسانِهِ، وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أَنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلّى اللهُ عليهِ وعَلَى آلهِ وأصحابِهِ ـ وسلّم تسليماً كثيراً أما بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقُوا اللهَ سبحانَهُ وتعالَى كثيرٌ مِنَ المسلمينَ يَستَعظِمُ قَتْلَ المسلمِ، ويستعظمُ السَّرِقة، ويستعظمُ أخذَ مالِ المسلمِ بغيرِ حقٍّ وهذا صحيحٌ ولكنْ لا يستعظمُ الوقوعَ في عِرْضِهِ، والولوغ في غيبتِهِ بَلْ لا تطيبُ مجالسُ كثيرٍ مِنَ الناسِ إلاّ بالغيبةِ والنَميمةِ بل لا تُسمحُ نفوسُ أكثرِ الناسِ إلاَّ بالشتم والسِّبابِ والتعدِّي على الناسِ بالكلامِ الفاحشِ البذيءِ والنبيُّ ﷺ كَمَا سَمِعتُم سَوَّى بين الأمورِ الثلاثةِ بَيْنَ الدَّمِ والمالِ والعِرْضِ فلماذا نفرِّقُ بينَ ما جَمعَ اللهُ سبحانَهُ

وتعالَى؟! لماذا نستبيحُ الأعراضَ ونقعُ فيها ونتهاونُ في شأنِها وهي مِثْلُ الدّمِ ومثلُ المالِ لها قيمتُها ولها حُرمتُها! فليتقِ اللهَ أناسٌ اتخذُوا الغيبةَ والنميمةَ والسُّخريةَ بالمسلمينَ! اتخذُوها فاكهةً يتفكَّهُونَ فيها، وهؤلاءِ يكمِّلُون أنفسَهم بتنقصِ الآخرينَ يرونَ العيبَ في غيرِهم ولاَ يرونَ العُيوبَ الكثيرةَ فيهم، نسألُ اللهَ العافيةَ، ثم اعلمُوا عبادَ اللهِ، أنَّ أَعْراضَ الأمواتِ أشدُّ تحريماً من أعراضِ الأحياءِ. قال ﷺ: «لا تسبُّوا الأمواتِ فإنَّهُم قد أَفْضَوْا إلى مَا قَدَّمُوا»[1]. فيجبُ علينَا احترامُ المسلمينَ أحياءً وأمواتاً، فلنتعاوَنْ مع الأحياءِ على البرِّ والتَّقْوَىٰ والمحبةِ والتناصُحِ ونترحَّمُ على الأمواتِ ونستغفرُ لَهُمْ كَمَا قَالَ سبحانَهُ وتَعالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠] فيجبُ احترامُ أعراضِ الأمواتِ أكثرَ مِنَ احترام أعراضِ الأحياءِ لاسيَّمَا صَحابةُ رسولِ اللهِ ﷺ. قالَ تعالَى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠] ولاسيَّما أعراضُ العلماءِ من علماءِ الأمةِ الذينَ هُم القدوة، والذين هُم ورثةُ الأنبياءِ. ولاسيَّما ولاةُ أمورِ المسلمينَ، فإنَّ هؤلاءِ الأصنافَ الثلاثةَ: الصحابةَ والعلماءَ وولاةَ الأمورِ لَهُمْ مزيدُ حُرْمَةٍ خاصة ولهم عندَ اللهِ قيمةٌ عظيمةٌ فيجبُ احترامُهم أكثرَ مِنَ احترامِ غَيرِهم.

نسألُ اللهَ عزَّ وجلَّ أنْ يُطَهِّرَ قلوبنَا. وألسِنتنَا من أعراضِ إخوانِنا المسلمينَ أحياءً وأمواتاً.

ثم اعلمُوا عبادَ اللهِ أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.

---

(١) البخاري (١٣٠٦)، النسائي (١٩١٠).

وجوبُ شكرِ النعمِ ولاسيّما نعمةُ القرآنِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ ﴾ [الكهف: ١] وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ. من اتقاهُ وقاهُ وجَعَلَ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخرجاً، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُه صلّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِهِ وسلّم تسليماً كثيراً، أمّا بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقُوا اللهَ واشكروُه على نعمِهِ الظاهرةِ والباطنةِ، وأعظمُ مَا أنعمَ اللهُ به عليكُم بَعْثَةُ الرسولِ محمدٍ ﷺ ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝١٦٤ ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وكذلِكَ إنزالُ القرآنِ الذي جَعَلَهُ اللهُ شِفاءً ورحمةً وموعظةً وهُدًى ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠ ﴾ [الإسراء: ٩ـ١٠] ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝٨٢ ﴾ [الإسراء: ٨٢]. ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٤٤ ﴾ [فصلت: ٤٤].

عبادَ اللهِ، إنَّ واجبنَا نحوَ هذَا القرآنَ الذّي مَنَّ اللهُ به علينَا وأنْزَلَهُ لهدايتِنَا، إنَّ واجبنَا نحوهُ أمورٌ عظيمةٌ، أولاً: يجبُ علينَا أنْ نتعلَمَهُ وأن نُعلِّمَه أولادَنا وإخوانَنا ونتدارَسَه قال ﷺ: «خَيْرُكُم مَنْ تعلَّم القرآنَ

وعلَّمَهُ»(١) ثُمَّ إِذَا تعلمناهُ وأتْقنَّا قِراءتَهُ فإنَّهُ يجبُ علينَا أنْ نكثِرَ من تلاوتِهِ، قالَ ﷺ: «مَنْ قرأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ اللهِ فلَهُ حَسَنَةٌ والحسنةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِها لاَ أقولُ ألم حرفٌ ولكِنْ ألفٌ حرفٌ ولامٌ حرفٌ وميمٌ حرفٌ»(٢) ويجبُ علينَا أنْ نستمِعَ إلى تلاوتهِ، وأنْ نستمع لمن يقرأه قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢٠٤﴾ [الأعراف: ٢٠٤] ولكنَّ كثيراً منَ النَّاسِ لا يستمعُونَ إلى القرآنِ، وإنَّما يستمعُون إلى اللهوِ واللغوِ والباطل، يستمعونَ إلى الأغانِي والمزاميرِ وصَوتِ الشيطانِ، يجبُ علينَا أيْضاً أنْ نتدبرَ كتابَ اللهِ، وأنْ نَتفهَّمه، وأنْ نطلبَ تفسيرَه حتى نعرفَ معانيهِ، ومَا أرادَ اللهُ تعالَى بهِ؟ قَالَ تعالَى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾ [ص: ٢٩] وقَالَ تعالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [النساء: ٨٢] وقالَ سبحانَهُ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦٨﴾ [المؤمنون: ٦٨] وقَالَ سبحانَهُ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾ [محمد: ٢٤] فإنَّهُ لاَ يَكْفِي تلاوةُ القرآنِ، وتحسينُ الصَّوتِ بهِ، بل لا بُدَّ مِنْ تدبُّرِهِ، وتفهُّمِ مَعانيه، ثُمَّ لا يكفِي هذا بل لابُدَّ مِنَ العملِ بِهِ واتباعِ ما جاءَ بهِ؛ لأنَّهُ هُوَ حُجَّةُ اللهِ علينا وسَيسألُنا اللهُ عنه يَومَ القيامةِ. قَالَ سبحانَهُ وتَعالَى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف: ٣] ويجبُ عَلَى أهلِ العلمِ خاصةً أنْ يحكِّمُوه فيما اختلفُوا فيهِ مِنْ مَسائِلِ العلمِ والاجتهاداتِ، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩﴾

---

(١) البخاري (٤٦٣٩)، الترمذي (٢٨٣٢).

(٢) الترمذي (٢٨٣٥) (انفرد به).

[النساء: ٥٩] وقالَ سبحانَهُ: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ١٠] فلا يجوزُ لأهلِ العلمِ أنْ يأخذُوا بأقوالِ الرجالِ مِنْ غيرِ معرفةِ أدلَّتِها مِنْ كتابِ اللهِ وسنَّةِ رسولهِ ﷺ بل يجبُ ردُّ النزاعِ بينَ أهلِ العلمِ والاختلافِ بينَ أهلِ العلمِ إلى كتابِ اللهِ وإلى سُنةِ رسولِ اللهِ ﷺ، وكذلكَ يجبُ على الحكامِ الذينَ ولاَّهُمُ اللهُ أمرَ العبادِ يجبُ عليهم أنْ يحكمُوا بينَ الناسِ بمَا أنزلَ اللهُ قَالَ اللهُ جلَّ وعَلا لنبيهِ ﷺ: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ ﴾ [المائدة: ٤٩] وقَالَ سبحانه: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة: ٤٤] وقَالَ سُبحانَهُ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المائدة: ٤٧] ويجبُ على المسلمينَ عامَّةً علماءَ وحكاماً، يجبُ عَلَى الجميعِ أنْ يُحَكِّمُوا كتابَ اللهِ، وأنْ يرجِعُوا إليهِ وأَنْ يجعلُوه دُستُورَهُم وهَادِيهم وطريقهَم إلى اللهِ سُبحانِهِ وتَعالَى.

عبادَ اللهِ، إنَّ رسولَ ﷺ، شكا إلى ربِّه عزَّ وجلَّ إعراضَ الناسِ عَنِ القرآنِ وهَجْرِهِم لَهُ قَالَ اللهُ سُبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٠] والهجرُ هُوَ التركُ: تركُ الشيءِ فمعنَى قَوْلُهُ: «اتخذُوا هذَا القرآنَ مهجوراً»، أي تركُوا كِتابَ اللهِ سُبحانَهُ وتَعالَى، وهَجْرُ القرآنِ أنواعٌ. النوعُ الأولُ: هَجْرُ تعلُّمِه وتعلِيمهِ وانصرافِ الناسِ إلى تعلُّمِ أمورِ دنيويةٍ نفعُها محدودٌ أو تعلُّم أمورٍ محرمةٍ ضَرَرُها عَاجِلٌ وآجلٌ، ولم يتعلَّموا كتابَ اللهِ الّذي أَمَرَ اللهُ سُبحانَهُ وتعالَى بتعلمِه واتباعِهِ والعملِ بهِ، وكذلكَ من أنواعِ الهجْرِ للقرآنِ هَجْرُ التلاوةِ فبعضُ الناسِ يتعلَّمُ القرآنَ ويَحْفَظُه، لكنْ لا يتلُوه ولا يكثرُ من تلاوتِه، وقدْ قالَ ﷺ: «تعاهدُوا هَذا القرآنَ» يعني تعاهدوهُ

بالتلاوةِ» والّذي نفسُ محمدٍ بيدهِ لَهُوَ أشدُّ تفلتاً من الإبلِ في عُقُلِها»(١) ويجبُ على مَنْ مَنَّ اللهُ عليهِ بتعلُّم القرآنِ، وحِفْظِه أنْ يكثرَ مِن تلاوتهِ، وأنْ يرتبطَ بالقرآنِ وأنْ يجعَلَ له حِزْباً مِنَ القرآنِ يومياً يقرأهُ كُلَّ يومٍ حتَى يختمَهُ إمَّا بثلاثةِ أيامٍ، وإما بعَشْرةِ أيامٍ، وإمَّا بالشهرِ مَرةً وهذا هُو الأقلُ، أمَّا أن يُعرِضَ عَنِ القرآنِ ولا يقرأه فإنَّ هذا نُقصانٌ عظيمٌ وخَسَارَةٌ كبيرةٌ ويوشِكُ أنْ ينساهُ يَنْسَى حِفْظَه، وينسَى تِلاوتَه فيستحوِذَ عليهِ الشيطانُ كَمَا قالَ سُبحانَهُ وتَعَالَى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٤ـ١٢٦] وكذلِكَ مِنْ أنواعِ الهجرِ للقرآنِ هَجْرُ العملِ بهِ، فإنَّ كثيراً من الناسِ يتلونَ القرآنَ ويجودُونه ويُحسِّنُونَ به أصواتَهم للتطريبِ وجلْبِ المستمعينَ إليهم ولكنَّهم لا يعملونَ بهِ وهؤلاءِ أخبرَ عنهم الرسولُ ﷺ ـ أنَّهم الذينَ يُقيمونَ القرآنَ إقامةَ السَّهمِ، ولا يتجاوزُ حناجرهُم، إنما يتخذونَه حِرْفَةً للقراءةِ في المآتمِ والمحافلِ؛ ليأخذوا عليه أُجرةً أو يتخذونَ قراءةَ القرآنِ للتبرُّكِ فقطْ دونَ العملِ به، وهذا حالُ كثيرٍ منَ الناسِ إلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ عزَّ وجلَّ، فالواجبُ عَلَى المسلمِ أنْ يعملَ بالقرآنِ، ولا يكتفي بتلاوتِه وترتيلهِ بَلْ يعملُ به، فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أنزلَهُ للعملِ أنزلهُ ليكونَ هادياً للمسلمِ في جميعِ أعمالهِ، فهذا القرآنُ رحمةٌ من اللهِ عزَّ وجلَّ حَفِظَ للمسلمينَ دِمَاءَهُم، وحَفِظَ للمسلمينَ أموالَهم، وحَفِظ للمسلمين أعراضَهم، وحَفِظ للمسلمين أخلاقهم فإذَا هُم ضيَّعُوه وعِمِلُوا بغيرِهِ، فإنَّهم يكونُونَ في ضلالٍ مبينٍ، كما كانَتْ عليهِ الجاهليةُ قبلَ نزولِ

---

(١) مسلم (١٣١٧)، أحمد (١٨٧٢٥).

القرآنِ، وكذلِكَ مِنْ أعظم هجرِ القرآنِ هَجْرُ العلماءِ للاستدلالِ به فيما اختلفُوا فيهِ، فإنَّ اللهَ أوجبَ على العلماءِ إذا تنازعُوا في مَسَائِلِ الاجتهادِ أنْ يرجِعُوا إلى كِتَابِ اللهِ وإلى سُنَّةِ رسولِ اللهِ، فيأخذُوا بما دَلَّ عليهِ الكتابُ والسُّنَّةُ ويتركوا ما خالفَ ذلِكَ وإنْ قَالَ به مَنْ قال، ولهذا يقولُ الإمامُ مالكٌ ـ رحِمَه اللهُ ـ: كُلُّنا رادٌّ ومَرْدُودٌ عليه إلا صاحبَ هذا القبرِ «يعنِي رسول الله ﷺ»، ويقولُ الإمامُ أحمدُ ـ رحِمَهُ اللهُ ـ: عَجِبْتُ لقومٍ عرفُوا الإسنادَ وصحتهِ يذهبُونَ إلى رَأيِ سُفيانَ واللهُ تَعَالَى يقولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣] أتدري ما الفتنةُ؟ الفتنةُ: الشركُ. لَعَلَّهُ إذَا ردَّ بعضَ قولِهِ أنْ يقعَ في قلبه شيءٌ من الزيغِ فيهلكَ، ومَنْ هَجْرِ القُرآنِ بَلْ أعظمُ الهَجْرِ هَجْرُ الحكامِ لتَحْكِيمهِ بينَ الناسِ، واستبدالِهِ بالقوانينِ الوَضْعيةِ، والأنظمةِ البشريةِ التي هِيَ ضلالٌ وعَمىً وظلمٌ وجورٌ ويُعرِضُون عن كتابِ اللهِ سُبحانَهُ وتَعالَى وهُمْ يدَّعُون الإسلامَ، واللهُ جلَّ وعلا يقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤] ويقولُ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥] فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، وانظرُوا موقِفكُم وعملَكُم مِنْ كِتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ وحَاسِبُوا أنفُسَكُم مَعَ هذا القرآنِ، فإنَّهُ حُجَّةٌ لكُم أوْ عَلَيْكُم كَما قالَ ﷺ: «والقرآنُ حُجَّةٌ لكَ أوْ عَلَيكَ»[1]. قالَ اللهُ تعالَى لنبيهِ: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، وارجِعُوا إلى كِتَابِ رَبِّكم وسنة نبيكم، واعملُوا بذلِكَ في جميعِ شُؤونِكم وفِي كُلِّ أحوالِكم لتكونُوا

---

(١) مسلم (٣٢٨)، ابن ماجة (٢٧٦).

مِنَ السُّعَداءِ.

باركَ اللهُ لِي ولَكُم فِي القرآنِ العظيمِ. . .

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضَى، وأشهدُ أَنْ لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أَنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلَّى اللهُ عليهِ وعَلَى آلِهِ وأصحابِهِ وسلَّم تسليماً كثيراً أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقُوا اللهَ سبحانَهُ وتَعالَى، واعلمُوا أَنَّ الناسَ إذا ضيَّعوا العملَ بكتابِ الله ضيَّعُوا أنفُسَهم قَالَ سبحانَهُ: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف: ٣٦ـ٣٧] وقالَ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٣ـ١٢٧] فلمَّا تركَ كثيرٌ مِنَ الناسِ العملَ بكتابِ اللهِ، وتَرَكَ الحكَّامُ تحكيمَه بيْنَ النَّاسِ فيما شَجَرَ بيْنَهُم أورَثَ ذلِكَ لهم ضلالاً في سلوكِهم، وعَمىً في بصائِرهم وخراباً في دِيارِهم وضياعاً لجميعِ أمورِهم، ولَنْ يرجعَ لهم عِزُّهُم ولَنْ يرجَع لَهُم دينُهم، ولَنْ ترجَع لَهُمْ السعادةُ في الدُّنيا والآخرةِ إلا إِذَا رجعُوا إلى كِتَابِ اللهِ وسنةِ رسولِ اللهِ، ولهذا يقولُ ﷺ في كُلِّ خُطْبةٍ: «إنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ وخيرَ الهدي هَديُ

محمدٍ ﷺ، وشرُّ الأمورِ مُحدثاتُها»[١] فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، وارجعُوا إلى كِتَابِ ربِّكم وسُنَّةِ نبيكُم وتمسَّكُوا بهما تُفلِحُوا، وتسعَدُوا في الدُّنيا والآخرةِ، واعلمُوا أن كُلَّ بدْعةٍ ضلالَةٍ وكلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

واعلمُوا عبادَ اللهِ أنَّ اللهَ أمركُم بأمرٍ بدأَ فيه بنَفْسه، فقالَ سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

* * *

(١) مسلم (١٤٣٥)، ابن ماجة (٤٤)، النسائي (١٥٦٠)، أحمد (١٣٨١٥).

في الحثّ على انتهازِ العُمرِ في العملِ الصالحِ

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، جَعَلَ في تعاقبِ الشهُورِ والأيامِ والأعوامِ عِبرةً لأولِي الأبصارِ، وأشهدُ أنْ لا إله إلاّ اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ العزيزُ الغفَّارُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المُختارُ. ـ صلَّى اللهُ عليهِ وعَلَى آلِهِ وأصحابِهِ البررةِ الأطهارِ. ـ وسلَّم تسلِّيماً كثيراً. أما بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقُوا اللهَ سبحانَهُ وتَعَالَى، واعلمُوا أنَّ حَصِيلَتكم مِنْ هَذِه الدُّنيا هي أعمارُكم التي تعيشُونها فيها، وما قَدَّمتُم فيها مِنْ عَملٍ فستجدُونه عند اللهِ مدَّخراً لكُم. قَالَ اللهُ تَعَالَى عَنْ أَهلِ الجنةِ ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحاقة: ٢٤] وأَخْبَرَ سبحانَهُ وتَعَالَى عن أهلِ النار أن أحدهُم يقول ﴿ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ ﴾ [الفجر: ٢٤] ويقولُ قائِلُهم عن الموتِ: ﴿ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [المنافقون: ١٠] ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٧] وكُلُّ ميِّتٍ فإِنَّهُ سيندَمُ إنْ كانَ صالحاً فإنه يندمُ على ألا يكون تزودَ منَ الخير وإن كانَ شقياً فإِنَّهُ يندمُ عَلَى مَا ضيَّعَ مِنْ حَياتِه وأوقاتِه في غيرِ طاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ قال الله سبحانَهُ وتَعَالَى: بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر: ١ـ٣] أقسمَ سبحانَهُ وتعالَى فِي هذهِ السورةِ العظيمةِ الوجيزةِ، أقسمَ سُبحانَهُ وتعالى ـ وهو الصَّادقُ ولَوْ لَمْ يُقسِمْ ـ ولكنَّهُ سبحانَهُ أقسمَ ليؤكدَ لعبادِه مَا أقسمَ عليهِ وليدُلَّهم عَلَى أهميةِ مَا أقسمَ عليهِ

سبُحانه وتَعَالَى فإنَّه لا يُقسِمُ إلاّ بشيءٍ لَهُ أهميةٌ، ولا يقسِمُ إلاّ على شيءٍ لَهُ أهميةٌ أقسمَ بالعصرِ وهو الدَّهرُ وهو الزمانُ، وهو الوقتُ الَّذي يعيشُه الإنسانُ في هذهِ الحياةِ. فدلَّ عَلَى أهميةِ الوقتِ وعلى أهميةِ الزمانِ، لأنَّ هذهِ الدُّنيا مَزْرَعَةٌ للآخرةِ، ولهذَا كانَ من دعاءِ النبيِّ ﷺ أنَّه يقول: «**اللهمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذي بِهِ عِصْمةُ أَمْرِي وأصلِحِ لي دُنْيَايَ التي فِيهَا مَعَاشِي وأَصْلِحْ لِي آخرتِي التي فيها مَعَادي**»(١). ثم بيَّنَ سُبحانَه وتَعَالَى المقْسَمَ عليه وهو انقسامُ الناسِ إلى شَقِيٍّ وسعيدٍ «**إِنَّ الإنسانَ لَفِي خُسْرٍ**» أيْ خَسارةٌ لا ربْحَ مَعَها «**إِنَّ الإنسانَ**» جميعُ الإنسانِ دُونَ نظرٍ إلى نسبِه أو إلى مَالِه أو إلى عِلْمِهِ أو إلى جاهِهِ دون نظر إلى كونِهِ عربياً أو أعجمياً دون نظرٍ إلى كونهِ أبيضَ أو أسودَ، دونَ نظرٍ إلى كونِه ذكراً أو أنثى «**إِنَّ الإنسانَ**» جميعُ نوعِ الإنسانِ في خسارةٍ، وهو الذي ضَيَّع هذا الوقْتَ وأفناهُ في غيرِ طاعةِ اللهِ وقد جاءَ في الحديثِ «**أنَّهُ لا تزولُ قَدمَا عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن أربعٍ، عنْ عُمرِهِ فيما أفناهُ وعَنْ شبابِهِ فيما أبلاهُ وعن مالِه مِنْ أينَ اكتسبَه وفيما أنفقَهُ وعن عِلمِه ما عَمِلَ به**» «**إِنَّ الإنسانَ لَفِي خُسْرٍ**» هذا هُو أكثرُ الخلقِ والعياذُ باللهِ إنَّهم في خَسَارٍ وضَياعٍ وهَلاكٍ لماذا؟ لأنَّهم ضَيعُوا حَياتَهم الدُّنيا فضاعَتْ عليهم آخرتُهم، ثم استثْنَى اللهُ مِنْ هذا الخَسَارِ مَنِ اتَّصفَ بأربعِ صِفاتٍ، انتبهُوا لَها، لأنهَّا لا تحصُلُ النجاةُ والربحُ إلاّ بِهَا فَمَنْ أخفقَ فيها أَوْ بشيءٍ منها فلا جُبْرَانَ لِخَسَارَتِه «**الذينَ آمَنُوا**» هذهِ هيَ الصفةُ الأولَى صفةُ الإيمانِ باللهِ عزَّ وجلَّ وبملائكتِهِ وكُتبِهِ ورسلِه واليومِ الآخرِ والقدرِ خيرهُ وشَره «**الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**» لا يكفِي الإيمانُ بدونِ عملٍ، كما أنَّهُ لا يكفِي العملُ

---

(١) مسلم (٤٨٩٧)، النسائي (١٣٢٩).

بدونِ إيمانٍ بَلْ لابُدَّ منِ اجتماعِ الإيمانِ والعملِ «الذينَ آمنُوا» هذهِ الصفةُ الأولَى، الصفةُ الثانيةُ «عَمِلُوا الصالحاتِ»، العملُ إنما هوَ في هذهِ الدنيا، والإيمانُ إنما هو في هذه الدُّنيا أمَّا الآخرةُ فإنَّها دارُ الجزاءِ ولَيْسَتْ دارَ إيمانٍ ودَارَ عملٍ، الصفةُ الثالثةُ «وتوَاصَوْا بالحقِّ» يُوصي بعضُهم بعضاً بالحقِّ يأمرُ بعضُهم بعضاً بالمعروفِ ويَنهَى بعضُهم بعضاً عَنِ المنكَرِ ويُعَلِّمُ بعضُهم بعضاً الخيرَ وينهاهُ عن الشرِّ ويدعُوه إلى اللهِ هذا هو التواصِي بالحقِّ، بَعْدَ أنْ يُصلحَ الإنسانُ نفسَهُ بالإيمانِ والعملِ الصالحِ، فإنَّ هذا لا يكفِي بَلْ عليهِ واجبٌ نحوَ إخوانِه بأنْ يحبَّ لَهُمْ مِنَ الخيرِ ما يحبُّه لنفسِه، فيأمُرُهم بطاعةِ اللهِ، وينهاهُم عَنْ مَعصيةِ اللهِ ويُعلِمهم ما يخفَى عليهم من أمورِ دينِهم ويدعُوهم إلى اللهِ عزَّ وجلَّ هذا هُوَ التواصِي بالحقِّ والتواصِي يكونُ مُتَبَادِلاً بينَ المسلمينَ لا يكونُ على فِئَةٍ مُعينةٍ بَلْ كُلُّ مسلمٍ يقومُ بما يستطيعُ مِنْ هذا الواجبِ، وهو التواصِي بالحقِّ. الصفةُ الرابعةُ: «وتوَاصَوْا بالصَّبرِ» لأنَّ الذي يأمرُ وينهَى ينالُه مشقَّةٌ مِنْ طولِ الزمانِ، وينالُه مشقةٌ مِنَ الناسِ الذينَ يُنكرُ عليهم ويأمُرهم ويناهُم، ويدعُوهم إلى اللهِ قد ينالُهُ منهم أذًى فيصبرُ على ذلِكَ، لأنَّهُ لا يُريدُ مِنْهم الجزاءَ ولا يُريدُ مِنْهُم الثوابَ ولا يريدُ منهم المدحَ والثناءَ وإنَّما يُريدُ ذلِكَ مِنَ اللهِ سبحانَهُ وتَعالَى قال لقمانُ لابنهِ وهُوَ يعظهُ: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان: ١٧] وقالَ سُبحانَهُ وتَعالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحشر: ١٨ـ٢٠] ينادِي سُبحانَهُ وتَعالَى عبادَهُ المؤمنينَ وخَصَّ

المؤمنينَ بالنداءِ، لأنَّهُم هُم الذينَ يمتثِلُونَ أوامرَ اللهِ ويجتنبونَ نواهيهِ فينتفعُونَ بندائِه سبحانَهُ وتَعَالَى، وفي ندائِهم بصفةِ الإيمانِ، دليلٌ على أنَّ الإيمانَ يقتضِي الاستجابةَ للهِ ولرسولِهِ إذا دَعَاهُم لما يُحْيِيهِم «يأيُّها الذينَ آمَنُوا اتقُوا اللهَ» أمرهُم بتقواهُ سُبحانَهُ وتَعَالَى وهيَ أَنْ يتخذُوا وقايةً بينهم وبينَ عذابِ اللهِ من طاعتِهِ سبحانهُ واجتنابِ نهيِهِ، فالتقوىٰ كما فَسَّرَها أهل العِلمِ أنْ تعملَ بطاعةِ اللهِ على نورٍ مِنَ اللهِ تَرْجُو ثوابَ اللهِ، وأَنْ تتركَ معصيةَ اللهِ على نورٍ مِنَ اللهِ تخافُ من عِقابِ اللهِ. هذهِ هِيَ التقوى، وهي جماعُ الخيرِ، التقوىٰ كلمةٌ جامعةٌ لخصالِ الخيرِ قَد رتَّبَ اللهُ عليها خيراتٍ كثيرةً، ووعوداً عظيمةً في الدُّنيا والآخرة ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٩٠﴾ [يوسف: ٩٠]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤﴾ [الطلاق: ٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢٩﴾ [الأنعام: ٢٩] فثمراتُ التقوى عظيمةٌ لأنها كلمةٌ جامعةٌ تجمع خِصالَ الخير كُلِّها، ولذلِكَ أمرَ الله تعالى بها في هذه الآية «اتقوا الله» أي «اتقوا عذابَه وغضبَهُ» سبحانه وتعالى «ولتنظر نفسٌ ما قدمتْ لغَدٍ» هذا أمرٌ ثانٍ لما أمرَ بتقواهُ أمر المؤمنينَ أنْ ينظر كلٌّ منهم لما قدَّمهُ لآخرتهِ، وسمَّى الأخرةَ غداً لقُربها، والغدُ هو اليومُ الذي بعد يومِكَ فدلَّ على أنَّ الآخرةَ قريبةٌ لأنَّ ما بينكَ وبينَ الآخرةِ إلا الموتُ، وأنتَ لا تدري في أي لحظةٍ تموتُ فتنتقلُ إلى الآخرةِ وقد تكونُ قريبةً منكَ كما قال ﷺ «الجنةُ أقربُ إلى أحدِكُم مِنْ شرَاكِ نَعْلِهِ والنارُ مثلُ ذلِكَ»(١). فالآخرةُ قريبةٌ،

---

(١) البخاري (٦٠٠٧)، أحمد (٣٤٨٥).

مابينكَ وبينَها إلا أَنْ يَفْجأَكَ الأجلُ وتخترِمَكَ المنيةُ في أي ساعةٍ من ليلٍ أوْ نَهارٍ فتُصبحُ مُرتهناً بِما قدَّمتهُ من عملٍ قالَ ﷺ: «إِذَا مَاتَ الإنسان انقطعَ عَمله إلاَّ مِن ثلاثٍ: صَدَقةٍ جَارِيةٍ أو عِلمٍ يُنْتَفَعُ بِه أو ولدٍ صالحٍ يدعو لَهُ»(١). الشاهِدُ مِنْ قولِهِ «انقطعَ عَمَلُه»، فبالموتِ ينقطعُ العملُ فَلاَ يستطيعُ المحسنُ زيادةً من الحسناتِ ولا يستطيعُ المسيءُ تخلُّصاً مِن السيئاتِ أمَّا ما دامَ الإنسانُ على قَيْدِ الحياةِ فإنهُ باستطاعتِه أن يتزود من الحسناتِ، وأن يتوبَ من السيئاتِ: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ [الحشر: ١٨] تَنظرُ في عملِها تفكِّرُ في عملِها فما وَجَدَتْ فيهِ مِنْ خيرٍ فإنها تحمدُ اللهَ عَلَيهِ وتتزودُ مِنْهُ، وما وجدَتْ فِيه مِنْ شَرٍّ فلتُبادِرْ بِالتَّوبَةِ إلى الله واللهُ يتوبُ عَلَى مَنْ تَابَ، يَتوبُ عَلَى الكافِرِ، يتوبُ على المُشْرِكِ، يتوبُ على المُنَافِقِ يتوبُ على العاصِي فَهو يقبَلُ التوبةُ عن عبادِهِ، ويعفُو عنِ السيئاتِ سبحانَهُ وتَعالَى، ووقتُ النظرِ في العَمَلِ هُوَ مَا دُمت علىٰ قيدِ الحَياةِ فالتُّجَّارُ يجعلونَ لَهُمْ وقتاً يحسبونَ فِيهِ تِجارتَهم ويَنظُرُونَ مَاذَا ربِحُوا ومَاذا خَسِروا مِن أجلِ أن يعملوْا على ضَوءِ ذلك في المستقبلِ، هذَا في أُمورِ الدُّنْيا مَا مِنْ تَاجرٍ إلاَّ وهو يَحْسِبُ مالهُ وربحَهُ وخَسارتَه فالمُؤمِنُ أوْلَىٰ بِذَلِكَ بِأنْ يَحسبَ تِجَارتَه في الآخِرَةِ لأنَّ تِجارَةَ المُؤمِنِ هِي العملُ الصَّالحُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ ﴾ [الصف: ١٠ ـ ١١] هذِهِ هِيَ التجارةُ الرابحةُ فالمؤمنُ يحسبُ تجارتهُ في كلِ يومٍ وفي كلِ لحظةٍ وفي كلِ ساعةٍ

---

(١) الترمذي (١٢٩٧) الدارمي (٥٥٨)، أبو داود (٤٩٤٢) مسلم (٤٨٠٣)، النسائي (١٩٥٣) أحمد (٨٤٨٩).

ويحاسبُ نفسَه وقوله: ﴿ولتنظرْ نفسٌ﴾ أي جميعُ النفوسِ لمْ يخصَّ نفساً واحدةً وإنَّمَا كُل النفوسِ أياً كانت هذِهِ النُّفوسُ فإنَّهَا مَأمُورةٌ بأنْ تُحاسِبَ نفْسَها وأن تزنَ عملَها ﴿ما قَدَّمت لِغَد﴾ يَعني ليومِ القيامةِ لأنَّ الدنيا مَزْرَعَةٌ للآخرة وهي دارُ عملٍ والآخرة دارُ حسابٍ ودارُ جزاءٍ انظر بماذا تُقدمُ على ربكَ قبل أنْ يُغلَقَ البابُ فلا تستطيع النظر ولا تستطيعُ المحاسَبةَ لنفسِكَ.

فكِّروا في أعمالِكم يا عبادَ الله، أعيدوا النظرَ، بادروا بالتوبة إلى اللهِ، تزوَّدوا من الأعمال الصالحة ما دامت الفرصةُ ممكنةً وما دَامَ في الأجل فُسْحَةٌ ومَا دَامَ أنَّ الله سُبحَانَهُ وتعالى أنذرَكُمْ وأَمهلكُم فَتَنبَّهُوا لأنْفُسِكمْ فإنَّ الكُفَّارَ يوم القيامةِ إذَا أُلقُوا في النَّار وطَلبُوا من اللهِ أن يخرجَهُم ويُعيدَهم إلى الدُّنيا بقولِهم: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [فاطر ٣٧] يقول الله لهم ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فاطر: ٣٧] فلنتذكَّرْ هذا اليومَ ولنتذكرِ الحسابَ والبعثَ والنشورَ والجزاءَ والجنة والنارَ ولنستعدَّ لِذَلِكَ نتذكرُ الموت قبل كل شيءٍ، الموتَ لأنه بوابةُ الآخرةِ. نتذكَّرُ الموتَ ونَحْسِبُ له حِسَابَهُ، ونسألُ اللهَ حُسْنَ الخَاتمةِ والوفاةَ على الإسلامِ، اللهمَّ أحْيِنَا مُسْلمينَ وتوفَنَا مُسلمين وألحِقْنَا بِالصالحينَ غَيْرَ خَزَايَا ولاَ مَفتُونِينَ يَا رَبَّ العَالَمِيْن، أعوذُ باللهِ من الشَّيطانِ الرجيم ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨١].

بارِكَ الله لي ولكُم في القرآنِ العظيمِ.

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين حمداً كثيراً طيباً مُباركاً فيه كما ينبغي لِكرَمِ وجهِهِ وعزّ جلالِهِ، وأشهدُ أنْ لاَ إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَه في رُبُوبيتِهِ وإلٰهيتِهِ وأَسمَائِهِ ونُعوتِ كَمَالِه، وأشهدُ أن مُحمداً عبدهُ ورسولُه صلى الله عليه وعلى جميع صَحبه وآله وسلم تسليماً كثيراً. أما بعدُ:

أيُّها الناسُ، إنَّكم قضيتُم عاماً من أعمارِكم هو العامُ الهجريُّ المُنصرِمُ وتستقبلُونَ عَاماً جَدِيداً فتذكَّرُوا أحوَالَكُم فِي العَامِ الذي مَضَى واستعدُّوا لِلعَام الَّـذي سيُقـدِمُ علَيْكُـم. تـذكَّـرُوا مَـا دارَ فـي هـذا العـامِ مـن العِبـرِ والعِظـاتِ والمذكِّراتِ، تَذكَّرُوا كَمْ مَاتَ فِيهِ مِمَّنْ تَعْرِفُونَ تذكَّرُوا كَمْ قَدَّمتُمْ فِيهِ مِنَ الأعْمَالِ الصَّالِحَةِ من صَلاةٍ وزَكَاةٍ وصيام وحَجٍ وطَاعَاتٍ، تذكَّرُوا كَمْ قدَّمتُم فِيْهِ مِنَ السيِّئَاتِ والخَطَايَا والذُّنُوب فاشْكُرواْ اللهَ عَلىٰ مَاقَدَّمتُمْ مِنَ الخير وتزودُوا مِنهُ وواصِلُوا العملَ الصالحَ فإنَّ الأجلَ قريبٌ واستغفِرُواْ اللهَ مِمَّا حَصلَ منكُمْ مِنَ الذُّنوبِ والسيِّئاتِ والخَطَايَا إنَّ هذا العامَ الَّذي انتهىٰ هوُ العَامُ الهِجري المبنيُّ علىٰ الشُّهورِ القمريةِ التي يعرفُها العربُ والتي عَلَّقَ اللهُ جلَّ وعَلاَ بِهَا العباداتِ فقال: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٨٩].

فاتقُوا اللهَ وحَاسِبُواْ أنفسكُم ماذا طويتُم عليه صَفحةَ العامِ الماضِي مِنْ خيرٍ أو شرٍّ؟ واستعدُّوا للعامِ المستقبلِ الَّذي لا تدْرونَ هَل تدركُونَه أوْلاَ تدركُونه؟ ولا تدروُنَ مَاذَا قُدِّرَ عَليكُم فِيهِ؟ ولكنْ اسأَلُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أنْ يتقبَّلَ حَسَنَاتِكم وأنْ يَتَجَاوَزَ عَن سَيِّئَاتِكُمْ، وأنْ يوفِّقكُمْ لمُستَقبَل حَيَاتِكُم بالأعْمَالِ الصَّالِحَة فَإنَّ الحَياةَ الطيبة إنَّمَا تَنبِني عَلى الأعمالِ الصالحةِ قَالَ تَعَالىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن

ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

أمَّا الوَقتُ الَّذي يُستغَلُ في المَعَاصِي فإنَّهُ حَسْرةٌ ونَدَامةٌ وضِيقٌ وضَنْكٌ علىٰ صاحِبِهِ يومَ القيامةِ قالَ اللهُ سُبحانَهُ وتعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٧].

فاستدرِكُوا أنفسَكُم قبلَ الفواتِ وحاسبوا أنفسَكُم على الهَفَواتِ وتوبُوا من جميع الذنوب والسيئاتِ فإنَّ الله يقبلُ التوبةَ ويعفُو عنِ السيئاتِ ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزمر: ٥٣، ٥٤].

فاتقوا الله عباد الله، وبادروُا أوقاتِكم قبلَ فواتِها بالأعمال الصالحةِ والتوبة مِنَ الذنوب والخطايا، لا تشغَلُكم دنياكُم عن آخرتكم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾ [لقمان: ٣٣].

ازدهرتِ الدُّنيا بَيْنَ أيدِيكُم، توفرتْ لَكُمُ الأموالُ، تسهَّلتْ لكُم الأسفارُ تيسَّرَتْ لكُم الاتصالاتُ، جُلِبَتْ لكمُ الثمراتُ مِنْ كلِّ فَجٍّ توفَّرتْ لكُم المآكِل والمَشَارِبُ طابَتْ لَكُم المساكنُ لكنْ ماذا قدمتُم من شُكْرِ هذه النعمِ؟ إنَّها محسوبةٌ عليكُم، إنَّها بِثَمنِها مَحسوبةٌ عليكُمْ ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

هذه النِّعَمُ لَهَا ثَمنٌ ولَيْسَتْ سُدًى إن شَكرتُمُوها صَارَتْ عَوناً لكُمْ على طاعةِ الله وإن كفرتمُوها فإنَّ الله سُبْحانَهُ وتَعالىٰ يقولُ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝ ﴾ [إبراهيم: ٧].

فاتقُوا الله عبادَ اللهِ وتفكَّروا في سُرْعةِ الأَيَام، والأعوام، تفكَّرُوا في انقضاءِ الأجَالِ وتصرمُ الأعمارِ، تفكَّروا في أمورِكُم قبل أن يأخذَكُمُ الأمرُ وأنتُم على غِرَّةٍ وأنتم لا تشعُرُون.

واعلَمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.

* * *

تأملاتٌ في سُورةِ الفاتحةِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ ﴾ [سبأ: ١].

وأشهدُ أنْ لاَ إلٰهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ وهُوَ الغَفورُ الشكورُ وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُه البشيرُ النذيرُ والسراجُ المنيرُ صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ وسلَّم تَسليماً كَثيراً. أما بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ، اتقُوا اللهَ تَعَالى واشكروُه على نعمةِ القُرآنِ الذي مَنَّ الله به عليكمُ وأمركُم بقراءَتِه وتلاوته وتدبُّره والعمل به، فإنه القرآن العظيمُ والذكرُ الحكيمُ، وحبلُ اللهِ المتين مَنْ تمسَّكَ به نجا ومنْ تركَهُ منْ جبار قصمه اللهُ إنه قرآنٌ عظيمٌ وذكرٌ حكيمٌ، أعظم سورةٍ فيه سُورةُ الفاتحةِ وأعظمُ آيةٍ فيه آيةُ الكُرسيِّ وسُورةُ الإخلاص تعدلُ ثُلُثِي القرآنِ وكلام الله كلُّه عظيمٌ مُباركٌ ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩ ﴾ [ص: ٢٩].

إنَّ أعظمَ سورةٍ فِيهِ هِيَ سُورةُ الفَاتِحةِ هذِهِ السُّورةُ العَظِيمةُ التي تُسمَّى سورةَ الفاتحةِ لأنَّها افتُتِحَ بِهَا المُصحَفُ عِندَ كِتَابتِهِ وتُسمَّى السبعُ المَثَانِي والقُرآنُ العَظيمُ كَمَا سمَّاها النبي ﷺ، لأنَّهَا سَبْعُ آيات ولأنَّها تُثَنَّى أَيْ تُكرَّر قراءَتُها في كلِّ ركعةٍ مِنْ ركَعاتِ الصَّلاة، وتُسمَّىٰ أمُّ القرآنِ، لأنَّ القرآن كلَّهُ يرجعُ إلى ما أُجْمِلَ فِيها من المَعانِي فَهِيَ تَشْتَمِلُ عَلَىٰ التوحيد بِأنوَاعِهِ الثلاثةِ وتَشتمِلُ عَلَىٰ إثباتِ الرِّسالاَتِ وتَشتمِلُ عَلىٰ إثباتِ البَعْثِ والجَزاءِ والحِسَاب، وتَشْتَمِلُ عَلَىٰ الرَّدِّ عَلىٰ جَمِيعِ الطَّوائِفِ الضَّالَّةِ، أمَّا التوحيدُ فإنَّها تشتَمِلُ عَلَىٰ أنواعِ التَّوحيدِ

الثلاثةِ في أولها توحيدُ الربُوبيةِ في قولِهِ تَعَالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢]، توحيدُ الأسماءِ والصفاتِ في قوله تَعالى ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٣، ٤]، توحيدُ الأُلُوهيةِ في قولِهِ تَعَالَىٰ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥] وتشتملُ علىٰ إثباتِ الرِّسَالاتِ والكُتُبِ فِي قوْلِهِ تَعالىٰ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] لأنَّ الهِدَايَةَ لا تَحصُلُ ولا تمكُنُ إلاَّ باتِّبَاعِ الرُّسُلِ عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلام والعَملُ بالكُتبِ الإلهيةِ كَمَا قَالَ تعالىٰ: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣].

وتشتملُ على إثبات البعثِ والجزاءِ والحساب في قوله تعالى ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] لأنَّ الدِّينَ فِي هذهِ الآيةِ معناهُ الحِسابُ والجَزاءُ كما قَالَ تَعَالَىٰ ﴿ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار: ١٨ ـ ١٩]. وتشتملُ على الرَّدِّ على جميع الطوائف الضالةِ وذلك في قوله ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] فإنَّ الطوائفَ الضَّالةَ إمَّا مغضوبٌ عليهِمْ وهُمْ أهلُ الكتابِ الذينَ آتاهُم اللهُ الكتابَ وعلِمُوا ولكنَّهُمْ لم يعمَلُوا بما أنزلَ اللَّهُ فهؤلاءِ مغضوبٌ عليهِمْ، لأنَّهُم عَرفُوا الحقَّ ولمْ يعملُوا بهِ، وكُلُّ مَنْ عَرفَ الحقَّ ولمْ يعملْ بِهِ فإنَّ اللهَ يَغضَبُ عليْهِ مِنَ اليَهُود وغَيرِهِمْ، وكَذَلِكَ فِي قَولِهِ: ﴿وَلاَ الضَالين﴾ وهُم الذينَ يَعملُونَ عَلَىٰ غَيرَ هُدَى مِنَ اللهِ ولاَ يتَّبِعُونَ مَا أنزَلَ اللهَ وإنَّمَا يتعبَّدُون بالبِدَعِ والخُرافاتِ والمُحدثَاتِ ومَا وجَدُوا عليهِ آباءَهُم مِنَ الضلالاتِ والكُفْرِيَّات والشِّركياتِ

فهؤلاءِ ضالُّون لأنَّهُمْ يَسيرُونَ عَلىٰ غَيرِ هُدى وعَلَىٰ غيرِ بَصِيرةٍ، وفِي مُقدِّمتِهِمْ النَّصَارَى الذينَ يعبدُون اللهَ بالرَهبَانِيَّةِ الَّتِي ابتدعُوهَا.

أَيُّهَا الأخوةُ ليكُنْ لَنَا وقْفَةٌ مَعَ هذِهِ السُّورَة العَظيمةِ فَإن اللهَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ في الحديثِ القُدُسِيِّ يقولُ جلَّ وعلا: «**قَسَمْتُ الصَّلاةَ بينِي وبَيْنَ عَبدِي نِصفَينِ**» ـ يعني الفاتحة ـ سَمَّى الفاتحة صلاةً وقَسَمها اللهُ بينه وبين عبده فإذا قال العبدُ: «**الحمدُ لله رَبِّ العالمينَ**» قال الله: حَمَدني عَبدي. فإذا قالَ: «**الرحمنِ الرحيمِ**». قالَ اللهُ: أثْنَى عليَّ عَبدِي. فإذَا قَال العَبْدُ: مَالكِ يوم الدِّيْن. قَالَ اللهُ: مَجَدنِي عبدِي. فَإذَا قالَ: إيَّاكَ نعبدُ وإيَّاكَ نستعينُ. قال اللهُ: هَذَا بَيْنِي وبَيْنَ عَبْدي. فَإِذَا قَالَ: «**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستقيمِ**» إلَىٰ آخر السُّورةِ قالَ اللهُ: «**هَذَا لِعَبدي ولعَبدِي مَا سَأَلَ**»(١).

إنَّها تَشْتَمِلُ عَلىٰ نوعَيْ الدُّعاءِ، دُعاءِ العبادةِ ودُعاءِ المَسْأَلَةِ فأوَّلُهَا إلى قوله: ﴿**إِيَّاكَ نعبدُ**﴾، دُعاءُ عبادةٍ لأنه ثناءٌ على الله جَلَّ وعلا ـ وحمْدٌ لله وتمجيدٌ لله فهو دُعاء عبادةٍ وفي قوله ﴿**وإِيَّاكَ نستعينُ**﴾ إلى آخر السورة دُعاء مَسألَةٍ، لأنَّ العبدَ يسألُ ربَّه الإعانَة ويسأَلُه الهداية إلى الصراطِ المستقيم ويَسْأَلُه أنْ يُجَنِّبهُ طريق المغضوب عليهم والضَّالين، فإنها سورةٌ عظيمةٌ ولذلك يستحبُ أنْ يقالَ بعد الفراغ منها آمين (أيْ اللهمَّ استجبْ) فيُستحبُّ للمصلِّي مِنْ أمامٍ ومَأمُومٍ ومُنفَردٍ عند الفراغ من الفاتحة أنْ يقولُوا آمين أي اللهمَّ استجبْ هذا الدعاءُ الذي في هذه السورة فإنْ كانُوا في صلاةٍ جَهريةٍ فإنهمُ يجْهَرون بهذا التأمين ويرفعُون به أصواتَهم لقولهﷺ: «**من وافق تأمينُه تأمينَ الملائكة غُفِرَ**

---

(١) مسلم (٥٩٨)، الترمذي (٢٨٧٧)، أحمد (٦٩٩٠)، موطأ مالك (١٧٤).

لَه»(١).

أيها الإخوةُ لنتأمَّلْ قولَه تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]..

الصراطُ المستقيمُ هو المعتدلُ فالصراطُ هو الطريقُ، والمستقيمُ هو المعتدلُ، فنحن نسألُ اللهَ أنْ يهدينَا الطريقَ المعتدلَ الذي يُوصلُ إليه سبحانهَ وتعالى، الذي ليْسَ فيه انحرافٌ، وليسَ فيه أخطارٌ، وليسَ فيه مَهالِكُ بل هو طريقٌ مأمونٌ سليمٌ مستقيمٌ لا ينحرفُ بصاحِبه يَمْنَةً، ولا يَسْرةً حتى يَصلَ إلى اللهِ وإلىٰ دارِ كَرَامَتِه وذَلِكَ باتِّبَاعِ النبيينَ والصدِّيقينَ والشُّهدَاءِ والصَّالِحِينَ وهُم، الَّذِينَ أنْعَمَ الله عليهم ﴿صِرَاطَ الَّذين أنعمتَ عليهم﴾ أي مِنَ النبيينَ والصِّدِّيقين والشهداءِ والصَالِحين وحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً كَمَا قَالَ اللهُ تَعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝ ﴾ [النساء: ٦٩]، فأَنْتَ تسألُ اللهَ أنْ يَدُلَّك ويرشِدَك ويُثَبِّتَكَ على هذا الصِّراط، وأن يجعلكَ مع هؤلاءِ الصفوة مِنْ عباد الله الذين هُمْ رسل الله وأتباعُهم من المؤمنين ﴿وحَسُنَ أولَئِكَ رَفِيقاً﴾ فلا تستَوحِشْ إذا سِرْت على صراطِ الله، وعلى ديْن الإسلام وعلى طريق الرسول ﷺ، فلا تستوحِشْ إذا خالَفَكَ أكثر الناس، لأنَّ معك صَفْوَتهم وخيرتَهم وهم الرسل وأتباعُهم وحَسُنَ أولئك رفيقا فأبْشر وأفرح واطمئنَّ أنَّكَ تسيرُ عَلىٰ هُدى وأنَّكَ ستصِلُ إلىٰ اللهِ إذَا ثَبَّتَكَ اللهُ عَلَىٰ هَذَا الصِّراط إلىٰ أنْ تَمُوتَ عَليهِ، ثم تسألُ اللهُ أنْ يجنبكَ طَريقَ

---

(١) مسلم (٦١٨)، الترمذي (٢٣٢)، النسائي (٩١٦)، أبو داود (٨٠١).

الفِرقِ الضَّالةِ الَّتي ضَلَّتْ عن هذا الصِّراطِ المستقيمِ مِنَ اليهودِ ومَنْ شابَهَهُم ومِنْ أهلِ الضلالِ وهُمْ النصارىٰ ومَنْ شابَهَهُم مِنْ أهلِ البدَعِ والخُرافاتِ والمحدثاتِ تسألُ اللهَ أن يجنبَك طريقَهم، وأنْ يحميكَ من شَرِّهم ومِنْ كيدِهِم، وأكثرُ النَّاسِ إمَّا مغضوبٌ عَلَيْهم لأنَّهم يَعْرِفُونَ الحقَّ ولم يعملوا به، وإمَّا ضَالُّون؛ لأنَّهُمْ يَعملُون على غيرِ عِلْمٍ ولا على غيرِ هُدًى ولا عَلى غيرِ صوابٍ وعلى غيرِ اتباعِ للرسول ﷺ، فأَنْتَ تسألُ اللهَ أنْ يحميَكَ مِنْ اتِّباعِهم ومن الاقتداءِ بِهِمْ، وهذا مِمَّا يوجبُ على العبدِ المؤمن أن يبغضَ هَؤلاءِ، وإذا أبغضَهم وإذا عاداهُم فإنَّه يتجنبُ طريقهم وألا يتشبَّه بِهِمْ، لأنَّ النبيَّ ﷺ يقولُ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنهُمْ»[1] وألاَّ يحبَهم لأنَّ الله تِعَالى يقولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١﴾ [المائدة: ٥١] نسألُ اللهُ بأسمائِهِ الحُسنَى وصِفَاتِهِ العُليَا أنْ يهدينَا وإيَّاكُم إلى طَرِيقِ الذينَ أنعمَ الله عليهِم من النبيينَ والصدِّيقينَ والشهداءِ والصالحينَ، وأنْ يُلزمَنَا وإياكُمْ السَّيْر على طريقهم، والمشي على منهاجهم إلى أن يتوفَّانا مُسلمينَ مؤمنينَ غير ضالِّينَ ولا مُضلِّين، وأن يُجَنِّبَنَا طريقَ المغضوب عليهم والضَّالِينَ. يقولُ بعضُ السَّلف: مَنْ فَسَدَ منْ عُلَمَائِنَا فَفِيهِ شُبَهٌ مِنَ اليَهودِ وَمَن فَسَدَ مِن عُبَّادِنا فَفِيهِ شُبهٌ منَ النَّصارى. وَهَذِهِ كَلِمَةٌ عَظِيمةٌ فَالعُلَمَاءُ الَّذينَ لاَ يَعملُونَ بِعلْمِهم مِنْ هذهِ الأُمَّةِ فيهم شَبَهٌ من اليَهُودِ الَّذِينَ آتاهُمُ اللهُ التوراةَ وعرَفُوهَا وعَقَلُوهَا وعَلِموهَا ولَمْ يعملُواْ بِهَا، ومَنْ فَسَدَ من عُبَّادِنا ففيه شَبَهٌ مِنَ النصارى. فمَنْ اتخذ البدعِ والمُحْدَثَاتِ والخُرافَات دِيْناً لَهُ يَتَقَرَّبُ بهِ إلى اللهِ،

---

(١) أبو داود (٣٥١٢) (انفرد به).

فإِنَّهُ مُشْبِهٌ للنَّصارَىٰ لأنَّ النَّصارَىٰ تَرَكُواْ العَمَلَ بِالتوراةِ والإنجيلِ وأَحدَثُواْ لأنفُسِهِمْ ديناً بَاطِلاً يتعبَّدُونَ للهِ بِهِ وهُوَ دينُ الشِّرك، ودينُ الإلحادِ ودِينُ الإباحيةِ يتعبدُونَ للهِ بِهِ، تعالىٰ اللهُ عنْ ذلكَ عُلُوًّا كَبِيراً. فَمَا أعظمَهُا مِنْ سُورةٍ ومَا أجدَرَنَا أن نتأمَّل فِيهَا وأنْ نتدبَّرها، ولِماذَا أوجَبَ اللهُ علينَا قِراءَتَها في كُلِّ ركعةٍ من صلاتنا لاَ نَقْرؤهَا ونحنُ غَافِلُونَ عَن مَعَانِيْهَا وعَنْ تدبُّرِها بلْ يَجِبُ علينا أنْ نتدبَّرَهَا وَأَنْ نعمَلَ بِهَا وأَنْ نتدبَّرَ القُرآنَ ونَعمَلَ بِهِ حتى نكونَ مِنَ المُهْتَدِينَ. كَمَا قَال تَعالىٰ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]. باركَ اللهُ لي ولكُمْ فِي القُرآنِ العظيمِ.

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ عَلَىٰ فَضلِهِ وإحْسانِهِ وأشكرُه على توفيقهِ وامتنانهِ، وأشهدُ أنْ لاَ إلٰه إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له تعظيماً لشأنِهِ وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبدَهُ ورسولُهُ صلَّىٰ الله عليهِ وعلى أصحابهِ وسلَّم تسليماً كثيراً أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقُوا اللهَ تَعَالَى واعلمُوا أنهُ يجبُ علَينَا وجوباً عينياً حتمياً أنْ نتعلَّمَ هذِهِ السُّورةَ سورة الفاتحةِ وأنْ نُتْقِنَ قراءتَها وأن نُعدِّلَ ألسنتَنَا مِنَ اللحنِ فيها حتَّى نؤديها أداءً صحيحاً ونقرأها على الوجه الصحيحِ الذي يُرضي ربنَا عنَا حتَّى يستجيبَ اللهُ دُعاءَنا بقراءةِ هذهِ السُّورةِ العظيمة في الصلاةِ. فمَنْ لَمْ يُحسِنْ تعلُّمَ هذهِ السُّورةِ فإنَّه يجبُ علَيه قَبْل كُلِّ شيءٍ بعد توحيدِ الله عز وجل يجبُ عليه أن يتعلَّمَ هذه السورةَ وما تيسَّرَ معها مِنَ القرآنِ ليقرأَ ذَلِكَ في صلاتهِ لأنَّ قراءةَ الفَاتِحةِ رُكْنٌ من أركانِ الصلاةِ. قال ﷺ: «لا صَلاَةَ لمَنْ لَمْ يقرأْ بفَاتِحَةِ

الكتابِ»(١). فيتعلَّمُها المسلمُ تعلماً صحيحاً ويتعلَّمُ معها ما تيسَّرَ مِنْ كتابِ اللهِ عزَّ وَجَلَّ حَتَّىٰ يَقرأَ ذَلِكَ فِي صلاتِه أمَّا مَنْ لا يَقدرُ عَلَىٰ تعلُّمِهَا، لأنَّه لاَ يجدُ مَنْ يعلِّمُه أوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أنْ يأخُذَ مِنْهَا شَيْئاً لِعَجْزِهِ عَنْ ذَلِكَ، فَإنَّهُ لاَ يَتْرُكُ الصَّلاةَ بل يصلِّي فإنْ كان معه شيءٌ من القرآنِ غَيرَ الفاتحة فإنَّه يقرأُ منه لقوله تعالى: ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ ﴾ [المزمل: ٢٠]. وإنْ لمْ يكنْ معهُ شيءٌ من القرآنِ، فإنَّه يحمدُ الله ويكبِّرُهُ ويسبِّحه ويهلِّلُه ثم يركعُ لقوله ﷺ: «**إذا قُمْتَ إلى الصلاةِ فكبِّر ثم اقرأْ ما تيسَّرَ مَعكَ مِنَ القرآنِ فإنْ لم يكُنْ مَعَكَ قرآنٌ فاحمدِ اللهَ وهلِّلْهُ وكَبِّرْهُ ثم ارْكَعْ**»(٢) فدلَّ هَذا على أنَّ الصَّلاة لا تُتْرَكُ بِحالٍ وإنما يُصَلِّيها المسلمُ عَلى حَسَب حالِه لقوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦] وقال ﷺ: «إذَا أمرتُكُم بأمْرٍ فأتوُا مِنْهُ مَا استطعْتُم»(٣)، فَهذِهِ سُورَةٌ عظيمةٌ، يجبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ ذكَر كَانَ أو أُنثى أنْ يتعلَّمَها، ويُجيدُ ويُتقِنُ قَراءَتَهَا فِي صَلاتِهِ، لأنَّهُ لاَ تَصِحُّ صَلاتُه بدونها مع الاستطاعة ومع القُدرةِ وقد اختلفَ العلماءُ هل تجبُ قراءتُها على المأمُومِ بعد اتفاقِهم وإجماعِهم عَلى أنَّه تجبُ قراءتُها عِلىٰ الإمامِ والمنفرِدِ. فبعضُهم يَرَى أنَّ قراءَةَ الإمام تكْفِي والمأمومُ يستمعُ لقولِهِ تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢٠٤ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] نزلَتْ هذه الآيةُ في الصلاةِ كما يقول الإمام أحمدُ رحمهُ اللهُ. وبعضُ العلماءِ يرَ أنَّ قراءتها واجبةٌ على كل مصلٍ مِنَ الإمام والمأمومِ والمنفرد، لقوله ﷺ:

---

(١) البخاري (٧١٤)، مسلم، (٥٩٥)، الترمذي (٢٣٠)، النسائي (٩٠١)، أبو دادو (٧٠٠)، ابن ماجة (٧٢٨).

(٢) أبو داود (٧٣٠)، الترمذي (٢٧٨).

(٣) البخاري (٦٧٤٤)، مسلم (٢٣٨٠)، النسائي (٢٥٧٢)، أحمد (٩١٥٨).

«لا صلاة لمَنْ لَمْ يقرأْ بفاتِحَة الكتاب»[١] ولعلَّ القولَ الراجِحَ إن شاءَ الله أنَّه إنْ كانت الصلاة جَهريةً والإمامُ يجهرُ بقراءةِ الفاتحةِ فإنَّ على المأموم أنْ يستمع عملاً بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] أمَّا إنْ كانَتْ الصلاةُ سرِّيةً فإنَّهُ يجِبُ على المأمومِ أن يقرأَهاَ وكذَلِكَ يقرأُ في سكتاتِ الإمام في الصَّلاةِ الجهريةِ. وبهذا القولُ تجتمعُ الأدلةُ وهو اختيار شيخِ الإسلام ابنُ تيمية وهو مَذْهَبُ مالكٍ رحمهما الله.

ثم اعلموا ـ عبادَ اللهِ ـ أن خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ.

* * *

(١) البخاري (٧١٤)، مسلم (٥٩٥)، الترمذي (٢٣٠)، النسائي (٩٠١)، أبو داود (٧٠٠)، ابن ماجة (٨٢٨).

في الأكلِ مِنَ الطيباتِ وتركِ الخبائثِ

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ. أغنانا. بحلالهِ عن حرامِه وكفانَا بفضلهِ عمَّن سواهُ، وأشهدُ أن لاَّ إله إلا الله وحدَه لا شريكَ لَهُ ولا نعبدُ إلاَّ إياهُ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه وخليلُه ومجتباهُ ومصطفاهُ صلَّى الله عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ ومن والاهُ وسلَّم تسليماً كثيراً أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقوا اللهَ تَعَالَى، واعلمُوا أنَّ اللَّهَ سبحانَه وتعالَى قد أمرَ جميعَ الخلقِ أنْ يأكُلُوا مِنَ الطيباتِ أي مِنَ الحلالِ المباحِ قَالَ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ﴾ [البقرة: ١٦٨].

وأمرَ المرسلينَ أن يَاكلُوا من الطيباتِ قَالَ تَعالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥١].

وأمرَ المؤمنينَ أن يأكلُوا من الطيباتِ كَمَا أمرَ المرسلينَ قالَ سبحانَهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٢]. ونَهَى سُبحانَه وتعالَى عن تحريمِ ما أحلَّ الله فقالَ تعالَى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ [الأعراف: ٣٢].

كما نَهىٰ سبحانَهُ عَنْ تَحليلِ مَا حَرَّمَ الله قالَ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [المائدة: ٨٧].

عبادَ اللهِ، ثم إنَّ الله سبحانَهُ وتعالَى أمرَ بطلبِ الرزقِ ونَهىٰ عَنْ الكَسَلِ

وتعطيلِ الأسبابِ والتطلعِ إلى مَا في أَيْدِي الناسِ وسُؤالِ النَّاس قَالَ سُبْحَانَهُ وتَعالَى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] أيْ تطلبُوا الرزقَ في موسمِ الحجِ وقالَ سُبْحَانَهُ وتعالَى: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت: ١٧]. وقَال سبحانَهُ وتعالَى ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: ١٠]. وقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠] أي يسافِرونَ للتجارةِ ﴿وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ١٠] فقرنَ الذينَ يطلبُون الرزقَ الحَلالَ ويُسافِرونَ لطلبِهِ قَرَنَهُم مَعَ المُجَاهدينَ في سبيلِهِ، ولكنْ يكونُ الطلبُ مِمَّا أَحَلَّ الله سُبحانَهُ وتعالَى، وبوسائِل الكَسْبِ المُباحةِ وتجنُّبِ وسَائِل الكسبِ المحرَمةِ فإنَّ الله سبحانَهُ وتعالَى أَغْنَى عِبادَه بالحَلالِ الطِّيبِ عَنْ الحَرام الخبيثِ فَلا يَعدلُ عَنْ الحَلالِ الطيِّب إلاَّ مَنْ هو مُعانِد لحُكمِ اللهِ سبحَانَهُ وتَعالَىٰ، ومَنْ هو متجنٍ علىٰ نفسِهِ وعلى غيرِهِ.

عِبَادَ اللهِ، وإنَّ وجوهَ الكَسْبِ المحرَّمةِ كثيرةٌ لكن أشدُّها وأعظمها الرِّبا والعياذُ بالله الرِّبَا الَّذي حرَّمهُ الله ونَصَّ على تحريمهِ وتوعدَ المرابينَ بأشدِّ الوعيدِ فقالَ: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقالَ تَعالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٨٩]، والنبيُّ ﷺ يقولُ: «لعَنَ رسول اللهُ آكِلَ الرِّبا ومُوكِلَه وكَاتِبَه وشَاهِدَيه» (١) والرِّبا قَدْ فَشَا في هَذا الزَّمانِ لأنَّ كثيراً

(١) مسلم (٢٩٩٥)، الترمذي (١١٢٧)، ابن ماجة (٢٢٦٨)، أحمد (٦٠١).

من المُسْلمينَ يقلِّدُونَ الكفَّارَ في اقتصادياتِهم ومعاملاتِهم، ويَمْشُونَ خَلْفَهمُ ولا يُبالونَ هَلْ هذا الاكتسابُ وهذا الاتجارُ موافِقٌ لشَرْعِ الله، أو مخالفٌ لِشَرعِ اللهِ؟ لا يَسْأَلونَ عَنْ ذلِكَ وإنما يَمشُونَ خَلْفَ الدُّولِ الكافِرَةِ في اقتصادياتِها، ولذلِكَ وَقَعَ فِي الرِّبا كثيرٌ من الناسِ ووَقَعَ الرِّبا في كثيرٍ من مُعاملاتِ الناسِ ومن ذلكَ قروضُ الفوائدِ التي تستعملُها البنوكُ أو تستعملُها الشركاتُ أوْ التجارُ فيما بينَهم كالإيداعِ بالفائدةِ بأَنْ يُودعَ مَبْلغاً عِنْدَ البنكِ أوْ عندَ الشَّرِكَةِ أو عند فَردٍ مِنَ الأفْرادِ ليتاجرَ به بالفوائدِ المحرَّمِة ومن ذلِكَ القروضُ الرِّبويةُ التي تُقْرِضُهَا البنوكُ للنَّاسِ مُستهلكينَ أو مُسْتَثْمِرينَ للأَفْرادِ أوْ للشركاتِ أو للمؤسساتِ تعطيهم المبالِغَ قرضاً على أنْ يردُّوا أكثرَ منها بِنَسَبٍ يصطلِحون عليها، وهذا هُو الرِّبا الصريحُ قَالَ ﷺ: «كُلُّ قرضٍ جَرَّ منفعةٍ فَهوَ رِبَا»[1]، وأَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلىٰ مَا جَاءِ بِهِ هَذَا الحَديثُ أن كُلَّ قَرضٍ جرَّ نَفْعاً فَهوَ الرِّبَا الصَريحُ حَتَّىٰ ولَوْ لَمْ يكُنْ هَذَا النَّفعُ مَالياً كمَا لَوْ اشْترطَ المُقرضُ عَلىٰ المُقْترضِ أن يُسْكِنَهُ دارَهُ أو أنْ يمنحَهُ سيارتَهُ أو دابتَهُ ليَرْكبَها أو ليَحْملَ عليَهَا، أو أنْ يَمْنَحهُ بُستانَهُ ليَزْرَعَهُ أوْ لِيسْتَثْمِره، ثُمَّ يُقرِضَه مَبلغاً في نظيرِ ذلِكَ. فهذا هُو الرِّبا الصَّريحُ، ويَدْخلُ في قوْلِهِ ﷺ: «كلُّ قرض جرَّ نفعاً فهو رِباً» هذه قاعدةٌ عظيمةٌ أجمعَ عليها أهلُ العِلْمِ، ولا يُبالي كثيرٌ من الناسِ بهذا الأمر فيقترضونَ من البنوكِ بزياداتٍ وبمنافعَ ربويةٍ صريحةٍ، ولا حولَ وَلا قوَّةَ إِلاَّ باللّهِ، وهم ينهَوْنَ عنه وينأونَ عنه عن عَمدٍ، وعن عِنادٍ وعن إصرارٍ بعدما بُيِّنَ لهم فَلا حَولَ ولا قوةَ إلا بالله إنَّ هذه هي المحادَّةُ للّهِ ورسولِهِ، ومن هذا البابِ ما تعمله البنوكُ الآن مِنْ أَنْها تريدُ أن تبيعَ سيارةً أَوْ أرضاً على شخصٍ،

---

(١) مسند الحارث (زوائد الهيثمي) (٤٣٧). ع١ ص (٥٠٠) سنن البيهقي الكبرى (١٠٧١٥) ج٥ ص (٣٥٠) المطالب العالية (١٤٤)ز ج ٧ ص (٣٦٢).

ثُمَ تقولُ لَهُ اذهبْ أَنتَ، وابحثْ عما تُريدُ واسْألْ عَنْ قيمتِهِ ثم أتِنا بالبيانِ ثم يقومُون، ويسجِّلُون هذه الأرضِ أو هذه السيارةَ باسمِ المشتَرِي، ويدفعُون ثَمَنَها للبائع بزيادةٍ يستردُونها من المشترِي فهذا لَيْسَ بيعاً لأنهم باعُوا مَالاَ يَمْلِكُونَ. قد قال النبيُّ ﷺ: «لا تبعْ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ» (١) وإنَّما المعْنَى أنَّهم أقرضُوا هذا الشخصَ ثمنَ هذهِ السِّلعةِ التي يريدُها أقرضُوه إياها بزيادةٍ فهو قَرْضٌ رِبَوِيٌّ وأمَّا البيعُ فليسَ فيه بيعٌ، البيعُ إنَّما وقَعَ بينَ المشترِي وبين مَالِكِ السيارةِ الذي جَعَلَ البنكَ وَسِيطاً بينهما وليسَتِ السياراتُ للبنكِ والأراضِي ليستْ للبنكِ، وإنَّما هي لأصحابِها والبنكُ إنما هُوَ سَلَّمَ الثمنَ بزيادةٍ يستردُّها من المشترِي وسُجِّلَتْ هذه الأشياءُ باسمِ المقترضِ لا باسمِ البنكِ هذا رِباً صَرِيحٌ، وكذلكَ الرِّبَا ما يقعُ في صَرْفِ العُمُلاتِ، والصَّرفُ هو بيعُ عملةٍ بعملةٍ أخرىٰ هذا هو الصَّرفُ، وقد شَرطَ فيه النبيُّ ﷺ التقابُضَ في المجلسِ بألاّ يتفرَّقَا وبينهُما شيءٌ، فإذا افترقَ المتصارفانِ وبينهما شَيء لَمْ يُقْبَضْ فإنَّهُ يكونُ رِبا نَسِيئةٍ، وهو الرِّبَا الشديدُ رِبَا الجاهليةِ ولا يبالونَ بهذا يتصارفُون بالعملاتِ من غيرِ أن يكون تقابضٌ تامٌ في مجلس العقدِ وهذا هو الرِّبا الصريحُ. النبيُّ ﷺ شَرَطَ في الصَّرفِ أنْ يكونَ يداً بيدٍ هَاء وهَاء أخذاً وإعطاءً في المجلسِ، ولا يتفرقا وبينهما شيءٌ وإذا اتَّحَدَ جِنسَا العُملةِ فلا بُدَّ من التَّساوي في المِقْدَارِ وكذلِكَ ـ يا عباد اللهِ ـ من المكاسبِ المحرمةَ القِمارُ والميسرُ، هو جميعُ المغالباتِ والجوائزِ التي تُبذَلُ في المسابقاتِ التجاريةِ أو غَيْرِ التجاريةِ فإنَّها حَرَامٌ وهيَ القمارُ، ولَمْ يستَثْنِ النَّبيُّ ﷺ إلاَّ ثَلاثاً قَالَ ﷺ: «لا سَبَقَ إلا في نصلٍ أو خُفٍّ أو حَافِرٍ» (٢) والسَبَقُ هو

---

(١) الترمذي (١١٥٣)، النسائي (٤٥٣٤)، أبو داود (٣٠٤٠)، أحمد (٤١٧٧٣).

(٢) الترمذي (١٦٢٢)، أبو داود (٢٢١٠)، أحمد (٩٧٥٤)، ابن ماجة (٢٨٦٩).

الجائزةُ التي تؤخذُ على المسابقةِ. والنبيُّ ﷺ رَخَّصَ فيها فيما هُو من التدريبِ على الجهادِ في سبيلِ الله في نصلٍ وهو الرمايةُ فيجوزُ أخذ العِوَضِ أو أخذُ الجائزةِ على الرمايةِ، يأخذُ الحاذقُ الجائزةَ الذي يغلبُ في الرمايةِ ويكونُ حاذِقاً يأخذُ الجائزةَ هذا جائزٌ شرعاً وكذلِكَ المسابقةُ على الإبلِ على الخُفِّ (يعني الإبلَ) لأنَّ الإبلَ مِنْ دوابِّ الجهادِ في سبيلِ الله، فركوبُها والتمرُّنُ عليها مِنَ التمرينِ على أدواتِ الجهادِ في سبيلِ الله عزَّ وجلَّ، أو حَافرٍ وهو ركوبُ الخيلِ، التمرنُ على ركوبِ الخيلِ وسباقُ الخيل إذا كان القصدُ من ذلك التدرُّبُ على الجهاد في سبيل الله فيجوزُ أخذُ الجائزةِ للسابِقِ مِنَ المستابقينَ، لما في ذلِكَ من التدربِ على الجهادِ في سبيلِ اللهِ أما ماعَدا ذلِكَ من الجوائزِ التي تبذُلها الشركاتُ أو المتاجرُ أو محلاتُ البيع فإنها كُلُّها مِنَ القِمارِ والميسرِ، ومن أكْلِ المالِ بالباطلِ ومن الغررِ والجهالةِ وقد توسَّعَ الناسُ في هذا، وتفنَّنُوا في هذه الجوائزِ التي هي قمارٌ وميسرٌ وحرامٌ دونَ مبالاة فالصحفُ تبذلُ مسابقاتٍ وجَوائزَ، المحلاتُ التجاريةُ تبذلُ مُسابقاتٍ وجوائزَ، حتى محطاتِ البنزينِ تبذلُ مسابقاتٍ وجوائزَ، وكلُّ هذا لا يجوزُ لأنَّهُ من القِمارِ ومن الميسرِ والمطلوبُ مِنَ المسلمِ أنْ يبيعَ ويشتريَ بما أحلَّ الله دونَ أنْ يدخُلَ في هذه المحرَّماتِ، لكنْ لما كانَ هذا يُعمَلُ في بلادِ الكُفرِ وبلادِ الغربِ قلَّدهُم كثيرٌ مِنَ المسلمين يريدُونَ به جَلْبَ الزبائنِ. وكذلِكَ مِنَ المكاسبِ المحرَّمةِ الرِّشوةُ وهي المالُ الذي يُدْفَعُ للمسؤولِ من أجلِ أنْ يُنجزَ الأعمالَ التي عِنْده للناسِ، فمن دَفَع إليهِ رِشْوةً أنجزَ عملَهُ ومَنْ لَمْ يدفعْ إليهِ رشوةً عطَّلَ عملَه وقدَّمَ عليه غيرَه ممَّن يدفعُون الرشوةَ وقد لعَنَ النبيُّ ﷺ الراشِي والمرتشِي والرائشِ (وهو الذي يَسْعَى بينهما) واليومَ هناكَ شركاتٌ للرشوة وذلك أنَّ الموظفينَ الذينَ عندهم

التعيينُ على الوظائِفِ أو عندهُم نَقْلُ الموظفينَ من مكان إلى مكانٍ غالِبُهم لا يعملُ هذا إلاَّ برشْوةٍ فَمَن قدَّم لَهُ رِشْوةً عيَّنَهُ على وظيفةٍ أو نقلَهُ من مكانٍ إلى مكانٍ حَسْبَ رغْبتهِ، وقَدْ لا يُباشِرُ هذا هو؛ لأنَّه يعلَمُ أنَّه مُتابَعٌ لكن يُوعِزُ إلى بعض السَّمَاسِرَة، ويقولُ لهمُ اذهبوا إلىٰ الناسِ وقولُوا نحنُ نسعَى لكُم في التعيين أو في النقل ونتوسَّطُ لكُم عندَ الموظفين أَوْ عِندَ الدَّوائرِ على نَظيرِ مبلغٍ فيعطيَهم المسكينُ هذا المبلغَ ثم يذهبُون ويقتسمُونه معَ الموظفينَ، وهذا هُو الرشوةُ وما فَشَتِ الرشوةُ في مجتمعٍ إلا فَشَا فيهِ الدَّمارُ، وتعطَّلَتْ فيهِ الأعمالُ قُدِّمَ الأشرارُ وأُهينَ الأخيارُ وهي السُّحْتُ الذي عَابَه الله على اليهودِ فقالَ فيهم ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢] والسحتُ هو الرِّشْوةُ فليتقِ الله مَنْ ابتُليَ بالوقوعِ في هذه الأمورِ أو خَفيتَ عليهِ وليعلَمْ أنها رِشْوةٌ ملعونٌ من أخذها وملعونٌ مَنْ دَفَعَها وملْعُونٌ من سَعَى فيها.

وكذلِكَ من المَكَاسِبِ المحرَّمةِ بيعُ السِّلعِ المحرمةِ، لأنَ الله إذا حرَّم شيئاً حرَّم ثمنَهُ ومن ذلِكَ بيعُ الدخانِ، لأنَّ الدّخانَ حرامٌ فبيعهُ وأكلُ ثمنِهِ حرامٌ، وكذلِكَ بيعُ آلاتِ اللهوِ من المزاميرِ والمعازِفِ بجميعِ أنواعِها، بيعُها والاتجارُ بها حرامٌ وثمنُها حرامٌ وسُحتٌ، وكذلِكَ بَيْعُ الأغانِي وبيعُ الأشرطةِ التي تشتملُ على الأغانِي أو تشتملُ على المقالاتِ السيئة المنحرفِة التي تدعُو إلى الباطلِ المقالاتِ المسجلةِ أو المحاضراتِ أو الفتاوىٰ التي تدعُو إلى الباطلِ وتحلِّلُ الحرام، بيعُ هذه الأشرطةِ بيعٌ محرمٌ، وأكلُ ثمنِها حرامٌ، وكذلِكَ بيعُ المجلاَّتِ والجرائدِ الماجنةِ التي فيها الصورُ الخليعةُ والمقالاتُ الملحِدةُ، الذي يبيعُ هذه المجلاتِ وهذه الصحفَ التي فيها صورُ النساءِ، وفيها صُورُ العُرىٰ وفيها المقالاتُ الكُفرِيةُ والإلحادية الذي يبيعُها مُجرمٌ وما يحصلُ عليه من المالِ

حرامٌ، أَمَّا بيعُ المجلاتِ النزيهةِ وبيعُ الجرائدِ النزيهةِ الهادفةِ التي لَيْسَ فيها محذورٌ فلا بأسَ بذلك، وكذلِكَ الغِشُّ في المعاملاتِ والكذبِ في المعاملاتِ فالذي يبيعُ بالغشِ ويكتمُ عيوبَ السلعِ على الناسِ يبيعُ السلعَ على أنَّها سليمةٌ وهو يعلمُ أنها مغشوشةٌ وأنها معيبةٌ ولا يُبيِّنُ هذا للناس هذا يأكلُ أموالَهم بالباطلِ. قال ﷺ: «مَنْ غَشَّ فليسَ مِنَّا»[1] ومرَّ ﷺ على بائع طعامٍ، فأدخَلَ ﷺ يَدهُ في الطعامِ فأدرك بللاً في أسفل الطعامِ يعني أدركَ فيهِ رطُوبةً لم يُبينْها البائعُ فقالَ لَهُ ﷺ: «ما هَذا يا بائعَ الطعامِ؟» قال: «أصابتَه السماءُ (يعني المطرَ) أصابته السماءُ يا رسول اللهِ. قالَ: ألا جعلتَه ظَاهراً حتى يَراهُ الناسُ مَنْ غشَّنا فليسَ مِنّا»[2].

كثيرٌ من الناسِ اليومَ إلاّ مَنْ رحمَ الله لا يبالُونَ بالغشِّ بل يتفنونُ فيهِ ويعتبرُونَ هذا من الحِذْقِ في البيعِ والشراءِ يتفنَّنون في الغشِّ وكِتمانِ العيوبِ والتدليسِ على الناسِ. وهذا مِنْ أعظمِ أكلِ أموالِ الناسِ بالباطلِ ويكفِي في هذا أنَّ الرسولَ ﷺ تبرَّأ مِنْ فاعِلِه فقالَ: «مَنْ غشَّنا فليس منا». فاتقُوا اللهِ عبادَ الله واقتنعُوا بالحلالِ الطيِّبِ، فإنَّ فيهِ البركةَ والخيرَ وفيه صلاحَ القلبِ وصَلاحَ البدنِ وصلاحَ العملِ ولَوْ كَانَ قليلاً، فإنَّ الحلالَ مُباركٌ وإن كان قليلاً أمَّا الحرامُ فإنه ممحوقُ البركةِ وإن كانَ كثيراً فإنَّهُ وبالٌ على صاحبهِ.

أعوذُ بالله مِنَ الشيطانِ الرجيمِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[المائدة: ٨٧] بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

---

(١) مسلم (١٤٧)، الترمذي (١٢٣٦)، ابن ماجة (٢٢١٥)، أحمد (٦٩٩١).

(٢) ابن ماجة (٢٢١٦)، أحمد (٤٨٦٧)، الدارمي (٢٤٢٩).

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ لله على فضلهِ وإحسانِه وأشكرهُ على توفيقهِ وامتنانهِ، وأشهدُ أَنْ لاَ إله إلاَّ الله وحدهُ لاَ شريكَ لَهُ وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلَّى الله عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ وسلَّم تسليماً كثيراً. أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقوُا الله تعالَى واعلَمُوا أنَّ أكلَ الحرامِ واستعمالَ الحرامِ لَهُ عُقوباتٌ عاجلةٌ وآجلةٌ فالذي يأكلُ الحرامَ أو يلبسُ الحرامَ أو يشربُ الحرامَ لا يُستجابُ له دعاءٌ قال ﷺ في الرجل يطيلُ السفرَ أشعثَ أغبرَ يمدُّ يديه إلى السماءِ يا ربُّ يا ربُّ، ومطعمُه حرامٌ وملبسهُ حرامٌ ومشربُه حرامٌ فأنّىَ يُستجابُ لذلِكَ، وطَلبَ سعدُ بن أبي وقاصٍ رَضِي الله عَنْهُ من النبيِّ ﷺ أن يدعُوَ الله له بأنْ يكونَ مُجابَ الدعوةُ فقال له ﷺ: «يا سعدُ أطبْ مطعمَكَ تُجَبْ دعوتُكَ». فمَنْ أرادَ أنْ يُستجابَ دعاؤُه فليستعملِ الحلالَ مما أباحَ الله، ويتجنبِ الحرامَ، المالُ الحرامُ إنْ تصدَّق بهِ صاحبُهُ أو تصدَّقَ منه لم يُقبلْ، لأنَّ الله طيبٌ لا يقبلُ إلا طيباً وإن تركَهُ وراءَ ظهرهِ كان زادُه إلى النارِ وكان لغيرهِ الثمرُ وله الشوكُ والعياذُ باللّهِ وإنْ أكلَ منه وغذّىٰ جِسْمَهُ به فالنارُ أولَى به.

فاتقُوا الله عبادَ الله وأطيبُوا مكاسِبَكُم، وأطيبُوا ما تأكلُونَ وما تدَّخِروُنَ في بيوتِكم مما أحلَّ الله لكم ففي الحلالِ غنيةٌ عن الحرامِ والحمدُ لله.

ثم اعلمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله . . .

في شَأنِ الصَّلاةِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ. جَعَلَ الصلاةَ ثانيةَ أركانِ الإسلامِ، وأمرَ بالمُحافَظةِ عليها، والمُداومةِ عَلَيْهَا عَلى الدَوام، وأشهدُ أنْ لاَ إلٰهَ إلاَّ اللهُ، وحدَهُ لاَ شَريكَ لهُ في رُبوبيتِهِ وإلهيتِهِ وأسمَائِه وصفَاتِهِ العِظام، وأشْهدُ أنَّ مُحمَّداً عبدُهُ ورسولُهُ عليهِ وعلىٰ آلهِ وأصحابِهِ أفضلُ الصلاةِ وأزكَى السلامِ، أمَّا بعدُ:

أيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ تَعالىٰ وأطِيعوهُ، وعظِّمُوا قَدْرَ الصلاةِ، فمَنْ أرادَ أن يعرفَ قدرَ الإسلامِ عنده فَلينظرْ إلى قَدْرِ الصَّلاة عنده. إنَّ اللهَ سبحانَه وتعالى عظَّم شأنَ الصلاةِ حيثُ فرضَها على نبيهِ ﷺ فوقَ السمواتِ ليلةَ المعراجِ بدونِ واسطةٍ. فَرَضَها عَلَيْهِ قبلَ الهِجرةِ وبعدَ دعوةِ التوحيدِ، لأنَّها ثانيةُ أركانِ الإسلامِ، وأمَّا بقيةُ شرائعِ الإسلامِ فإنَّها فُرضَتْ على النبيِّ ﷺ بَعْدَ الهِجرةِ وكانتْ تنزلُ عليه بواسَطةِ جبريلَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ومِمَّا يدُلُّ علىٰ قدرِ الصَّلاة أنَّ اللهَ أمرَ ببناءِ المَسَاجِدِ لَهَا وأمرَ بالنداءِ لَهَا وأمرَ بالاجتماعِ لَهَا وأَمرَ بالطَّهارةِ لَها فهذِهِ الصلاةُ لَهَا شروطٌ لا تُوجدُ في غيرِهَا مِنَ العِبَاداتِ مِمَّا يدلُّ على أهميتِها ومكانتِها عِنْدَ الله سُبْحانَهُ وتَعَالَىٰ، وهَذهِ الصَّلواتُ الخمسُ هي أولُ ما يحاسَبُ عليه العبدُ يومَ القيامةِ من أعمالِهِ فإن قُبلَتْ قُبِلَتْ سَائرُ أعمالهِ وإن رُدَّتْ رُدَّت سائرُ أعمالِه، وهذه الصلاةُ نوَّه اللهُ بشأنِهَا وأخبرَ عن فضلِها قالَ سبحانَهُ وتَعالَى:

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وهذه الصلاةُ يُستعانُ بها على الشدائدِ قالَ تعالَى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٣] هذه

الصلاةُ هي قُرَّةُ عينِ النبي ﷺ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «حُبِّبَ إليَّ منَ الدُّنيَا النِّساءُ والطيبُ وجُعِلَت قُرَّةَ عيني فِي الصَّلَاةِ»[1] هذه الصلاةُ هي الرُّكنُ الثَّاني من أَركانِ الإسلامِ بعدَ الشَّهادَتَيْن، فإذَا دَخلَ الكافرُ في الإسلام فأوَّلُ ما يؤمَرُ بهِ بعدَ النُّطْقِ بالشهادتينِ الصلاةُ قَالَ تَعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وفي الآيةِ الأُخرَىٰ ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١] ولمَّا بَعَثَ النبيُّ ﷺ مُعاذاً إلى اليمن قالَ لَهُ: «إنَّكَ تأتي قَوْماً مِنْ أهلِ الكتابِ فليكُنْ أولَ مَا تدعُوهُمْ إليهِ شهادةُ أنْ لا إلٰه إلاَّ اللهُ وأنَّ مُحمَّداً رسولُ الله، فإنْ هُمْ أطاعُوكَ لِذَلكَ فأعِلْمهُم أنَّ اللهَ افترَضَ عَليهم خمسَ صلواتٍ في اليوم والليلة، فإن هُم أطاعوكَ لذلك فاعلمِهمُ أنَّ الله افترض عليهم صَدَقَةً تُؤخذُ مِنْ أغنيائهِم فتُردُ في فقرائهم»[2] وهذِهِ الصلاةُ مِن تَرَكَهَا جَحداً لوجوبِهَا فإنَّه كافِرٌ بإجماعِ المُسْلِمين لأنَّهُ مُكذِّبٌ للهِ ولرسولِهِ، ولمَّا عَلِمَ منَ بالضرورةِ، أمَّا إن تَرَكَهَا مُتهَاوِناً ومُتَكَاسِلاً مع اعترافِهِ بوجُوبِها فإنَّه أيضاً كافرٌ كَمَا قَالَ النبيُّ ﷺ «بَيْنَ العَبْدِ وبَيْنَ الكُفْرِ تَركُ الصَّلاةِ» رواهُ مُسلم. قالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامَ: «العهدُ الذي بيننَا وبينهَم الصلاةُ فَمَنْ تركَها فَقَدْ كَفَرَ»[3] رواه أَهلُ السننِ.

فلا دينَ ولا إِسلامَ لِمَنْ تركَ الصلاةَ وكذلِكَ من تهاونَ بالصلاةِ بأَنْ كانَ يُصلي ولكنَّه لا يُصلّي على الوجهِ المطلوبِ فالله سبحانَهُ توعَّدَهُ بالويلِ قالَ

---

(١) النسائي (٣٨٧٨)، أحمد (١١٨٤٥).

(٢) البخاري (١٣٠٨)، مسلم (٢٧)، أبو داود (١٣٥١)، الترمذي (٥٦٧)، النسائي (٢٣٩٢).

(٣) الترمذي (٤٤٥٢)، أبو داود (٤٠٥٨)، ابن ماجة (١٠٦٨)، أحمد (١٤٤٥١)، الدارمي (١٢٠٥).

سُبحـــانَـــهُ وتعـــالـــى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝﴾[الماعون: ٤-٥] والسَّهوُ عَنْ الصلاةِ يشملُ السَهو عن الوقتِ بأنْ يُخرجها عَنْ وقتِها ويصلّيها بعدَ خروجِ الوقتِ مِنْ غيرِ عُذرٍ شرعيٍّ فهذا لا تُقْبَلُ مِنهُ صلاتُهُ قالَ ﷺ: «مَنْ تركَ صلاةَ العصرِ فقد حَبِطَ عَملُهُ»(١) ومعنى فاتته «يعني فاتَهُ وقتُها وأخَّرها عن وقتِها» فهوَ ولو صَلاَّها فإنَّها لا تُقبلُ عِنْدَ اللهِ لأنَّهَ لَمْ يُصلِّ الصلاةَ المطلوبةَ التي شرعَها الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، قَالَ تعالىَ: ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ۝﴾ [النساء: ١٠٣] (أيْ مَفروضاً في الأوقاتِ) فليستِ الصلاةُ مجردَ أنهُ يركعُ ويسبحُ ويقومُ ويقعدُ ويجلسُ بَلْ الصَّلاةُ عبادةٌ عظيمةٌ لا بُدَّ أنْ يودِّيهَا على الوجِه المشروعِ، قد شرعَها اللهُ في أوقاتٍ محددةٍ في الليل والنهارِ فلا يجوزُ إخراجُها عن هذه المواقيتِ بغير عُذْرٍ فمن أخرجَها بغيرِ عذرٍ، فإنَّها لا تُقبلُ منه صلاتُهُ، أمَّا من نَسِيَها أو نَامَ عنها بغيرِ اختيارهِ ولا تَعمَّدَهُ لَمْ يتعمدِ النومَ عنها وإنما غلبَهُ النومُ وكان مِنْ عَادتِه أنه يُصلي لكنْ غلبَه النومُ فهذا قال ﷺ فيهِ «مَنْ نَسيِ صلاةً أو نامَ عنها فليصلِّها إذا ذكرها لا كفارة لها إلاَّ ذَلِكَ»(٢) أما الذّي يؤخرِّهُا مُتعَمداً فهذا - ولوَ قضَاها - فإنها لا تُقبلُ منه لأنهُ لم يُصلِّ الصلاةَ التي أمره الله تعالى بها. كثيرٌ مِنَ الناسِ يتساهلُونَ في الوقتِ فيؤخِّرونَ الصلواتِ عَنْ مَواقيتِها ينامونَ عَنْ صَلاةِ الفجرِ يَسهرونَ بالليلِ على قِيلَ وقالَ وعلى أعمالٍ قد تكون أعمالاً مُحرَّمةً يَسهرونَ عليها ثم ينامونَ عَنِ صلاةِ الفجرِ فإذَا استيقظُوا مِنَ النهارِ صلُّوا صلاةَ

---

(١) ابن ماجة (٦٨٦)، البخاري (٥٢٠)، النسائي (٤٧٠)، أحمد (٢١٨٧٩).

(٢) مسلم (١١٠٣)، البخاري (٥٦٢)، الترمذي (١٦٣)، أبو داود (٣٧٤)، تفسير الطبري (ج ١٥ ص ٧)، الدرالمنثور (ج ٥ ص ١٩٩)، فتح الباري (ج ٧ ص ٢٠).

الفجرِ هذِه صلاةٌ لا تقبلُ وقدَ «رأى النبيُّ ﷺ قوماً تُرضَخُ رُؤوسُهم بالحجارةِ كلَّما رُضِخَتْ عادَتْ كما كَانَتْ ويُكرَّرُ عليهم ذلِكَ فسألَ عنهم فقِيلَ لَهُ: هؤلاءِ الذين تَتَثَاقَلُ روؤسُهم عن الصلاة»[1] وكذلِكَ بعضُ الناسِ يتساهلونَ في صلاةِ العصرِ فإذا خرجَ من عملهِ خرجَ من الدوامِ ملأَ بطَنهُ بالطعامِ والشرابِ ثم نامَ وتركَ صلاةَ العصرِ فلا يصلِّيهَا إلاَّ إذا استيقظَ ولو في آخرِ الليلِ وقَدْ سَمعتُمْ قَوْلَهُ ﷺ: «مَنْ فَاتَتْهُ صلاةُ العصر فَقَدْ حَبطَ عَمَلهُ» وهاتانِ الصَّلاتانِ بالخصوصِ هما آكدُ الصَّلواتِ وأفْضلها قَالَ سُبحانَهُ وتَعَالَىٰ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾[البقرة: ٢٣٨].

والصَّلاةُ الوسطَى هِيَ صَلاةُ العَصرِ وقَالَ سُبحانَهُ وتَعَالَىٰ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾[ق: ٣٩] قَبلَ طُلوعِ الشمسِ هذه هي صلاةُ الفجرِ، قبلَ الغُروبِ هذه صلاةُ العَصرِ، أمرَ الله بهما بالخصوصِ لفضلِهما مع الأمرِ والتأكيدِ على بقيةِ الصَّلَواتِ الخمسِ قال عليه الصَّلاَةُ والسلامُ: «مَنْ صَلَّىٰ البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجنةَ»[2] والبَرْدَانِ: صلاةُ الفجرِ وصلاةُ العصرِ بعني مَعَ المحافظةِ على بقيةِ الصلواتِ ولكنَّ النبيَّ ﷺ خَصَّ هاتينِ الصلاتين لفضلِهما ولأنَّ بعضَ الناسِ يتساهلونَ فيهما، والوَاجِبُ على المسلمِ أَنْ يُحَافظَ على جَميعِ الصَّلَواتِ الخَمْسِ وبالذاتِ صَلاة الفجرِ وصلاة العصرِ، وكذلِكَ مِنْ تضييع الصلاةِ تضييعُ الجماعَةِ فبعضُ النَّاسِ لا يُصلِّي معَ الجماعةِ ولو كَانَ المسجد إلى جَانبِ بيتهِ فلا يُصلي مع الجماعةِ ولا يُرى في المسجدِ، وقَدْ قَالَ ﷺ: «مَنْ سمعَ النداءَ فَلَمْ يَأْتِهِ فلا صلاةَ لَهُ إلاّ من عذرٍ. قِيلَ: ومَا العذرُ؟ قَالَ:

---

(١) ابن ماجة (٦٨٦)، البخاري (٥٢٠)، النسائي (٤٧٠)، أحمد (١٢٨٧٩).

(٢) البخاري (٤٥٠)، مسلم (١٠٠٥)، أحمد (١٦١٣٠)، الدارمي (١٣٨٩).

خوفٌ أو مرضٌ»[(١)]. وجاءَه رجلٌ أعمَىٰ وشَكَا إليهِ ما يَلْقَى مِنْ مشقَّةِ الطريقِ بينَهُ وبَيْنَ المسجدِ، ، أنَّهُ لا يجدُ قائداً يلازِمهُ وطَلَبَ مِنَ النبيِّ ﷺ أن يُرَخِّصَ لَهُ أنْ يصلّي في بيتِهِ، قَالَ: هَلْ تسمعُ النِّداءَ؟ قَالَ: نَعَمْ قال: فأَجِبْ»[(٢)]، فكُلُّ من سَمِعَ النِّداءَ وكلُّ أهلِ البَلَدِ الآن يسمعونَ النِّداءَ ـ كُلُّ من سَمِعَ النداءَ ولَمْ يُجِبْ ولَمْ يحضُرْ إلى المسجدِ مِنْ غيرِ عُذْرٍ فإنَّهُ لا صلاةَ لَهُ بنصِّ الحديثِ، وهَذا مِنْ تضييعِ الصَّلاةِ قَالَ تعالَىٰ: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ۝٦٠﴾[مريم: ٥٩، ٦٠] وقالَ جَلَّ وعلاَ: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥﴾[الماعون: ٤، ٥] سمَّاهُم مصلينَ وتوعَّدَهُم بالويلِ لماذا؟! لأنهم ساهُون عن صلاتِهم، فلا يؤدُّونَها كَمَا أمرَ اللّهُ سبحانَهُ وتعالَى في أوقاتِها، ولا مَعَ الجماعةِ وكذلكَ لابُدَّ في الصلاةِ مِنَ الطمأنينةِ فالذي يَنقُرُ الصلاةَ لا تُقبلُ منه صلاتُهُ، وقد دخلَ رجلٌ المسجدَ ورسولُ اللّهِ ﷺ جالسٌ فصلَّى ثم جاءَ فسلَّم على النبيِّ ﷺ فردَّ عليه السلامَ وقال له: صَلِّ فإنَّك لَمْ تصلِّ فرجعَ وصَلَّى ثم جَاءَ وسلَّمَ على النبي ﷺ فردَّ عليهِ السلام وقال له: صلِّ فإنَّكَ لَمْ تُصلِّ فرجع الرجلَ وصَلَّى ثم جَاءَ وسلَّم على النبيِّ ﷺ فردَّ عليهِ السلامَ وقال له: صلِّ فإنَّكَ لَمْ تُصلِّ فَقالَ: والذَّي بعثَكَ بالحقِّ نبياً لا أحسِنُ غيرَ هذا فعلِّمني، فقال له ﷺ: إذا قُمْتَ إلى الصَّلاةِ فكبِّر ثم اقرأ ما تَيسَّرَ معكَ من القرآنِ ثم اركعْ حتى تطمئِنَ راكعاً ثم ارفَعْ حتى تعتدلَ قائماً ثم اسجُد حتى تطمئِنَ ساجداً ثم اجلسْ حتى تطمئِنَ جالساً ثم اسجدْ حتى تطمئنَ ساجداً ثم افعلْ ذلِكَ في صلاتِكَ

---

(١) ابن ماجة (٧٨٥)، أبو داود (٤٦٤).

(٢) مسلم (١٠٤٤)، النسائي (٨٤١).

كُلّها[(١)]. فدلَّ على أنّ الطمأنينةَ ركنٌ مِنْ أركانِ الصلاةِ وأنّها إِذَا نُقِرَتْ، فإِنَّها لا تصحُّ لأنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ لهذا الرجلِ الذي يَنقُر الصلاةَ قالَ لَهُ: صَلِّ فإِنَّكَ لَمْ تُصلِّ وكرَّرَ عليه ذلك، فدلَّ على أنَّ الذي ينقُرُ الصلاةَ ولا يطمئنُ فيها أنهُ لا يصلِّي الصلاةَ المطلوبَة، ويكونُ داخلاً في قولِهِ تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝﴾ [الماعون: ٤، ٥]. وفي قولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [مريم: ٥٩]. ولَيْسَ المرادُ بالسهو عَنْهَا أَوْ المرادُ بإضاعَتِها لَيْسَ المرادُ تركَها بالكلِّيةِ، لأَنَّ مَنْ تركَها بالكليةِ فهو كافرٌ، ولكنَّ المرادُ الَّذي يصلِّي ولكنَّهُ لا يصلِّي على الصفةِ التي أمرَ الله بها من مراعاةِ الوقتِ وحضورِ الجماعةِ والطمأنينةِ في الصلاةِ. فاتقُوا الله عبادَ الله، في دينِكم عامةً وفي صَلاتِكم خَاصةً، قد قَالَ ﷺ «**أَوَلُ ما تفقدُونَ من دينِكم الأمانةُ وآخرُ ما تفقدُونَ مِنه الصلاةُ**»[(٢)] قَالَ الإمامُ أحمدُ ـ رحمه الله ـ: كلُّ شيءٍ فُقِدَ آخرهُ لَمْ يبقَ منه شيءٌ. ولَمَّا حَضَرَتْ رسولَ الله ﷺ الوفاةَ وصَارَ في النزعِ جعلَ يُكرِّرُ ويقولُ: «**عباد الله، الصلاةَ، الصلاةَ وما ملكتْ أيمانكُم، فما زال يكرِّرُ: الصلاة الصلاة**» **حتى ثَقُلَ لِسَانُهُ ولم يستطعْ النطقَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ**.[(٣)]. هذا آخرُ ما أوصَىٰ بهِ ﷺ أمتهُ فدلَّ على أهميةِ الصلاةِ ومكانةِ الصلاةِ في الإسلامِ هذه الصلاةُ التي تسَاهلَ بها كثيرٌ مِنْ النَّاسِ وَلا يُقيمُونَ لها وزناً ولا يحسبُون لها حِسَابا وربَما يَقولُ بعضُهم: الدينُ لَيْسَ بالصلاةِ الدينُ الأمانةُ، الدِّينُ الخلقُ، الدينُ كذَا وكذا،

---

(١) البخاري (٧١٥)، مسلم (٦٠٢)، الترمذي (٢٧٩)، النسائي (٨٧٤)، أبو داود (٧٣٠)، ابن ماجة (١٠٥٠).

(٢) الأحاديث المختارة (١٥٨٣)، المستدرك على الصحيحين (٨٥٣٨)، سنن البيهقي الكبرى (١٢٤٧٦).

(٣) أبو داود (٤٤٨٩)، ابن ماجة (٢٦٨٩)، أحمد (٥٥٢).

ويُريدُ بذلكَ التقليلَ من شَأنِ الصلاةِ وأَنْ يُوجِدَ لنفسِهِ العُذْرَ في تركِ الصلاةِ أوْ التهاوِنِ بها، والرسولﷺ يقول: «آخرُ ما تَفْقِدونَ من دينِكُم الصلاةُ» وهذا يقولُ الدينُ ليسَ بالصلاةِ. فاتقوا الله عبادَ الله، وحافِظُوا على صلواتِكم فإنَّها هي أولُ ما تُحاسَبونَ عنه يومَ القيامةِ من أعمالِكُم. أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١].

بَارِكَ الله لِي ولَكُمْ فِي القُرْآنِ العظيمِ.

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للّهِ ربِّ العالمينَ، ولا عُدوانَ إلا عَلَى الظالمينَ، وأشهدُ أنْ لا إِلَهَ إلاّ الله، وحْدَهُ لاَ شريكَ لَهُ وأشْهدُ أَنّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وسلَّم تسلِيماً كثيراً أمّا بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقُوا الله تَعالَى. جاءَ في الحديث **«أَنَّ هذهِ الصلواتِ الخَمْسَ مَنْ حفظِها وحافَظَ عليها كَانتْ لَهُ نوراً وبُرْهاناً ونجاةً يومَ القيامةِ ومَنْ لَمْ يُحافِظْ عَليها لَمْ يَكُن لَهُ نُوراً ولا برهاناً ولاَ نَجاةً يَومَ القيامةِ وحُشِرَ مع فرعونَ وهامَانَ وقَارُونَ وأُبيٍّ بن خَلَفٍ»**.[1] قَالَ العلماءُ بمعنَى هَذَا الحديثِ: إنّ الإنسانَ إن اشْتغَلَ عَنِ الصلاةِ بمُلكِه، فَإِنَّهُ يُحْشَرُ مع فرعونَ أكبرُ ملوكِ الكفرةِ وإنْ اشتغلَ عن الصلاةِ بوظيفَتهِ ووزارتهِ حُشِرَ مَعَ هَامَانَ وزيرُ فرعون، وإن اشتغلَ عن الصلاةِ بمالِه حُشِرَ مع قارونَ الذّي أتاهُ اللّهُ مِنَ الكُنوزِ مَا إِنّ مفاتحَهُ لتنوءُ بالعُصْبةِ

---

(١) أحمد (٦٢٨٨)، الدارمي (٢٦٠٥).

أُولِي القُوةِ وقد علمْتُم قِصَّتَهُ في القرآنِ وإنْ اشتغلَ عن الصلاةِ ببيعهِ وشرائهِ حُشِرَ مع أُبيِّ بنِ خَلَفٍ تاجرِ الكفارِ في مكةَ. قالَ عبدُاللّهِ بنُ مسعودٍ رَضِيَ الله تَعَالى عَنْهُ: «مَنْ سرَّهُ أَنْ يلقَىٰ الله غداً مُسْلِماً فلْيُحَافظْ على هذه الصلواتِ الخَمْسِ حَيْثُ يُنَادَىٰ بِهنَّ فإنَّ الله شَرَعَ لنبيكُم سُنَنَ الهُدَى وأنهنَّ من سُنَنِ الهُدَى ولقد رأيتُنا وما يتخلفُ عَنْها إلاّ منافقٌ معلومُ النفاقِ، ولقد كانَ الرجلُ يؤتَى بهِ يهادَي بين الرجلين حتى يُقامَ في الصَّفِّ». فاتقُوا الله عِبادَ الله، واهتمُوا بهذه الصلاةِ العظيمةِ عظِّموها كما عظَّمها الله سُبْحانَهُ وحافِظُوا عليها فإنها رأسُ مالِكُم. مَنْ حَافَظَ على هذهِ الصلاةِ فإنهُ يَكونُ مُحَافظاً عَلىٰ بَقِيَّةِ دينه مِنْ باب أَولى لقولهِ تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ومَنْ ضَيَّعها فَإِنَّهُ يَكونُ مُضيعاً لِبقيةِ أمورِ دينهِ مِنْ باب أَوْلَىٰ لأنَّه إذَا تساهَلَ في الصلاةِ فَإنَّه يتساهَلُ في غيرِها مِنْ بابِ أولَى. نسألُ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أنْ يرزقَنَا وإياكمُ المحافظةَ على هذهِ الصَّلواتِ وعَلىٰ أَدائِها، كما أَمَرنَا الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى لتكونَ لنَا نوراً وبرهاناً ونجاةً يومَ القيامةِ. واعلمُوا أَنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله . . .

* * *

في الإيمانِ باليومِ الآخرِ والاستعدادِ لَهُ

الحمدُ للّهِ الّذي خلَق الموتَ والحياةَ ليبلُوكُم أيكُم أحسنُ عملاً، وهُوَ العزيزُ الغفورُ. وأشهدُ أَنْ لا إلهَ إلاّ الله وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، لَهُ الملكُ وله الحمدُ يحيي ويميتُ، وهُوَ على كُلض شيءٍ قديرٍ، وأشهدُ أَنّ محمداً عبدهُ ورسولُه البشيرُ النذيرُ والسراجُ المنيرُ صلّى الله عليهِ وعَلَى آلِهِ وأَصْحَابِهِ وسلَّم تسلِّيماً كثيراً، أمّا بعدُ:

أيُّها الناسُ اتقُوا الله تَعَالَى، وتذكرُوا اليومَ الآخرَ تذكرُوا مستقبلكم وما تصيرُونَ إليه فإنَّ الإيمانَ باليومِ الآخرِ هُوَ أحدُ أركانِ الإيمانِ السِّتةِ الَّتي وَرَدَ النصُ عليها في كتابِ الله وفي سنةِ رسولهِ ﷺ، والإيمانُ باليومِ الآخرِ يقتضِي الاستعدادَ لَهُ بالأعمالِ الصالحةِ، والتوبةُ من الأعمالِ السيئةِ، سمَّاهُ الله باليومِ الآخرِ لأنَّهُ بَعْدَ الدُّنيا، ولاَ يَأْتِي بَعْدَه يومٌ آخرٌ فهو اليومُ الأخيرُ الدائمُ المؤبدُ وسمَّاه الله يومَ القيامةِ لقيامِ الناسِ من قُبورِهم لربِّ العالمينَ، والقيامةُ قيامتانِ: قيامةٌ صُغْرَىٰ بالنسبةِ لِكُلِّ فردٍ، وذلِكَ بالموتِ فإنّ مَنْ ماتَ فقد قَامتْ قيامتهُ، وقيامةٌ كُبْرىٰ وهي انتقالُ هذا العالَمِ إلى الدارِ الآخرةِ إلى اليومِ الآخرِ، وقَدْ ذكرَ الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى القيامَتين في القرآنِ في سورةِ الواقعةِ ذَكَرَ في أَوْلِها القيامةُ الكُبْرىٰ: ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ ﴾ [وَلاَ: ٤ ـ ٦]، وذكرُ القيامةَ الصُغْرىٰ في آخرِ السورةِ ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٨٧ ﴾ [الواقعة: ٨٣ ـ ٨٧]، فذكرَ أنَّ الناسَ

سينقسمونَ عند القيامتينِ إلى ثلاثةِ أقسام: أصحاب الميمنةِ وأصحاب المشأمةِ والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، وذكرَ جزاءَ كُلِ صِنْفٍ منهُم وذكرَ القيامتينِ أيضاً في سورةِ القيامةِ ذكرَ في أَوْلِها القيامةُ الكُبرى ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ ﴾ [القيامة: ٧ ـ ١٣] وذكرَ القيامةَ الصُّغرى في آخرِ السورةِ قالَ سُبحانَهُ وتَعالَىٰ: ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ (يعني الروح) وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ [القيامة: ٢٦ ـ ٣٦]. والقيامةُ الصُّغْرَىٰ يكونُ بعدَها القبرُ وما فيهِ من الأهوالِ. القبرُ إمَّا روضةٌ مِنْ رياضِ الجنَّةِ وإمَّا حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ، وذَلِكَ أنَّ الميتَ إذا وُضِعَ في قبرِهِ وسُوِّيَ عليهِ القبرُ، وانصرفَ عنهُ أصحابهُ يأتِيه مَلَكانِ وتُعادُ روحُه إلى جَسَدِه ثُمَّ يقعدانِه فيقولانِ لَهُ: مِنْ ربُّكَ؟ وما دينُكَ؟ ومَنْ نبيُّكَ؟ فأمَّا المؤمُن فيقولُ رَبِّي الله والإسلامُ دِينِي ومحمدٌ نَبِيِّ فينادِي منادٍ أنْ صَدق عَبدِي فافْتَحُوا لَهُ باباً إلى الجنةِ وافرشُوه مِنَ الجنة فيوسَّعُ لَهُ في قبرِهِ مدَّ بصَرِه ويفتحُ له بابٌ إلى الجنةِ فيأتيهِ مِنْ رَوْحِها وطِيبِها فيصبحُ قَبْرُهُ روضةً من رياضِ الجنةِ، وأما المُنَافِقُ والمرتابُ فيقولُ: هَاه هَاه لاَ أدرِي، سَمِعتُ الناسَ يقولُون شيئاً فقُلْتُه، فينادِي منادٍ أنْ كَذَبَ عَبْدِي، فافرِشوُه من النارِ، وافتحُوا لَهُ باباً إلى النارِ فيضيَّقُ عليهِ في قبرِه حَتىٰ تختلفَ أضلاعُه، ويُفْتَحُ له بابٌ إلى النارِ فيأتيهُ من سَمُومِها وحَرِّهَا. هذا يكونُ بعدَ القيامةِ الصُّغْرَىٰ وهي الموتُ، والبقاءُ في القبرِ إلى يوم يُبعثُونَ ثُمَّ إذا أذِنَ الله سبحانَهُ وتَعَالَىٰ بِنِهَايَةِ هذهِ الدُّنْيَا، وانْتِقَالِ أَهْلِهَا مِنْهَا إِلىٰ الدَّارِ الآخرةِ فإِنَّ هَذهِ هِيَ القِيَامةُ الكُبرىٰ العامةُ ولكنَّ هذه القيامةَ لها

علاماتٌ ولها أشراطٌ تأتي قبلها وإلا فَوقتُ قيامِها لا يعلَمُه إلا اللّهُ لكنْ لها علاماتٌ ولها أشراطٌ تأتِي في آخرِ الزَّمانِ، مِنْها العَلاماتُ الَّتي مرَّتْ وانقضَتْ ومنها العلاماتُ المتوسطةُ، ومنها العلاماتُ الكُبرى التي تتتابعُ، أَوْلها خُروجِ المهدي ثُمَّ خروجِ المسيحِ الدجالِ الذي حَذَّرَت منهُ الأنبياءُ أتمها، وأشدَّهُم تحذيراً منه نبيُنا محمدٌ ﷺ لشدةِ فتنتهِ وهُو كذَّابٌ يظهرُ في آخرِ الزمانِ فيدَّعِي أنهُ اللّهُ وأنَهُ الرَّبُّ ويكونُ معهُ خوارقُ، يكونُ معهُ أشياءُ عجيبةٌ غريبةٌ ينخدعُ بها بعضُ الناسِ، فيصدِّقُه فيكفرون بالله عزَّ وجلَّ ويُثبِّتُ الله أَهلَ الإيمانِ، ولكنَّ محنتهُ شديدةٌ ولذلك حذَّرَ منهُ النبيُّ ﷺ وأكثرَ التحذيرَ منهُ وأمرَ بالاستعاذةِ منهُ ومِن فِتنتهِ، ثُم يَنزلُ عيسىٰ عَليهِ الصَّلاةُ والسلام فَيَقتلُ الدجالَ ويستريحُ المسلمونع منهُ ويحكُم عيسىٰ عليه الصلاةُ والسلامُ يحكُمُ في الأرضِ بكتابِ اللهِ وبِسُنَةِ رسولِ الله محمَّدٍ ﷺ، ثم يخرجُ يأجوجُ ومأجوجُ وهم من كُلِّ حَدَبٍ ينسلُونَ فيصيبُ المُسلمينَ مَنهُم فتنةٌ، ويفتكونَ بالنَّاس قتلاً وإفساداً، ثُمَ يُهلكهُم الله عن آخرِهِم، ثم تخرجُ دَابةٌ من الأرضِ تضعُ العَلامَاتِ عَلىٰ الناسِ، تضعُ العلامةٌ عَلىٰ المُؤمنِ، وتَضعُ العَلامةَ علىٰ الكافرِ فيُصبحُ المُؤمنُ مُتميزاً والكَافِرُ مُتميزاً بهذِهِ العلامَاتِ ثم تخرجُ الشَّمسُ من مَغربِهَا، وعِندَ ذَلك لا تُقبلُ التوبةُ، إذا خرجتِ الشمسُ من المغربِ فحينئذٍ لاَ تُقبلُ التَوبةُ ممَّن يَتُوبُونَ، ثُمَّ بَعدَ ذَٰلِكَ تخرجُ نارٌ مِنَ قَعْرِ؟ تسوقُ الناسَ إلى المحشرِ تبيتُ مَعهُم حَيثُ بَاتُوا، وتُقيل معهم حيث قَالُوا، ثُمَ بعدَ ذلِكَ يأمرُ الله إسرافيلَ، فيُنفخُ في الصُّورِ النفخةَ الأولىٰ فيُصعَقُ كلَّ مَنْ في السمواتِ ومنْ في الأرضِ إلا مَن شَاءَ الله يَعني يموتونَ ثم يأمره اللهُ فينفخُ فيهِ أُخرىٰ فإِذَا همْ قيامٌ يَنظرُونَ فَيَقُومونَ مِن قُبورِهُم، ويَسيرونَ إلىٰ المَحْشرِ ويَجمعَهُم الله في المحشرِ حَافِيةً أقدَامَهُم، شَاخصةً أبصَارُهم عاريةً

أبدانُهم تدنو مِنهُم الشمسُ، يأخذُ منهمُ الحرُّ الشديدُ ويَطولُ عليهِم المَوْقِفُ خمسينَ ألفَ سنةٍ، ثُمَّ بَعدَ ذَلِكَ يأتي الله جلَّ وعَلاَ للفَصْلِ بينَ عبادِهِ فينصَرِفُونَ مِنَ المَحشْرِ إلىٰ الحِسَابِ فَمِنَ المُؤمنينَ مَن لاَ يُحاسَبُ بَل يدخلُ الجنَّة بغيرِ حِساب، ومِنهُم مَنْ يُحاسَبُ حِساباً يَسيراً، ومِنهُم مَنْ يُنَاقَشُ الحِسابَ ومَنْ نُوقِشَ الحسابَ عُذِّبَ كَمَا قَالَ النبي ﷺ والكافِرُ يُحاسَبُ حِسابَ تقريرٍ بكفرِه، ثم تنصبُ الموازينُ فتُوزَنُ الحسناتُ والسيئاتُ تُوضَعُ الحسناتُ في كَفَّةٍ وتوضعُ السيئاتُ في كَفَّةٍ ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣]، ثُمَّ تتطايرُ الصحفُ صَحائفُ الأعمالِ تتطايرُ الصحفُ فآخِذٌ كتابَهُ بيمينهِ وآخذٌ كتابَهُ بشمالهِ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۝ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ۝ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ۝ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ۝﴾ [الحاقة: ١٩ ـ ١٧] ثُمَّ يَمرُّ الناسُ على الصِّراطِ «وهو الجِسْرُ المنصوبُ على مَتْنِ جَهنَّمَ» أدقُّ مِنَ السيف، وأحَرُّ مِنَ الجمرِ يمرُّ الناسُ عليه على قدْرِ أعْمالِهمْ فَمنْهُمْ مَنْ يمرُّ كالبَرْقِ ومِنهمْ مَنْ يمرُّ كالريحِ، ومنهم من يمرُّ كالفرسِ الجوادِ، ومنهم مَنْ يمرُّ كركابِ الإبلِ، ومنهم مَنْ يَعدُو عَدواً، ومنهم مَنْ يمشِي مَشْياً، ومنهم مَنْ يزحَفُ زحفاً، ومنهم مَنْ يُخْطَفُ فيُلقى في جَهنمَ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝﴾ [مريم:

٦٨]، إلى قولِهِ تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم: ٧١، ٧٢]، ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ يقتصُّ لبعضهم مِنْ بعضٍ، ينصفُ المظلومينَ مِنَ الظالمينَ حتى إذا هُذِّبُوا ونُقُّوا أُذِنَ لهم بدخولِ الجنةِ، فيستقرُّ أهلُ الجنةِ إلى الجنةِ، ويستقرُّ أهل النارِ في النارِ ويقالُ: يا أهلَ الجنةِ خلودٌ ولا موتَ ويقالُ: يا أهلَ النارِ خُلودٌ ولا موتَ، فاتقُوا الله عبادَ الله، وفكِّرُوا في هذا المستقبلِ وهذه الأهوالِ استعدُوا لَها بالأعمالِ الصالحِة قَبْلَ أَنْ يأتيكمُ الموتُ بَغْتةً وأنتم لا تشعُرون.

أعوذُ بالله مِنَ الشيطانِ الرجيمِ. بسمِ الله الرحمنِ الرحيمِ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ [الحج: ١، ٢] باركَ الله لِي ولَكُمْ فِي القرآنِ العظيمِ. . .

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ لله على فضلهِ وإحسانهِ، والشكرُ لَهُ عَلَى توفيقهِ وامتنانِه وأشهدُ أنْ لاَ إلَه إلاّ الله وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ تعظيماً لشأنهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدٌ ورسولُه صلّى الله عليه وعلى آلهِ وأصحابهِ وسلَّم تسليماً كثيراً، أمَّا بعدُ:

عبادُ الله، اتقُوا الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر: ١٨، ١٩] يومُ القيامةِ سمَّاه الله غداً والغدُ

هو اليومُ الذي يلي يومَكَ، واليومُ الذي بعدَ يومِكَ وهُو قريبٌ، ويقولُ العربُ: إنَّ غداً لناظِرِهِ قريبٌ، وسمَّاهُ الله اليومُ الآخرُ لأنَّه هُو النهايةَ ليسَ بعدهُ يومٌ آخرُ، فهوَ اليومُ الدائمُ الباقِي السَّرمَدِيُّ الذي يستقرُّ فيه أهلُ الجنةِ في الجنةِ وأهلُ النارِ في النارِ أبدَ الآبادِ فتذكَّرُوا هذا اليومَ ولا تغرنكُم الحياةُ الدُّنيا ولا يغرنَّكُم بالله الغرورِ، لا يلهيَّنكُمُ الأملُ، لا يلهينَّكُم الانشغالُ بالملذاتِ والشهواتِ وجمعُ الحُطامِ عَنْ هذا اليومِ العظيمِ. كيفَ تغفلُونَ عَنْ هذا اليومَ ولا بدُّ لَكُمْ مِنْهُ؟! ولا نجاةَ لكُم مِنْ أهوالِه إلاَّ بالأعمالِ الصالحةِ كيف نغفلُ عن هذا اليوم وهو قريبٌ مِنَا ولا مَحِيْدَ لنا عنه؟! كيفَ ننساهُ؟! كيف لا نتذكَرَهُ؟! كيفَ لا نستعدُّ لَهُ؟! ولكنَّ الموفقَ مَنْ وفقَهُ اللهُ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠]، فكلٌّ مُيَسَّرٌ لمَا خُلِقَ لَهُ، ولكنْ عَلَى العَبدِ أن يَعْمَلَ الأسبَابَ وأن يَتقيَ اللّهَ سبحانَهُ وتعالَىٰ، وأنْ يحاسِبَ نفْسَهُ وأنْ يستغِلَّ وقتَهُ وعُمرهَ في طاعةِ الله سبحانَهُ وتعالَى لأنَّ ذلِكَ هُوَ نجاتهُ وهو فلاحُهُ وصلاحهُ في الدُّنيا والآخرةِ، ولا يغفلُ مَعَ الغافلينَ، أو يُعرضُ مع المعرضين، أو ينسَى الحسابَ ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ۝٢٦ ﴾ [ص: ٢٦]. فلنتقي الله أيَّها المسلمونَ ولنحاسِبْ أنفسَنا، ولنتجنبْ هذه الملهياتُ والمغرياتُ، وهذه الصَّوارِفُ التي شَغَلَتْ كثيراً مِنَ الناس عن آخرتهم، وألْهَتْهُم في دنياهُم فيأتي عليهم الموتُ وهم على غِرَّةٍ وقَدْ سَبَقَهم النذيرُ وليسَ لَهم حُجَّةٌ، ولَيْسَ لَهُمْ مَعْذِرَةٌ، فاتقوُا الله عبادَ اللّهِ، اتقُوا الله، وتذكرُوا: ﴿ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥ ﴾ [الذاريات: ٥٥] واعلمُوا أنَ خيرَ الحديثِ كتابُ الله . . .

في لزوم الصراط المستقيم عند الفتن

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ ﴾[سبأ: ١]، وأشهدُ أنْ لا إلَه إلاَّ الله وحْدهُ لا شريكَ له ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[الملك: ٢]، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه البشيرُ النذيرُ والسراجُ المنيرُ صلَّى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وسلَّم تسليماً كثيراً، أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقوُا الله تَعالَى وامتَثلُوا لقولِهِ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] فاحذرُوا الفِتَنَ الصَّارِفَة عن اتباعِ هذا الصراطِ، واسمعُوا قَوْلَ الله تَعالَى: بسم الله الرحمنِ الرحيمِ ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا أَن يَقُولُوٓا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣] والفتنةُ يا عبادِ الله، هِي: الابتلاءِ والامتحانُ يُجري اللهُ الفتنَ على عباده، ليتبينَ المؤمنَ الصادقَ من المنافقِ المخادعِ، وليتبينَ قَويَّ الإيمان مِنَ ضعيفِ الإيمانِ فإذَا جاءَتِ الفتنُ، فَمَنَ الناسِ مَنْ يتبينُ نفاقهُ وعدمُ إيمانهِ، كما قَالَ تعالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [البقرة: ٨، ٩]، ومنَ الناس مَنْ يكونُ مؤمناً ضعيفَ الإيمانِ فيرتدُّ عن دِينه عند الفتنِ كمَا قَالَ تعالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ

هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج: ١١]، ومنَ النَّاسِ مَنْ هُوَ قَويّ الإيمانِ صادقَ اليقينِ، لا تؤثرُ فيهِ فتنةٌ ولا يصرفهُ عن دينهِ صارفٌ.

والفتنُ تنقسمُ إلى قسمينِ: فِتَنُ شبهاتٍ، وَفِتَنُ شَهواتٍ، فِتَنُ الشُّبهاتِ تكونُ في العقيدةِ وتجرُّ إلى الكُفرِ والشركِ، كفتنةِ الغُلوِّ في الأنبياءِ والأولياءِ والصالحينَ والغُلوُّ في القبورِ، وكَمْ وقَعَ في هذه الفتنةِ مِنْ أُممٍ في الماضِي والحاضِر، وهذه أخطرُ الفتنِ، قد خافها إبراهيمُ الخليلُ على نفسهِ فقالَ ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥، ٣٦]، وقالَ نبينُا محمدٌ ﷺ: «**اللهمَّ يامُقلبَ القلوبِ ثبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينكَ. فقِيلَ لَهُ في ذلِكَ. فقالَ: وما يُؤمِنُنِي، وقلوبُ العبادِ بَيْنَ إِصْبعَيْنِ مِنْ أصابعِ الرحمنِ إذا أردَ أنْ يقلِّبَ قلبَ عبدٍ قَلَّبَه**»[١]. وفي دعاءِ الراسخينَ في العلمِ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨]، ومنها فِتَنُ البدعِ والمحدثاتِ. وأمّا فتنةُ الشهواتِ فإنَّها تُؤثرُ عَلَى الأخلاقِ والسلوكِ والأعراضِ كشهوةِ الفرجِ وشهوةِ البطنِ وشهوةِ جمعِ المالِ، ولذلِكَ قَالَ النبيُّ ﷺ: «**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وهُوَ مُؤمنٌ ولاَ يسرقَ السارقُ حِينَ يسرقَ وهو مؤمنٌ ولا يشربَ الخمرَ حينَ يشربَها وهُوَ مؤمنٌ**»[٢] بمعنَى أنَّ ارتكابَ هذه الجرائمِ ينقصُ إيمانَهُ، ويضعفَهُ إضعافاً بيِّناً، وقد يُزيلُه بالكُلِّيةِ ويجرهُ إلى الكفرِ، وكذلكَ حُبُّ المالِ قد يجرُ صَاحِبَهُ إلى ارتكابِ الكبائرِ مِنَ الكذبِ والغِشِّ والأيمانِ الفاجرةِ، بل رُبُّما يتخلَّى عَن دينهِ بالكلِّيةِ لأجلِ

---

(١) مسلم (٤٧٩٨)، أحمد (٦٣٢١).

(٢) البخاري (٢٢٩٥)، مسلم (٨٦)، الترمذي (٢٥٤٩)، النسائي (٤٧٨٧)، أبو داود (٤٠٦٩)، أحمد (٧٠١٧).

الحصولِ على المالِ كما قال النبيُّ ﷺ «بادِرُوا بالأعمالِ فِتنا كقطعِ الليلِ المظلمِ يصبحُ الرجلَ مؤمناً ويُمسِي كافراً ويُمسِي مؤمناً ويُصبحُ كافراً يَبيعُ دينَهُ بعرضٍ مِنَ الدُّنْيَا»[1] وكذلِكَ إطْلاقُ النظرِ إلى ما حرَّمَ اللّهُ النظرُ إليهِ من النظرِ إلى النساءِ الكاسياتِ العارياتِ في الأسواقِ أو غيرِها أو النظرِ إلى الصورِ الماجنةِ الفاتِنةِ في الصحفِ والمجلاتِ وشاشاتِ الفضائياتِ والفيديُو والإنترنتِ والاستماعُ إلى ما حرَّم اللّهُ من الأغانِي الماجنةِ وآلاتِ اللهوِ، كُلُّ ذلِكَ يجرُّ إلى الوقوعِ في الفاحشةِ ولهذا حذَّرَنا الله مِنْ ذَلِكَ فقالَ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦] قَالَ تَعالَى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور: ٣، ٣١] الآيةُ، وكذلِكَ فتنةُ اللسانِ وما يجرُّ على صاحِبِهِ من الآثامِ بسببِ لَغْوِ القَوْلِ، والكلامِ المحرمِ من السَّبِّ والشتمِ والغيبةِ والنميمةِ وقولِ الزورِ، ورُبَّ كلمةٍ واحدةٍ تزِلُّ بصاحبِها في النَّارِ أبعدَ مِمَّا بينَ المشرقِ والغربِ، ويكتبُ اللّهُ بها غضبهُ على صاحبِها إلى يومِ يلقاهُ، ولهذا قالَ سُبحانَهُ: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾[ق: ١٨] قالَ تَعالَى: ﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [النور: ١٥]، وقالَ ﷺ: «هَلْ يكبُّ الناسُ عَلَى وُجُوهِهم أَوْ قَالَ عَلَى مناخِرِهم إلاّ حَصَائِدُ ألسنَتِهم»[2].

عبادَ الله، واعِلَمُوا أَنَّ الأولادَ والأزواجَ فِتنةٌ قالَ تَعالَى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ

---

(١) مسلم (١٦٩)، الترمذي (٢١٢١)، أحمد (٧٦٨٧).

(٢) الترمذي (٢٥٤١)، أحمد (٢١٠٠٨).

أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال: ٢٨]. قالَ الله تَعالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْۚ وَإِن ﴾ [التغابن: ١٤] وذلِكَ أنَّ الوالدَيْنَ مكلَّفَانِ بحفظِ أولادِهم مِنَ الانحرافِ والفسادِ، ويجبُ عليهُما أَمْرَهُم بطاعةِ الله ونَهْيِهم عَنْ معصيةِ الله، وإبعادِهِم عن وسائلِ الفتنةِ، والأزواج مكلَّفُونَ بحفظِ زوجاتِهم عمَّا حَرَّمَ اللّهُ قالَ الله تَعالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم: ٦]، والأموالُ فتنةٌ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ ﴾ [التغابن: ١٥] وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[المنافقون: ٩]، وَقَالَ تَعالَى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[النساء: ٣٤]، ومِنْ أعظمِ القِوامَةِ علىٰ النساءِ القوامةُ الدينيةُ بإلزامِ النِّساءِ بطاعةِ اللّهِ ومنعهنَّ مما حرَّمَ اللّهُ، فاتقُوا الله، عبادَ اللهِ وقومُوا بمسؤولياتِكُم نحو أنفُسِكُم ونحو أولادِكُم، ونحوَ زوجاتِكُم فكُلكُم راعٍ وكلكُم مسؤولٌ عَنْ رعيتِهِ.

بارَكَ الله لِي ولَكُم في القرآنِ العظيمِ.

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للّهِ ربِّ العالمينَ. مَن استعانَ بهِ أعانَهُ، ومَنْ توكَّلَ عليه كفاهُ، وأشهدُ أنْ لاَ إلَه إلاّ الله، وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، ولا نعبدُ إلاّ إياهُ وأشهدُ أنَّ محمداً عبدَهُ ورسولُه صلَّى الله عليه وعَلَى آلِهِ وأَصْحَابِهِ وَمنْ والاهُ وسلَّم تسلِّيماً كثيراً.

أمّا بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقُوا الله تَعَالَى، واعلمُوا أنَّ هذه الفتنَ التي أخبرَنَا اللّهُ عَنْهَا وحذَّرنا مِنْها وأخبرَنَا عنها وحذَّرنا منها رسولُ الله ﷺ لَها دعاةٌ مِنْ شياطينَ الإنْسِ والجِّنِّ يروجونَها، ويبثُونها بينَ الناسِ في وسائلِ الإعلامِ المختلفةِ من صحافةٍ وإذاعاتٍ وقنواتٍ فضائيةٍ، قد وَصَفَهُم لنَا رسولُ الله ﷺ بأنَّهم دُعاةٌ على أبوابِ جهنمٍ من أَطَاعَهُم قذفوهُ فيها قِيلَ صِفهُم لنَا يا رسولَ الله، قَالَ: هُمْ قومٌ مِنْ جِلدَتِنا ويتكلَّمُون بألسنتنا، الله تَعَالَى قَدْ أَخبرَنا أنَّ الشيطانَ ﴿ يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝ ﴾[فاطر: ٦] وقَالَ عَنِ الكفارِ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦۖ ﴾[البقرة: ٢٢١] وقد يظهرُ دعاةُ الفتنةِ بمظهرِ العلماءِ، ويحلِّلُونَ للناسِ ما حرَّم الله، وقد أخبر النَّبيُّ ﷺ أنه في آخِرِ الزمانِ يكذبُ الرجلُ الكذبةَ فتبلغُ المشارِقَ والمغاربَ، وما ذاكَ ـ واللهُ أعلمُ ـ إلا بواسطةِ وسائلِ الإعلامِ الحديثةِ، وقَالَ عليه الصلاةُ والسلامُ «إنَّما أَخَافُ على أُمَتِي الأئمةَ المُضِلِّينَ»[١] واعلمُوا أنه لا يُنَجِّي مِنَ الفتنِ إلا التمسُّكُ بكتابِ الله عزَّ وجلَّ قَالَ ﷺ: «إنَّها ستكون فتنٌ قِيلَ ومَا المخرجُ منها يا رسولَ الله قال: كتابُ الله»[٢] وكذلِكَ التمسُّكُ بما كَانَ عليه سَلفُ هذه الأمةِ كَما قَالَ الإمامُ مالكٌ ـ يرحمه الله ـ: لا يُصْلِحُ آخرُ هذهِ الأمةِ إلاّ ما أصلَحَ أولُها. وكذلِكَ مِمَّا ينجي مِنَ الفتنِ كثرة الدُّعاءِ، والالتجاءُ إلى الله سبحانَهُ وتَعَالَىٰ ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝ ﴾ [آل عمران: ٨] ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا

---

(١) أحمد (٣٥٩)، الترمذي (٢١٥٥)، الدارمي (٢١١)، أبو داود (٣٧١٠).

(٢) الترمذي (٢٨٣١)، الدارمي (٣١٩٧).

فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الممتحنة: ٥] اللهمَّ إنا نعوذ بِكَ من عذابِ جهنَّمَ ومِنْ عذاب القبر ومِنْ فتنةِ المَحْيا والمَماتِ، ومن فتنةِ المسيحِ الدجالِ اللهمَّ قِنَا شرَّ الفتنِ ومُضِلاَّتِ الفتن مَا ظهرَ مِنْها ومَا بَطَنَ، ثم الواجبُ على المسلمِ عند هذهِ الفتنِ أَنْ يتثبَّتَ وألاَّ يتسرعَ بالكلامِ فرُبَّما يقولُ كلاماً يضرُّ به نَفْسَه، رُبمَّا يقولُ كلاماً يضرُ بهِ غيرَه، رُبَّما يقولُ كَلاماً يتبينُ أنه قدْ أَخطأَ فيهِ فيندمُ على ذلِكَ ولا سَاعةَ مَنْدَمِ.

واعلمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله . . .

* * *

أهميةُ الوقتِ وحفظهِ

الحمدُ لله ﴿ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ۝٢٨﴾ [الفتح: ٢٨] وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاّ الله، وحدَهُ لا شريكَ لَهُ إقراراً بِهِ، وتوحيداً وأشهدُ أَنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلَّى الله عليهِ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وسلَّم تسليماً مزيداً، أمّا بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقوُا اللّهَ تعالىَ، واعلَموا أنَّ الله سبحانَهُ وتَعَالَىٰ أرسلَ رسولَه محمداً ﷺ بالهُدى الَّذي هُوَ العِلْمُ النافعُ، ودِينُ الحقِّ الذي هُوَ العملُ الصالحُ وهُمَا قرينانِ لا يفترقانِ العلمُ والعملُ، فأَهلُ الإيمانِ الذينَ اتبعُوا هذا الرسولَ ﷺ أخذُوا بالعلمِ والعملِ، تعلَّمُوا العِلْمَ النافعَ، وعَملُوا العملَ الصالحَ، وهؤلاءِ هُم ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩﴾ [النساء: ٦٩] ومِنَ الناسِ مَنْ أَخذَ العلمَ وعطَّلَ العملَ، أولِ مَنْ يتصفُ بهذهِ الصفةِ اليهودُ والذينَ قلَّدُوهم مِنْ علماءِ الضلالِ أخذُوا العِلمَ ولكنَّهم لَمْ يعملُوا بهِ وهؤلاءِ مغضوبٌ عليهم، والفريقُ الثانِي مَنْ أَخذَ العملَ وتركَ العلمَ وهؤلاءِ في مقدمِتهم النصارَىٰ، ومن سَار على نَهْجِهِم مِنَ المبتدعَةِ والصوفيةِ والمخرفينَ والقبوريينَ كُلُّهم عَلَى هذا النمطِ يعلَمونَ بدونِ علمٍ وبدونِ دليلٍ وبدونِ هُدًى مِنَ الله، وهؤلاءِ ضالُّونَ ولهذا يقولُ ﷺ: «**اليهودُ مغضوبٌ عليهم والنصارَى ضالُّونَ**»[1] وقالَ عبدُالله بنُ المباركِ ـ يرحمه الله ـ:

---

(١) الترمذي (٢٨٧٨) ـ أحمد (١٩٨١٠).

مَنْ فَسدَ مِنْ علمائِنا ففيهِ شبهٌ من اليهودِ ومن فَسَدَ من عُبَّادِنَا ففيه شَبَهٌ مِنَ النّصارَىٰ، وهُناكَ فريقٌ رابعٌ لا عِلْمَ ولا عَمَلَ وهؤلاءِ هُمُ المعرضونَ قالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [طـه: ١٢٤ ـ ١٢٧] قَـالَ تَعَـالَـىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأحقاف: ٣] فَلاَ عِلمَ ولا عملَ ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٤] وقَدْ تضمَّنَ معنَى هذهِ الآيةِ الكريمةِ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾ [التوبة: ٣٣]. قالَ الله سُبْحَانَهُ وتعالَى: بسمِ الله الرحمن الرحيمِ ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر: ١ ـ ٣] أقسمَ سُبحانَهُ بالعصرِ وهُوَ الدَّهرُ، وهو سُبحانَهُ وتعالَى يقسمُ ويَحْلفُ بمايشاءُ من خلقهِ ولا يقسمُ إلا بشيءٍ له شأنٌ عظيمٌ، ولهذا أقسمَ بالعصرِ وهو الدهرُ والزمانُ والوقتُ لأنَّ هذا العصرَ وهذا الزمانَ وهذا الوقتَ أمرهُ عظيمٌ، تَجْرِي فيه العبرُ والعظاتُ، وتَجْرِي فيه التغيراتُ، وهذا العصرُ يعملُ فيه أهلُ الإيمانِ ويدخلُونَ الجنانَ، ويضيِّعُه أهلُ البطالةِ والخسارةِ فيدخلُونَ النيرانَ، يخسرُونَ وقتَهم، فهذَا الوقتُ لَهُ قيمةٌ وله قدرٌ، وهُوَ الذي إذا حفظتَه لطاعةِ الله سبحانَهُ وتَعَالَىٰ رَبحتَ، وأَفْلَحتَ وإِذَا ضَيعتَه خِبْتَ وخَسرتَ. وبعضُ الناسِ لا قيمةَ للوقتِ عِنْدَهم، بل يقضُونَه فيما يضرُّهم، وفيما يُهلِكُهم من الغَفَلاتِ والمعاصِي والفسوقِ والسيئاتِ، ويقولونَ نقتلُ الوقتَ كأنَّ الوقتَ عدوٌ لَهُمْ يتخلَّصُونَ مِنْهُ بالقتلِ، ولَمْ يَعْلَمُوا أنَّ هذا الوقتَ هو مناطُ سَعادَتِهم أو خسارَتِهم يومَ القيامةِ. قالَ الله

سبحانَهُ وتعالَى لأهلِ النارِ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٧] وقالَ النبيُّ ﷺ: «لا تزولَ قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّىٰ يسألَ عَنْ عمرِه فِيمَا أفناهُ، وعَنْ شبابَهُ فيما أبلاهُ وعَنْ مالهِ مِنْ أينَ اكتسبَهُ؟ وفيمَا أنفقَهُ؟ وعَنْ عِلْمِه مَا عَمِلَ بِه»[1] فيُسأَلُ عَنْ عُمُرهُ فيما أفناهُ، أعطاهُ الله عُمراً فبماذا صَرَفه؟ هذَا العُمرُ وهذا العَصرُ وقتٌ ثمينٌ، لَوْ أنَّ الناسَ يفكِّرُونَ فيهِ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [الفرقان: ٦٢] ثُمَّ قال سبحانَهُ «إنَّ الإنسانَ» «أَيْ جميعَ بنِي آدمَ» لا يُستثنى مِنهُم: لاَ مَلِكٌ ولا صُعْلُوكٌ ولا غنيٌّ ولا فقيرٌ ولا عربيٌّ ولا أعجميٌّ ولا كبيرٌ ولا صَغيرٌ، «إنَّ الإنسانَ» عُمومُ الإنسانَ «لَفِي خُسْرٍ» «أَيْ لَفي هَلاَكٍ وخَسَارٍ وَبَوارٍ» إلاّ مَنْ اتصفَ بأربعِ صفاتٍ: الصفةُ الأولى «الذينَ آمنوا»، الصفةُ الثانيةُ «وعملُوا الصالحاتِ»، الصفةُ الثالثةُ «وتواصَوْا بالحقِ»، الصفةُ الرابعةُ «وتواصَوْا بالصبر» فَمنْ اتصفَ بهذِه الصفاتِ الأربعِ نَجَا مِنْ هذه الخسارةِ المحققةِ الصفةُ الأولَى الإيمانُ وهو العلمُ بالله عزَّ وجلَّ وبأسمائِهِ وصفاتِهِ وعبادتِهِ وشرعهِ ودينهِ، لأَنَّ العلمَ يَعُرِّف بالله ويدلُّ العبدَ على الإيمانِ بالله عَزَّ وَجَلَّ، هذه أهميةُ العلمِ «الذين آمنُوا وعملُوا الصالحاتِ»، هذهِ الصفةُ الثانيةُ لأنَّ الإيمانَ بدون عمل لا ينفعُ كما أنَّ العملَ بُدونِ إيمانٍ لا ينفعُ فلا بُدَّ من اقترانِ العملِ بالإيمان ولهذا قالَ ﷺ: «الإيمانُ أَنْ تُؤمنَ بالله وملائكتهِ وكتبهِ ورسلهِ واليوم الآخرِ وتُؤمنَ بالقدرِ خيره وشره والإسلامُ أَن تشهدَ أنْ لاَ إلَه إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسولُ الله وتقيمَ الصلاة وتؤتيَ الزكاةَ وتصومَ رمضانَ وتحجَ البيتَ إنْ

---

(١) الترمذي (٢٣٤١)، الدارمي (٥٣٦).

استعطتَ إليهِ سبيلا»[1] فَلابُدَّ من اجتماعِ الإيمانِ والعملِ فلا عملَ بدونِ إيمانٍ ولا إيمانَ بدون عملٍ لا بدَّ من الجمعِ بينهما «إلا الذينَ آمنُوا وعملُوا الصالحاتِ»، ولا يكونُ العملُ صالحاً مقبولاً عند الله إلاَّ إذا كانَ خالصاً لوجهِ الله ـ عزَّوجلَّ ـ خالياً من الشرِ، ويكونُ مُوافِقاً لسنةِ الرسولِ ﷺ، خالياً من البِدَعِ قَالَ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عليهِ أَمْرُنَا فهو رَدٌّ»[2] «أيْ فعملَهُ مَردودٌ عليهِ» لا يقبلُ عند اللّهِ، فلا يكونُ العملُ صالحاً إلا إذا توفَّر فيه هذان الشرطانِ الإخلاصُ للّهِ والمتابعةُ للرسول ﷺ كَما فِي قولِهِ تَعَالَى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١١٢] «مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَه للّهِ» يعنِي: أخلصَ العملَ للّه وتبَرَّأَ مِنَ الشِّركِ «وهوَ مُحْسنٌ» أي متَّبعٌ للرسولِ ﷺ «فَلَهُ أجرهُ عِنْدَ رَبِّهِ ولا خوفٌ عليهِم ولاَ هُم يحزنُونَ». ثُمَّ لا يكفِي أَنَّهم يُصلحِونَ في أنفسِهِم لا يكفِي أَنَّهم يُؤمنُونَ ويعملونَ الصالحاتِ، بَلْ لابدَّ أن يسعوْا في إصلاحِ غيرِهم «وتواصَوْا بالحقِّ» يُوصِيْ بعضُهم بعضاً بالحقِّ، وهو الدينُ والعملُ الصالحُ واتباعُ الرسولِ ﷺ هذا هو التواصِي بالحقِّ، ويدخلُ فيه الأمر بالمعروف والنهيُ عن المنكرِ والدعوةُ إلى اللّهِ ـ عز وجل ـ على بصيرةٍ وتعليمِ العلمِ النافعِ، كُلُّ هذا يدخُل في التواصِي بالحقِّ «تواصَوْا» يوصِي بعضُهم بعضاً لأنَّهم إخوةٌ والمؤمنُ يحبُّ لأخيهِ ما يحبُّ لنفسه فلا يَرىٰ أخاهُ على ضَلالةٍ وعلى خطأٍ ويتركُه بل لا بُدَّ أن يبينَ لَهُ، لا بُدَّ أنْ ينصحَهُ، لاَ بُدَّ أنْ يعلمه، لا بُدَّ أن يتعاهدَ إخوانَهُ

---

(١) الترمذي (٢٥٣٥)، النسائي (٤٩٠٤)، مسلم (٩)، أبو داود (٤٠٧٥)، ابن ماجة (٦٢).

(٢) البخاري (٢٤٩٩) [بلفظ مقارب].

المسلمينَ هذا هو التواصِي بالحقِّ فلا يَسَعُ المؤمنُ أنْ يسكتَ، ويقتصِرَ على نفسهِ بَلْ لا بُدَّ أنْ يَسْعىٰ في إصلاحِ غيرِه. الصفةُ الرابعةُ «تواصَوْا بالصَّبرِ» لأنَّ الذي يأمرُ بالمعروفِ، وينهىَ عن المنكرِ ويدعُو إلى الله، ويُعلِّمُ الناسَ الخيرَ لاَ بُدَّ أنْ ينالَه مشقةٌ فيحتاجُ إلى الصَّبرِ والتحملِ وإلاّ إذَا لَمْ يكنْ عِنْدَهُ صبرٌ فَإنّهُ ينقطعُ مِنْ أولِ الطريقِ وإذا كانَ عندهُ صَبرٌ فَإنَّه يستمرُّ في طريقِ الخيرِ والمناصَحَةِ والتواصِي بالحقِّ فالصبرُ يعينهُ قالَ تعالَىٰ: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ١٥٣]، والصَّبرُ مِنَ الدِّينِ بمنزلةِ الرأسِ من الجسدِ فَمنْ لا صَبْرَ عندهُ لا يكونُ عنده دينٌ، والصَّبرُ في اللغةِ: هوَ الحبسُ وهو حبسُ النفسِ وهو ثلاثةُ أنواعٍ: صبرٌ على طاعةٍ لأنَّ طاعةَ الله فيها مشَّقةٌ على النفوسِ فيصبرُ على ذلكَ. والثاني: صبرٌ على محارمِ الله، لأنَّ النفسَ تنازعُ إلى الشهواتِ المحرمةِ وإلى فِعْلِ المعاصِي فيحبسُها ويصبرُ ويُمسكُ بزمَامِها ولا يتركُها تذهبُ إلى المعاصِي والشهواتِ المحرَّمةِ يمنعُ نَفْسَهُ، والثالثُ: أنْ يصبرَ على أقدارِ الله المؤلمةِ ما يصيبُه في طريقِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عَنْ المنكرِ، والدعوةِ إلى الله والجهادِ في سبيلِ الله وتعليمِ العلمِ النافعِ ينَالُهُ مشقَّةٌ ويناله أذًى مِنَ الناسِ ويناله تنقُّصٌ وازدراءٌ فيصبرُ عَلَى ذَلِكَ لأنَّ هذا مِن أقدار الله التي قدرَّها عليه، وكَذلِكَ المصائبُ التي تنزلُ بِهِ مِنْ فَقْدِ الأموالِ والأنفسِ والأقاربِ، فَيصبرُ على ذلِكَ ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧] هذه سورةٌ عظيمةٌ على اختصارِهَا ووجازَتِها قالَ الإمامُ الشَّافعيُّ ـ يرحمه الله ـ: لَوْ تأمَّلَ الناسُ هذه السورُ لكَفَتْهم وفي روايةٍ عَنْهُ لَوْ ما أَنْزلَ الله عَلَىٰ خَلْقِهِ حُجَّةً إلاّ هذهِ السُّورةَ

لكَفتْهُم. فِهَي سورةٌ عظيمةٌ وكان الصحابةُ إذا أرادوا أن يفارِقَ بعضُهم بعضاً يقرأُ بعضهُم على بعضٍ سُورة العصرِ، لما تتضمنَّهُ مِنْ هذهِ الأمورِ الأربعةِ التي هِيَ مناطُ السَّعادةِ والفلاحِ في الدُّنيا والآخرةِ.

بارَكَ الله لي ولكُم في القرآنِ العظيمِ.

* * *

الخطبةُ الثَّانيةُ

الحمدُ لله رَبِّ العالمينَ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللّهُ، وحَدْهُ لا شريكَ لَهُ مخلصينَ لَهُ الدِّينَ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الصَّادقُ الأمينُ وصلَّى الله عليه وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ والتابعينَ، ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدينِ. أمَّا بعدُ:

أيُّها النَّاسُ، اتقُوا الله سبحانَهُ وتعالَى وأعلمُوا أنَّ هذا الْعَصْرَ وهذهِ الأوقاتَ العظيمةَ التي يعيشُها الإنسانُ إنَّها أوقاتٌ لها قيمتُها ولها قدْرُها ويَمُرُّ فيها مَواسِمُ عظيمةٌ، تمرُّ فيها مواسِمُ الصلواتِ الخمسِ في اليومِ والليلةِ يمرُّ بها مَوسِمُ صَلاةِ الجُمْعةِ في الأسبوعِ يمرُّ بها رمضانُ في السنة يمرُّ بها الحجُّ كلَّ سَنةٍ. فهي مواسِمُ عظيمةٌ تمرُّ في هذا الزمانِ، وهذا الوقتُ فلا يليقُ بالإنسانِ أن تَمُرُّ بهِ هذه المواسِمُ وهُوَ غافلٌ عنها بَلْ يحفظُها في طاعَةِ الله سُبْحانَهُ وتعالَى ويغتنمُها.

ثُم اعلمُوا رحمَكُم الله أنَّ خيرَ الحديثِ . . .

الحمدُ لله الَّذي أهلَّ علينا شهرَ رمضانَ، وجعلَه موسِماً للإحسان والمغفرةِ والعِتْقِ من النيرانِ، وأشهدُ أنْ لا إلَهَ إلاّ الله، وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحمدُ وهو عَلَى كُلِّ شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُه البشيرُ النذيرُ والسراجُ المنيرُ صلَّى الله عليهِ وعَلَى آلِهِ وأصحابهِ وسلَّم تسلِيماً كثيراً، أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقُوا الله، واحمدوُه، واشكروُه على مَا مَنَّ عليكُم بهِ من النعمِ العظيمةِ وأعظمِها نعمةُ الإسلامِ.

عبادَ الله، إنَّكُم الآنَ في شهرٍ عظيمٍ وموسمٍ كَريمٍ جعلَه الله مَغْنَماً للمتقينَ، ومُنبهاً للغافلينَ وجعلَهُ فرصةً للتائِبينَ ومغفرةً للمذنبينَ، فإنَّ النبيَّ ﷺ أخبرَ فيما رُويَ عَنْهُ أنَّهُ شهرٌ أولُه رحمةٌ وأوسطُهُ مغفرةٌ وآخرُه عتقٌ من النار، شهرُ رمضانَ هذا الشهرُ الذي خصَّهُ الله بإنزالِ القرآنِ قالَ سبحانَهُ وتَعالَى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وهذِهِ مِنْ أعظَمِ المزايَا لهذَا الشهر بل هي أعظمُ المزايا أنَّ الله خصَّه بإنزالِ القرآنِ، فقد ابتدأ الله إنزالَ القرآنِ في هذا الشهرِ وختمَ إنزالَهُ بوفاةِ النبيِّ ﷺ فلهذا الشهرُ خاصيةٌ للقرآنِ وتلاوتِه وتدبُّرِه، ولهذا كان رسولُ الله ﷺ يقبلُ على تلاوةِ القرآن في هذا الشهرِ، وينزلُ جبريلُ عليه السلام فيدارِسُهُ القرآن كلَّ ليلةٍ وفي الشهرِ الأخيرِ مِنْ حياةِ رسولِ اللّهِ ﷺ آخرُ رمضانَ من حياةِ النبيِّ ﷺ عَرضَ القرآن على جبريلَ مرتينِ، وقبلَ ذلِك كَانَ يعرضُهُ في رمضانَ مرةً واحدةً، وكانَ السلفُ الصالحُ يُقبلونَ على تلاوةِ القرآنِ، ويتركُون أعمالاً جليلةً مِنْ تدريسِ العلمِ وحلق الذكرِ، ويتفرَّغُونَ لتلاوةِ القرآنِ يُحضَروُن المصَاحِفَ، ويجلِسُون في المساجدِ، يتلونِ كتابَ الله عزَّ وجلَّ لأنَّ

تلاوة القرآنِ في هذا الشهرِ فيها مزيدُ فضلٍ على تلاوتِه في غيرِه، وإلا فتلاوةُ القرآن مطلوبةٌ كُل وقتٍ مِنَ المسلمِ قالَ ﷺ: «مَنْ قرأَ حَرفاً مِنْ كِتابِ الله فَلَهُ حَسَنةٌ والحسنةُ بِعشْرِ أمثالِها، لا أقولُ ألم حرفٌ ولكن ألفٌ حرفٌ ولامٌ حرفٌ وميمٌ حرفٌ»(١). مما يحثُّ المسلم على الإكثار من تلاوةِ القرآنِ في كلِّ حياتهِ، وفي هذا الشهر بالخصوصِ، ومن خصائصِ شهرِ رمضانَ وفضائلهِ أنَّ الله أوجبَ صيامَهُ على هذه الأمةِ، فقالَ سُبحانَهُ وتَعَالَى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] وصيامُ شهرِ رمضانَ هو أحدُ أركانِ الإسلام كما قال ﷺ: «بُنِيَ الإسلامُ على خَمْسٍ شهادةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسولُ الله وإقامِ الصلاةِ وإيتاء الزكاةِ وصومِ رمضانَ وحجِّ البيتِ»(٢) فإيجابُ صيام هذا الشهرِ يدلُّ على فضلِه مِنْ بَيْنَ الشهورِ، وكذلِكَ مِنْ فضائلِ هذا الشهرِ أنَّ الله سَنَّ لنبيهِ ﷺ القيامَ كَانَ ﷺ يقومُ الليلَ في كلِّ أيامِ السَّنة، ولكنَّه كانَ يخصُّ شهر رمضانَ بالجدِّ والاجتهادِ، وحَثَّ ﷺ على قيامِ شهرِ رمضانَ فقالَ: «مَنْ قامَ رمضانَ إيماناً واحْتِسَاباً غُفرَ لَهُ مَا تقدَّمَ مِنْ ذنبِهِ»(٣). وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «مَنْ قامَ مَعَ الإمام حتَّى ينصرفَ كُتِبَ لَهُ قيامُ ليلةٍ»(٤)، فينبغِي للمسلمِ أنْ يحرصَ على قيامِ هذا الشهرِ مع المسلمينَ بصلاةِ التراويحِ، وما تزوَّدَ بهِ مِن آخرِ الليلِ من صلاةِ التهجُدِ، فَإنَّ قيامَ هذا الشهرِ لَـهُ فضلٌ على قيامِ سائرِ الشهورِ اقتداءً بالنبيِّ

---

(١) الترمذي (٢٨٣٥) [انفرد به الترمذي].
(٢) البخاري (٧)، مسلم (٢٢)، أحمد (٦٠١٩)، الترمذي (٢٥٣٤).
(٣) أحمد ١٥٧٢ [بلفظ مقارب].
(٤) الترمذي (٧٣٤)، النسائي (١٣٤٧)، أبو داود، ابن ماجة (١٣١٧).

ﷺ وامتثالاً لأمرهِ ﷺ، فينبغِي للمسلمِ أنْ يحرصَ على صلاةِ التراويحِ، وعلى صلاةِ التهجُّدِ في العَشْرِ الأواخرِ مِنْ رمضانَ ويشاركَ المسلمينَ في قيامِ رمضان في المساجدِ ولا يحرمُ نفسَهُ من هذا الفضلِ العظيمِ وينساقُ وراءَ شهواتِه ورغبةِ نفسِهِ الأمارةِ بالسوءِ، أو وراءِ الأطماعِ الدنيويةِ ومزاولةِ التجارةِ فعليهِ أن يُقبلَ علىٰ صلاةِ التراويحِ مَعَ المسلمينَ مِنْ أوَّلِها إلىٰ آخرِهَا ثُمَّ ينْصرفُ إلىٰ أعْمَالِه وتجارتهِ منْ أجْلِ أنْ يَغْنمَ خَيرَيْ الدُّنْيا والآخرةِ، ومِنْ فضائلِ هذا الشهرِ أنَّ الله خصَّه بليلةٍ واحدةٍ من لياليهِ هي خَيْرٌ من ألفِ شهرٍ وهي لَيلةُ القدرِ كما قالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣] وقال سُبْحانَهُ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر: ١ ـ ٥]، ليلةٌ واحدةٌ تعادلُ ألفَ شهرٍ في الفضلِ لمَنْ قَامها تُعادلُ العملَ الصَّالحَ في ألفِ شهرٍ أيْ في ثلاثٍ وثمانينَ سنةً وثلاثةِ أشهرٍ، ليلةٌ واحدةٌ تعادلُ هذا العُمْر الطويلَ لمَنْ أفْناهُ في طاَعةِ الله ـ عز وجل ـ ـ فأيُّ فضلٍ أعظمُ من هذا الفضلِ؟ وهي مِنْ ليالِي هَذَا الشَّهرِ ولكنَّ الله أخْفاهَا فيهِ من أجْلِ أنْ يجتهدَ المسلمُ في كلِّ الليالِي فيصيبَ ليلةَ القدرِ ويزيدَ عليهَا قيامَ بقيةِ الليالِي فيعظمَ بذلِكَ أجرُهُ أمَّا مَنْ تَرَكَ قيامَ بَعْضِ الليالِي فلا يُضمَنُ له أنَّهُ أدركَ ليلةَ القدرِ، ومَنْ قَامَ جميعَ الليالِي بنيةٍ واحتسابٍ، فإنَّه يضمنُ له أنَّه أدركَ ليلةَ القدرِ، لأنَّها لا تخرجُ عن ليالِي هذا الشهرِ وهذا مِمَّا يؤكِدُ على المسلمِ ألا يتركَ قيامَ ليلةٍ من ليالِي هذا الشهرِ لئلاَّ يَفوتَه فضلُ قيامِ رمضانَ ولِئلاَّ يفوتَه قيامَ بعضِ ليالِي رمضانَ وتفوتهُ ليلةِ القدرِ. فالمسلمُ إنَّما يفرحُ بطولِ العُمْرِ، وإنَّما يفرحُ بالعافيةِ والقوةِ مِنْ أجْلِ أنْ يستعملَ ذلكَ في طَاعةِ الله، ويكونُ ذلك مغنماً لَهُ عِنْدَ الله ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ

أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩] المسلمُ لا يفرحُ بطولِ العمرِ من أَجْلِ أَنْ يَأكلَ أَوْ يشربَ ويتمتعَ في هذهِ الدُّنيا، فإنَّ ذلِكَ يَفْنَىٰ ويزولُ ولكنَّه يفرحُ بطولِ العمرِ ليستعملَه في طاعةِ الله ـ عزل وجل ـ ويتزودُ من الخيراتِ قال ﷺ «خيرُ الناسَ من طالَ عُمرهُ وحَسُنَ عملهُ»[١]، وعلى المسلمِ إذا قصَّرَ أو أخطأَ وكُلُّنا خطاؤُون، وخيرُ الخطائِين التوابُونَ فعلى المسلمِ أَنْ يستدرِكَ أخطاءَهُ وتقصيرَهُ بِالتوبةِ إلى اللّهِ والمبادَرةِ بالتوبةِ فإِنَّ التوبةَ تمحوُ ما قبلَها إذا كانَتْ تَوْبةً صَادِقَةً تتوفَّرُ شُروطُها فإِنَّها تمحُو ما قبلَها وتجبُّ ما قبلَها وهذا الشهرُ هو أَحْرَىٰ بقبولِ التَّوبةِ لفضْلِهِ وكرمِهِ عند اللّهِ سبحانَهُ وتَعَالَىٰ، وعلى المسلمِ أنْ يحفظَ أوقاتَ هذا الشهرِ في طاعةِ الله ما بَيْنَ قيامِ ليلٍ وصيامِ نهارٍ وذكرٍ لله سبحانَهُ وتَعَالَى، وتلاوةٍ للقرآنِ وجلوسٍ في المساجدِ وصدقاتٍ على المحتاجينَ والأمرِ بالمعروفِ والنَّهيُ عن المُنْكرِ، والدَّعوةِ إلى الله، فيتقربُ إلىٰ اللّهِ بالأَعْمالِ الصالحةِ ويَحْفظُ شَهرَهُ مِنْ الضياعِ ويحفظُ عُمْرَهُ من الضَّياعِ في غَيرِ فَائدةٍ فإنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ وتَعَالىٰ أعَطْاكَ هَذَا العُمْرَ من أجلِ أَنْ تستعمِلَهُ في طاعةِ الله وسيسأَلُكَ عَنْهُ يومَ القيامةِ قال ﷺ: «**لا تزولُ قَدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عَنْ عُمرِهِ فيما أَفْناهُ وعن شَبَابِهِ فيما أبْلاهُ وعَنْ مَالِه مِنْ أينَ اكتسبَهُ وفِيما أنفقَهُ وعَنْ عِلمِهِ ما عمِلَ بِهِ**»[٢] فاتقُوا الله عبادَ الله ولا يمرُّ عليكُم هذا الشهرُ كمرورِ غيرِهِ من الشهورِ وإِنْ كانَ المسلمُ لا ينبغي عليه أن يضيِّعَ شهورهُ ولكنَّ هذا الشهرَ إذا فاتَ على المسلمِ فإِنَّهُ يخْسَرُ خسَارةً عَظيمةً، صَعَدَ النبيُّ ﷺ يوماً المنبرَ فَقَالَ: آمينَ، آمين، آمين فسألهُ أصحابُهُ رضي الله عنهمْ. قَالَ: إنَّ جِبْرِيلَ أتانِي فَقَالَ: يا محَمدُ مَنْ أَدْرَكَهُ

---

(١) الترمذي (٢٢٥١)، أحمد (١٧٠٢٠).
(٢) الترمذي (٢٣٤١)، الدارمي (٥٣٦).

شهرُ رمضانَ فَلمْ يَغفرْ له فَمَاتَ فَدَخلَ النَّار. قُلْ: آمينَ. قلت: آمينَ. قال: ومن أدْرَكَ أبويهِ أوْ أحَدِهمَا فَلَمْ يبرّه فماتَ فدخلَ النَّار. قُلْ: آمينَ. قُلْتُ: آمينَ. قال: ومَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ يا محمدُ فَلمْ يُصلِّ عليكَ، فَدَخلَ النَّارَ قُلْ: آمينَ فقلتُ: آمينَ»[1]. عبادَ الله، إنَّ شهرَكُم هذا لَيْسَ كالشهورِ، وفَضْلَهُ معروفٌ وخَيْرَاتهُ كَثِيرةٌ فَأقبلوا على اغْتِنَامِهِ وعَلىٰ صِيَامِهِ وقِيَامِهِ، لِتَجِدُوا ذلِكَ عند اللّهِ مُدَّخَراً لكم، وزيادةً في حسناتِكم، وتكفِيراً لسيئاتِكُم. كَانَ ثَلاثَةُ رجالٍ من الصَّالِحينَ في الأمَمِ السابقةِ مجتهدينَ في العبادةِ فاستُشهدَ اثنانِ منهما في سبيلِ الله، وما أعظمَ الشهادَة في سبيلِ الله! وبقيَ الثَّالثُ فأدركَ رمضانَ فصامَهُ وقامَهُ ثُمَّ تُوفِّيَ علىٰ فِرَاشِهِ فرُئيَ سابقاً للشهيدينِ فتعجَّبَ الصحابةُ مِنْ ذلِكَ لما ذكَرَ لَهم ذلك رسول الله ﷺ كيفَ إنَّ الَّذي ماتَ على فراشِهِ يَسبِقُ ويكونَ أفضلَ منَ المقْتولِ في سبيلِ الله؟ فقال ﷺ: أَلَيْسَ قد صلَّى كَذا وكَذا بعدَهُما من الصَّلواتِ . . . قالوا: بَلَى يا رسولَ الله. قَالَ: ألَيْسَ أدرَكَ شهرَ رمضانَ فصامَه وقامَه؟ قالُوا: بلى يا رسول الله. قال: والذي نَفْسِي بيدِه إنَّ بينهمُ كما بينَ السماءِ والأرضِ». فهذا يدلُّ على قيمة هذا الشهرِ في ميزانِ المسلمِ لِمَنْ وَفقهُ الله لاغتنامِهِ ووفقَهُ الله للعملِ الصالحِ فيه، أعوذُ بالله مِن الشيطانِ الرجيمِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ

(١) ابن حبان (٩٠٧)، أبو يعلي (٥٩٢٢)، الدر المنثور (ج١ ص ٤٤٩).

وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٦] باركَ الله لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ.

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ لله على فضلهِ وإحسانهِ، وأشهدُ أنْ لاَ إلَه إلاَّ الله وحْدَهُ لا شريكَ لَهُ وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلَّى الله عليه وعلى آلهِ وأصحابهِ وسلَّم تسلَيماً كثيراً، أما بعدُ:

أَيُّها الناسُ، اتقُوا الله. إنَّهُ مع فضلِ شهرِ رمضانَ وما فيهِ مِنَ الخيرِ العظيمِ لِمَنْ وَفَّقَهُ الله فإنَّ بعضَ الناسِ يُحرَمُ من فضلِه بسببِ تقصيرِهِ، وبسببِ غفلتِهِ وإعراضِهِ فإنَّ بعضَ الناسِ لا يعرفُ شهرَ رمضانَ، إلاَّ أنَّه شهرٌ للأكلِ والشربِ وتنويعِ المآكِلِ والمشاربِ ثمَ يَسهرُ كلَّ الليل على ما حرَّمَ الله علىٰ القيلِ والقالَ، وعلىٰ مشاهدةِ القنواتِ الفضائيةِ الَّتي تَحملُ الخبثَ والشَّرَّ أو عَلىَ لعبِ الورقِ، أو غيرِ ذلكَ من السفاهاتِ، أو يخرجُونَ إلىٰ الاسْتراحاتِ ويضيِّعُونَ ليلَهُم فيما يضرُّهُم ولا ينفعُهم أو النِّساءُ تخرجُ إلى الأسواقِ وتتعرضُ للمغازلاتِ، وتختلطُ بالرجالِ. ومن الناسِ أيضاً من لا يعرفُ شهرَ رمضانَ، إلا أنَّه شهرٌ للنومِ في النَّهارِ والسَّهرِ بالليلِ لأنَّ من سهِرَ الليلَ فلا بدَّ أنْ ينامَ النهارَ، لا بُدَّ للإنسانِ من النومِ، فإذَا لم يَنمْ بالليلِ الذي جَعَلَهُ الله سُباتاً وجَعلَهُ سَكَناً فإنَّه سينامُ النهارَ،

ويترتبُ على نومِه في النهارِ إنه يَنْسَىٰ ذِكْرَ الله فَلا يذكُرُ اللهَ ولا يتلُو كتابَ اللهِ وأعظمُ مِنْ ذلَكَ أنَّها تمرُّ عليه الصلواتُ، صلاةُ الفجرِ لأنَّ بعضَ الناسِ ينامُ مِنْ آخرِ الليلِ، يملأ بطنه بالأطعمةِ ثم ينامُ، ويتركُ صلاةَ الفجر ويتركُ صلاةَ الظهرِ ويتركُ صلاةَ العصرِ، فإذا جاءَ المغربُ استيقظَ، لا مِنْ أجل المغربِ وإنَّما من أجل الأكلِ والشربِ والشهواتِ، فما ظنكُم بهذا؟ ضَيَّعَ الصلواتِ، وغفَلَ عَنْ ذِكْرِ الله عزَّ وَجلَّ وضيَّعَ أوقاتِ هذا الشهرِ إنَّه صَامَ عَنْ الطعامِ والشرابِ فقط، ولكنَّهُ فَعَلَ أعظمَ ما حَرَّمَ الله وهو تركُ الصلواتِ الخمسِ في أوقاتِها، وتضييعُ الصلواتِ أو تضييعُ معظمِها. وقَدْ قَالَ الله سُبْحَانَهُ ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ﴾[مريم: ٥٩، ٦٠]، وقَالَ سُبْحَانَهُ وتعَالَى ﴿فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون: ٤، ٥] والسَّهوُ عَنِ الصلاةِ هو إخراجُها عن وقتِها سمَّاهُ الله سَهواً عَنها لا بمعنَى أنَّهُ نِسيَها، وإنَّما بِمعنىٰ أنَّه غَفَلَ عنها ولَمْ ينتبِه لها ولَمْ يهتمَّ بها وسمَّاهُ الله تضييعاً للصلواتِ «فخلَفَ مِنْ بعدِهم خَلْفٌ أضاعُوا الصَّلاةَ»وإضاعةُ الصلاةِ ليس معناها تَرْكها بالكُلِّية، وإنَّما معنَاها إخراجُهَا عن وقتِها فَمَنْ أَخرَجْهَا عَنْ وقْتِها فقَد ضيَّعَه، وَصَلاتَهُ وعدمُها سِيَّانِ لأنَّها صَلاةٌ لا تُحْتَسَبُ عند اللهِ، لأنَّ الله جَعَل الصلواتِ في مواقيتِ حددها لعبادهِ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوۡقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء: ١٠٣]. فاتقُوا الله عبادَ الله، ومن كَانَ لَهُ أولادٌ مِنْ هذا النَّوعِ فليهتمَّ بهمْ وليقُم عليهِم ولينكرْ عليهم هذا الصَّنيعُ، وكذلِكَ إذا كانَ له نِسَاءٌ أو بناتٌ فلا يتركْهُنَّ يخرجنَ في الليلِ، ويذهبْنَ إلى الأسواقِ المختلطةِ وإلى معاكسةِ الفُسَّاق، عليه أنْ يُحَافِظَ علىٰ أولادِه من بنين وبناتٍ فإنَّهُ مَسْؤولٌ عنهم يَومِ القيامةِ: «كُلكُم راعٍ وكلكمُ مسؤولٌ عن رعيتهِ

الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيتهِ وصَاحبُ البيتِ راعٍ ومسؤولٌ عنْ رعيتهِ والخادمُ راعٍ في مَالِ سيدهِ مسؤولٌ عن رعيتهِ والمرأةُ راعيةٌ في بيتِ زوجِها ومسؤولةٌ عن رعيتِها فكُلّكُم راعٍ وكُلّكُم مَسؤولٌ عن رعيتهِ»[(١)].

فاتقُوا الله عبادَ الله، واعلمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله . . .

* * *

(١) البخاري: (٨٤٤)، مسلم (٣٤٨٠)، الترمذي (١٦٢٧)، أبو داود (٢٥٣٩)، أحمد (٥٦٣٥).

الحمدُ لله الذي شَرَعَ لنا الصيامَ، وجعلَ صَومَ رمضانَ أحدَ أركانِ الإسلامِ، وأشهدُ أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ الله، وحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ تباركَ اسمُ ربِّكَ ذِي الجَلالِ والإكْرَامِ، وأَشْهَدُ أَنْ مُحَمداً عَبدُه ورسولُه، وأَفْضَلَ مَنْ صلَّىٰ وصَامَ صلَّىٰ الله عليهِ وعلىٰ آلِهِ وأَصْحابهِ البررةِ الكرامِ وسلَّم تسليماً كثيراً. أما بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقُوا الله تعالَى، وأطيعوُه قالَ الله تعالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٥] في هذهِ الآياتِ بيَّنَ الله سبحانَهُ وتعالى أنَّهُ فَرَضَ علىٰ هذهِ الأمَّةِ الصيامَ، كما فَرضَهُ على الأمَمِ السابقةِ، وبينَ أنَّ هذا الصيامَ هُوَ صِيامُ شهرِ رمضانَ، وقد قال النبيُّ ﷺ: «بُنِيَ الإسلامُ على خَمْسٍ شهادةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاّ الله وأَنَّ محمداً رسولُ الله وإقامِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكَاةِ وصومِ رمضانَ وحَجِّ بيتِ الله الحرامِ مَنْ استطاعَ إليه سبيلاً»[1] والله سبحانَهُ وتعالَى أوجبَ الصيامَ على كلِّ مسلمٍ بالغٍ

(١) البخاري (٧)، مسلم (٢٢)، أحمد (٦٠١٩)، الترمذي (٢٥٣٤).

عاقلٍ صحيحٍ مقيمٍ، فأمَّا الصَّبيُّ الذي لَمْ يبلغِ الحلمَ، فإنَّهُ لا يجبُ عليهِ الصيامُ، ولَكنْ يؤمَرُ بهِ للتدريبِ عليه، وليكونَ لَهُ في ذلِكَ الأجْرُ وهُوَ لَهُ نافلةٌ لوليِّهِ أجرٌ، وأمَّا المريضُ الذي يشُقُّ عليه الصِّيامُ مشقةً ظاهرةً أو يؤخِّرُ عليه البُرْءَ أو يزيدُ عليهِ المرض، فهذا يُفطرُ ويقضِي من أيامٍ أُخْرَىٰ تخفيفاً مِنَ الله سُبْحَانَهُ وتعالَى عَنْهُ، لِئلاَ تجتمعَ عليهِ مشقةُ المرضِ ومشقَّةُ الصيامِ، وإنْ كانَ المرضُ لاَ يُرجَىٰ برؤُه وهو المرضُ المزمنُ فهذا يُطعِمُ عن كُلِّ يومٍ مِسْكِيناً وليسَ عليه صِيامٌ، وكذلِكَ الكبيرُ الهَرِمُ الَّذي مَعَهُ فكرُه وعقلُهُ، لكنَّه لاَ يَستطيعُ الصيامَ فهذَا يطعُم عَنْ كُلِّ يــومٍ مسكينــاً كمـــا قـــال تعـــالـــى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] أمَّا الكبيرُ المخرِّفُ الَّذي لَيْسَ عندَهُ فِكْرٌ، وليسَ عندَهُ عَقْلٌ، وكذلِكَ المعتوهُ الَّذي لَيْسَ لَهُ عقلٌ، فهذانِي لا يجبُ عليهما صيامٌ ولا غيرُهُ، لأنَّهما غيرُ مكلفَيْن فالله سبحانَهُ وتعالَى رَخَّص لهؤلاءِ فَمنْهُمْ من يفطرُ ويقضِي ومنهُم مَنْ يفطرُ ويطعُم عَنْ كلِّ يومٍ مِسْكِيناً، كذلِكَ المسافرُ فإنَّه يُباحُ له الفِطْرُ بل الفِطْرُ في حقِّهِ أفضلُ لقولِهِ ﷺ: «إنَّ الله يحبُّ أنْ تُؤتَى رُخَصُه كما يُكْرَهُ أن تُؤتى مَعْصِيتُه»[1]. فيفطرُ ويقضِي مِنْ أيامٍ آخَرَ بمقدارِ الأيامِ التي أفطرَها، وأما مَنْ كَانَ صَحِيحاً مُقيماً فإنَّه يجبُ عليه الصيامُ ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[البقرة: ١٨٥] ومَعْنَىٰ شَهِدَ: حَضَرَ ليسَ مسافراً فإذا كانَ مقيماً، وكانَ صحيحاً فَإنَّهُ يجبُ عليه الصيامُ، فَمَنْ أفطرَ مِنْ غيرِ عُذْرٍ فإنَّه قد فَعَلَ كبيرةً عظيمةً من كبائرِ الذنوبِ وعليه أنْ يتوبَ إلى الله وأنْ يقضِي هذا اليومَ الذي أفطَرهُ، وألاَّ يعـودَ لمثـلِ هـذه الجـريمـةِ الشنيعـةِ وكـذلِـكَ المسـافـرُ إذا نـوىٰ إقـامـةَ

---

(١) أحمد (٥٦٠٠) [انفرد به].

تزيدُعلى أربعةِ أيامٍ فإنَّهُ يجبُ عليه الصيامُ لانقطاعِ السَّفَرِ في حقهِ فيأخذُ أحكامَ المقيمينَ. وكذلِكَ يجبُ عليه إتمامُ الصلاةِ.

عبادَ الله، الصيامُ هو: الإمساكُ عن المفطراتِ بنيةٍ مِنْ طلوعِ الفجرِ الثَّانِي إلى غروبِ الشمسِ. قَالَ الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّيْلِ ﴾[البقرة: ١٨٧]وقَالَ النبيُّ ﷺ: «**إذَا أقبلَ الليلُ مِنْ هَاهُنا وأَدبَرَ النَّهارُ مِنْ هاهُنا وغَربَتِ الشمسُ فقد أفطَرَ الصائم**»[(١)]. فالله حدَّدَ الصيامَ اليوميَّ بطلوعِ الفجرِ وغروبِ الشمسِ. فَالمُسلمُ يعتمدُ عَلَىٰ هَاتينِ العلامتينِ الظاهرتينِ في صيامِهِ: طلوعُ الفجر الثانِي وغروب الشمسِ، فإذا كان يُشاهدُ طلوعَ الفجرِ ويشاهِدُ غروبَ الشمسِ، فإِنَّهُ يجبُ عليهِ أَنْ يعتمدَ على رؤيتهِ ومشاهدتهِ، وإِنْ كانَ لا يشاهدُ طلوعَ الفجرِ ولا غروبَ الشمسِ، فإِنَّهُ يعتمدُ عَلَىٰ أذانِ المؤذنِينَ الذينَ يؤذنونَ عَلَىٰ التوقيتِ ولا يتأخرونَ وَلاَ يتقدَّمونَ عليه ومِنْ هنا يجبُ على المؤذنِينَ وفَّقَهُم الله أَنْ يعتنُوا بهذَا الأمرِ وألاَّ يؤذِّنوا إلاّ عندَ طلوعِ الفجرِ في بدايةِ الصيامِ وعِنْدَ غروبِ الشَّمسِ في نهايةِ الصيامِ لأنهمُ مؤتُمنُونَ على ذلِكَ، وَلأنَّ النَّاسَ يصُومُونَ ويفطرونَ بناءً علىٰ سماعِ أذانِهم فهُم قَدْ تحملُوا هَذهِ الأمانةَ العظيمةَ فَعليْهِم بالدقةِ والتحرِّي وعَدَمِ التَّسرُعِ. بأَلاَّ يتقدّمُوا علىٰ طلوعِ الفجرِ ولا يتأخرُوا عَنْهُ، ولا يتقدمُوا علىٰ غُروبِ الشمسِ ومن كَانَ يؤذِّن أذَاناً أولاً لطلوعِ الفجرِ ـ كماهُو السُّنَّةُ ـ لتنبيهِ الناسِ بِقُربِ السَّحَرِ حتىٰ يَسْتَعِدُّوا للصِّيامِ فَهذَا الأَذانُ الأولُ مشروعٌ ولكنْ يجبُ على مَنْ يؤذنُ الأذانَ الأولَ أنْ يكونَ معهُ مؤذنٌ آخرُ يؤذنُ عَلىٰ طلوعِ الفجرِ أَوْ هو

---

(١) البخاري (١٨١٨)، مسلم (١٨٤١)، الترمذي (٦٣٤)، أبو داود (٢٠٠٤)، أحمد (١٨٧).

يؤذِّنُ عَلىٰ طلوعِ الفجرِ ولاَ يكتفِي بأذانِه الأولِ قَالَ ﷺ: «إنَّ بِلالاً يؤذنُ بليلٍ فكلُوا واشربُوا حتى يؤذنَ ابنُ أمِّ مكتومٍ»[1] لأنَّهُ كانَ لهُ ﷺ مؤذِّنانِ: واحدٌ يؤذِّنُ قبلَ طُلوعِ الفجرِ، لأَجْلِ أَنْ يتهيّأَ الناسُ لصلاةِ الفجرِ وللصيامِ وآخرُ يؤذِّنُ على طلوعِ الفجرِ مِنْ أجلِ أن يقومُوا ليصلُّوا صلاةَ الفجرِ، ويصُومُوا فلا بُدَّ مِنْ هَذَا. فالأذانُ مسؤوليةٌ عَظِيمةٌ وأمانةٌ ثقيلةٌ والمؤذنُ متحملٌ لِمَا يَقعُ فيه النَّاسُ من الأَخْطَاءِ في التَّقدُّمِ والتأخُّر في صِيامهم وصَلاتِهم. والصيامُ لَهُ مُبْطلاتٌ وَمُفْسِداتٌ يجبُ علىٰ الصائمِ أنْ يَعْرِفَها حتىٰ يتجنبَهَا في صيامِهِ، وَهِيَ تنقسمُ إلىٰ قِسْمينِ: القسم الأول: ما يدخلُ إلى الجوفِ، والقسم الثاني: ما يخرجُ مِنَ الجوفِ، فَأَمَّا الذي يدخلُ إلىٰ الجوفِ فالأكلُ والشربُ متَعَمِداً، فَمَنْ أكلَ أَوْ شَربَ متعمداً وهُوَ صائمٌ بَطلَ صيامُه، وأمّا مَنْ أكلَ أو شربَ نَاسِياً، فإنَّه لا يَبْطُلُ صيامُه لقولِهِ ﷺ: «إذَا نَسِيَ أحدُكُم فَأَكلَ أَوْ شَرِبَ وهُوَ صائمٌ فليُتِمَّ صومَه، فَإِنَّما أطعَمهُ الله وسَقَاهُ»[2]. ومثلُ الأكلِ والشُّرْبِ كُلُّ ما يُدْخِلُهُ إلى الجوفِ متعمداً مْثِل الإِبَرِ المغذِّيةِ لأنَّها بمعنَىٰ الأكَلِ والشُّربِ وتَقومُ مقَامَ الأكلِ والشربِ والإبرُ الوريديةِ الَّتي تُحقَنُ عَنْ طَرِيقِ الوريدِ، فَإِنَّها تخالِطُ الدَّمَ وتَسِيرُ في الجِسْمِ وتنشِّطُ الجِسْمَ وتؤثِّرُ عليه فهي مثلُ الأَكْلِ والشُّربِ، وَكَذَلِكَ الغَسيلُ الكُلَوِيُّ لمَنْ عِنْدَهُ مرضُ الكُلَى نسألُ الله أَنْ يشفيَهم فإنَّ المُصابَ بمرضِ الكُلَىٰ إذَا غَسَلَ وهُوَ صَائِمٌ فَإِنَّهُ يبطُلُ صيامُ لأنَّهُ يدخلُ إلىٰ جوفهِ ماءٌ ويدخلُ إلىٰ جوفهِ أدويةٌ

---

(١) البخاري (١٧٨٥)، مؤطا مالك (١٤٧)، مسلم (١٨٧٧)، الترمذي (١٨٧)، النسائي (٦٣٣)، أحمد (٤٣٢٣).

(٢) البخاري (١٧٩٧)، مسلم (١٩٥٢)، أبو داود (٢٠٤٦)، ابن ماجة (١٣٣٦)، أحمد (٨٧٧٣).

ويُرخَّصُ لَهُ بالغَسيلِ إنْ لَمْ يقبلِ التأجيلَ إلى الليلِ فَإِنَّهُ يرخَّصُ لَهُ في الغسيلِ بالنَّهارِ، لأَنَّهُ مريضٌ والمريضُ لَهُ أنْ يفطرَ فيغسلَ ويقضِي بَدَلَ هذا اليوم وكذلِكَ المناظيرُ التي تدخُلُ عن طريقِ الحلقِ أو طريقِ الدُّبُرِ وهي المناظيرُ الكَشْفِيةُ إذَا فَعَلها الإنسانُ وهو صائمٌ فَإِنَّها تُفْسدُ صِيَامهُ لأنَّهُ يُصَاحِبُها الماءُ ويصاحبُها أَدْويةٌ فتُفْسِدُ صِيامَهُ فَإِنْ كَانَ اسْتِعْمالُها يقبل التأجيلَ إلىٰ الليلِ فيؤجِّلَهُ، وإنْ كَانَ لا يَقْبَلُ فَإِنَّهُ يُجْرِيَها لأَنَّهُ مريضٌ، وَقَدْ رُخِّصَ لَهُ بِالإفطَارِ وَيَقْضِي هذا اليومَ، وكذلك الأدويةَ مِنَ الحُبوبِ والشَّرابِ التي يتناولُها الإنسانُ للدَّواءِ وهو صَائمٌ فإنَّ هَذَا يُفسدُ صيامهُ لأنَّهُ يدخُلُ إلىٰ جوفهِ، فَإِنْ كانَتْ تقبلُ التأجيلَ إلىٰ الليلِ فإنَّه يؤجِّلُها، وإنْ كانَتْ لا تقبلُ فَإِنَّهُ يعتبرُ مريضًا فيستعملُهَا ويَقْضِي بَدَلَ هَذا اليومِ، وكذلِكَ مما يُبطلُ الصيامَ مِمَّا يدخُلُ في جوفِ الإنْسَانِ أَوْ في جسمهِ لأَجْلِ إِسْعَافِه كالدَّمِ وسائرِ السوائلِ والمغذياتِ إذا حقنَ بِهَا المريضُ لأجْلِ إسعافِه لفقدِ دمِهِ أَوْ لعلاَجٍ لا بُدَّ منه فَإنَّ ذلِكَ يُفسدُ صِيَامَه لأنَّ هذا مِنَ المغذِّياتِ فيفسُدُ صيامَه، وأمّا ما يخرجُ من الجسمِ ويُبطلُ الصيامَ فهو أنواعٌ: النوعُ الأولُ: التَّقيُّؤ فَإذَا تقيَّأَ الإنْسَانُ ما في مَعِدَتِه عَنْ طَرِيقِ الفَمِ فإنَّه يَفْسُدُ صَومهُ لأنَّه أخرجَ ما يتقوَّىٰ بِهِ ومَا يقتاتُ بهِ فَإذا تعمَّدَ التقيؤَ فإنَّهُ يفسدُ صَوْمَه وأمّا إنْ غَلَبَهُ القيءُ بدونِ اختيارهِ وخَرَجَ فإنَّهُ لا حَرجَ عليه، ولا يؤثرُ ذَلِكَ على صيامِهِ وكذلِكَ اسْتخراجُ الدَّمَ الكَثيرَ مِنْ جسمِ الصَّائمِ يُبْطِلُ صيامَه وذَلِكَ مثلُ الحجامةِ فَإنَّ النَّبي ﷺ رأىٰ صَائماً يحتجمُ فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ «أَفْطَرَ الحاجمُ والمحجومُ»[1]. فالحجامةُ تُفطِرُ الصائمَ بِهَذا النصِّ الصحيحِ عَنْ الرسولِ ﷺ، لأنَّهُ استخرجَ مَا بهِ

---

(١) الترمذي (٧٠٥)، أبو داود (٢٠٢٠)، ابن ماجة (١٦٦٩)، أحمد (٨٤١٣).

قُوةِ جسمِهِ فَلاَ يجتمعُ عليه ضعفُ الجسمِ وضعفُ الصيامِ. وأمَّا حديثُ أَنَّ النبيَّ ﷺ احتجمَ وهو صَائمٌ فهذِه اللفظةُ غيرُ محفوظةٍ عن النبيِّ ﷺ وإنَّما المحفوظُ عَنْهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ أَنَّهُ احتجمَ وهو مُحْرِمٌ، كَمَا نبَّه على ذلِكَ أئمةُ الحفَّاظِ والمحدثينِ كالإمامِ أحمدَ والبخاريِّ وشيخُ الإسلامِ ابنِ تيميةَ وجمعٌ من المحدِّثينَ الحفَّاظِ وكذلِكَ مثلُ الحجَامَةِ سَحْبُ الدَّمِ بالطرقِ الطبيةِ لأجلِ التبرُّعِ بِهِ أَوْ لأَجْلِ إِسْعَافِ مريضٍ بِهِ. فَإِذَا سُحِبَ مِنَ الإنْسَانِ دمٌ كثيرٌ فإنَّه يَبطلُ صيامُهُ لأنَّه مثلُ الحِجَامةِ. كذلك فَصْدُ العرْقِ فَإِذا فَصَدَ العِرْقَ، وخَرَجَ منه دمٌ كثيرٌ فَإِنَّ هذا يُبطِلُ الصيامَ لأَنَّهُ مثل الحجامَةِ، وأمّا الدّمُ اليسيرُ الذي يؤخَذُ للتحليلِ وهو دمٌ يسيرٌ فهذا لا يؤثِّرُ علىٰ الصيامِ لأنَّه لَيْسَ مثلَ الحجامةِ وإِنَّمَا هو دمٌ يسيرٌ وأنْ أَخَّرَهُ إلىٰ الليلِ فهُو أحْوطُ وأولَىٰ، وَلَوْ جُرِحَ الإنسانُ وخَرَجَ منهُ دمٌ كثيرٌ وهو صائمٌ فإنَّ ذلك لا يؤثِّرُعلى صيامِه، لأنَّهُ بغيرِ اختيارِه، وكذلِكَ لَوْ خَلَعَ ضِرْساً يؤلِمُه، ولا يستطيعُ البقاءَ أَوْ يشقُّ عليهِ البَقاءُ إلىٰ الليلِ فخلَعَ ضِرْسَهُ ونَزَفَ مِنْهُ دمٌ فإِنَّ هذا لا يؤثِّرُ علىٰ صِيامِهِ لأنَّه بغيرِ اختيارِهِ لكنْ عليه أنْ يتحفَّظَ من ابتلاعِ شيءٍ من الدَّمِ بَلْ عليهِ أنْ يلفظَ ما في فمِهِ من آثارِ قَلْعِ الضِّرْسِ أو آثارِ الدَّم الذي يخرُجُ من جراءِ ذلِكَ، ومِنَ الأشياءِ التي تُفطِّرُ الصائمَ بخروجِها من جِسمِهِ المنيُّ، فَإِذَا أمنَى الإنسانُ بلذةٍ سواءٌ بتكرارِ نظرٍ أو بجماعٍ أو باستمْنَاءٍ فإِنَّ هذا يُبطِلُ صيامه لأَنَّهُ جاءَ في الحديثِ أنَّ الصائم يتركُ شهوتَهُ وطعامَهُ وشرابَهُ فكما يتركُ الطعام والشرابَ يتركُ الشهوةَ، فإذا استخرجَ شهوتَهُ بالاستمناءِ أوْ بتكرارِ نظرٍ أوْ بجماعٍ فَإنَّه يُبطلُ صيامُهُ فإنْ كانَ بالجماعِ فَإِنَّهُ يجبُ عليهِ ثلاثةُ أمورٍ: الأمرُ الأولُ: التوبةُ إلى الله عزَّ وجلَّ، الأمرُ الثاني: أَنْ يقضِي هذا اليومَ الذي فعلَ فيه الجِمَاعَ الأمرُ الثالثُ: الكفارةُ المغلَّظةُ وهي عِتْقُ رقبةٍ فَإِنْ لَمْ يجدْ فإنَّه يصومُ شهرينِ

متتابعينِ فإنْ لَمْ يستطعْ فإنَّه يُطعمُ ستينَ مسكيناً وأمّا إذا كان استخراخُ المنيِّ بالاستمناءِ فقط بدون جماعٍ أو أنه كَرَّرَ النظرَ فأنزلَ، فإنَّهُ حينئذٍ يبطُلُ صِيامُه وعليه شَيئانِ، الشيءُ الأولُ: الاستغفارُ والتوبةُ وعدمُ العودةِ لمثلِ ذلكَ، والأمرُ الثاني: قضاءُ هذا اليومِ الذي أفْسَدهُ ومِنَ المفطراتِ بالنصِّ والإجماعِ خروجُ الحيضِ والنفاسِ من المرأةِ، فإنَّ المرأةَ إذا حَاضَتْ أَوْ نَفَسَتْ بعَدَ الوِلادَة فإنَّه لاَ يَصحُّ منها الصِّيامُ ولا يجوزُ لَها أَنْ تصومَ ولكنَّها تقضِي من أيامٍ أُخَرَ كما قالتْ عَائشةُ ـ رَضِيَ الله عَنْها ـ كُنَّا نحيضُ على عَهدِ النبيِّ ﷺ فنؤمرُ بقضاءِ الصيامِ، أمَّا دَمُ الاستحاضةِ والدَّمُ الذي يخرجُ مِنَ الحَاملِ فإنَّهما لا يبطلانَ الصيامَ فيجبُ عَلَىٰ المستحاضةِ والحاملِ التي ينزلَ منها دَمٌ أَنْ تَصُومَا وصومُهما صحيحٌ. والحمدُ للّهِ.

أعوذُ بالله مِنَ الشيطانِ الرجيمِ ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[البقرة: ٧٨١] باركَ الله لِي وَلَكُم بالقرآنِ العظيمِ . . . .

الخطبة الثانية

الحمدُ لله علىٰ فضلِهِ وإحسانهِ، والشكرُ لَهُ عَلَىٰ تَوْفِيقِهِ وامتنانهِ وأشهدُ أنْ لاَ إِلَهَ إلاّ الله وحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ تعظيماً لِشأنهِ، وأشهدُ أَنَّ محمداً عبدهُ ورسولُهُ ﷺ

وعَلَىٰ آلِهِ وأَصْحَابِهِ وسلَّم تسليماً كثيراً. أمَّا بعدُ:

أيُّها النَّاسُ، اتقوُا الله وأطيعوهُ، واعلَمُوا أنَّ هنَاكَ مُفْطِراتٍ تُبْطلُ ثَوابَ الصَّائِمِ، أو تنقِصُ ثَوابَهُ ولكنَّه لاَ يُؤمرُ بالقضاءِ وهيَ مَا تُسمَّىٰ بالمفطراتِ المعنويةِ وهَي جَميعُ المَعاصِي فَجَميعُ المعاصِي والسيئاتِ تؤثرُ عَلَىٰ صِيامِ الصَّائمُ، إمَّا بألاَّ يبقَىٰ لَهُ أجْرٌ عندَ الله أوْ يَبْقى لَهُ أَجْرٌ نَاقِصٌ بسببَ هَذهِ المعَاصِي لأنَّ الله حرَّمَ المَعَاصِي عَلَى المُسْلمِ دائماً وأبداً فِي كُلِّ حَيَاته، ولكِنَّهَا في الصَّوْمِ أشدُّ تَحريماً لأنَّهَا تؤثِّرُ على صيامِهِ وذَلِكَ يَتَلَخَّصُ فِي اللسانِ وفِي النظرِ وفي السَّمْعِ فيصُون الصائمُ لسانَهُ عن الشتمِ والسبابِ وَقَوْلِ الزورِ وشهادةِ الزورِ والغيبةِ والنميمةِ لأنَّهَا تجرحُ صِيامَه وهيَ آفاتٌ تخرِّبُ الصيامَ فعلىَ المسلمِ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ كُلِّ كلامٍ مُحَرَّمٍ حتى لَوْ أنَّ أحداً سابَّهُ أو شاتَمَهُ أَوْ قاتَلَهُ فَإِنَهُ يُمسِكُ ولاَ يَرُدُّ عَليهِ بالمثلِ. قال ﷺ: «فإنْ شاتمَهُ أحدٌ أو قاتلَهُ أحدٌ فليقُلْ إنّي صائمٌ إني صائمٌ»(١). وكذلِكَ النَّظَرُ الحرامُ قَالَ الله جلَّ وعلاَ ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠ ـ ٣١] فَالمسلمُ ذَكَراً كانَ أَوْ أنْثَىٰ مأمُورٌ بِغضِ البَصَرَ دَائِماً عَمَّاحَرَّمَ الله، وَفِي شَهْرِ رمضانَ عَلَىٰ الخصوصِ لأنَّ ذَلِكَ يُؤثِّرُ عَلىَ صِيَامِهِ، فَلاَ يَنظرُ إِلَىٰ النِّسَاءِ بشهوةٍ ويُكررُ النَّظَرَ إلىٰ مَاحَرَّمَ الله والمرأةُ لاَ تنظرُ إلى الرجالِ بشهوةٍ وتُكررُ النَّظرَ لأنَّ ذلِكَ حرامٌ عليها ويُؤثِّرُ على صِيامِ الصَّائِمِ، والنظرُ سهمٌ مسمومٌ مِنْ سِهَامِ إبليسَ، فَلاَ يَنْظُرُ إِلَىٰ مَالاَ يَجوزُ النَّظرُ إليهِ مِنْ النِّسَاءِ الأجنبياتِ ومِنَ الصُّورِ الخليعةِ ومن الشَّاشاتِ

---

(١) أحمد (٧٣٦٨)، البخاري (١٧٦١)، مسلم (١٩٤١)، النسائي (٢١٨٦).

الفاتنةِ في التليفزْيونِ وَمَا يُعرضُ فيها مِنْ مناظرَ قبيحةٍ. المسلمُ دائماً وأبداً يترفَّعُ عنهَا وَلاَ ينظرُ إليها، ولكنَّ الصائم بالخصوصِ حريٌّ أنْ يتجنبَها، لأنَّها تُؤثرُ عَلَىٰ صِيَامهِ، وقد تجرُّهُ إلَىٰ إِبْطالِ صِيامِه، وكذلكَ السماعُ المُحرمُ فَلاَ يستمعُ إلَىٰ الغِيبةِ والنميمةِ وَالشتمِ وقَولِ الزورِ وَلاَ يستمعُ إلى الأغانِي والمعازِفِ والمزامِيرِ التي تأتِي في الإذاعاتِ ووسائلِ الإعلامِ، أو في غيرِها فالمسلمُ يصونُ سَمْعَــــهُ عمّـــا حَـــرَّمَ الله ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦ ﴾ [الإسراء: ٣٦].

فاتقوُا الله عبادَ الله، وصونُوا صيامَكُم عمَّا حرَّم الله فإنَّه ليسَ الصيامُ مجردَ تركِ الطعامِ والشرابِ والشهوةِ وإنَّما هُوَ مَعَ ذَلِكَ تَركُ كُلِّ ما حرَّمَ الله سبحانَهُ وتعالَى قال ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَولَ الزورِ والعملَ بهِ والجَهلَ فَلَيْسَ للهِ حاجةٌ في أنْ يَدَعَ طعامَهُ وشرابَهُ»(١). قَالَ بَعضُ السلفِ: أهونُ الصيامِ تركُ الطعامِ والشرابِ. فالصيامُ تركٌ لكُلِّ ما حرَّمَ الله....

* * *

(١) أحمد (٩٤٦٣)، البخاري (١٧٧٠)، ابن ماجة(٩٧٦١)، الترمذي (٦٤١).

في الحثّ عَلَىٰ العَملِ الصالِح وطاعةِ الله ورسولِه

الحمدُ لله أمرَ بإصلاحِ العملِ، ووعَدَ العاملينَ بجزيلِ الثَّواب، وأشهدُ أنْ لا إِلٰهَ إلاَّ اللّٰهُ وحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، غَافرُ الذَّنْبِ وقابلُ التوبِ شديدُ العقابِ، وأشْهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُه أولُ سابقٍ إلى الأعمالِ الصالحةِ رجاءَ الثوابِ وخوفَ العقابِ صلَّى الله عليه وعلَىَ جميع الآل والأصحابِ وسلَّم تسلْيماً كثيراً، أمَّا بعدُ:

أيُّها النَّاسُ، اتقوُا الله تَعالَىٰ. قَالَ الله تَعالَىَ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾[محمد: ٣٣] في هذهِ الآيةِ الكريمةِ ينادِي الله سبْحانَهُ وتعالَى عبادَه المؤمنينَ وخصَّهم بذلِكَ تشريفاً لهم ولأنَّهم هُمْ أهْلُ الامتثالِ لنداءِ الله ثمَ أمرَهُم سُبْحَانَهُ وتَعالَىٰ فقالَ: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [المائدة: ٩٢] أطيعُوا الله بامتثالِ أوامرِهِ واجتنابِ نواهيهِ وأطيعُوا الرسولَ فيما يأمركُم بهِ وفيما ينهاكُمْ عنه لأنَّ طاعةَ الرسولِ طاعةٌ للهِ عزَّ وجلَّ لأنَّه مُبَلِّغٌ عَنِ الله ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[النجم: ٣ـ٤] فهُو مُبَلِّغٌ عَنِ اللهِ عزَّ وَجَلَّ، وفي طاعةِ الله وطاعةِ رسوله ﷺ تحقيقٌ لمعنَىٰ الشهادَتَيْنِ شهادةِ أنْ لاَ إلهَ إلاّ الله وشهادةِ أنَّ محمداً رسولُ الله وفِي طَاعةِ الله ورسولِهِ خيراتٌ كثيرةٌ قال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء: ٦٩ـ٧٠] وقالَ تَعالَىٰ: ﴿ وَمَن يُطِعِ

ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النساء: ١٣] وفي معصيةِ الله ورسولِه شقاءٌ وعذابٌ وعقابٌ قالَ تَعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [النساء: ١٣] وَقالَ تعالَى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [الجن: ٢٣] ثُمَّ قالَ جلَّ وعَلاَ «ولا تبطلُوا أعمالكُم» لما أمرَ بطاعتهِ وطاعةِ رسولِه وذلِكَ هُوَ العملُ الصالحُ نهى أن يُبطِلَ الإنسانُ أعمالَه التي تَعِبَ فيها رجاءَ ثوابِ اللهِ ثم سلَّط عليها ما يُبطلُها فصارَتْ تعباً بلا فائدةٍ، والأعمالُ مِنْ حقيقةِ الإيمانِ فلا إيمانَ بدونِ عملٍ ولا عَمَلَ بدونِ إيمانٍ فالإيمانُ قولٌ باللسانِ واعتقادٌ بالقلبِ وعملٌ بالجوارحِ يزيدُ بالطاعةِ، وينقصُ بالمعصيةِ هذا هو الإيمانُ الصحيحُ الذي ينفعُ صاحبَه، وهو الذي نادَىٰ الله جَلَّ وعَلاَ في هذه الآيةِ وغيرِها أصحابُها بهذا النداءِ العظيمِ المتكرِّرِ في كتابِ الله عزَّ وَجَلَّ، والأعمالُ تكونُ على الجوارحِ أعمالاً ظاهرةً كالصلاةِ والصيام والحجِّ والجهادِ وذكرِ اللهِ وتلاوةِ القرآنِ والأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكرِ والدعوةِ إلى الله وتعليمِ العلمِ النافعِ، وتكونُ بالقلبِ كخشيةِ الله وخوفِهِ ومحبتهِ ورجَاءِ ثوابِهِ وخَوْفِ عِقابِهِ، الأعمالُ تكونُ ظاهِرةً وتكونُ باطنةً وجميعُها مِنْ حقيقةِ الإيمانِ، ثم نَهىٰ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فَقالَ: «ولاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ» أَيْ: إِذَا أطعتُمْ الله ورسولَهُ فَلاَ تبطلُوا هذه الطاعَة، لا تبطِلُوها بأيِّ نوعٍ من المبطلاتِ، والمبطلاتُ كثيرةٌ وهذا يشملُ إبطالَ العملِ في أثنائِه كقطعِ الصلاةِ أو قطعِ الصيامِ وعَدَمِ إتمامِهما، أَوْ قطعِ الحجِّ أو قطعِ العُمرةِ، وعَدَمُ إتمامِ العملِ منهيٌّ عَنْهُ، فإذَا شَرَعَ الإنسانُ في عملٍ صالحٍ فَإِنَّهُ مَنهِيٌّ أنْ يَقْطَعَهُ ومأمورٌ أن يُتِمَّهُ ولَوْ كَانَ نافلةً فكيفَ إِذَا كَانَ فريضةً، ويشملُ

إبطاله بعدَ العملِ بأنْ يُسلَّطَ عليه ما يُبطلُه، أو يُذْهِبُ بثوابِهِ، ومِنْ أعظمِ مبطلاتِ الأعمالِ الشركُ بالله ـ عزَّ وجَلَّ ـ والكفرُ بالله بأنْ يَرْتكِبَ الإنسانُ ناقضاً من نواقضِ الإسلام كَأَنْ يَدْعُو غيرَ الله أو يستغيثَ بغيرِ الله أَوْ يذبحَ لغيرِ الله أَوْ ينذرَ لِغَيْرِ الله قالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥] الرِّدةُ تحبطُ الأعمالَ قالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٧] كذلِكَ مِمَّا يُبْطلُ العملَ المنُّ بهِ والإعجابُ بهِ قالَ اللهُ ـ جلَّ وَعَلاَ ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى ﴾[البقرة: ٢٦٤] فالمنُّ والأذىٰ يُبطلانِ الصدقَةَ وكذلِكَ الإعْجابُ بالعملِ كأنْ يرَىٰ الإنسانُ أنَّهُ أفضلُ مِنْ غيرِهِ، وأنَّهُ أدَّىٰ حَقَّ الله عَلَيْهِ أَوْ يعدِّدُ أعمالَه، ويعتدُّ بها، فالواجبُ على المسلمِ أنْ يعملَ العملَ الصالحَ ويخافَ مِنْ رَدِّهِ وَعَدمِ قبولِهِ لأنَّ الله تَعالَىٰ يقولُ: ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المائدة: ٢٧] وما يُدْريكَ إنكَ مِنَ المتقينَ؟ ويقولُ جلَّ وعَلاَ في وصْفِ الأصفياءِ من عبادِه ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٦٠] يؤتُون ما آتَوْا مِنَ الأعمالِ الصالحةِ ويخافُونَ من الله أَلاّ يتقبلَّها مِنْهم وأَنْ يردها عليهم فلاَ يعجبُ الإنسانُ بعملهِ بَلْ يَجبُ عَلَيهِ أَنْ يَعْتَبرَ نفسَهُ مقصِّراً في حقِّ الله سبحانه وتَعالىٰ ولاَ يُجزمُ عَلَىٰ الله أنَّ الله تقبلُ عملهِ بَلْ يخافُ من ردِّه. هكذا يكونُ المؤمنُ خائِفاً وجِلاً مع إتيانه بالأعمالِ الصالحةِ والتَّقرُّبِ إلىٰ الله سُبْحانَهُ وتَعالَىٰ، ومِنْ مبطلاتِ العملِ أنْ يعملَ الإنسانُ الأعمالَ الصالحةَ الكثيرةَ ولكنَّه يظلمُ الناسَ ويتعدَّىٰ علىٰ النَّاسِ في دمائِهم أوْ في أعراضِهم أوْ في أموالِهم، ثمَّ يموتُ وهو محمَّلٌ بحقوقِ الناسِ ثم يأتونَ يومَ

القيامةِ يخاصمُونَه عند أَحْكَمِ الحاكمينَ، فيقتصُّ للمظلومينَ مِنَ الظالمِ فيأخذُون من حَسَناتِهِ فَإِنْ فنيتْ حسناتهُ أُخِذَ مِنْ سيئاتِهم فَطُرِحَتْ عليه فَطُرِحَ في النارِ كما صحَّ في الحديثِ عنِ الرسولِ ﷺ «أنَّ أقواماً يأتون بأعمالٍ أمثال الجبالِ فيأتِي أحدُهم وقد ظَلَم هذا وقَدَ ضَرَبَ هذا وقد أخذَ مالَ هذا فيأخذُ هذا من حسناتِه وهذا من حسناتِه فإنَّ فَنِيَتْ حَسناتُهُ قبلَ أنْ يؤدِّي مَا عليه أخذُ من سيئاتِ المظلومينَ فطرحَتْ عليهِ فَطُرِحَ في النارِ». قالَ ﷺ لأصحابهِ: «أتدرونَ مَنْ المُفْلِسُ؟ قالوا: يَا رسولَ الله المفلسُ فينا مَنْ لاَ دِينارَ لَهُ وَلاَ درهمَ. قال ﷺ: ولكنَّ المُفْلِسَ مَنْ يَأتِيَ يومَ القيامةِ بأعمالٍ صالحةٍ فيأتِيَ وقد ظَلَمَ هَذَا وأَخَذَ مَالَ هَذَا وضَربَ هَذَا فَيَأْخُذُ هَذَا مِنْ حسناتِهِ وهذا من حسناتِه»[1] فلاَ يَبْقَىٰ لَهُ حسنةٌ فيصبحُ مفلساً من الأعمَالِ الصالحةِ. قَالَ ﷺ «مَنْ كَانتْ عندهُ لأخيهِ مظلمةٌ فليتحلَّل منهُ اليومَ قَبْلَ ألاَّ يكونَ دينارٌ ولا درهمٌ فَإِنْ كَانَ لَهُ حسناتٌ أُخِذَ من حسناتِهِ وأعطيتْ للمظلومينَ وإلاَّ أُخذَ من سيئاتِ المظلومينَ فطرحَتْ عَليهِ وطُرِحَ في النَّارِ»[2] نسألُ اللهَ العَافيةَ والسلامةَ وَمنْ مُبْطلاتِ الأعمالِ أنْ يَعملَ أعمالاً صَالحةً ولكنَّهُ يعملُ إلى جانبِها سيئاتٍ كَثيرةً ففي يومِ القيامةِ توزنُ حسناتهُ وسيئاتهُ بأنْ توضعَ حَسناتهُ في كفَّةٍ وسيئاتُهُ في كفةٍ فإنْ رَجحتْ حسناتهُ أفلحَ وإنْ رجحتْ سيئاتهُ خسرَ وخابَ ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف: ٨ ـ ٩] فقدْ يعملُ الإنسانُ أعمالاً صالحةً كثيرةً، ولكنَّه يعملُ سيئاتٍ كثيرةً فتوضعُ حسناتهُ وسيئاتهُ في الميزانِ الَّذي لا يخيسُ

---

(١) مسلم (٤٦٧٨)، الترمذي (٢٣٤٢)، أحمد (٦٧٨٦).

(٢) البخاري (٢٢٦٩)، أحمد (١٠٦٩).

ولايظلمُ وَلاَ يجورُ بَلْ هو ميزانُ عَدْلٍ، فهو تَبعُ لما يُرجحُ من حسناتهِ وسيئاتهِ، فلاحهُ وشقاءهُ مُتعلقانِ بالرجحانِ ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [المؤمنون: ١٠٢ـ١٠٣] فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ٦ـ١١] فليحذرِ الإنسانُ من هذهِ الأمورِ، وممَّا يبطلُ الأعمالَ الرياءُ والسُّمعَةُ، الرياءُ: وهوَ أنْ يعملَ الإنسانُ الأعمالِ الصالحةَ من أجلِ أنْ يراهُ الناسُ، ويثنوا عليهِ أوْ يتكلمَ بالكلامِ الطيبِ وتلاوةِ القرآنِ منْ أجلِ أنْ يسمعَ الناسُ كلامَهُ وذِكرهُ لله وتِلاوتهُ للقرآنِ فيمدحُوه، إذا كانَ قصدهُ هذا فعملُهُ باطلٌ قالَ ﷺ لأصحابهِ: «أَخْوفُ ما أخافُ عليكمْ الشركُ الأصغرُ. فسئلَ عنهُ فقالَ: الرياءُ»(١)، «يقومُ الرجلُ فيصلِّي فيزينُ صلاتَهُ لما يَرَىٰ مِنْ نظرَ رجلٍ إليهِ»(٢) وفي يومِ القيامةِ يقولُ الله جلَّ وعلاَ للمرائينَ اذهبوا إلىٰ الذينَ كنتمْ تراؤونهَمْ في الدُّنيَا هَلْ تجدونَ عندهَمْ جزاءَ؟! فتذهبُ أعمالُهمْ. فالرياءُ يبطلُ العملَ الذي خَالطَهُ وأَمَّا الشِّركُ الأكْبَرُ فَإنَهُ يُبْطِلُ جَمِيعَ الأعمالَ ولاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّة إلاَّ بالله فَعَلىٰ المسلمِ أنْ يخافَ، وأنْ يحذرَ وأنْ يحَافِظَ عَلَىٰ أَعْمَالِهِ أكْثَرَ ممَّا يُحَافظُ عَلىٰ نقودهِ وعلىٰ أموالهِ وأولادهِ، لأنَّها هي رأسُ مَالِهِ قَالَ الله جلَّ وعلاَ في الحديثِ القدسيِّ: «يَا عِبَادي إنَّما هي أعمالُكمْ أحصيهَا لكمْ ثُمَّ أوفيكُمْ إياهَا فمنْ وجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمدْ الله ومنْ وجدَ غيرَ ذَلكَ فَلاَ يلومنَّ إلاَّ نَفْسَهُ»(٣). أعوذُ بالله مِن الشَّيْطانِ الرجيمِ

---

(١) أحمد (٢٢٥٢٣) [انفرد به].
(٢) ابن ماجة (٤١٩٤).
(٣) مسلم (٢٤٦٧٤).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة: ١١٩] اتَّقوا الله بفعلِ أوامرِه، وتَرْكِ نواهيهِ رجاءَ ثوابهِ وخوفَ عِقَابهِ «وكُونُوا مَعَ الصادقينَ» الصادِقينَ مَعَ الله والصادِقينَ مع الخَلْقِ. باركَ الله لِي ولَكُمْ فِي القرآنِ العظيمِ.

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ لله على فضلهِ وإحسانهِ والشكرُ لَهُ على توفيقهِ وامتنانهِ، وأشهدُ أنْ لاَ إله إلاّ اللّهُ وحَدهُ لا شريكَ لَهُ وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلَّى الله عليه وعلىٰ آلهِ وأَصْحابهِ وسلَّم تسليماً كثيراً، أمَّا بعدُ:

عبادَ الله، فَإِنَّ الأعمالَ الصالِحَة دائمةٌ ومستمرةٌ في حياةِ العبدِ لا تنقطعُ إلاَّ بموتهِ قَالَ ﷺ: «إذَا مَاتَ ابْنُ آدم انقطعَ عملُه»[١]. وقَالَ جَلَّ وعَلا لنبيهِ ﷺ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[الحجر: ٩٩] فعملُ المسلمِ متواصِلٌ من حينِ يبلغُ سنَّ التكليفِ إلى أنْ يتوفاهُ الله، وفي مقدِّمةِ الأعمالِ الفرائضُ التي افترضَها الله سُبْحانَهُ وتعالَىٰ وتَجنُّبُ المحرماتِ التي حَرَّمَهَا الله ثمَّ معَ ذَلكَ ما تيسَّرَ مِنَ النوافِلِ فإنَّ النوافلَ تُكَمِّلُ الفرائِضَ إِذَا حَصَلَ فيها نقصٌ يَوْمَ القيامةِ، ولذلِكَ شَرَعَ الله بعدَ كُلِّ فَرِيضةٍ نافلةً من جنسِها فجعلَ بَعْدَ الصلاةِ نافلةً من جنسِها وهِي الرواتبُ، وجَعَلَ بعد الزكاةِ نافلةً من جنسِها وهي صدقاتُ التطوعِ، وجَعَلَ بَعْدَ الصيامِ نافلةً من جنسِه وهي صيامُ ستَّة أيامٍ من شوَّالٍ وصيامُ يومِ الاثنينِ ويومِ الخميسِ من كُلِّ أُسْبوعٍ، وصِيامُ ثلاثةِ أَيامٍ من كُلِّ شَهرٍ، وصِيامُ

---

(١) مسلم (٣٠٨٤)، الترمذي (١٢٩٧)، النسائي (٣٥٩١)، أبو داود (٢٤٩٤)، أحمد (٨٤٨٩)، الدارمي (٥٥٨).

شهرِ الله المحرمِ وآكدهُ العاشِرُ وصيامُ يومٍ قَبْلَه أو يومٍ بعدَهُ ثُمَّ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ زيادةُ رغبةٍ في الصيامِ فَإِنَّه يَصومُ يَوْمَاً ويفطرُ يوماً كَمَا كان صيامُ داودَ عليه الصلاةُ والسلامُ فالله جَعَلَ بعدَ كُلِّ فريضةٍ نافلةً من جنسِها ليتواصلَ عملُ المسلمِ، وجعلَ قيامَ الليلِ أفضلَ ما تَطوَّعَ بهِ العبدُ، قال ﷺ: «**أفضلُ الصلاةِ بعدَ الفريضةِ صَلاةُ الليلِ**»(١) فيقومُ الإنسانُ من الليلِ ما تيسَّر لَهُ، ويختمُ ذَلِكَ بالوترِ ويكونُ مَعَ المستغفرينَ في الأسحارِ الذينَ قَالَ الله فِيهِم: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٨] فلا ينسَى الإنسانُ نَفْسَه لأنَّ بعضَ الناسِ قد يُفرطُ في الفرائضِ دَعْكَ مِنَ النوافِلِ قد يفرطُ في الفرائَضِ، ويتساهلُ فيها وهذا جهلٌ وغرورٌ بالله سُبْحانَهُ وتَعَالَىٰ، وتضييعٌ لحياةِ هذا الإنسانِ المسكينِ، فَعَلىٰ المُسْلمِ أنْ يحافِظَ على طاعةِ الله جلَّ وعَلا فَرْضِها ونَفْلِها وأَنْ يداومَ عليها إلىٰ أَنْ يأتِيهَ الموتُ، ويختمَ له بخاتمةٍ حسنةٍ ولا يفرِّطُ ولا يُضيعُ ولا يُمهلُ ولا يُهملُ بَلْ يكونُ على حَذَرٍ دائماً وعلىٰ صِلَةٍ بربِّه ـ عزَّ وجلَّ ـ دائماً وأبداً وأنْ يكونَ مُلازِمَاً للأعمالِ الصَّالحةِ قَالَ ﷺ: «**أحبُّ الأعمالِ إلى الله أدْومُها وإنْ قلَّ**»(٢) فيداومُ على العملِ الصالحِ لاسيَّما الفرائضُ ـ وهذِهِ لا جِدَالَ فِيها ـ الفرائضُ هي رأسُ المالِ وأما النوافلُ فهي ربْحٌ كَربحِ التجارةِ. قَالَ تَعَالَىٰ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[الصف: ١٠ـ١١] هذهِ هي التجارةُ الرابحةُ مَعَ الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ.

ثم اعلموا عباد الله أنَّ خير الحديثِ كتابُ الله . . . .

---

(١) مسلم (١٩٨٢)، الترمذي (٤٠٢).

(٢) البخاري (٥٩٨٣)، مسلم (١٣٠٥)، أحمد (٢٣١٨٦).

في التحذيرِ مِنَ المعاصِي

الحمدُ لله ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ [غافر: ٣] وأشهدُ أَنْ لاَ إلهَ إلاَّ الله وحدهُ لا شريكَ لَهُ، لَهُ الملكُ وله الحمدُ يُحيِ ويميتُ وهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدَهُ ورسولُه البشيرُ النذيرُ والسراجُ المنيرُ صلَّى الله عليه وعلى آلِهِ وأَصحَابهِ إلى يومِ البَعْثِ والنشورِ وسلَّم تسلِيماً كثيراً أما بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقوا الله تعالَى واحذَروا المعاصِيَ فإنَّ عقوباتِها أليمةٌ وعواقِبَها وخيمةٌ فلها عقوباتٌ في القلوبِ ولها عقوباتٌ في الأرضِ ولها عقوباتٌ في الأبدانِ ولها عقوباتٌ في الدُّنيا والآخرةِ أمّا عقوباتُها في القلوبِ فإنَّها تُعمِي القلوبَ كَما قالَ الله سُبْحانَهُ وتَعَالَى: ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطففين: ١٤] وقالَ الله سُبْحانَهُ وتعالَى: ﴿ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡۚ وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٠٠] وَإِذَا عَمِيَ القلبُ وانطمسَتْ البصيرةُ فلاَ فَائِدةَ مِنَ الحياةِ، لأنَّ صاحِبَ القلبِ المطموسِ يكونُ أحطَّ من البهائِم، ويَعيشُ عيشةً لا خيرَ لَهُ فيها وهذِه أشدُّ العقوبات، وأمَّا عقوباتُها في الأرض فإنَّها تُفسِدُ الأرضَ قَالَ تَعالَىٰ: ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ﴾ [الأعراف: ٨٥] إفسادُها في الأرضِ أَنَّها تغيرُ الجوِّ، وتغيرُ البيئةَ، وتغيُّرُ النباتاتِ والأشجارَ والثمارَ والأنهارَ قالَ سُبحانَهُ وتعالَى: ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ

يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١] فما يصيبُ الثمارَ وما يصيبُ الأرضَ مِنْ نزع البَرْكةِ، وما يصيبُ الأموالَ امن التلفِ والكوارث والآفات التي تتلِفُها، كُلُّ ذلك بسببِ الذنوب، ما هلَكَ مالٌ في برٍّ ولا بحرٍ إلاَّ بسببِ الذنوبِ ومَنْعِ الزكاةِ، وأمَّا تأثيرُها في الأبدانِ فهي تورثُ الآفاتِ الكثيرةَ والهَلاكَ والدمارَ فما الَّذي أخرجَ الأبوينِ من الجنةِ إلا ذنبٌ واحدٌ، وما الَّذي أهبطَ إبليسَ وطردَهُ من الملكوتِ الأعلى وجعلَهُ شرِيداً طَريداً ملعُوناً قوَّاداً إلى كلِّ شرٍّ إلاَّ بسببِ المعصيةِ، وما الَّذي أهَلَكَ قومَ نوحٍ بالغَرقِ والطوفانِ حتى عَلاَ الماءُ على رؤوسِ الجبالِ فَصارتْ أبدانُهم إلى الغرقِ وأرواحُهم إلى الحرْقِ ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [نوح: ٢٥] ومَا الَّذي أَهْلَكَ قومَ عادٍ الَّذِينَ هُمْ أقوى أَهْلُ الأرضِ أبداناً حَتىٰ قَالُوا ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [فصلت: ١٥] فأرسلَ اللهُ عليهِم ريحاً صَرْصَراً عَاتيةً في أيامٍ نَحِسَاتٍ فصارَتْ تنتزِعُهم من الأرضِ ثم تُنَكِّسُهم على رؤوسِهم، فتدقُّ أعناقَهُم ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القمر: ٢٠] إلاَّ الذُّنوبَ والمعاصِي، وما الَّذي أهلكَ قومَ ثمودَ الطاغينَ بالصيحةِ الواحدةِ صَيحة واحدة صاحَها جبريلُ ـ عليه السلامُ ـ بالصاعقةِ قَطَّعَتْ قلوبَهُم في أجوافهم فصارُوا كَهشِيمِ المحتظرِ ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴾ [القمر: ٣١] وما الَّذي أهَلَكَ قومَ شُعيبٍ بيومِ الظُّلَّةِ فأمطرَهُم ناراً تلظَّى حتى أهلكَهُم عن آخرِهم، ما الذِي أهلكَ قومَ لوطٍ بالخَسْفِ وجَعَلَ ديارَهُم عالِيها سافِلَها ثم أمطرَ عليهِم حجارةً من سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ. كُلُّ ذَلِكَ بسببِ الذنوبِ والمعاصِي وما الذِي نراهُ الآن ونَسْمعُه عنِ الأممِ المجاورةِ من النكباتِ في أموالِهم وتجارتِهم

وزروعِهم وحروثِهم، والذي نسمعُه مِنْ قتلِهم وتشريدِهم وإخراجِهم مِنْ ديارِهم وسَلْبِ أموالِهمْ وقتلِ رِجَالِهم والعبثِ بنسائِهم وأطفالِهم إلاَّ الذنوبُ والمعاصِي والكفرُ باللّهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ قالَ الله جَلَّ وعَلاَ ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المرسلات: ١٦ ـ ١٩] فعلينَا ـ يا عبادَ الله ـ أنْ نعتبرَ ونتعِظَ، وأنْ نتوبَ إلى الله وأنْ نأمرَ بالمعروفِ، وننهَى عنِ المنكرِ وأنْ نأخذَ على أيدي سُفهائِنا قبلَ أنْ يحلَّ بِنَا ما حلَّ بغيرِنا من الأمَمِ السابقةِ والأممِ اللاحقةِ فإنَّ الله سبحانَه وتعالَى يُمهلُ لكنه لا يُهملُ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [هود: ١٠٢] ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الحج: ٤٨] فَعلينَا أن نبادِرَ بالتوبةِ، وأنْ نتواصَى بالحَقِّ، وأنْ نأمرَ بالمعروفِ، وننهى عن المنكرِ، وأن نأخُذَ على أيدِي سُفهائِنا، وأن نقوُمَ على أهلِ بيوتِنا وأولادِنا ونسائِنا فنكفَّهم عَنْ معصيةِ الله سبحانَهُ، ونأمُرَهُمْ بطاعةِ الله حتى ننجوَ مِمَّا أصابَ غيرنَا فإنَّ السيعدَ مَنْ وَعِظَ بغيرِه، هذه عقوباتٌ في الدُّنيا وعقوباتُ الآخرةِ أشدُّ نسألُ الله العافيةَ ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف: ٢٩] فعقوباتُ الآخرةِ أشدُّ ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [طه: ١٢٧] نسألُ الله العافيةَ والسلامَ، فاتقُوا اللّهِ عباد اللهِ، وبادِرُوا بالتوبةِ وبَادِرُوا بالأخذِ على أيدِي مَنْ ولاَّكُم اللهُ عليهم وتآمَرُوا بالمعروفِ، تناهَوْا عَنِ المنكرِ، تَنَاصَحُوُا باللهِ، تعاونُوا على البرِّ والتّقوى قبلَ أنْ ينزلَ بكُم مِنْ أمرِ اللهِ مَا لاَ تستطيعونَ لَهُ رَدًّا.

باركَ الله لِي ولَكُمْ في القرآنِ العظيمِ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ربِّ العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضَىٰ، وكما ينبغِي لكرَمِ وجْهِهِ وعزِّ جلالِهِ، وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ في ربوبيَّتِهِ وألوهيتهِ وأسمائِهِ وصِفَاتِه، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلَّى الله عليه وعلى آلِهِ وأَصْحَابِهِ وسلَّم تسلَيماً كثيراً. أمّا بعْدُ:

أيُّها الناسُ، اتقُوا الله تعالَى واعلمُوا أنَّ المعَاصِي تتفاوتُ فمنها ما يُخرجُ مِنَ الدِّين، ويَجعلُ صَاحِبَها كافراً مُرْتدّاً عَنْ الدينِ الإسلام كالشركِ باللّهِ والكُفرِ بالله وارتكابِ نواقضِ الإسلام فهذا إِذَا مَاتَ على هذِهِ الحالَةِ فإنَّه خالدٌ مخلَّدٌاً النَّار لا طمعَ لَهُ في رحمةِ الله ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾[المائدة: ٧٢] وقَالَ النبيُّ ﷺ: «مَنْ مَاتَ لا يُشركُ باللهِ شيئاً دَخَلَ الجنةَ ومَنْ مَاتَ يُشْركُ باللهِ شيئاً دخلَ النارَ»[(١)]، ومِنَ المعاصِي مَا هُوَ كبائرٌ دونَ الشركِ لا يُخرجُ من الملَّةِ ولكنَّه يُنقِصُ الدِّينَ نقصاً ظاهراً، ويَفْسُقُ صاحِبها، وهذا إذا لَمْ يتُبْ صاحِبُها منها فإنَّهُ تحتَ مشيئةِ اللّهِ، إِذَا مَاتَ على ذلِكَ ولَمْ يَتُبْ في حياتِه قَبْلَ موتِه، وَوَاجَهَ رَبَّهُ بهذِهِ الكبائرِ فإنَّه تحتَ مَشيئةِ الله إنْ شَاءَ الله غَفَر لَهُ وإنْ شاءَ عذَّبه في جَهَنَّم، ومن الذنوبِ ما هو صَغَائرٌ دُونَ الكبائرِ تُكَفَّر بالتوبةِ أو تكفَّرُ بالحسناتِ والطاعاتِ قَالَ الله ـ جلَّ وعلا ـ ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ

---

(١) مسلم (١٥٣)، أحمد (١٤٦٦٧).

لِلذَّٰكِرِينَ ﴾[هود: ١١٤] ، قَالَ صلَّى الله عليهِ وسلَّم: «وأتبع السيئةَ الحَسَنَةَ تمحُها»[1] وقَالَ عليه الصلاةُ والسَّلامُ: «الصلواتُ الخَمْسُ والجُمعةُ إلىٰ الجمعةِ ورَمضانُ إلىٰ رمضانَ كَفَّارةٌ لما بينهُنَّ ما اجتُنِبَتِ الكبائرُ» [2] فعلينا جميعاً أنْ نحاسِبَ أنفسَنَا، وأنْ نتوبَ مِنْ ذنوبِنا كَبائِرِها وصَغائِرِها وأنْ نُصفيْ حِسابَنا في هذِهِ الدُّنيا قَبْلَ أنْ نلقَى الله سحبانَه وتعالىٰ فَإنَّ الله أعطانَا مُهلةً لننظُرَ في أعمالِنا، فنتوبَ مِنْ سيئِها، ونتزوّدَ من صَالِحِها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ [الحشر: ١٨] قالَ أميرُ المؤمنينَ عُمَرُ بن الخطابِ رَضِيَ الله عنه: أيُّها الناسُ حَاسِبُوا أنْفُسَكم قبلَ أنْ تحاسَبوا وزِنُوها قبلَ أنْ توزنُوا وتأهَّبُوا للعَرْضِ الأكْبرِ على الله ﴿ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ١٨ ﴾[الحاقة: ١٨] . فاتقوُا الله عبادَ اللّهِ، وبادِروُا بأنفسكُم قبلَ فواتِ الأوانِ، وتُوبوا إلى اللّهِ فإنَّ الله يَقبلُ التوبةَ عن عبَادِه يبسُطُ يَدَهُ بالليلِ ليتوبَ مُسيءُ النهارِ ويبسطُ يَدهُ بالنهارِ ليتوبَ مُسيءُ الليلِ ينزلُ كُلَّ ليلة سُبحانَه وتعالَى ينزلُ كُلَّ ليلةٍ إلى سَماءِ الدُّنيا حِيْنَ يبقَىٰ ثُلثُ الليلِ الآخيرِ فيقولُ: هَلْ مِنْ سَائلٍ فأُعطِهِ؟ هَلْ من مستغفرٍ فأغفرُ لَهُ؟ هَلْ مِن تائبٍ فأتوبُ عليه؟ الله جلَّ وَعَلاَ يَقولُ: ﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧ـ ١٨] قالَ سُبْحانَهُ: ﴿ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧] فلنبادِرْ بالتوبةِ والاستغفارِ بصدقٍ وإخلاصٍ لله عزَّ جلَّ فإنَّ التوبةَ الصادقةَ لاَ يبقَّى مَعها ذَنْبٌ لمَنْ وفقهُ اللّهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ ولكنَّ التوبةَ لها وقتٌ محددٌ إذا انتهىٰ فَلا تقبلُ وذلِكَ حِيْنَ تبلغُ الروحُ الحلقومَ، وتحصل الغَرغرةُ بالموتِ فحينئذٍ لا يُقبلُ مِنْ

---

(١) الترمذي (١٩١٠)، أحمد (٢٠٣٩٢)، الدارمي (٢٦٧١).

(٢) أحمد (٨٨٣٠)، مسلم (٣٤٢)، الترمذي (١٩٨)، ابن ماجة (١٠٧٦).

تائبٍ توبةٌ وإذا طلعتِ الشمسُ مِنْ مغربِها فَلَنْ يُقبلَ من تائبٍ توبةٌ، فعلينَا أنْ نبادرَ بالتوبةِ قبلَ الفواتِ.

واعلمُوا عبادَ الله أَنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله.

* * *

في المحافظةُ علىٰ الصّلواتِ

الحمدُ لله ربِّ العَالمِينَ، جَعَل الصَّلاَةَ كتاباً مَوقُوتاً علىٰ المُؤمنينَ، وأَشهدُ أنَّ لاَ إلٰه إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ إلٰه الأولينَ والآخِرينَ، وأشهدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدُه ورسولُه جِعلَت قُرَّة عينِهِ في الصَّلاَة صلىٰ اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وأصحَابِهِ ومَن تَبِعَهُم بإحسانٍ وسلَّم تَسليماً كثِيراً إلىٰ يوم الدِّين، أمَّا بعدُ:

أيُّها المُسلِمونَ، اتَّقوا اللهَ سُبحَانَهُ وتعالىٰ فِي أُمورِ دِينكُم عَامةً، وَفِي صَلاتِكم خَاصةً فإنَّ الصَّلاةَ هِي أوَلُ مَا يُحاسَبُ عنهُ العبدُ يومَ القيامةِ من أعمالهِ فإن قُبِلَتْ قُبل سائرُ أعماله، وإن رُدَّتْ رُدَّ سائرُ أعمالهِ وممَّا يدلُّ علىٰ عَظمةِ الصلاةِ أنَّ اللهَ سُبحَانَهُ وتعالىٰ جَعلهَا هِي الرُّكنُ الثَانِي مِن أركَانِ الإسلامِ بعدَ الشهادَتِينِ ومِمَّا يَدلُّ عَلىٰ مَكانَتِهَا عِندَ اللهِ أنَّ اللهَ افترَضَهَا عَلىٰ عبدِه ورَسولِه مُحمَّد ﷺ ليلةَ المِعراجِ مِنْ فوقِ سَبْعِ سمواتٍ بدونِ واسطةٍ بينهُ وبينَ الله، وكانت سائرُ الشرائعُ تنزلُ علىٰ الرسولِ ﷺ في الأرضِ بِواسطةِ جبريلُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ. فَقد فُرِضَتْ علىٰ النبيِّ ﷺ قبلَ الهِجرةَ وصلاَّها فِي مَكَّةَ وأمَّا بَقيَّة شرَائِعِ الدِّين فإنَّما فُرِضَتْ عَلىٰ النبيِّ ﷺ بعدَ الهِجرةِ مِمَّا يَدلُّ علىٰ أهميَّة هَذِهِ الصلاةِ عِندَ اللهَ سُبحَانَهُ وتعالىٰ، وَقَدْ فرضهَا أوَلُ ما فَرَضهَا عَلىٰ الرَّسولِ ﷺ خمسينَ صلاةً في اليومِ واللَّيلةِ فأشَارَ موسىٰ عليه الصلاةُ والسلام على نبينَا محمَّد ﷺ أن يُراجِعَ ربَّه في أن يخفِّفَ عن أمتهِ فمازالَ ﷺ يُرَاجعَ ربَّهُ حتىٰ صَارَتْ خمس صلواتٍ في اليوم والليلةِ، ولكنَّهَا تعادلُ خمسين صلاةً لأنَّ الحسنةَ بعشرِ أمثَالِهَا قالَ اللهُ جل وعلاَ «أمضيتُ فريضَتي وخففتُ عن

عبادِي»(١). فاستقرتْ هذهِ الصلاةُ خمسَ صَلواتٍ فِي اليومِ والليلةِ وهِيَ فَرضُ عَينٌ عَلَىٰ كلِّ مُسلِمٍ ومُسلِمَةٍ، فَمَن تَرَكَهَا جَاحِداً لوجوبِهَا فإنَّه كافِرٌ بإجماعِ المسلمينَ يجبُ استتابَتِهِ فإنْ تَابَ وإلاَّ فَإنَّهُ يُقْتَل مُرْتَداً، وكذَلِكَ من تركهَا مُتكاسِلاً مِعَ إقرارِهِ بوجوبِهَا فإنَّه يكفرُ الكُفْر الأكبَرَ ويرتدُّ عنِ دينِ الإسلام علىٰ القولِ الصحيحِ مِن قولِ العُلَمَاء بِدَليلِ قولِ النبيِّ ﷺ: «**إنَّ بينَ العبدِ وبينَ الكُفْر أو الشِّركِ تَركُ الصَّلاَة**»(٢). رواهُ مُسلِمٌ، وَرَوىٰ أصحابُ السُنَنِ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «العَهدُ الذِي بَينَنَا وبَينَهُم الصَّلاة فَمَن تَرَكَهَا فَقدْ كَفَرَ»(٣) واللهُ جلَّ وَعلاَ أَخبرَ أنَّ أهْلَ النَّارِ إذا سُئِلوا يوم القيامةِ ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المدثر: ٤٢، ٤٣]، فذكرُوا السبب الأوَّلَ الذي أوردَهم سقَرَ وهو تركُ الصلاةِ وأخبر أنهمْ لاَ تنفعهُم شَفاعةُ الشافعينَ، فدَلَّ على كُفْرِ تاركِ الصلاةِ لأنَّ المسلمَ تَنفعُهُ شفاعةُ الشافعينَ بإذنِ اللهِ عزَّ وجلَّ أمَّا الكَافِرُ فإنَّه لاَ تُقبل فيهِ الشَّفَاعة ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ [غافر: ١٨] واللهُ جلَّ وعلاَ أمرَ بإقَامةِ الصَّلاةِ والإقامَة تَعني إقَامَتَها بالظاهرِ وإقَامَتَها بِالباطِنِ، أمَّا إقَامتُها فِي الظَّاهِرِ فهوَ الإتيانُ بِهَا قائِمةً عَلىٰ شُروطِهَا وأركانِهَا وَوَاجِبَاتِهَا وسنَنِهَا بجميعِ أحكامِهَا معَ الاستطاعةِ، وأمَّا إقَامَتُها في البَاطِنِ فَهِي الخشوعُ والإقبالُ علىٰ اللهُ سُبحَانَهُ وتَعالىٰ في أثناءِ أدَاءِ الصَّلاة فيؤدِّي الصلاةَ وهوَ خاشِعٌ بينَ يدي ربِّه مُقْبِلٌ عليهِ قالَ اللهُ جلَّ وعلاَ ﴿ قَدْ

---

(١) البخاري (٢٩٦٨)، النسائي (٤٤٤)، أحمد (١٧١٦٤).
(٢) أحمد (١٤٤٥١)، الدارمي (١٢٠٥)، الترمذي (٢٥٤٤)، أبو داود (٤٠٥٨).
(٣) النسائي (٤٥٩)، الترمذي (٢٥٤٥)، ابن ماجة (١٠٦٩)، أحمد (٢١٨٥٩).

أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢] قال سبحانه ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [البقرة: ٤٥ ـ ٤٦]، والخشوعُ هوَ سُكون الجوارِحِ عنِ الحَرَكَةِ، وسكونُ القَلْبِ وإقبالِه على اللهِ سبحانهُ وتعالىٰ، ولمَّا كَانَ رجلٌ يكثر الحرَكَةِ فِي صَلاتِه قال النبيِّ ﷺ أو قالَ الذي رآهُ مِن الصَحَابَة: «لو خَشَعَ قلبُ هذا لَسَكَنَتْ جَوارِحُه»[١] فَعَلامَة خُشوعِ القلبِ بسكونُ الجوارحِ وكثرةُ الحَرَكَةُ فِي الصَلاةِ تدلُّ على عدم خشوعِ القَلبِ، فَلَابُدَّ مِنَ إقَامَةِ الصَّلَاة ظَاهِراً وبَاطِناً، حتىٰ تَكُونَ صلاةً مقبولةً عندَ اللهِ سُبحَانَهُ وتَعالىٰ، وأَمَّا أركَانُها فأعظمُهَا الطُمأنِينَةُ فيهَا، بِحيثُ يؤدِّيهَا عَلىٰ تُؤدةٍ وسكينةٍ ولا ينقرُهَا نَقراً ويُسرِعُ فيها، فَقَد جَاءَ رجلٌ والنبيُّ ﷺ جالسٌ في المَسجدِ فَصلىٰ ثُمَّ جاءَ وسلَم علَىٰ النبيِّ ﷺ فَردَّ عَليهِ السَّلامَ ثُمَ قَالَ لَهُ: صلِّ فإنَّكَ لَمْ تصلِّ فَذهبَ وَصلىٰ مرةً ثانيةً فجاءَ وسَلَّمَ عَلىٰ النبيِّ ﷺ فرَدَّ عليه السلامَ وقالَ لهُ: صلِّ فإنَّكَ لَمْ تَصِلِّ فذهبَ الرَجلُ فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ وسلَّمَ علىٰ النبي ﷺ للمرةِ الثالثةِ فَرَدَّ عَليهِ السلامَ وَقَالَ لَهُ: صلِّ فإنَّك لَمْ تُصلِّ، فَقَالَ الرَّجلُ: والذي بَعَثَكَ بالحقِّ نَبياً لاَ أُحسنُ غيرَ هَذَا فعلِّمني. قَالَ: إذَا قُمتَ إلىٰ الصلاةِ فَاسْتَقبِل القِبلَة وكبِّرْ ثُم اقرَأْ ما تَيسَّرَ مَعكَ مِنَ القُرآن ثُمَ اركعْ حَتىٰ تَطمئِنَ رَاكِعاً ثُمَ ارفع حَتىٰ تَعتدِلَ قَائِماً ثمَ اسجُدْ حَتىٰ تَطمئِنَ سَاجِداً ثُمَ ارفعْ حَتىٰ تَطمئِنَ جَالِساً ثُمَ اسجُد حتىٰ تَطمئِنَ سَاجِداً ثم افعل ذَلِكَ في صَلاتِكَ كُلهَا»[٢].

فدلَّ علىٰ أنَّ الذي لاَ يَطمئنُ فِي صَلاتِه أنَّهُ لَمْ يصلِّ وأنَّ صَلاتَهُ غيرُ صحيحةِ

---

(١) سنن البيهقي الكبرى ج٢/ ٢٨٥، الدر المنثور ج٦ ص ٨٥، البيان والتعريف ج٢ ص ١٦٩.

(٢) الترمذي ٢٧٨، النسائي ١٠٤٣، أبو داود ٧٣٠، أحمد ١٨٢٢٥.

فيَجِبُ عَلىٰ المُسلِم أن يَطمئِنَ في صَلاَتِهِ. وأمَّا شُروطهَا فَأعظَمهَا إكمَالُ الطهَارَة مِن الحَدَثِ ومن النجَاسَة قَالَ اللهُ تَعالىٰ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ﴾ [المائدة: ٦]، فدَلَّ على أنه لا بُدَّ من الطهارةِ فِي الصَّلاةِ مِنَ الحَدثَينِ الأكبرِ والأصغرِ، الأكبرِ بالاغتسالِ مِن الجَنَابَة والحيضِ أوْ النِّفَاس بعدَ انقطَاعِهمَا، والأصغر بالوضوءِ لاَ بُدَّ مِن هَذَا وأنَّ الأصلَ هُوَ استعمالُ الماءِ لِمَن وجدَهُ وقدرَ عَلىٰ استعمالِهِ أمْ مَنْ لَمْ يَجدهُ أَو وَجَدَهُ ولكنَّه لا يقدرُ عَلىٰ استعمالِهِ فَإنَّه يتيممُ بِالتّرَابِ الطَّاهِرِ فَيضربُ عليهِ بيديهِ ضَرْبَةً وَاحِدَةً ويمسحُ وَجهَهُ بِبَاطِنِ أَصَابِعِهِ وَكفَّيهِ بِرَاحَتِيهِ، وكَذَلِكَ الطَّهَارةُ مِن النَّجَاسَة فِي البَدنِ وفِي الثَّوبِ وفِي البُقْعَةِ فيكونُ بَدنُه طَاهراً من النجَاسَة ويَكونُ ثَوبُهُ طَاهراً من النجاسَة وتَكُونُ البُقعةُ التي يصلِّي عليهَا طَاهِرةً مِن النجاسةِ فإنْ صَلَّىٰ وهُوَ مُتلبسٌ بِالنَّجَاسةِ في ثَوبِهِ أو فِي بَدَنِه أو صلَّى في بُقعةٍ نجسَةٍ وهو يقدرُ علىٰ إزالةِ النَجَاسةِ فإنَّه لا تصحُ صلاتِهِ ولِقولِهِ تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤﴾ [المدثر: ٤]. وكَذلِكَ مِنْ شُروطِ صِحَّةِ الصَّلاةِ سَترُ العَوْرَةِ قَالَ اللهُ جلَّ وَعَلاَ ﴿۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف: ٣١] وأخذُ الزينةِ عِندَ المَسجدِ أي عِندَ الصَلاة فَالمُرادُ بِالمسجدِ هُنَا الصَلاةُ أي استرُوا عَوَرَاتِكُم عِندَ كُلِّ صَلاةٍ وأجمعَ العَلماءُ علىٰ فَسادِ صَلاةِ مَن صلَّىٰ عُرياناً وَهوَ يَقدِرُ علىٰ سَترِ عَورتِهِ فَيسترَهَا بِمَا يُوارِيها ﴿قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾ [الأعراف: ٢٦] بِمَا يَوارِيهَا بِحيثِ لاَ يُرَى لَونُ الجلدِ مِن وراءِ الساترِ فَلاَبُدَّ مَن

هَذَا، وِمن شُروطِ صِحة الصَلاةِ استقبالُ القِبلةِ قالَ اللهُ جلَّ وعَلاَ ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٥٠] فلابُدَّ مَن استقبالِ القَبلَةِ وهِيَ الكعبةُ المُشَرَفةُ فِي الصَلاةِ أينمَا كَانَ الإنسانُ في المَشرِقِ أو المَغربِ فَلاَ تَصحُّ الصَلاةُ بِدونِ استقبالِ القبلةِ أي لاَ تَصِحُّ صلاةُ الفَريضةِ بدونِ استقبالِ القِبلَة مَعَ القُدرَة عَلَىَ ذَلِكَ ومَن كَانَ يَرىٰ الكَعبةَ فإنَّه لابُدَّ مِن استقبالِ عَينِهَا وَمَن كَانَ لاَ يَرَاهَا فَإنَّهُ يَستقبِلُ الجِهَة التي فِيهَا الكَعبةُ قالَ ﷺ: «مَا بَينَ المَشرِقِ والمَغرِب قبلةٌ»[1] فيَستقبِلُ الجهَةُ التي فِيهَا الكَعبةُ ويُستدلُّ عَليهَا فِي البَحرِ بِالعَلامَات الظَاهِرة التي تَدلُّ عَلىٰ جِهَة القِبلة بِالشمسِ والقمرِ والنجومِ وسؤالِ أهلِ الخِبرَةِ عَن جِهَة القِبلَة ثُمَ يصلِّي فإنْ لَمْ يستطِعْ وَلمْ يَجدُ مَن يَدُلُّه علىٰ القِبلَة وَهوَ لاَ يَعرفُ العَلامَات فَإنَّهُ يَجتهدُ حَسْبَ استطاعتِهِ ويُصَلِي قالَ اللهُ سُبحَانَهُ وتعالىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ ﴾ [البقرة: ١١٥] فَلاَ يَتركُ الصَلاة وإنَّمَا يُصَلي بِحَسبِ استطَاعَتِهِ، وفِي البَلدِ يَعرفُ القِبلةَ بالمَحَاريبِ التي فِي المَسَاجِدِ أَو بِسؤالِ المُسلِمينَ مِن أهلِ البَلدِ، ومِن شُروطِ صِحَّةِ الصَّلاةِ النيَّة لِقَولِه ﷺ «إنَّمَا الأعمَالُ بِالنياتِ وإنَّمَا لِكلِّ امريءِ مَا نَوىٰ»[2] فَلاَ تَصِحُ الصَلاةُ وَلاَ تَصحُ سَائِرُ الأعمَالِ إلاَّ بِالنيَّةِ وهِي القصدُ فِي القَلبِ ويُخلِصُ نيتهُ للهِ عَزَّ وَجلَّ، ولاَ يتلفظُ ويَقُولُ: نَويتُ أنْ أُصلِّي لأنَّ هَذَا بدعةٌ «وكلُ بِدعةٍ ضلالةٌ»[3] هذِهِ أهم شروطِ الصَلاةِ، فَعلىٰ المُسلمِ أنْ يتَعَلمَ أحكَامَ صلاتِه وهُنَاكَ رَسائلُ مُختصرةٌ يسيرةٌ يَقتني المُسلمُ مِنهَا مَا يَتيسرُ لَهُ

---

(١) الترمذي (٣١٣)، ابن ماجة (١٠٠١).

(٢) البخاري (١)، أبو داود (١٨٨٢)، ابن ماجة (٤٢١٧).

(٣) مسلم (١٤٣٥)، النسائي، الدارمي (٢٠٨)، ابن ماجة (٤٤)، أحمد (١٣٨١٥).

ويقرأ ويسألُ عَمَّا أُشكِلَ عَليهِ حَتىٰ يؤديَ صلاتَه علىٰ الوجهِ المَطلوبِ، هُناكَ رَسَائلُ مختصرةٌ فِي أحكَامِ الصَّلاَة وهِي مُتداولةٌ فعلىٰ المُسلِمِ أنْ يَقرأَ هَذِهِ الرسَائِلَ، وأنْ يتفهَّمَهَا جَيداً وأنْ يُؤديَ صَلاتَهُ علىٰ الوجهِ المشروعِ. نَسألُ اللهَ عزَّ وجَلَّ أنْ يجعلنَا وإيَّاكُمْ مِن المُقيمينَ للصَّلاةِ المُحَافِظينَ عَليها. أعوذُ باللهِ منَ الشيطانِ الرجيمِ ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [البقرة: ٤٥ـ٤٦].

بارَكَ اللهُ لِي ولَكُمْ فِي القُرآنِ العَظيمِ . . .

الخطبةُ الثَانيةُ

الحمدُ للهِ عَلىٰ فَضلِهِ وإحسانِهِ، وأشكرُهُ عَلىٰ تَوفِيقِه وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لاَ إلَه إلاَّ الله وحدَهُ لاَ شَرِيك لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدُه ورَسولُه صلَّىٰ اللهُ عليهِ وَعلىٰ آلِهِ وأصحَابِهِ وسلَّم تسلِيماً كثيراً، أمَا بَعدُ:

أيُّهَا النَاسُ، اتقُوا اللهَ تَعالَىٰ، واعلمُوا أنَّ من أهمِّ شُروطِ الصَلاةِ أنْ تؤدَّى فِي وقتِهَا الذي شَرعَهَا اللهُ جلَّ وعلاَ فيهِ ولاَ يُخرجَها المُسلِمُ عنْ وقتِهاَ إلاَّ لِعذرٍ شَرعيٍّ، فَمَن أخرجَ الصَلاة عَن وَقتِهَا مِن غيرِ عُذرٍ شَرعيٍّ فَإنَّه يَكونُ مُضيعاً للصَلاةِ وَقد قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلاَ ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ [مريم: ٥٩ ـ ٦٠]، وَقَال سبحانه وتعالى ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الماعون: ٤ـ٥] «ويلٌ للمُصلينَ» هذا وعيدٌ شديدٌ سمَّاهم مصلِّين وتوعدهم بالويلِ لِماذَا؟ لأنَّهم عن صلاتهمْ ساهُونَ. ومَعنَى ذلكَ أنَّهم يؤخِّرونها عن أوقاتِهَا مِن غَيرِ عُذرٍ

شرعيٍّ، واللهُ لاَ يقبلُ الصلاةَ إذا أُخرجَتْ عَن وَقتِهَا لأنَّ هذَا المصلي لَمْ يُصلِّ كَمَا أمرَهُ الله جلَّ وَعَلاَ، واللهُ لاَ يقبلُ مِنَ العِبَادَاتِ إلاَّ مَا شَرَعَه، واللهُ لَمْ يشرعِ الصلاةَ في غير وقتها كمَا أنَّهُ لا يقبلُ الحجَّ فِي غير وقتِه فكذَلِكَ لا يقبلُ الصلاةَ في غيرِ وقتها فَمنْ أخرجَهَا عَن وَقتِهَا مِن غيرِ عذرٍ شرعيٍّ، وَصلاَّهَا خَارجَ الوَقتِ فإنَّه لمْ يصلِّ ولا تُقبلُ له صلاةٌ وهوَ متوعَّدٌ بهذَا الوَعيدِ الشديدِ حتىٰ يتوبَ إلىٰ اللهِ سُبحَانَه وتَعالىٰ، ويُؤدِّي الصلاةَ في مواقِيتِهَا، وكذلِكَ لابُدَّ لِلصَلاةِ أنْ تُؤدَّى مَعَ الجَمَاعَةِ فِي مَساجِد المُسلِمينَ وَمَعَ المُسلِمينَ قَالَ اللهُ سبحَانَهُ وتَعَالَىٰ فِي المَسَاجِدِ ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النُّور : ٣٦ ـ ٣٧] قالَ بَعضُ السَلفِ : إنَّهُم كَانُوا يَبيعُونَ ويَشترونَ فإذَا سَمِعُوا المُنَادِي إلىٰ الصلاةِ والميزانِ فِي يدي أحَدِهِم خَفَضهُ وأَقبَلَ عَلىٰ صلاتِه، هَكَذَا كانَت حالةُ السَّلف الصالحِ مَا كَانُوا يَتخلَّفون عن صَلاةِ الجَماعةِ والذهَابِ إلىٰ المَسَاجِدِ بَل يَتركُونَ أعمَالَهم وَيتركُونَ بَيعَهُم وشراءَهُمْ، ويَذهبُونَ لأدَاءِ فَرِيضَةِ اللهِ ثُمَ يَعُودُونَ لمُزَاولَةِ البيعِ والشرَاءِ فَيجمعُون بينَ خَيري الدُّنيَا والآخِرَةَ، ولاَ يَتخَلَّف عن الصلاةِ مَعَ الجَمَاعةِ من غَيرِ عُذْرٍ إلاَّ مُنَافِقٌ مَعلومُ النِفاقِ. قالَ عبدُالله بنُ مَسعودٍ رَضي اللهُ تَعالىٰ عَنهُ: ولَقَدْ رأيتُنا ومَا يتخلَّف عنهَا إلاَّ مُنَافِقٌ معلومُ النفاقِ، ولقَدْ كَانَ الرجلُ يؤتىٰ به يُهادي بينَ الرَجُلَينِ حَتىٰ يُقام فِي الصفِّ، وَقَدْ قَالَ النبيُّ ﷺ: «إنَّ أثقَلَ صلاةٍ علىٰ المُنَافِقينَ صَلاةُ العِشَاءِ وَصلاَةُ الفَجرِ، ولوْ يَعلَمُونَ مَا فِيهمَا لأتوهُمَا ولو حَبْواً، ولقد هَممتُ أن آمُر بالصَلاةِ فتقامَ ثُمَ آمُر رَجُلاً يؤمُّ النَاسَ ثُمَ أخَالِفَ إلىٰ قومٍ لاَ يَشهدُون الصَلاةَ فَأوقِدَ عَلِيهِم فـي بُيوتَهـم

بالنَّارِ»[١] فمَا عُذرُ هَذَا الرَّجُلِ الذي يَسمعُ النِّدَاء، وَلاَ يحضُرُ للصَلاةِ، ولاَ يجيبُ دَاعي اللهِ؟ فيَستَمِرُ فِي نومِهِ أو عَلىٰ لَهوِهِ ولعبِهِ أو عَلىٰ بَيعِهِ وشرَائِهِ أوْ عَلىٰ وظِيفَتِه، ويعصي أمْرَ ربِّه سبحانَهُ وتعالىٰ، ولاَ يَستجيبُ لندائِهِ. قالَ سُبحانَهُ وتعالىٰ: ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [القلم: ٤٣ـ ٤٤] يُدْعَونَ إلىٰ الصلاةِ وَهُم سَالِمُون ليْسَ فِيهِمْ آفَةٌ فلاَ يُجيبون الداعِيَ ولا يَحضُرونَ للصَلاةِ فِي المَسَاجِدِ فاللهُ جل وَعلاَ توَعَّدَهُمْ بِأنَّه سَيعذِّبهم أشدَّ العذابِ، حيثُ سَمِعُوا النِّدَاء ولَمْ يُجيبوا داعي اللهِ عزَّ وجلَّ، فإنَّه إذَا كَانَ يومُ القيامَةِ ورأىٰ المُسلِمُونَ ربَّهم عزَّ وجلَّ في صورتِهِ سبحَانَه وتعالىٰ التي يَعرفونهُ بِهَا فإِنَّهم يَسجدُونَ لَهُ ويريدُ المُنَافِقُونَ الذينَ مع المُسلِمينَ أن يسجدوا فلاَ يستطيعونَ لأنَّها تَتصلَّبُ ظُهورُهم والعِياذُ بِاللهِ فلاَ يستطيعونَ السُّجودَ، لأنَّهُم كَانُوا فِي الدُّنيَا يُدعوَنَ إلىٰ الصلاةِ فلاَ يُجيبُونَ وهُمْ سَالِمُونَ فتَتَصلَّبُ ظُهورُهمْ ولاَ يَستطِيعُونَ السُجودَ مَعَ المُسلِمينَ إذَا رأوا رَبَّهم فضيحةً لهم، نسألُ اللهَ العافيةَ. فالواجبُ عَلىٰ المُسلِمِ أنْ يخافَ اللهَ وأنْ يُحافِظَ علىٰ صَلاتِه مَا دَامَ عَلىٰ قَيْد الحياة. قالَ عِيسىٰ عَليهِ السَلام ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم: ٣١] وهِيَ وصيةُ النبيِّ ﷺ فِي آخِرِ لحظةٍ مِن حَيَاتِه في سِياق الموتِ يقولُ ﷺ: **«عبادَ اللهِ الصلاةَ، الصلاةَ ومَا مَلكَتْ أيمَانُكُم فمَا زال يُكررها الصلاةَ الصلاةَ»**[٢] حتىٰ ثقُلَ بِهَا لِسانُهُ فَلمْ يَستَطِعْ النُطقَ، مِمَّا يَدُلُ عَلىٰ أنْ هَذِهِ الصَلاَةَ أَمْرُهَا عَظِيمٌ ومِيزانُها ثَقِيلٌ عِندَ الله سُبحَانَهُ وتعالىٰ، وقالَ عَليهِ الصَلاةُ والسَلامُ: **«أولُ مَا تَفقِدُون مِنْ دينِكُم الأمَانَةُ وآخِرُ مَا**

---

(١) مسلم (١٠٤١)، البخاري (٦١٧).

(٢) أبو داود (٤٤٨٩)، ابن ماجة (٢٦٨٩)، أحمد (٥٥٢).

تَفقِدونَ مِنهُ الصَّلاةُ»[١] فالواجبُ علىٰ المُسلِم أنْ يُحَافِظَ عَلىٰ صَلاتِهِ، فإذَا حافظَ علىٰ صَلاتِهِ فإنَّه يكونُ مُحافِظاً علىٰ غيرهَا مِنْ باب أولىٰ كمَا قالَ الله جلَّ وعلاَّ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ثُم اعلمُوا عِبادَ اللهِ أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . . .

* * *

(١) الأحاديث المختارة ١٥٨٣، والمستدرك على الصحيحين ٨٥٣٨، وسنن البيهقي الكبرى ١٢٤٧٦.

في فَضلِ الإيمَانِ

الحمدُ للهِ الغَفُورِ الشُّكور ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ [التغابن: ٢] وأَشْهَدُ أنَّ لاَ إلٰه إلاَّ اللهَ، وحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلكُ ولَهُ الحمدُ يُحيي ويُمِيتُ وهَوَ عَلىٰ كُلِّ شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أنَّ مُحمَّداً عبدُه ورَسُولُه البَشيرُ النذيرُ والسراجُ المُنيرُ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وأصحَابِهِ وسَلَّم تسليماً كثيراً، أما بعدُ:

أيُّهَا المُسلِمُون اعلمُوا أنَّ الإيمَان مِنةٌ عظيمةٌ يمنُّ اللهُ بِهَا عَلىٰ منْ يشَاءُ مِنْ عبادِهِ كَمَا قَالَ سبحانه: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات: ١٧] ولِهَذَا يَقولُ أهلُ الجنَّةِ إذا دخلوا الجنَّة: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ٤٣]، إنَّ الإيمانَ ليسَ هُوَ مُجرَد الدَّعوى أو الانتِساب بدونِ حقيقةٍ ولِهَذا يَقولُ بعضُ السَّلَفِ: ليسَ الإيمانُ بالتحلِّي ولاَ بالتمنِّي وإنَّمَا الإيمانُ ما وقَرَ فِي القلوبِ، وصدقتْهُ الأعمالُ. إنَّ الإيمانَ قولٌ واعتقادٌ وعَمَلٌ، قولٌ باللِّسان واعتقادٌ بالقلبِ وعمَلٌ بالجَوَارِحِ. لاَبدَّ من اجتماعِ هَذِهِ الأمُورِ الثَلاثَة حتىٰ يتحقَّقَ الإيمانُ فلَيسَ الإيمَانُ بالقَولِ فَقَط بِدونِ اعتقادِ القلبِ، فإنَّ هذَا إيمَانُ المنافقينَ الذينَ يَقولونَ بِألسِنَتِهِمْ مَا ليسَ فِي قُلوبِهم قالَ تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة: ٨ ـ ١٠] وليسَ

الإيمانُ هوَ في القَلبِ فَقط بِدونِ نُطْقِ اللسانِ كمَا هُوَ قولُ فرقةٍ مِن المُرجِئَةِ، فإنَّ الكُفَّار في عَهدِ النبيِّ ﷺ يعترِفُونَ بِنُبوَّته فِي قُلوبِهم ويَعْرِفُونَ إنَّه الصَادِقُ الأمين قالَ تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٣] يَمنعهُم الكبرُ عن النُّطقِ بالشَهادتينِ. بشهادةِ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ، ويمنعهُم الحسدُ تمنعهمْ أمورٌ أخرىٰ أنْ ينطِقُوا بالإيمانِ وهم يعترِفُون بِه في قُلوبِهِم فلَمْ ينفَعُهم ذلك، وليسَ الإيمانُ هوَ النطقُ باللسانِ، والاعتقادُ بالقلبِ كمَا تَقوله فِرقةٌ مِن المُرجِئةِ بل لابُدَّ مَعَ ذَلِكَ مِن العَملِ الصالحِ، ولِهَذَا غَالباً ما يَأتِي الإيمانُ في القرآنِ مقروناً بالعَملِ الصَالِحِ لأنَّ الإيمانَ بدونِ عَملٍ لا يُسَمَّى إيماناً: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ ﴾ [يونس: ٩]. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [لقمان: ٨ ـ ٩] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٧] ثُمَّ الإيمانُ يزيدُ بالطاعاتِ، وينقصُ بالمعاصِي فكلَّما أطاعَ العبدُ ربَّه زادَ إيمانُهُ وقوي يَقينُه، وكُلَّما عَصَى اللهُ عزَّ وجلَّ نَقُصَ إيمانُهُ حتَّى يكوَن مثلَ وزنِ حَبَّةِ الخَردَلِ أوْ أقلَّ مِنْ ذَلِكَ قَالَ ﷺ «من رأىٰ منكُمْ منكَراً فليغيِّرهُ بيدِهِ فإن لمْ يستطعْ فبلسانِه فَإنْ لَم يَستطِعْ فبقلبهِ، وذَلِكَ أضعفُ الإيمانِ»[١] ويزيدُ بالطاعاتِ كَمَا قالَ الله سبحانهُ وتَعالىٰ: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾ [مريم: ٧٦] وَقَالَ سبحَانهُ ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

(١) مسلم (٧٠)، الترمذي (٢٠٩٨)، النسائي (٤٩٢٢)، أبو داود (٩٦٣).

[التوبة: ١٢٤] فالإيمانُ يزيدُ بالطَّاعاتِ، وينقصُ بالمعاصي خِلافاً للمرجئةِ فَكُلَّما عصَى العبدُ ربَّهُ نَقُصَ إيمانُه، وهذا النقصُ يكونُ بالذنوبِ الكبائرِ والصغَائرِ فَمَن عصَى الله سبحانَه وتعالَى فإنَّه ينتقصُ إيمانَه نقصاً بحَسْبِ ذَلِكَ الذنْب قالَ ﷺ: **«لا يزني الزَّانِي حِينَ يَزنِي وَهُو مؤمنٌ ولا يسرقُ السَّارِقُ حين يسرقُ وهوَ مؤمنٌ»**[1] بِمعنىٰ أنَ ذَلِكَ ينقصُ إيمانَه **«أي ليسَ بمؤمنِ الإيمان الكامل»** لأنَ إيمانُه قَدْ نقَصَ بهذه الذنوبِ وَهَذِهِ الكبائرِ فيخرجُ من كمالِ الإيمانِ إلىٰ الفِسْقِ فيكونُ مؤمناً فاسقاً أو مؤمِناً عَاصِياً فالمعاصِي تُنقِصُ الإيمان سواءٌ كَانتْ كبائر أو صغائرَ فعلىٰ المسلمِ أن يُحافِظَ علىٰ إيمانِه، وأنْ يُكمِّلَهُ بالطاعاتِ والقُرُباتِ وأنْ يحذَر مِنْ نقصِه بالمعاصِي والسيئاتِ، إنَّ هذَا الإيمانَ لَهُ أركانٌ ينبني عَليهَا كمَا قَالَ ﷺ **«الإيمانُ أن تؤمنَ باللهِ وملائكتِه وكُتبِه ورسُلِه واليومِ الآخِرِ وتُؤمِنُ بالقَدَرِ خيرِهِ وشرِهِ»**[2] هَذِهِ أركانُ الإيمانِ الستَّة التي يَقومُ عَلَيهَا الإيمانُ فإنْ نَقَصَ مِنهَا ركنٌ فإنَّ الإيمانَ لاَ يَقومُ ولا يصحُّ لأَنَّهُ لاَ يقُومُ إلاَّ عَلىٰ هَذهِ الأركَانِ لأنَّ كلَّ بنيانٍ لاَ يَقُومُ إلاَّ عَلىٰ أساساتِهِ وأركَانِهِ ومَبانِيهِ والإيمانُ شُعَبٌ تكمِّلُ هذه الأركانَ قَالَ ﷺ: **«الإيمانُ بضعٌ وسبعونَ شُعْبَةً أوْ بِضعٌ وستُونَ شعبةً أفضلها قَولُ لاَ إلٰه إلاَّ الله، وأدنَاهَا إماطةُ الأذىٰ عن الطَّريقِ والحياءُ شُعبةٌ من الإيمانِ»**[3] والمُؤمنُونَ لهَمُ صفاتٌ ذكرهَاَ اللهُ سُبحَانَهُ وتَعَالَىٰ فِي الكتابِ العزيزِ تَدُلُّ علىٰ إيمانِهم وصدقِهم، قالَ سُبحَانَهُ وتَعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ

---

(١) البخاري (٢٢٩٥)، مسلم (٨٦)، الترمذي (٢٥٤٩)، النسائي (٤٧٨٧)، أبو داود (٤٠٦٩).

(٢) مسلم (٩)، النسائي (٤٩٠٥).

(٣) مسلم (٥١)، الترمذي (٢٥٣٩)، النسائي (٤٩١٩)، أبو داود (٤٠٥٦)، ابن ماجة (٥٦).

ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤]. وقال سبحانَهُ وتعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥] وقالَ سبحانه وتعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١] هذه جملةٌ من أعظمِ صفاتِ المؤمنينَ من اتصفَ بِهَا فَهَذا دليلٌ علىٰ إيمانِه، وَصِحَّة يَقِينهِ لأنَّ الإيمَانَ الصحيح يبعثُ علىٰ العملِ الصالحِ قالَ سبحانَهُ وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٨] وعمارةُ المسجد ليست مقتصرةً على عمارتها بالبناء والفخامةِ والتحسين والزخرفة فذلك ربَّما لا يكونُ مرغُوباً في أكثرِهِ شرعاً وإنما عمارةُ المساجدِ الحقيقيَّةِ عِمارتُها بطاعةِ الله عزَّ وجلَّ بإقام صلاة الجماعةِ فيها وذكرِ اللهِ فيهَا وتلاوةِ القُرآنِ ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور: ٣٦ ـ ٣٨]، هذهِ

أعظمُ صفاتِ المؤمنينَ التي إذَا اجتمَعَتْ في عبدٍ، فإنَّ ذَلِكَ يدلُّ عَلىٰ كمالِ إيمانِه وصدقِهِ، ويستحقُّ بذلكَ مَا وعدَ اللهُ سُبحانَه وتعالَى عبادَه المؤمنينَ من الدَّرجَاتِ العالية والمنازِلِ الرَّفِيعةِ في جنَّات النعيم فَليسَ الإيمانُ هُوَ مُجردَ التمني، لَيْسَ الإيمانُ بالتحلِّي ولاَ بالتمنِّي ولكنَّه ما وقَرَ في القلوبِ وصدقتهُ الأعمالُ. نسألُ اللهَ عزَّ وجلَّ أنْ يرزُقَنَا وإيَّاكُمْ الإيمانَ الصحيح، أعوذُ باللهِ من الشَّيطَان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [سورة العصر].

بارِكَ اللهُ لِي ولَكُمْ فِي القُرآنِ العَظِيم.

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ لله علىٰ فَضلِهِ وإِحسانِهِ، وأشهدُ أن لاَ إله إلاَّ الله، وحدَهُ لاَ شَريكَ لهُ، وأشهدُ أن مُحمَّداً عبدهُ ورسولُه صلَّى اللهُ عَليهِ وعلىٰ آله وأصحابِهِ وسلَّم تسليماً كثيراً، أمَا بَعدُ:

أيُّهَا الناسُ، اتَّقُوا اللهَ تَعالىٰ، واحذروا من مُبطلاتِ الإيمانِ فإنَّ هناكَ أشياءَ تبطلُ الإيمانَ وتزيلهُ منَ القَلبِ حتَّى يُلحقُ صاحبَهِ بالكَافرينَ ويكُونَ مِن أصحابِ النَّار: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾ [المائدة: ٥]، تكلَّمَ جماعةٌ فِي عَهدِ النبيِّ ﷺ في الرَّسُولِ ﷺ وأصحابهِ يسخرونَ مِنهُم وينقصونَهُمْ فأنزلَ اللهَ فيهم قولَهُ تعالى: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ـ ٦٦]

فَهَؤلاءِ كَانُوا مؤمنينَ ويجاهِدُونَ مَعَ الرَّسُول ﷺ، وخَرجُوا معهُ لغزوةِ تبوكٍ فلمَّا تكلَّمَ واحِد مِنهُم في مجلِسِهُم بِهَذَا الكَلام، ولمْ يُنكِروا عليهِ حكمَ الله عليهِم جميعاً بالكُفْر، فقال: «لاتعتَذِرُوا» لأنَّهُم يَقولونَ إنَّنَا لَم نَقصد التنقُّصَ وإنَّمَا نتحدَّثُ حديثَ الرَّكْبِ نقطعُ بِهِ الطريقَ فأنزلَ الله فيهِم: «لا تعتذِروا قَد كَفرتُمْ بَعدَ إيمَانِكُم» فَهَؤلاءِ كَفَروا بِكَلِمةٍ قالَهَا واحِدٌ ولم يُنكِرْهَا الباقونَ، فكفَّرهُم اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ مِن فوقِ سبعِ سمواتٍ، والإنسان يَتَكلَّم بِكَلام لاَ يزنُهُ ولاَ يَدري مَا يبلغُ قالَ ﷺ: «إنَّ العبد ليتكلَّمُ بِالكلمةِ من سَخَطِ اللهِ لاَ يُلقي لهَا بَالاً يَهوي بِهَا فِي جَهنَم»[1]. فعلىٰ المُسلِمِ أن يُحافظَ على دينهِ، وأنْ يتجنَّبَ الكلامَ السَّيِّءَ والسخريَّة والاستهزاء فِي عِبادَ اللهِ أو السُخريَّة بالرَّسُول ﷺ والسخريَّة بالقرآنِ أعظمُ أو السخريةُ بسنَّةِ الرسولِ ﷺ أشدُّ وعلىٰ المُسلِم أن يَتَجنَّب هذِهِ الألفاظَ حتىٰ ولو كان مَازِحاً أو كَانَ يُضْحِكُ بِهَا الناسَ فإنَّه يكفرُ بذلكَ، ويرتدُّ عن دينهِ، ويهوي فِي النَار أبعدُ مِمَّا بينَ المَشرِق والمَغرِب، الكلَمة الواحِدة والعياذُ باللهِ يتكلَّمُ بالكَلِمَة من سَخَطِ الله لاَ يُلقي لهَا بَالاً يَهوي بِهَا في النارِ أبعدَ مِمَّا بينَ المَشرِق والمَغرِب، فعلىٰ المُسلِم أنْ يحفظَ لسانَهُ وأن يتحفَّظَ علىٰ إيمانِهِ ويُحافظ عِليهِ، ويخافَ عَليهِ أن يَنقصَ أو يخافَ عليهِ أن يُسلَبَ منه ويُصبحَ كافراً مُرتَداً عن دينِ الله نسألُ الله العافِيَةَ والسَّلامَة.

ثم اعلمُوا عِبادَ اللهِ أنَ خيرَ الحديثِ كتابُ الله. . . .

---

(١) البخاري (٥٩٩٧)، أحمد (٨٠٥٩)، موطأ مالك (١٥٦٣).

في التحذير من النفاق

الحمدُ لله، أمرَ بالإيمَان وحَذَّر مِنَ النِّفاقِ، وأشهدُ أنَّ لاَ إلٰه إلاَّ اللهُ، وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ شَهادةً تُنجي قائِلها يَومَ التلاقِ، وأشهدُ أنَّ مُحمَّداً عَبْدُهُ ورَسولُه، بَعثَهُ اللهُ لِيتمِمَ مَكارِمَ الأخلاقِ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ وسلَّم تَسلِيماً كثيراً، أمَّا بعدُ:

أيُّهَا الناسُ، اتقُوا اللهَ وكُونُوا مَعَ الصادِقينَ، كُونُوا مَعَ الصَادِقينَ مَعَ اللهَ في إيمانِهم وعقيدتهم، وكُونُواْ مَعَ الصادِقينَ مَعَ المُؤمنينَ فِي مُعَامَلاتِهم وفي جميعِ شُؤونِهم، فإنَّ الله سُبحانَهُ وتَعالىٰ توعَّدَ المُنافقينَ بِأشدِّ الوَعيدِ فقَالَ اللهُ سُبحَانَهُ ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾ [النساء: ١٤٢] وقالَ سُبحَانَه وتعالىٰ: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا هِىَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [التوبة: ٦٧ـ٦٨] النفاقُ يا عِبادَ الله هوَ إظهارُ الخير وإبطانُ الشرِّ إظهارُ الإيمانِ وإبطانُ الكفرِ هَذَا هو النِّفاق الأكبرُ وهُو النِّفَاق الاعتقاديُّ يَلجأُ إليه هؤلاءِ المُخَادِعونَ مِن أجلِ أنْ يَعِيشُوا بَينَ المُسلِمينَ، ويَبقُوا علىٰ كُفرِهِم فِي الباطِن وتَنكشِفُ سَرائِرُهم عِندَ أي حدثٍ أَو أي مناسبةٍ، ولَذَلِكَ فَضحَهُم اللهُ سُبحَانَه وتعالىٰ فِي كِتابِهِ، وأنزلَ فِيهِم سُورةَ

تنبئُهُم بِمَا فِي قُلوبِهِم، أنزلَ فِيهِمْ سورة براءةِ، سورةَ التوبةِ فَكَشَفَ سرائرهمْ، وفَضَحَ مَا فِي ضمائِرهِمْ وجلّى أمُورَهُم وأنزلَ فِيهِم سُورَة «**المُنَافِقُونَ**» «**إِذَا جَاءَكَ المُنافِقُونَ**»، وأنزلَ فِيهِم كثيراً مِن الآيَات، وذَلِكَ لِخطرِهِمْ عَلىٰ المُسلِمينَ وفِي هَذِه الآيةِ يقُولُ سُبحَانَه «**المنافِقُونَ والمنافقاتِ**» بيّنَ سُبحَانَه أنَّ النفاقَ يَكونُ فِي الرِّجَالِ ويَكوْنُ فِي النِّساءِ «**بعضُهُم مِن بعضٍ**» أي «**ينضمُّ بعضُهُم إلىٰ بعضٍ**»، لأنَّ الطيورَ علىٰ أشباهِها تقعُ ولأنَّ الشكلَ ينضمُّ إلىٰ شَكلِهِ فبعضُهُم مِنْ بَعضٍ هَذِهِ صِفَتُهم لاَ يَنحَازُونَ إلىٰ المُؤمنينَ، وإنَّمَا يَنحَازُونَ إلىٰ أمثَالِهم وأشبَاهِهم مِن أهْلِ النفاقِ والكفرِ دَائماً وأَبَداً، هَذِه صِفتُهم «**يأمُرُونَ بِالمُنكَرِ**» وهوَ كلُّ معصيةٍ للهِ ولِرَسولِه فَهُم دَائِماً يَدعُون إلىٰ المَعاصِي، يَدعُونَ إلىٰ الفُسوقِ يدعونَ إلىٰ الكُفرِ بِاللهِ سبحانَهُ وتَعالىٰ، ويُشككونَ فِي آياتِ اللهِ ويُشككونَ فِي سُنةِ رسولِ اللهِ ﷺ بَل يستهزئونَ بِالله وآياتِهِ ورسولِه، ويقولونَ إنّما كناً نخوضُ ونلعبُ.

وكَذلِكَ مَنْ أمَرِهِمْ بِالمُنكَرِ إنَّهُمْ يَدعونَ المُسلِمينَ دَائِماً وأبَداً إلىٰ مُخالَفةِ الشَرعِ يَأمُرونَ النَساءَ بِالسُّفورِ وهتكِ الحِجَابِ، ويقولونَ: إنَّ الحِجَابَ رَجعيةٌ، وإنَّه تحجرٌ، ويأمُرونَ المَرأةَ بِأن تَنسَابَ مَعَ الكَافِرةِ، وتَأخُذُ أخلاَقَ الكَافِراتِ هَذَا فِي كلِّ زمانٍ ومكانٍ، وفِي وَقتِنَا هَذَا الأمْرُ علىٰ أشدِّهِ اتَّخذُوا النِّساءَ مطيةً لهُمْ فِي إظهارِ نِفَاقِهِم وكُفرِهِمْ، يَدعُون النِّسَاءَ دائماً وأبداً إلىٰ التَمرُّد عَلىٰ اداب الإسلامِ في صُحفِهِم ومَجَلاتِهِمْ ومُحاضَراتِهِمْ، وفي مُؤلفَاتِهِمْ وفِي مَجالِسِهِمْ دَيدنُهم أنْ يُخرجُوا المَرأةَ المُسلِمةَ مِن حِشمَتِهَا وَوَقَارِهَا، وأنْ يَجعلُوها كَالرَّجُلِ مُستَرجِلةً ملعونةً لا تَقرُّ أعيُنهنَّ إلاَّ بِذلِكَ تَسوءُهم أنْ يرَوا المُسلِمَة مُتَحَجبةً ومتعفِّفةً وصَيِّنَةً وكَريمةً يَسوؤهم ذَلك، وكَذلكَ يَأمُرونَ بِالمَعاصي يَأمُرونَ بِتركِ الصَّلاَةِ وتَركِ الجُمَعِ والجماعَاتِ ويَقولُونَ: إنَّ

هَذِهِ قُشورٌ وهَذِه عَادَاتٌ وتقاليدٌ بالنيَّة. الإيمانُ بالقلبِ ولَيسَ فِي الصَّلاةِ فَيزهَّدونَ في الصلاةِ: «وإذَا قَامُوا إلىٰ الصَّلاة قامُوا كُسَالَى» فَهُمْ لاَ يَحبُّون الصَّلاةَ وإنَّما يَأتونَها مِن بابِ التُّقْيَةِ ومنْ بَابِ الخِداعِ يأتونَهَا بأبدَانِهِم لا بِقلُوبِهِمْ ويتأخرونَ عن صَلاةِ الجَمَاعةِ. يكثُرُ تأخرهُم قَالَ ﷺ: «إنَّ أثقلَ صَلاة عَلىٰ المُنَافِقينَ صلاة العِشَاء وصَلاةُ الفجرِ وَلَو يعلمونَ مَا فِيهمَا لأتوهُمَا ولوْ حبواً»[1] قالَ عبدُالله بنُ مسعودٍ رضي اللهُ عنهُ: ولَقَدْ رَأيتُنا ومَا يتخلَّف عنهَا إلاَّ مُنافِقٌ مَعلومَ النِّفَاقِ. فَهُمْ يأمُرونَ بالمُنكرِ، يأمُرونَ بِترويجِ المعَاصِي وترويجِ المُخَالفَاتِ، وينهونَ عَن المَعروفِ، يَحذرونَ مِن الطَاعاتِ ويَحذرونَ منَ التَّمُسكِ بكِتَابِ اللهِ وسنَّةِ رسولِهِ ﷺ، يدعونَ إلىٰ تحكيمِ القوانينِ ونبذِ الشريعةِ، وإنَّ هذَا مِن التقدُّمِ والرقيِّ ومجاراةِ الأممِ وأنَّ التمسُكَ بالكتابِ والسنةِ، وأنَّ تحكيمَ الشرعِ رَجعيَّةٌ وجُمودٌ وتأخرٌ، وأنَّ الخُروجَ عن أحكامِ الشرعِ جريمةٌ في الرأي وأنَّه مفخرةٌ وفِريةٌ ومِن احترامِ الرأيِ الآخَر، وعَدمُ التحجُّر هَكذَا يقولونَ تَقرؤونَ هَذَا فِي مَقالاتِهِمْ، وتسمعونَهُ فِي إذَاعَاتِهِم، ويَظْهَرُ عَلىٰ ألسِنَتِهِمْ فِي المَجَالِسِ دَائِماً وأبَدَاً «يأمُرونَ بِالمُنكَرِ وينهَونَ عَنِ المَعروفِ» هَذِه صِفَتُهم اللازِمَةُ لَهُمْ إلىٰ أنْ تَقومَ السَّاعةُ، ولَكِنَّ هَذِه الصِّفَةَ تظهرُ حينمَا تَحصُلُ الهزَّات، تَحصلُ الامتحاناتُ للمُسلِمينَ فإنَّ المُنافِقينَ يظهرونَ بِمَا عِندَهُم مِنَ الكُفرِ والنِّفاقِ، ويفرحونَ عَلىٰ المُسلمينَ بِالنَقيصةِ ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ۝﴾ [التوبة: ٥٠] نحنُ مَا صدَّقنَا بِهذَا الرَّسولِ ولاَ صَدَّقنَا بمَا

---

(١) البخاري (٦١٧)، مسلم (١٠٤١)، النسائي (٨٣٤)، أبو داود (٤٦٧)، ابن ماجة (٧٨٩).

جَاءَ بِهِ «ويتولُوا وهُم فرِحُون» بِمَا أصَابَ الرّسولَ وأصَابَ المُسلِمينَ، هَذِهِ صِفَةُ المُنافِقينَ دَائِماً وأَبداً «يأمُرُونَ بالمُنْكَرِ وينهَونَ عَنِ المَعْروفِ» «ويقبِضُونَ أيدِيهُمْ» عن الصَدَقَاتِ فلاَ يَتَصدَّقون، لا يُخرجونَ الزَّكَاةَ التي أوجبَهَا اللهُ فِي أموَالِهم، ولا يتبرَّعُون للمُحتَاجِينَ والمُعوزينَ، ولاَ يُقِيمُونَ المَشَارِيعَ الخَيرية التي يَتنفعُ بِهَا المُسلِمُونَ «يَقبِضُون أيديَهُمْ» عَن الإنفَاقِ فِي سَبيلِ اللهِ، وإنْ أنفقُوا فإنَّهم لاَ يُنفِقُون إلاَّ وَهُم كَارِهُونَ «نسُوا اللهَ فَنَسِيهُم» هَذِه صِفَتُهم أيضاً أنَّهُمْ يَنسونَ ذِكرَ اللهِ كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلاَ «وإذَا قَامُوا إلىٰ الصَّلاةِ قَامُوا كسالىٰ يُراءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذكُرون اللهَ إلاَّ قَلِيلاً» فَمِن صِفاتِ المُنَافِقينَ أنَّهُمْ لاَ يَذكُرونَ اللهَ إلاَّ قَلِيلاً. وبِألسِنَتِهِمْ دُون قُلوبِهِم «نَسُوا اللهَ» فَلاَ يذكرونَهُ سُبحَانَهُ وتَعالىٰ فَنَسيهُم اللهُ، عَاقَبهُمْ اللهَ، وتَرَكَهُم فِي العَذَابِ، وتَركَهُم فيمَا هُمْ عليهِ مِنَ الرَّيبِ والشَّكِ والتَردّدِ وَالحَيرةِ وظلمةِ القلوبِ، تَركَهُم سُبحَانَه وتَعالىٰ في ذَلِكَ عُقوبةً لَهُمْ، نَسيهُمْ فِي الدُنيَا بِأن تَركَهُمْ عَلىٰ مَا هُم عَليهِ مِنْ هذِهِ الخصالِ القبيحةِ الذميمةِ، وينساهُم فِي الآخِرةِ أي يَترُكُهُم فِي النَّارِ خَالِدِينَ مُخلَدِينَ فِيهَا وَليسَ فِي النَّارِ مَعَ سَائِرِ أهلِ النَّارِ، وإنَّمَا يَكونُونَ فِي الدَّركِ الأسفلِ مِنَ النَّارِ تَحتَ عَبدةِ الأوثَانِ هُمْ في آخِرِ دَركٍ مِنَ النَّارِ، والعِياذُ باللهِ، لِماذَا؟ لأنَّ الكُفَّارَ صَرَّحُوا بِكُفرِهِمْ، وَعَرفَهُم المُسلِمُونَ، فَأخذُواْ حِذْرَهُم مِنهُمْ أمَّا المُنَافِقُون فَإنَّهُمْ خَدعُواْ المُسلِمينَ واندمجُوا فِي مُجتَمعِهِم، وتَعَامَلُوا مَعَهُمْ علىٰ أنَّهم مُسلِمونَ، وهُمْ يُخادِعونَ اللهَ والذينَ آمَنُوا «ومَا يَخدعونَ إلاَّ أنفسَهُمْ ومَا يَشعُرُونَ» فَلِذَلِكَ كَانَتْ مَنزِلَتُهم فِي النَّارِ أسفَلَ مَنزِلة والعِياذُ باللهِ ﴿ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٥] هذِهِ عاقِبَتُهم فِي الآخِرَةِ وهَذِهِ عقوبَتَهُمْ والعِياذُ باللهِ أشدُّ مِن عقوبَةِ الكُفَّارِ، وأشدُّ مِن عَبدَةِ الأوثَانِ، لأنَّ المُنَافِقينَ تَظاهَرُواْ بِالإسلامِ خِداعاً، ومكراً، وغُرروا

بِالمُسلِمينَ، فَالكُفَّارُ الأصليونَ أحسنَ حَالاً مِنهُمْ لأَنَّهُمْ صَرَّحُواْ بُكفرِهمْ فعَرفَهُم المُسلِمونَ وأمَّا أُولَئِكَ فَهُمْ عدوٌ بَاطِني كَمَا قَالَ اللهُ سُبحَانَهُ وتَعَالىٰ فِيهِمْ ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [المنافقون: ٤]، فَلنَحَذرَ يَا عِبَادَ اللهِ مِنَ النِّفَاقِ، ولَنحذرْ مِنَ المُنَافِقينَ لاَ نَنخِدعُ بِهِم أَوْ نَستَمِعُ لِكَلامِهِم، وإنَّما نرجُمهم رَجْمَ الشَّيَاطِينِ، كَمَا رَجَمَهُمْ اللهَ سُبحَانَهُ وتَعالىٰ بَالآياتِ البَينَاتِ، وفَضحَهُم وهَتَكَ أَستَارَهُمْ «**هُمْ العَدوُ فاحذَرْهُمْ قَاتَلهُمْ اللهُ أَنَّى يُؤفَكُونَ**» فالواجِبُ عَلىٰ المُسلِمِينَ أنْ يَصدُقُوا فِي إيمَانِهِم مَعَ اللهِ سبحَانَهُ وتَعالىٰ ظَاهِراً وباطناً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة: ١١٩] والوَاجِبُ عَلىٰ المُؤمنينَ أنْ يَحذروُاْ مِنْ أعدَائِهِمْ، الأعدَاءِ الظَاهِرينَ وهُمُ الكُفَّارُ والمشركونَ، والأعدَاءِ البَاطنينَ وَهُمْ أشَدُّ وُهمْ المُنَافِقُونَ الذيْنَ يَندسُّونَ بَينَ صُفوفِ المُسلِمينَ، وَيأخُذونَ أسرارَ المُسلِمينَ، ويُفشونَهَا لأعدَائِهِم وَيتربَّصون بِالمُسلِمينَ الدَّوَائِرَ دَائِماً وأَبَداً، فَالنِّفَاقُ آفَةٌ خَطِيرةٌ مَا كَانَ النِّفَاقُ مَوجوداً فِي العَصرِ المكِّيّ لمَّا كَانَ المُسلِمُونَ مُضطَّهدينَ مِنَ الكُفَّارِ فِي مَكَّةَ، وكَانَ لاَ يُسلم فِي مَكَّةَ إلاَّ مَن هُوَ صَادِقُ الإسلام صَادِقُ الإيمَانِ صابرٌ عَلىٰ البَلاءِ، فَلمَّا هَاجَرَ النَبيُّ ﷺ إلىٰ المَدِينةِ وَحصُلَتْ لَهُ دَارٌ وَحصُلَ لَهُ أنصارٌ ثُمَّ كَانَتْ عزوةُ بَدرٍ فَنَصَرَ اللهُ المُسلِمينَ فِيهَا عَلىٰ صَنادِيدِ الكُفْر، حِينَ ذَلِكَ رَأىٰ هَؤلاءِ أنَّهُمْ لاَ يَستَطِيعونَ مُقَاوَمَةَ المُسلِمينَ فَلجؤواْ إلىٰ هَذِهِ الحِيلَةِ، فأظهرُوا الإسلامَ وَهُمْ بَاقونَ عَلَىٰ كُفرِهِمْ فِي البَاطنِ، فَلاَ يَكونُ النِّفَاقُ إلاَّ عِندَ قُوةِ الإسلام، وأمَّا مَعَ ضَعفِ المُسلِمينَ فَإنَّ النِّفَاقَ يَكُون فِي المَواضِعِ الَّتي يكون الإسلامُ فيها عزيزاً، وَلِكِن علينَا أنْ نَحذرَ النِّفَاق، ونَسألُ اللهَ السلامةَ مِنهُ، وعَلينَا أنْ نحذرَ مِنَ المُنافِقينَ، وأنْ نَتَّخِذَهُمْ عدواً لنَا لاَ نُصَادِقُهم ولا نثقُ بِهِم، ولاَ

نأمنُ مَكرَهُمْ ولاَ نَستمِعُ لِمَقَالاتِهِمْ فإنَّهم أصحَابُ جَدلٍ، وأَصحابُ بَلاغةٍ ولَهُمْ مَظاهِرُ جَميلةٌ كَمَا قَال اللهُ سُبحَانَهُ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المُنافِقونَ: ٤] مَظاهِرُهُمْ جَميلَةٌ ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ عِندَهُمْ بَلاغةٌ وفَصَاحةٌ يَخدعونَ النَّاسَ، فعلَينَا أنْ نَحذَرَ مِنهُمْ وألاَّ نَثِقَ بِهِمْ أبداً وأنْ نَتَّخذَهُم عَدواً لَنَا عَدواً لَدوداً، حتىٰ نَسلمَ مِن شَرِّهِمْ، وعَلينَا أنْ نُبينَ صَفاتِهِمْ ومَخازِيهِمْ ونَنشُرَهَا حَتىٰ يعرِفَ المُسلمونَ عدوهُمْ مِن صَدِيقهِمْ. بَارَكَ اللهُ لِي ولَكُمْ فِي القُرآنِ العَظِيمِ.

الخطبة الثانية

الحمدُ لله علىٰ فَضلِه وإِحسَانِهِ، وأشكُرُهُ عَلىٰ تَوفِيقِهِ وامتنانِه، وأشهدُ أن لاَ إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شَريكَ له وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولَهُ صلَّى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وسلَّم تسليماً كثيراً، أمَّا بعدُ:

أيُّهَا الناسُ، اتقُوا اللهَ تَعَالىٰ واعلَمُوا أنَّ النِّفَاقَ الأكبرَ لاَ يَصدُرُ مِن مُؤمنٍ لاَ يَجتَمِعُ النِّفَاقُ الأكبَرُ مَعَ الإيمانِ أبَداً ولكِنْ هُنَاكَ نِفَاقٌ عَمليٌّ أصغَرَ قَد يَصدُرُ مِنْ بَعضِ المُؤمِنينَ قَالَ ﷺ: **«أربعٌ مَنْ كنَّ فيهِ كانَ مُنَافقاً خالصاً ومَنْ كانَتْ فيه واحدةٌ مِنْهنَّ كانت فيهِ خصلةٌ منَ النفاقِ حتى يدَعَهَا»**(١). فالنفاق العمليُّ يجتمع مع الإيمان فيكون في بعض المؤمنين نفاق عملي لا يُخرج من الملة ولكنَّ يُنقِصُ الإيمان، وهو أيضاً وسيلةٌ إلى النفاقِ الأكبرِ وطريق إلى النفاقِ الأكبر، وقال

---

(١) البخاري (٣٣)، مسلم (٨٨)، الترمذي (٢٥٥٦)، النسائي (٤٩٣٤)، أبو داود (٤٠٦٨).

ﷺ: «آيةُ المنافقِ ثلاثٌ إذا حدَّثَ كَذَبَ وإذا وعَدَ أخلَفَ وإذا اؤتمن خان، وإذَا خَاصَمَ فَجرَ وإذا عَاهَدَ غَدَرَ وإنْ صَامَ وصَلَّى وزَعَمَ أنَّهُ مسلمٌ»(١) فلنحذَرْ من هذه الخصال «إذا حدث كَذَب» يستعمل الكذب ولا يستعملُ الصدق هذا من صفات المنافقين، فعلى المسلم أن يتجنبَ الكذِبَ في حديثه، ولا يحدِّثُ إلا بِمَا هو صدقٌ وأن يترك كثيراً مما يسمعُ خشيةَ أن يكون من الكذب، ولا يحدثُ إلا بما يعتقد أنَّه صِدْق وفيه منفعةٌ للمسلمين، ويُمسِك عن كثير من الكلام والأخبار التي تروَّجُ وفيها إرجَاف، وفيها تخذيلٌ للمسلمين «إذا حدَّث كذَبَ» وأعظم ذلك الكذبُ على الله، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [الصف: ٧]، فيُفتي في الأحكام الشرعية مخالفاً لكتابِ الله وسنَّةِ رسولِ الله، ويقولُ هذا هو حُكْمُ الله، وهذا هو حكمُ رسولِ الله فيكذبُ على اللهِ، وكذلك الكذبُ على رسولِ الله ﷺ كأنْ يَروِي عن الرسول حديثاً مكذوباً موضوعاً ويروجُ الأحاديثَ الضعيفةَ والأحاديثَ الموضوعة إذا كانت تتوافَقُ مع هواهُ ويكذِّبُ بالأحاديث الصحيحة الثابتةِ إذا كانت تخالِفُ هواهُ، قال ﷺ: «من كذبَ عليَّ مُتعمداً فليتبوَّأْ مقعده من النار»(٢). وقال ﷺ «من حدثَ عني بحديثٍ يَرَى أنه كَذب فهو أحد الكاذبين»(٣). وكذلك يكذبون على الناس في أخبارهم وفي معاملاتهم وفي صداقتهم فيكذبون على الناس، ويخدعونَهم وهذا من صفات المنافقين «وإذا وعد أخلف» إذا وعد أحداً موعداً أخلفَهُ، ولم يفِ بموعده. هذه من صفات المنافقين، أما المؤمن فإنه إذا وعد فإنَّه يصدُقُ، ويأتي

---

(١) مسلم (٩٠)، البخاري (٣٢)، الترمذي (٢٥٥٥)، النسائي (٤٩٣٥).
(٢) أبو داود (٣١٦٦)، ابن ماجة (٣٦)، أحمد (١٣٣٩).
(٣) مسلم (١)، الترمذي (٢٥٨٦)، ابن ماجة (٤١)، أحمد (١٧٥٣٠).

على الموعدِ أو يعتذرُ إذا عَرَضَ له شيءٌ يمنعه من الحضور مع الموعدِ يعتذرُ إلى صاحبه، أما أن يخدع ويعدَ ثم يخالِفَ هذه من صفاتِ المنافقين **«وإذا أؤتمن خان»** إذا اؤتمن على مالٍ أو اؤتمن على سرٍّ من الأسرار أو اؤتمن على عمل وظيفي للمسلمين فإنَّهُ يخون في ذلك ولا يفي بالأمانة والله جلَّ وعلا أمر بحفظ الأماناتِ وأدائها إلى أهلها: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٨] هذا من صفات المؤمنين فحفظ الأماناتِ سواءٌ كانت مالية أو كانت سريةً من الأسرار، أو كانت أعمالاً وظيفية. هذه أماناتٌ يجب على المسلم أن يحافظَ عليها **«وإذا خاصم فجر»** إذا خاصم عند القاضي فإنَّه يدلي بالحججِ الباطلة، وشهادات الزور من أجل أن يكسَبَ القضية وينتصر على صاحب الحق كما قال ﷺ: **«مَنْ حَلَفَ على يمينٍ وهو فيها فاجرٌ ليقتطع بها مَالَ امريء مُسلمٍ لقي الله وهُو عليه غضبان»**(١) فالواجِب على المؤمن إذا اضطُّر إلى المخاصمةِ عند الحكَّام أن يصدُقَ فِي مُخَاصمَتِه ولا يلجأ إلى الكذب ولا إلى التزويرِ فإنَّه وإن انتصرَ على خَصْمِه ظلماً وعدواناً، فإنَّهُ سيخاصِمُه المظلوم عند الله يوم القيامة وستنقلبُ عليه القضيةِ عمَّا قَريبٌ فإنَّ الخصوماتِ تُعادُ عندَ الله سبحانهُ وتعالى يوم القيامة فينصفُ المظلومين من الظَّلَمةِ، ومن اقتطع شبراً من الأرض بغير حقٍّ طوقه يوم القيامة من سبع أراضِين. وقال ﷺ **«إنَّما أقضيْ عَلى نحو مَا أسمعُ فمن قضيتُ له بحقِّ أخيهِ فلَا يأخُذْه فإنَّما أقطعُ لهُ قطعةً منَ النارِ»**(٢)، **«وإذَا عَاهدَ غَدرَ»** المسلمونَ، بل العالم كلُّه يحتاجُ إلى إبرامِ العهودِ

---

(١) البخاري (٢٢٣٩)، الترمذي (١١٩٠)، أبو داود (٢٨٢٢)، ابن ماجة (٢٣١٤)، أحمد (٣٢٩٥).

(٢) مسلم (٣٢٣١)، النسائي (٣٥٠٦)، أبو داود (٣١١٢)، ابن ماجة (٢٣٠٨).

بين الأفرادِ وبين الراعي والرعيّة وبين الدُّول بعضهَا مع بعض بحاجةٍ إلىٰ المُعَاهَدَات لتمام مَصالِحهِمْ، فالمُسلم إذا عاهَدَ وفّىٰ بِعَهدِهِ ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١] أمّا المنافقُ فإنّه يغدُر بعهدهِ ولا يفي بوعدهِ، فهذه صفاتٌ من صفاتِ المنافقينَ قد تكونُ في بعضِ المسلِمين لكنْ لاَ تجتمعُ في مسلم وإنمّا يكونُ فيهِ بعضُهَا فَعلىٰ المُسلِم أنْ يحذَرَ من هذه الصفاتِ القبيحة، وأن يكون صادقاً في إيمانِه ظاهراً وباطناً. هذا هو المؤمنُ حقاً نسألُ الله أن يجعلنا وإياكم مِن المؤمنين حقاً. ثم اعلموا عباد الله أن خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . . .

* * *

في مواسم الخير وحالة المسلم بعدها

الحمدُ للهِ عَلَى فَضلِهِ وإحسانِهِ يُوَالِي عَلَى عِبَادِه مَواسِمَ الخَيراتِ لِيَغفِرَ لِهُم الذُّنوبَ وَيرفعَ لَهُم الدَرَجَات وَأَشهدُ أَنَّ لاَ إِلٰهَ إلاَّ الله وَحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ يَقبلُ التَوبةَ عَن عِبَادِهِ وَيَعفو عَن السَيئَاتِ وأَشهدُ أن مُحمداً عَبدُهُ وَرَسولُهُ أَولُ سَابِق إلىٰ الخَيراتِ صلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وأَصحابِهِ ذَوي المَنَاقِبِ والكَرَامَات وَسلم تَسليماً كَثيراً، أَمَا بَعدُ:

أيُّها النَّاس، اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، واشكرُوهُ عَلَى مَا أَولاَكُم مِنَ النِّعَمِ العَظِيمَة الَّتي أَعظمها أَن جَعَلَ لَكُم مَواسِمَ للعبادةِ تَمرُ عَلَيكُم يَومياً وأُسبوعياً وَسنَوياً يَكفرُ الله بِهَا خَطَايَاكُم وَيَرفَعُ بِهَا دَرَجَاتِكُم وَيُضَاعِفُ بِهَا حَسَنَاتكم فَضلاً مِنه وَتكرُماً وإِحساناً إِليكُم قَالَ ﷺ: «الصَلَواتُ الخَمسُ والجُمعةُ إلىٰ الجُمعةِ ورَمَضَانَ إلىٰ رَمَضانَ كَفَّارة لِمَا بَينَهُن مَا اجتُنِبَت الكَبَائِرُ»[1] وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ «العُمرةُ إلىٰ العمرة كَفَّارةٌ لِمَا بَينَهُمَا وَالحَج المَبرورُ ليسَ لَهُ جَزَاء إلاَّ الجَنَّة»[2] فَهَذِهِ فَضَائِلٌ عَظِيمةٌ تَمُرُ فِي حَياةِ المُسلِمِ أَولُهَا الصَّلواتُ الخَمس التي شَببهَهَا النَّبي ﷺ بالنَّهرِ الجَارِي عَلىٰ بَابِ أَحدِنَا يَغتَسِل مِنهُ فِي اليَومِ واللَّيلةِ خَمس مَرَّاتٍ فَلاَ يَبقَى من دَرَنِهِ شَيء فَكَذلكَ الصَّلواتُ الخَمْسُ يُكَفِّرُ اللهُ بِهَا الخَطَايَا قَالَ اللهُ جلَّ وَعَلاَ ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود: ١١٤] فَهَذِهِ الصَلواتُ الخَمسُ جَعلَهَاللهُ تَطهِيراً

(١) أحمد (٨٨٣٠)، [انفرد به أحمد].
(٢) البخاري (١٦٥٠)، مسلم (٢٤٠٣)، الترمذي (٨٥٥)، النسائي (٢٥٨٢).

لِعِبَادِه يَتطهرونَ بِهَا فِي يَومِهِم وَليلتِهِم خَمسَ مَراتٍ يَتطَهَّرُونَ بِهَا مِنَ ذُنُوبِهِم وَسَيئاتِهِمْ إِذَا أَدَّوهَا عَلىٰ الوَجهِ المَطلوبِ مِنهُم فَهيَ صَلواتٌ عَظِيمةٌ ومواسمٌ كريمةٌ قالَ ﷺ: «أَلاَ أَدُلُّكُم على ما يمحوُ اللهُ بِهِ الخَطايَا وَيرفعُ بِهِ الدَرَجَاتِ؟ قالُوا: بلى يا رسولَ اللهِ. قالَ: إسباغُ الوضوءِ علىٰ المَكَارِهِ وَكَثرةُ الخُطَا إلىٰ المَسَاجِدِ وانتظارُ الصَلاةِ بَعدَ الصَلاةِ فَذَلِكُم الرِبَاطُ، فَذَلِكُم الرِبَاطُ، فَذَلِكم الرِباطُ»[1]. فَهذهِ صلواتٌ عَظيمةٌ يَقِفُ فِيهَا المُسلمُ بَينَ يَدي رَبِّهِ خَاشعاً مُنيباً يُناجيهِ بِكلامهِ وَيدعوهُ وَيتضرَعُ إليهِ رَاكعاً وَسَاجِداً وَجَالِساً وَقَائِماً مَا أَعظمَهَا مِن عِبَادةٍ. وَقَد قَالَ اللهُ تَعالىٰ ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝﴾ [البقرة: ٤٥ ـ ٤٦] وكذلكَ الجُمعةُ وَهِيَ أَعَظمُ أَيَامِ الأُسبوعِ، بَل أَعظمُ أَيامِ الدُنيَا قَالَ ﷺ: «خَيرُ يومٍ طَلَعَت فِيهِ الشَمسُ يَومُ الجُمعةِ فِيهِ خُلقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدخِلَ الجَنَّةَ وَفِيهِ أُخرجَ مِنهَا وَفيهِ تَقومُ السَّاعَةُ»[2] وَهوَ اليومُ العَظيمُ الذي هَدىٰ اللهُ لَهُ هَذِهِ الأُمَّةَ وَأَضلَ عَنهُ مَنْ كَانَ قَبلَهَا فَمَا حَسدُونَا عَلَى شَيءٍ أَعظمَ مِمَّا حَسدُونَا عَلَى هَذا اليومِ العَظيمِ الذِي هَدَانا اللهُ لَهُ وَأَضَلهُم عَنهُ بِكُفرِهِم وَبغِيهِمْ وعِنَادِهِمْ، فِيه سَاعةٌ لاَ يُوافِقُهَا عَبدٌ مُسلِمٌ يَدعُو اللهَ وَيسألُ اللهَ شَيئاً إلاَّ أَعطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ فَهُوَ يومٌ عَظِيمٌ وَموسِمٌ كَرِيمٌ يَتَكررُ عَلَىٰ المُسلمِ فِي كُلِ أُسبوعٍ، وَكَذَلِكَ شَهرُ رَمضانَ يَتكررُ عَلىٰ المُسلمِ فِي كُلِ سَنةٍ فَيَصومُه ويَقومُ لَيلَهُ ويَتَقَرَّبُ إلىٰ اللهِ بِمَا يَسَّرَ اللهُ لَهُ مِن أَنواعِ الطَّاعَاتِ فَيَتوبُ اللهُ عَليهِ مِن ذُنوبِهِ وَيُكفرُ عَنهُ سَيئاتِهِ وَيَرفَعُ مِن دَرَجَاتِهِ، شَهرٌ يَنتِصرُ فِيهِ المُسلِمُ عَلىٰ نَفسِهِ الإمَّارَة بالسُّوءِ. يَنتصرُ عَلىٰ عَدُوهِ الشيطانِ الذي كَانَ يتربصُ

---

(١) مسلم (٣٦٩)، الترمذي (٤٧)، النسائي (١٤٣)، أحمد (٧٦٧٨).
(٢) مسلم (١٤١١)، الترمذي (٤٥٠)، النسائي (١٣٥٦)، أحمد (٩٠٤١).

لهُ الدوائرَ فَهوَ يَصفدُ فِي شَهرِ رَمضانَ لاَ يَستطيعُ أنْ يخلصَ إلى أهلِ الإيمانِ فهَوَ شَهرٌ عَظيمٌ يَتكررُ عَلىٰ المُسلمينَ فِي كُلِ سَنةٍ وَكذلِكَ شَهرُ الحَجِ، إلىٰ بَيتِ اللهِ الحَرام يَتكررُ عَلىٰ المُسلِمينَ كَلَ سَنةٍ. الحجُ الذي قَالَ اللهُ فيهِ ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٧] وقال النبي ﷺ «الحجُ المَبرورُ لَيسَ لَهُ جَزاءٌ إلاَّ الجنَّة»(١). وَقالَ عَليهِ الصلاةُ والسلامُ: «مَنْ أتىٰ هَذا البَيتَ فَلم يَرفُثْ وَلمْ يَفسُق رَجعَ كَيوم وَلَدتْهُ أمُّه»(٢) فَهوَ شَهرٌ عَظيمٌ، فَهوَ مَوسمٌ عَظيمٌ وَعِبادةٌ عظيمةٌ يَأتي إليهَا المُسلمونَ مِن أَقطارِ الأرضِ ويَجتمعونَ فِي هَذهِ المَشاعِرِ العَظيمةَ يدعونَ رَبهم وَيتوبونَ إليهِ ويَستغفرُونَهُ فتغفرَ لَهُمْ ذنوبُهم وتكفرُ عنهم سَيِّئَاتِهِمْ وَتُرفعُ دَرَجَاتِهِم فَيرجعونَ إلىٰ بِلاَدِهمْ متطهرينَ منَ الذنوبِ والخَطَايَا، والحجُ المبرورُ هو الحجُّ الذي أُدِّيَ كَما أمرَ اللهُ تَعالىٰ بأركانِهِ وَواجباتِهِ وَسُنَنِهِ، الحَجُ التَامُ المُوافِقُ لسنةِ الرسولِ ﷺ كَمَا قَالَ تَعالىٰ ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ ﴾ [البقرة: ١٩٦] والحجُ المبرورُ هوَ الذي يَرجِعُ صَاحِبهُ منهُ أحسنَ حَالاً مِمَّا كَانَ قَبلَهُ، يرجعُ تَائِباً إلىٰ اللهِ مُنيباً إِليهِ مُحباً للخيرِ يَبغضُ الشَّرَ وَيكرهُ السيِّئَاتِ والذنوبَ والمعاصِي فَيرجعُ بِقلبٍ غيرِ القلبِ الذي كَانَ مِن قَبلُ تَائِباً إلىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ فَيَستمرُ عَلىٰ عِبادةِ اللهِ وعلىٰ طاعةِ اللهِ أمَا الذي يَرجعُ مِن الحَجِ وهوَ لَم يتغيرْ حَالُهِ مِن السُّوءِ والذُنوبِ والمعاصِي فَإنَّ حَجهُ لَيسَ مبروراً، فَعلامَةُ الحجِّ المبرورِ أنْ يرجِعَ المُسلِمُ منهُ علىٰ أحسنِ حالٍ، أنْ يَرجِعَ المُسلمُ مِنهُ تَائباً إلىٰ اللهَ عَزَّ وَجلَّ، أنْ يرجِعَ مِنهُ المُسلمُ رَاغباً فِي الخيرِ كَارِهاً للشرِّ، أنْ يَرجِعَ مِنهُ المُسلمُ مُواصلاً للطَاعَاتِ والعِبَادَاتِ هَذَا هُوَ الحَجُّ

---

(١) البخاري (١٦٥٠)، مسلم (٢٤٠٣)، الترمذي (٨٥٥)، النسائي (٢٥٨٢).

(٢) مسلم (٢٤٠٤)، أحمد (٧٠٧٧)، النسائي ٢٥٨٠ (مقارب).

المَبرورُ الذي لَيسَ لَهُ جزاءٌ إلاَّ الجَنَّة إنَّهَا نِعمٌ عَظيمةٌ أنعمَ اللهُ بهَا عَلىٰ عِبادِهِ المُؤمنينَ تَتكررُ عَليهِمْ فِي أيامِهِم وَفي أَسابيعهمْ وِفي سَنَتِهم كَلُّ مَوسِمٌ أَعظَمُ مِن المَوسمِ الذي قبلهُ وَهذَا فَضلٌ مِنَ اللهِ سبحَانَهُ وتَعالىٰ. فَالمُسلِمُ الذي صَادَفَ هَذهِ المَوَاسِمَ فِي عمرهِ وأَحياهَا بِطاعةِ اللهِ واغتنمَهَا بالعِبادَةِ، إنَّهُ المُسلِمُ الذي كَتبَ اللهُ لَهُ السعَادَةَ فِي الدُّنيا والآخِرةِ ثُمَّ أنَّ هَذا الحجَّ ختمَ اللهُ بِهِ السنَةَ الهِجريَّة فَهوَ خيرُ خِتامٍ للعَامِ لِمن وَفقَهُ اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعالىٰ. فَأنتُم تَختِمونَ الآنَ عاماً هِجرياً مَرَّ بِكم وَمَرتْ فِيهِ هَذهِ المَواسمُ فَحاسِبُوا أنفُسَكُم مَاذَا حَصلتُمْ عَليهِ مِنَ المَنَافِعِ وِمنَ الخَيرَاتِ وَمِنِ الأُجورِ وأَقرَبُهَا مَوسمُ الحجِّ الذي قَالَ اللهُ جلَّ وعلاَ لِخَليلهِ إِبرَاهيمَ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ [الحج: ٢٧-٢٨] ليشهدُوا مَنَافِعَ لَهُم وَلم يُحدِدْ هذِهِ المَنَافِعَ لأنَّهَا كَثِيرةٌ والنَّاسُ مُختَلِفُونَ فِيهَا فَمنِهُم المُقلُّ مِنْ هَذِهِ المَنَافِعِ وَمِنهُم المُستَكثِرُ كُلٌّ عَلىٰ حَسَبِ مَا وَفقَهُ اللهُ سُبحَانَهُ وتَعالىٰ ﴿ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَامِ ﴾ [الحج: ٢٢] فهوَ موسِمٌ عَظيمٌ تَتنَوعُ فِيهِ العِبَادَاتُ المَاليةُ والعِبَادَاتُ البَدَنيةُ، عِبادَةَ القَلبِ، وعِبادَةَ اللِّسانِ، وعِبَادَةَ الجَوارحِ، كلُّها تَجتمَعُ فِي الحَجِّ وَقد مَرَّ وانتهىٰ فَلنُحاسِبْ أنفُسَنَا مَاذَا حَصَّلنَا مِنْ هَذَا المَوسِمِ العَظِيمِ وَمَاذَا خَتمَنَا بِهِ عَامَنَا، وَبرَكَاتِ الحَجِ ليسَتْ قَاصِرةً عَلَىٰ الحُجَّاجِ بَلْ إنَّها تَتَناوَلُ المُسلِمينَ فِي كُلِ مَكَانٍ. فَالمُسلِمُ يُشَارِكُ إِخوانَهُ الحُجاجَ وَلِهَذَا يَتَقَرَبُ إلىٰ اللهُ جَلَ وَعَلاَ بِذَبحِ الأَضَاحَي، يَتقَربُ إلىٰ اللهُ جَلَّ وَعَلاَ بصلاةِ العِيدِ، يشارِكُ الحُجَاجُ فِي مَوسمهم فَهوَ نَفعٌ عَظيمٌ للمُسلِمينَ جَميعاً، وَأَيضاً للحُجَاجِ الذينَ مَنَّ اللهُ عَلِيهِم بِحَجِ بَيتِهِ العَتيقُ يَستغفِرُونَ لإِخَوانِهُم وَيدعونَ لَهُم

وَيتعَاونَونَ عَلَىٰ البرِ والتَقوىٰ، والمُقِيمُونَ فِي بِلادِهِم يَدعونَ للحُجَاجِ بالتَّوفِيقِ والسَّلامَةَ وأنْ يُكمِلَ اللهُ عَليهِم مناسِكَهُمْ، فَالمُسلِمُونَ مُتعَاوِنُونَ مُتحَابُّونَ فِي اللهِ عزَّ وَجلَ ويَشترِكُونَ فِي هَذهِ الأجُورِ العَظِيمةِ إمَّا بِالفِعلِ، وإمَا بالنِيَّةِ، والقَصدِ، وإمَّا بِالدُّعَاءِ إذَا صَلُحَتْ نِيَّاتُهمْ وصَحَتْ عَزائِمهُمْ، فَالسنة تُؤدِي فيها أَركانُ الإِسلامِ الخَمسةُ كُلَّ سَنةٍ، الشهَادتانِ وهُمَا الرُكنُ الأوُل تؤدىٰ فِي كُل لَحظةٍ وفِي كُل حِينٍ وفِي كُلِ وَقتٍ وكُلُّ مُسلِمٍ يَشهُدُ أنَّ لاَ إله إلاَّ اللهُ وأنَّ مُحمَّداً رسولَ اللهِ يَشهدُ بِهَا ظَاهِراً وَبَاطِناً لاَ يتخلَّىٰ عَنهَا، الصَلواتُ الخَمْسُ فِي اليومِ واللَّيلةِ وِهي الرُكنُ الثَّاني مِن أركانِ الإسلامِ، أداءُ الزَكاةِ فِي كُلِ سَنةٍ فِي كُلِ عَامٍ تؤدي الزَكَاة وَهِي الرَكُنُ الثَالِثُ مِن أركَانِ الإِسلامُ، صِيامُ شَهرِ رمضَانَ يُؤدىٰ فِي كُلِ عَامٍ وَهوَ الرُكْنُ الرَابعُ مِن أركَانِ الإسلامِ، الحَج يؤدىٰ فِي كُلِّ سَنةٍ عَلىٰ المُسلِمينَ وَهوَ الرُكنُ الخَامِس مِن أركَانِ الإسلام والذي قَالَ اللهُ جلَ وعلاَ فِيهِ ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، هذا هو دِينُ الإسلام يَا عِبادَ اللهِ. دِينُ عِبادةٍ وَدينُ إخلاصٍ ودينُ مَواسِم للخَيرِ فَعَلَينَا أنْ نَتنَبَّه لِذَلِكَ وأَن نَغتَنِمُ أجورَ هَذِهِ المَوَاسِمَ وأَن نَحيَاهَا حَياةً كَرِيمَةً وَألاَّ تَمرُ عَلينَا كَغيرِهَا مِن الأيَامِ ونحنُ مقيمونَ علىٰ الذُنوبِ والمَعاصيَ والسيِّئاتِ لاَ نُفكرُ فِي العَواقِبِ وَلاَ نَستحضِرُ المُستَقبَلَ الذي لابُدَ لَنَا مِن المَسِيرِ إليهِ، فَاتَّقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ وحَافِظوُا عَلىٰ دِينكُمْ، وحَافِظُواْ عَلىٰ أرْكانِ الإسلامِ وحَافِظوُا عَلىٰ جَميعِ مَا أمرَكُم اللهُ تَعالىٰ بِهِ واجتَنِبُوا مَا نَهَاكُمْ الله عَنهُ تَكونُوا مِنَ السُعدَاءَ.

أعوذُ باللهِ مِنَ الشَيطَانِ الرَجيمِ ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢١]، بَارَكَ اللهُ لي ولَكُم فِي القُرآنِ العَظيمِ.

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ عَلىٰ فَضلِهِ وإحسَانِهِ وأشهدُ أنْ لاَ إلٰهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ وأَشهدُ أنَّ مُحمَّداً عبدهُ ورَسولُهُ صلىٰ اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وأصحَابِهِ وَسلَم تَسليماً كثيراً. أمَا بعدُ:

أيُّها النَاسُ، اتَّقُوا اللهَ سُبحانَهُ وتَعالىٰ واعلمُوا أنَّ المَحرومَ مَن حُرِمَ الخَيرُ، المَحرومُ مَنْ تَمرُ عَليهِ هَذِهِ المَواسِمُ العَظِيمَةُ وَلاَ يلقىٰ لهَا بَالاً، لاَ يهتمُ بالصلواتِ الخمسِ، لا يهتمُ بالجُمعةِ لاَ يهتمُّ بِشهَرِ رَمضانَ، لاَ يهتمُ بالحجِّ، لاَ يهتمُ بالأعمالِ الصَالِحَةِ تَمُرُّ عَليهِ وَتنتهي وَلمْ يَستفِد مِنهَا وإنَّمَا قَلبهُ مُعلَّقٌ بِالشَهَواتِ البهيميةِ فَهَمُّهُ نَيلُ شهواتِهِ وهمُّهُ قَضاءُ أوطَارِهِ فِي غيرِ طائلٍ وَفِي غيرِ مَنفعةٍ تكونُ حَياتُه عَليهِ وَبَالاً ويَكونُ يومَ القيامةِ مِن الخَاسرينَ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر: ١٥] تَمرُ عَلِيهِ هَذِهِ المَواسِمَ كَغيرِهَا لاَ يلتفِتُ إليهَا أَو هُوَ مُعلَّقٌ قَلبُهُ بالدُّنيَا يلهثُ وَراءَهَا ويَجمعُهَا مِن حلالٍ وحرامٍ مِن أي وَجهٍ يُكدَسُهَا ثُمَ يَكونُ حَارِساً لَهَا يَرصُدُهَا ويخدِمهَا ويسهرُ لَيلهُ ويَتعَبُ نَهارَهِ فِيهَا وفي مُتابَعَتِهَا ثُمَ يموتُ ويَترُكهَا لِغَيرِهِ ويَتَحَملُ أوزَارَهَا ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج: ١١]، نسألُ اللهَ العَافيةَ، والموفقُ مَن وَفقَهُ اللهُ لصالحِ دِينهِ ودُنيَاهُ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١]، فيأخذُ مِنَ الدُّنيَا مَا يعِينَهُ عَلىٰ طَاعةِ اللهِ وَمَا يغنِيهِ عَنِ النَّاسِ، يَأخُذُ مِنَ الدُّنيا مَا يَعيشُ بِهِ عيشةً هَنيةً يعَيشُ مِنَ الحلالِ ويَترُكَ الحرامَ هَذَا هُوَ

السَعيدُ، وأمَّا مَن صَارَت الدُّنيَا هَمَّهُ فَإنَّ اللهَ يُشتِّتُ شَملَهُ ويُدِيمُ فَقرَهُ وَيمُوتُ مُفلساً مِنَ الدُّنيَا والآخِرَةِ. نَسألُ اللهُ العَافِية والسلامةَ فَحَاسِبواْ أنفُسَكُمْ أيُّهَا النَّاسُ حَاسِبُوا أنفسَكُم قَبلَ أنْ تُحَاسَبُوا فَإن الحِسَابَ لابدَ مِنهُ، فِمنَ النَاسِ مَن يَدخلُ الجنةَ بِغَيرِ حِسَابٍ وِمِنَ النَاسِ مَن يُحَاسبُ حسَاباً يسيراً وَينقلِبُ إلىٰ أهلِهِ مَسرُوراً ومِنَ النَاسِ مَن يُنَاقَشُ الحِسابَ ومَن نُوقِشَ الحُسابَ عُذِب، وَمِنَ النَاسِ مَن يُزَفُ إلىٰ النارِ ولاَ يُحَاسَب لأنهُ ليْسَ لهُ حَسنَاتٌ وليَسَ لَهُ أعمَالٌ صَالِحةٌ وإنَّمَا زَادُهُ كُلُّهُ إلىٰ النَارِ. نَسألُ اللهَ العَافيةَ. فَفَكِرُوْا في أحوَالِكُمْ مَعَ أي الأَقسَامِ سَتكونونَ يَومَ القِيامَةَ. المُسلِمُ يُحاسبُ نَفَسَهُ فِي هَذِه الدُّنيَا قَبلَ يَومِ الحِساب.

ثُمَ اعلمُوا أنَّ خَيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ....

* * *

الحمدُ للهِ ربِ العَالَمِينَ يَقذِفُ بالحقِ عَلىٰ البَاطِلِ فَيدمَغهُ فَإذَا هُوَ زَاهِقٌ وأشهدُ أنَّ لاَ إلٰهَ إلاَّ اللهَ وحدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ ﴾ [الصافات: ٥] وأشهدُ أنَ محمداً عبدَهُ ورَسوله بعثَهُ بالهدىٰ ودِينِ الحقِ والقولِ الصَادقِ صلىٰ اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وأصحَابِهِ الذينَ اختَارَهُمْ اللهُ لِصُحبَةِ نبيهِ ليغيظ بِهِم كُل كافِرٍ ومُنَافِقٍ وسلَّم تسليماً كثيراً. أمَا بَعدُ:

أيُّها النَّاسُ:

أتقُوا اللهَ تَعالىٰ، وتَفكَّرُوا فِيمَا قَصَّهُ اللهُ سُبحَانَهُ وتَعَالىٰ مِن قِصصِ الأنبياءِ والمُرسلَينَ مَعَ أُمَمِهِم «عِبرةً لأُولي الألبابِ» ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [يوسف: ١١١]، فاللهُ سُبحانَهُ وتَعالىٰ ذَكرَ لَنَا مَا جَرَىٰ بينَ الأنبياءِ ومُخالِفِيهِمْ مِن الأُمَمِ السَابِقَةِ ومَا انتهىٰ إليهِ الأمرُ مِن نُصرةِ الحقِ عَلىٰ البَاطِلِ ليَكونَ بِذَلِكَ عِبرةً لنَا، وَمِن ذَلِكَ مَا قَصَّهُ اللهُ عَلينَا مِن نبأِ مُوسىٰ وفِرعوَن بِالحَقِ لِقومٍ يُؤمنونَ ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص: ٤] فهَذَا فِرعونُ مَلِكُ مِصرَ أعطَاهُ اللهَ المُلكَ والقُوةَ فَاستبدَّ بِذَلِكَ وأُعجِبَ بِنفَسهِ وبِمُلكِهِ وقسَّمَ النَاسَ إلىٰ قِسمينِ قسمٌ هم جَماعتهُ مِنَ الأقبَاطِ وهَؤلاءِ يغدِقُ عليهِمْ العَطَاء ويَمنحهُم الرُّتَب، والقِسمُ الثَانِي بنُو إسرائيلَ نبيُ اللهُ عليهِ السلامَ. هَؤلاءِ يَمتَحنُهُمْ ويُهينُهُم ويَستخدِمُهُمْ فِي أخسِّ الحِرَفِ فَيجعَلُهُم خَدماً للقِبطِ، وَكانَ يَخافُ من أنْ يثأرُوا مِنهُ فِي المُستَقبلِ فَكَانَ يذبحُ أبنَاءَهُم لئِلاَّ يَكونُوا رِجالاً فِي المُستَقبَلِ يَخشىٰ مِنهُم أنْ يَنتَقِمُوا مِنهُ

ويَستحيي نَسَاءَهُم لأجلِ الخِدمةِ لأجلِ أنْ يَستخدِمُوا هَؤلاءِ النِّسَاءِ لأنَّهُن ليَسَ منهُنَّ خطَرٌ فِي المُستقبَلِ وَلَكِنَّ اللهَ سُبحَانَهُ وتَعَالىٰ قَالَ: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝ ﴾ [: ٥، ٦] فَعِندَ ذَلكَ وُلِدَ مُوسىٰ عليهِ الصَلاةُ والسلامُ ونَجَّاهُ اللهَ مِن القَتلِ وعاشَ عِيشةً قَويَّةً فِي بيتِ فِرعَونَ لأنَّ فِرعَونَ تَبَنَّاهُ وَهَذَا مِن أعجبِ آيَاتِ اللهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالىٰ أن الذي كَانَ يحذرَ مِنهُ صَارَ يُرَبِّيهِ، فَلمَّا بَلغَ أشُدَّه واستوىٰ عَليهِ الصَّلاةُ والسَلام وحصُلَ منهُ مَا حَصُلَ مِن قَتلِ رَجلٍ مِنَ القِبطِ وتَآمَرُوا بِقَتلِهِ والانتقامِ منهُ هَربَ مِنهُمْ إلىٰ أرضِ مَدينَ وبَقِي فِيهَا مُدَّةً طَويلةً تزوَجَ مِنهُم فِي مُقَابِلِ أنْ يرعىٰ الغَنَمَ فرعىٰ الغنمَ عَشرَ سِنَينَ مَهراً لِهَذِهِ المَرأةَ التي تَزوجَهَا ثُمَ لَمَّا أكملَ المُدَّةَ عَادَ إلىٰ أرضِ مِصرَ مَعهُ زَوجتُهُ. وبينمَا هُوَ فِي الطريقِ وَفِي اللَّيلِ المُظلِم وَفِي البَردِ الشَدِيدِ إذْ رَأىٰ نَاراً فَأَرَادَ أَنْ يَذهبَ إليهَا وَكَانَ قَدْ ضَلَّ الطَريق ذَهبَ إلىٰ النَارِ لِيأتِي مِنهَا بِخَبرٍ يَدُلهُم عَلىٰ الطَريقِ أوْ يَأتي مِنهَا بِقَبَسٍ يَستدفئُونَ بِهِ مِنَ البَردِ فإذَا هَذِهِ النارِ آيةٌ مِن آيَاتِ اللهِ سُبحَانَهُ وتَعالىٰ فعندهَا كَلَّمُه اللهُ سُبحَانَهُ وتَعَالىٰ واختَارَهُ لِرسَالتِهِ وأمَرَهُ أنْ يَذهبَ إلىٰ فرعَونَ وأنْ يدعوهُ إلىٰ اللهِ لعلَّه أن يتوبَ، لأنَّ اللهَ سبحانَهُ وتَعالىٰ لاَ يأخذُ الكُفَّار والمعَانِدينَ إلاَّ بَعدَ أنْ يُقيمَ عليهِمُ الحُجَّةَ فَطَلبَ مُوسىٰ مِن رَبِّهِ أنْ يَجعلَ مَعَهُ أخَاهُ هَارونَ وزيراً لَهُ فَأَجابَ اللهُ دَعوتَه، فَذَهَبَ مُوسىٰ وَهَارونَ عَليهِمَا السلامُ إلىٰ فرعونَ بِأمرِ اللهِ سُبحانَهُ وتَعالىٰ وَعَرَضَا عَليهِ الإسلامَ وعَرَضَا عَليهِ أنْ يُخلي عنْ بَني إسَرائيلَ وألاَ يُعَذبَهُمْ فَعِندَ ذَلِكَ غَضِبَ فِرعَونَ عَلىٰ مُوسىٰ وذَكَّرَهُ بِتربيتَهُ لَهُ ولَمْ يعلم أنْ دَعوتَهُ إلىٰ اللهِ أعظمُ مُكافَأةً لَهُ يُقدِّمُهَا مُوسىٰ إليهِ لو أنَّهُ اهتدىٰ وقالَ ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝ ﴾ [طه: ٤٩]، وقالَ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا

عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨] وقالَ لِمُوسىٰ ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء: ٢٩] وقالَ ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤] فَعِندَ ذَلِكَ قالَ لهُ موسىٰ إنَّ مَعهُ بينَةً مِنَ اللهِ تَدُلُّ علىٰ أنَّهُ رَسولٌ مِن عِندِ اللهِ ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأعراف: ١٠٦] يَتحدَّىٰ مُوسىٰ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلام فألقىٰ مُوسىٰ عصاهُ، العَصَا التي كَانَت فِي يدِهِ ألقَاها عَلىٰ الأرضِ فَصَارَتْ حيةً عظِيمةً وَنَزَعَ يَدَهُ من جَيبهِ فَإِذَا هِيَ بَيضَاءَ كَالشمسِ ومَعَ هَذَا كَابَر فِرعَونَ وَقالَ هَذَا سِحرٌ وَعِندَنَا سَحَرةٌ ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [طه: ٥٨] ، فَجَمَعَ السَحَرةَ وتَواعَدوا مَعَ مُوسىٰ فِي يَومٍ مُعَينٍ واجتَمَعَ النَّاسَ ليَروُا مَنْ هُوَ الغَالِبُ مِنَ الفَرِيقينِ فَأمَرَهُم مُوسىٰ أنْ يُلقوا مَا مَعهُمْ فَألقُوا حِبَالَهُم وعِصِيَهُم وامتلأَ الوَادِي بهَا وأَلقُواْ عَليهَا القَمَرةَ وهِي السِحْرُ التَخيُّلِي فَصَارَتْ تَتَحَرَكُ فِي مَرأىٰ النَّاسِ لمَّا ألقُوا عَلَيهَا مِنَ القَمرةِ قَالَ تعَالىٰ: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [طه: ٦٦] ، وهِيَ فِي الحَقيقةِ عِصيٌ وحِبَالٌ وإنَّمَا بِسَببِ القَمَرةِ والسِّحرِ التَخيُّلِي الذي أَلقَوهُ عليهَا صَارَت كَأَنَّها تَسعىٰ ثُمَّ عِندَ ذَلِكَ أمرَ اللهُ مُوسىٰ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أنْ يُلقي عَصَاهُ فَألقىٰ عَصاهُ فَإذَا هِي «تَلقفُ مَا يَأفِكُونَ» أَي تَبتَلِعُ كُلَ مَا أَلقوهُ فِي الوَادِي حَتىٰ خَشُوا أنْ تَأتي عَليهِمْ وأنْ تَلتَقِمَهُمْ عِندَ ذَلِكَ أدركَ السَحَرةُ أنْ مَا مَعَ مُوسىٰ لَيسَ سِحراً لأنَّهُم أهلُ مِهنةٍ وَيعرِفُونَ السِّحْرَ فَعَرفُوْا أنَّ الذي مَعَ مُوسىٰ لَيسَ هُوَ مِن قَبيلِ السِّحرِ وإنَّمَا هُوَ آيةٌ مِنَ اللهِ فَآمَنَ السَحَرةَ وخَرُّوا سَاجِدينَ لِرَبِ العَالَمينَ فعِنـدَ ذَلِـكَ غَضِـبَ فِـرعـونَ وَقَـالَ لَهُـم ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٣] ثُمَّ اتهَمَهُم بِأنهُمْ تَمالؤواْ مَعَ مُوسىٰ عليهِ السلامُ لِيُفسِدُواْ مُلْكَ فِرعونَ فَبَطَشَ بِالسَحَرةَ بِأنْ قَطعَ أَيديهُمْ وأَرجلَهُم مِن خِلاف وَصَلَبهُم عَلىٰ

جُذوعِ النَخلِ حَتىٰ مَاتُوا وعِندَ ذَلِكَ قَالَ قَومُ فِرعونَ ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٢٧] لأنَّهُمْ لمَّا فَرغُوا مِنَ السَحَرَةَ الذِينَ أسلمُواْ التفتُوا إلىٰ مُوسىٰ وَمَن مَعَهُ فَقَالُوا: ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧] قالَ فِرعونُ ﴿ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٧] فَزَادَ حَنقَهُ وغيظهُ عَلىٰ بَني إسرائيلَ وتَوعدَهُم بِهذَا الوَعِيدِ الشَديد عِندَ ذَلِكَ أَمرَ اللهُ رَسولَهُ وكَلِيمَهُ مُوسىٰ عليهِ السَّلام أنْ يَخرجَ بِالمُسلمين مِن أرضِ فِرعَونَ فَخرَجَ بِهِمْ فِي اللَّيلِ مُتوجِّهاً إلىٰ حَيْثُ أمَرَهُ رَبهُ سُبحَانَهُ وتعالىٰ فلمَّا عَلِمَ فِرعونَ بِخروجِهِمْ ازدادَ غَضبُهُ وحنقُهُ عَليهِمْ فَجَمَعَ النَاسَ وَجمعَ رَعيتِهُ مِنَ المَدَائِنِ وقَالَ: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الشعراء: ٥٤ ـ ٥٦]، فَخَرجُوا فِي أثَرِهمْ يُرِيدُونَ البَطشَ بِهِمْ فلمَا كَانَ وَقتُ شروقِ الشمسِ وإذَا هُم قَدْ لَحِقُوا بِمُوسىٰ وَمَنْ مَعهُ عِندَ سَاحِلِ البحرِ فَقَالَ عِندَ ذَلِكَ قَومُ مُوسىٰ ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الشعراء: ٨،٧] يعني أنَّ البَحَرَ أمَامَنَا والعَدوَّ خَلفَنَا ولَيسَ لَنَا مَفرٌ قَالَ مُوسىٰ ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٢]، فَأَوحىٰ اللهُ إليهِ ﴿ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ﴾ [الشعرا: ٦٣]، فَضَربَ البَحرَ فانفلَقَ فَصَارَ طَريقاً يَابِسَة اثني عشَرَ طَريقاً بِقَدْرِ أسبَاطِ بَنِي إسرَائيلَ فَسَلَكُوا البَحَر طَرِيقاً يَبسا لاَ يَخافُونَ دَركاً ولاَ يخشونَ عَدُوًّا وخَرجواْ مِنَ البحرِ سَالِمِينَ ثُم دَخلَ فِرعونُ وَمنْ مَعهُ في أثرِهِمْ فَلمَّا تكَامَلَ فِرعَونَ وَمن مَعهُ في البحرِ أَطبَقَهُ اللهُ عَليهِمْ وعَادَ البَحرُ كَمَا كَانَ بَحراً مُتلاطِماً أموَاجاً، فَغَرقَ فِرعونُ ومَنْ مَعهُ مِنَ الجنودِ الهائِلةَ وبنَو إسرائيلَ ينظرونَ إليهِمْ ولمَّا أدركَهُ الغَرقُ قالَ: ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يونس: ٩٠] قالَ اللهُ لهُ ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ

قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٩١ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [يونس: ٩١، ٩٢] فقذفَ البَحرَ بجُثَةِ فِرعونَ يَنظرونَ إليهَا حتَىٰ يَتحققُوا أنَّه قَد ماتَ وهَلَكَ. وهَذَا مُلخَص قِصَةِ مُوسىٰ عليهِ السَّلام مَعَ فِرعَونَ ومَا انتهىٰ إليهِ الأمرُ وكَانَ هَذَا الحَدثُ العَظيمُ فِي اليومِ العاشِرِ مِن شَهْرِ اللهِ المُحرَّم فِي يَوم عَاشُورَاء فَصَامَ مُوسىٰ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلام والمُسلِمُون هَذا اليومَ شُكراً للهِ عزَّ وَجلَّ ولمَّا قدِمَ النبي ﷺ المدينةَ وجدَ اليهودَ يصومونَ هَذَا اليومَ فَسألَهُم فقَالُوا إنَّهُ يومٌ نجَّىٰ اللهُ فِيهِ مُوسىٰ وَقومَهُ وأغرَقَ فِيهِ فِرعونَ وَقومَهُ فنَحنُ نَصومُهُ كَمَا صَامَهُ مُوسىٰ عَليهِ الصَلاة والسَلاَم فَقالَ نَبينَا مُحمَّدٌ ﷺ «نَحنُ أحَقُ بِموسىٰ مِنكُمْ»(١) فَصَامَهُ ﷺ وأَمَرَ بِصِيَامِهِ ولَمَا كَانَ اليهودُ يصومونَهُ أرَادَ أنْ يُخَالِفَهَمْ فَأمَر بِصوم يَوم قَبلَهُ أوْ يوم بَعدَهُ مُخالَفةً لليهودِ. وأخبرَ ﷺ أنْ صَومَ يومَ عَاشُورَاء يُكفِرُ اللهُ بِهِ السنَةَ المَاضِيةَ فَهُوَ يَومٌ عَظِيمٌ يُستحبُ صِيَامَهُ شُكراً للهِ سُبحَانَهُ وتَعَالىٰ فَصِيَامَهُ سُنَّةٌ مؤكَّدةٌ فَصُومُوهُ بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ اقتداءً بنَبِينَا مُحمَّد ﷺ واقتداءً بِكَلِيمِ اللهِ مُوسىٰ عليهِ الصلاة والسلامُ واغتَنِمُوا أجرَهُ لِتَحصُلُوا علىٰ ثَوابِهِ.

أعوذُ باللهِ مِنَ الشَيطَانِ الرَّجيمِ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ۝٢٦﴾ [النازعات: ١٥ ـ ٢٦]. بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرآنِ العَظيمِ.

---

(١) الدر المنثور (١/١٦٧) ابن ماجة (١٧٣٤)، فتح الباري (٤/٢٤٦) عمدة القارى (١٠/٢٥٦)، شرح النووي (٤/١٠).

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ عَلىٰ فَضلِهِ وإحْسَانِهِ وأَشكُرُهُ عَلىٰ تَوفِيقِهِ وامتِنَانِهِ وأَشهدُ أنَّ لا إلٰهَ إلاَّ اللهَ وحدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ تَعظيماً لشأنِهِ وأشهدُ أنَّ محمَّداً عَبدُهُ وَرَسولُهُ الدَّاعي إلىٰ رِضوَانِهِ صَلَّىٰ اللهُ عَليهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وأصحَابِهِ وإخوَانِهِ وسَلَّم تَسليماً كثيراً. أمَّا بعدُ:

أيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ تَعالىٰ، إنَّ سُنَّةَ الأنبيَاءِ عَليهِمُ الصَلاةُ والسلامُ وأتبَاعِهِمْ مِن المُؤمنينَ حِينَمَا يَحصُلَ لَهُمْ النَّصرُ عَلىٰ أعدَائِهِمْ أنَّهُمْ يَشكرُوْنَ اللهَ عَزَّ وَجلَّ وَتزيدُ عِبَادتُهُمْ للهِ عزَّ وجلَّ ولاَ يَفتَخِرُونَ بِذَلِكَ وَيَتكبَّرُون كَفِعلِ الجَبَابرَةِ والطَواغيتِ الذِينِ إذَا انتَصَرُواْ زَادَ كُفرهمْ وَزَادَ شَرهُمْ وطُغيَانَهُم بَلْ إنَّ الرُسُل والمُؤمنِينَ إذَا انتَصَرُوا زَادَ خُضُوعَهُم للهِ عَزَّ وَجلَّ وشُكرهِم للهِ عَزَّ وَجلَّ هَذِهِ سُنَّةَ الأنبياءِ وأتبَاعِهِمْ وإنَّ هَذَا اليومَ يومُ عَاشُورَاء اختَلفَ فِيهِ أهلُ الضَلالِ وهدىٰ اللهُ أهلَ الحَقِّ فأَهلُ الضَلالِ انقَسَمُوا إلىٰ قِسمينِ قِسمٌ يَظهرونَ فِيهِ الحُزنَ والبُكَاءَ والعَويلَ وضَربُ أجَسامِهِمْ بِالسلاسلِ وَهُمْ الشِيعَةَ الرَوافضُ يَزعُمُونَ أنَّهُم يحزنُونَ فِيهِ عَلىٰ قَتلِ الحُسينِ رَضيَ اللهُ عَنهُ بزَعمِهِم لأنَّهُ قُتِلَ رَضي اللهُ عَنهُ فِي هَذَا اليومِ فِي اليومِ العَاشِرِ يَومَ عاشوُرَاءِ فهُمْ يَتَّخِذُونَهُ يَومَ حُزنٍ ويومَ نياحةٍ وبُكَاءٍ وعويلٍ، والقِسمُ الثَاني يتخِذُونَ يَومَ عَاشُورَاءِ يومَ فَرحٍ ويَومَ عِيدٍ يسرَحُونَ ويمرَحُونَ ويَتوسعُونَ بِالمَآكِلِ والمَشَارِبِ بَل رُبَمَا يُسمُّونَهُ عِيداً كَمَا عِندَ العَوامِّ يُسَمُّونَهُ عِيداً وَيقُولُونَ هُوَ عِيدُ العُمرِ أي مُحرم وَهوَ لَيسَ عِيداً، لَيسَ هُنَاكَ عِيدٌ إلاَّ مَا جَعَلَهُ الرَّسولُ ﷺ وَهُمَا عِيدُ الفِطْرُ وَعِيدُ الأَضحىٰ وَلَيْسَ للمُسلِمينَ عيدٌ غَيرَ

هَذَينِ العِيدينِ إنَّمَا يَومَ عَاشُورَاء يَومَ نَصرٍ للحَقِّ وظُهورٍ للحَقِّ، فالَّذي يُشرَعُ فِيهِ هُوَ الصِيامُ وشُكرُ اللهِ سُبحَانَهُ وتَعَالىٰ لاَ يُشرعُ فِيهِ عَويلٌ ونياحَةٌ وبُكَاءٌ ولاَ يُشرعُ فِيهِ فَرحٌ وسُرورٌ وتَبَسطٌ فِي المَآكِلِ والمَشارِبِ وهَذَا هُو منهجُ أهلِ الحقِّ وهُوَ المنهجُ الوَسطُ إنَّهُ يومُ عِبادَةٍ للهِ عزَّ وَجلَّ بِالصِيامِ والشُكرِ للهِ سُبحَانَهُ وتَعالىٰ.

نَسألُ اللهَ سُبحَانَهُ وتَعالىٰ أنْ ينصُرَ دِينَهُ وأنْ يُعلِي كَلِمَتَهُ وأنْ يُظهِرَ الحَقَّ الذِي وَعدَ بِظهُورِهِ عَلىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلو كَرِهَ المُشرِكونَ.

ثُم اعلَمُوا عِبادَ اللهَ أنَّ خَيرَ الحَديثِ كتابَ اللهِ. . . .

* * *

في التذكير بنعمةِ الإسلامِ ووجوبِ التَّمَسُكِ بِهِ عِندَ الفتنِ

الحمدُ للهِ الَّذي هَدَانَا للإسلامِ وَجَعَلَنَا خَيرَ أُمةٍ أُخرِجَتْ للناسِ وأشهدُ أَنَّ لاَ إِلَه إِلاَّ اللهُ وَحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ، ولَهُ الحمدُ يُحيي ويُميتُ وهُوَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قديرٌ وأشهدُ أَنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ البشيرُ النذيرُ والسراجُ المنيرُ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وعَلَىٰ آلِهِ وأَصحابِهِ وسلَّم تسليماً كثيراً.

أكبرَ نعمةٍ أنعمَ اللهُ بِهَا عَلَى المسلمينَ قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالَىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ [المائدة: ٤٠، ٥٠]، كانَ الناسُ قَبْلَ بعثةِ النبيِّ ﷺ في جميعِ أقطارِ الأرضِ في جاهليةٍ جهلاءِ وضلالةٍ عمياءِ، كانُوا يعبدُونَ الأصنامَ والأحجارَ والأشجارَ ويعبدُونَ معبُودَاتٌ كثيرةٌ، كُلٌّ يعبدُ مَا تهواهُ نَفسُهُ، وما أَدْرَكَ آباءه دُونَ رويةٍ ولا بصيرةٍ كانُوا يأكلونَ الميتَاتِ ويأكلُونَ الرِّبا ويغتصبُونَ أَموالَ الناسِ ويغيرُونَ عليهم كلَ قبيلةٍ تغيرُ على القبيلةِ الأُخرَىٰ فتسلبُ ما مَعَهَا مِنَ الأَموالِ وتقتلُ ما عِندَهَا من الرجالِ وكانُوا لا يجتمعُونَ تحتَ رايةٍ واحدةٍ فَمِنهُمْ من يخضعُ لدولةِ الفرسِ، ومنهم مَنْ يخضعُ لدولةِ الرومِ، ومِنْهُم من يخضعُ للقبليةِ العنصريةِ هكذا كانتْ حالتُهم فلمَّا بعثَ اللهُ محمداً ﷺ بالهُدَى ودينِ الحقِّ دَعَاهُمْ إلى الإسلامِ، فَمَنَّ اللهُ على مَنْ شَاءَ بالهدايةِ ودخلُوا في دينِ اللهِ شيئاً فشيئاً، إلى أنْ جاءَ الأوسُ والخزرجُ فبايعُوا رسولَ اللهِ ﷺ على الإسلامِ وأَنْ يُهَاجِرَ إليهم في المدينةِ حتى ينصُروهُ فهاجرَ المسلمونَ والرسولُ إلى المدينةِ ووفَّوُا بوعْدِهِم رَضِيَ اللهُ عَنْهُم وَجَاءَ الفَتحُ، وفتحَ اللهُ مَكةَ لِرسولِهِ ﷺ ودَخَلَ منتصراً مظفراً فَعِندَ ذَلِكَ دخلَ

الناسُ في دينِ اللهِ أفواجاً ثُمَ تُوفي ﷺ وتَسَلَّمَ الرايةَ من بعدِهِ خلفاؤُه الراشِدُونَ فنشرُوا الإسلامَ في مشارِقِ الأرضِ ومغاربِهَا وتوالتْ الفتوحاتُ حتى سقطَتْ دَوْلَةُ كِسرَىٰ، وَقَيْصَرَ دَوْلَةَ الرُّومِ، وَدَوْلَةَ الفُرسِ وصَارتْ تحتَ ولايةِ المسلمينَ في زمنٍ يسيرٍ صارتْ تحتَ رايةِ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ محمدٌ رسولُ اللهِ واستقرَّ الإسلامُ وانتشرَ بالدعوةِ والجهادِ في سبيلِ اللهِ وظهرَ على الأديانِ كلِّها كما قالَ تعالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الصف: ١٤] هذا هُوَ دينُ الإسلامِ الذي بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسولَهُ ﷺ وهو الاستسلامُ للهِ بالتوحيدِ، هذا هو رأسُ الأمرِ، رأسُ الأمرِ التوحيدُ وهو إخلاصُ العبادةُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ والتزامِ دينِهِ وشرعِهِ فلا شرعَ مَعَ شرعِهِ، ولا دينَ مع دينِهِ إِنَّما الدينُ كُلُّه للهِ سبحانَهُ وتعالىٰ فَمَنْ لَمْ يستسلِمْ للهِ فهو متسكبرٌ ومَنْ استسلمَ للهِ ولغيرِهِ فَهُوَ مشرِكٌ ومن استسلمَ في الظاهرِ دُونَ الباطِنِ فهو منافقٌ في الدرْكِ الأسفلِ من النارِ، وأَمَّا مَنْ استسلمَ للهِ ظاهراً وباطناً فهذا هو المؤمنُ الحقُ وهذا هو الإسلامُ الصحيحُ، والانقيادُ له بالطاعةِ الانقيادُ للهِ سبحانَهُ وتعالَى بطاعتِهِ وطاعةِ رسولِهِ ﷺ في كُلِّ ما يأمرُ اللهُ بِهِ وفي كُلِّ ما يأمرُ بِهِ الرسولُ ﷺ وتركُ ما نهىٰ عنهُ اللهُ عنهُ أو نَهَى عَنْهُ الرسولُ ﷺ انقياداً اختيارياً عن رغبةٍ ومحبةٍ أَمَّا مَنْ استسلمَ بظاهرِهِ ولَمْ ينقدْ للطاعةِ فهذا لَيْسَ بمسلم وإِنْ ادَّعىٰ أَنَّهُ مسلمٌ، والبراءةُ من الشركِ وأهلِهِ، لا يصحَ إسلامٌ بدونِ البراءةِ مِنَ الشركِ ومِنَ الكفرِ فإِنَّ اللهُ سُبحانَهُ وتعالَى قَدَّمَ الكفرَ بالطاغوتِ على الإيمانِ باللهِ لأَنَّ الإيمانَ باللهِ لا يصحُّ إلاَّ بَعدَ الكفرِ بالطاغوتِ، قال تعالَى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]،

فلا يجتمعَ إيمانٌ بالطاغوتِ مَعَ إيمانٍ باللهِ سبحانَهُ وتعالَى بَلْ لابُدَّ من الكفرِ بالطاغوتِ أَولاً ثم الإيمانِ باللهِ عزَّ وجلَّ وهذا هو معنى لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ فَإِنَّ معنَى لا إِلٰهَ إلاَّ اللهُ هو الكفرُ بالطاغوتِ والإيمانُ باللهِ عزَّ وجلَّ بالعبادةِ والانقيادِ والطاعةِ والإخلاصِ والمُتابعةِ للرَّسولِ ﷺ، فَالذِي يقولُ أنَهُ لاَ فرقَ بينَ الأديانِ ويَقولُ بِحريةَ الأديانِ ولاسِيمَا اليَهودِيّة والنَصرانيَّة ويَقولُ النَّاسُ أحرارٌ فِي عِبادَاتِهِمْ هَذَا لَم يُؤمِن بِاللهِ عزَّ وَجلَّ لأنَه لَمْ يَكفرْ بِالطَّاغوتِ وَلاَ يعتَقِدُ أنَّ الأديَانَ الكَافِرةَ بَاطِلةٌ بَلْ يَعتقِدُ أنَّهَا أدِيَانُ حَق وأنَّ كُلاًّ يعبدُ اللهَ بِزعمِهِ وَهَذِهِ مَقولةٌ شَاعَتْ فِي هَذَا الوَقتِ بِلْ مِنهُمْ منْ يَقولُ أنَّ النَّصَارَى إخوانُنَا واللهُ جلَّ وَعَلاَ يَقولُ ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة: ٥١] بل أنَّهُ سبحَانَهُ وتعالىٰ أمَرَ بالبرَاءةِ مِنَ الوَالِدِ والوَلدِ والإخوانِ والعَشيرةِ إذَا كَفرُوا باللهِ عزَّ وجلَّ فقالَ سبحانَهُ ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة: ٢٢] هَذِهِ هيَ البَرَاءةُ مِنَ الشِّركِ والبَرَاءَةُ مِن أهلِ الشِّركِ، هُنَاكَ مِن يَنتَسِبُ إلىٰ الإسلام ولاَ يتركُ الشِّرْك فَتَراهُ يَقولُ لاَ إِلٰهَ إلاَّ الله ثُمَّ يذهبُ يدعُو غَيرَ اللهِ ويذبحُ لِغيرِ الله ويُنذرُ لِغيرِ اللهِ مِن أصحابِ القُبورِ والأضرِحَةِ فهَذَا لَم يترُك الشِّرك. وهُنَاكَ مَنْ لاَ يَقعُ مِنهُ شِركٌ لَكنَّهُ لاَ يتبرَأُ مِنَ المُشرِكينَ فَيَقولَ هُم أصحَابُ أديانٍ والناسُ أحرارٍ في أَديانِهِم ونَحواً مِن هَذِهِ المَقُولاتِ الخَبيثَةِ فَهَذَا لاَ يصِحُ لَهُ دينٌ ولاَ يَستَقِيمُ لَهُ إسلامٌ حتىٰ يَتَبرَّأَ مِنَ الشِّركِ وأَهلِهُ فالدِّينُ بالوَلاءَ والبرَاءِ يُوالِي أوْلياءَ اللهِ ويُعَادِي أعْدَاءَ اللهِ ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۞ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦] ومَن مَنّ اللهُ عَليهِ بالإسلامِ فإنهُ يَسألُ اللهَ الثَبَاتَ عَلَيهِ ويَخَافُ مِنَ الفِتَنِ والرِّدَّةِ عَن دِينِ الإسلامِ لأنَّ الإنسانَ مَا دامَ عَلىٰ قَيدِ الحَياةِ فإنَّه مُعرَّضٌ للفِتَنِ والانصرافِ عَن دِينِ اللهِ فَهَذَا خَليلُ اللهِ إبراهيمَ عليهِ الصَّلاةِ والسلامِ الذي كَسَر الإصنامَ بِيدِهِ يَقولُ فِي دُعائِهِ لِرَبِّهِ ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، فالحيُّ لا تُؤمنُ عَليهِ الفِتنةُ واللهُ جلَّ وَعَلاَ يَقولُ: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢١٧﴾ [البقرة: ٢١٧] والنبي ﷺ حَذَّرَ غَايَةَ التَحذيرِ مِن نَواقِضِ الإسلامِ قالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام «لاَ تُشرِكُوا باللهِ شَيْئاً وإنْ قَطعتُمْ أوْ أحرقتُمْ»(١) وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسلامُ «ثَلاث مَنْ كُنَّ فِيهِ وجدَ حَلاوةَ الإيمانَ أنْ يَكونَ اللهُ ورَسولِه أحَب إليهِ ممَّا سِواهُمَا وأنْ يُحبَّ المَرءُ لاَ يُحبهُ إلاَّ للهِ وأنْ يَكرَهُ أنْ يُقذَفَ فِي الكُفرِ بَعد أَنْ أنقذَهُ اللهُ مِنهُ كَمَا يَكرَهُ أنْ يُقذَفُ فِي النَّارِ»(٢) وهَذَا خَبيبٌ بنُ عُدِي رَضيَ اللهُ يَأتِي بِه المُشرِكونَ لِيصلِبُوهُ عَلىٰ الجَذعِ ويَقتلُوهُ عَلَيهِ وهُوَ يَقولُ:

وَلستُ أُبَالي حِينَ أُقتَلُ مُسلِمَاً ... عَلىٰ أي جَنبٍ كَانَ للهِ مَصرعي

ذَلِكَ فِي ذَاتِ الإلـهِ وإنْ يَشأ ... يُبَارِكْ عَلىٰ أوصالِ شلوٍ مُمزَعِ

وَهَذَا بِلالُ رضيَ اللهُ عنهُ يَأتي بِهِ المُشرِكُونَ فَيطحَونَهُ عَلىٰ الرَمضاءِ فِي بِطحَاءَ مَكةَ أوْ يَلقوْنِهِ عَلىٰ ظَهرِهِ فِي الرَّمضَاءِ المُلتَهِبةِ ويضعونَ عَليهِ الحِجَارَةَ الثَقيلةَ ويَطلُبونَ مِنهُ أنْ يَكفُرَ بِمُحمَّد ﷺ فيَقولُ أحدٌ أحدٌ، ولا يَزيدُ عَلىٰ ذلِكَ

---

(١) الترغيب والترهيب (١/ ٢١٤)، الأحاديث المختارة (٨/ ٢٨٨)، الدر المنثور (١/ ٧١١).

(٢) البخاري (١٥)، مسلم (٦٠)، النسائي (٤٩٠٣)، ابن ماجة (٤٠٢٣).

وهَذَا خبَّابُ بن الأرَت رَضِي اللهُ عَنهُ يُلقىٰ عَلىٰ ظَهرَهُ عَلىٰ الجَمرِ فيُسحبُ علىٰ الجَمْر لِيرتَدَّ عَن دِينِ الإسلام فيأبىٰ ويتَمسَك بالإسلام، وكَثِيرٍ وكَثيرٌ مِمَّن عُرِّضُوا للفِتنَة فثَبَتُوا عَلَىٰ دِينِهم فَمِنهُم من قُتِلَ ومِنهُم مَن نَجَّاهُ اللهُ مِن الفِتنة بَعدَ صَبرَ وبعدَ ثَباتٍ. ذكرَ لَنَا رَسولُ اللهِ ﷺ أنَّ رجُلاً دَخَلَ النَّارَ في ذُباب ورَجُلاً دَخلَ الجنَّة فِي ذُبابٍ، قالُوا: يَارَسولَ اللهِ ومَا ذَلكَ؟ قَالَ: «مَر رَجُلانِ عَلىٰ قومٍ لهُم صَنَمٌ لاَ يُجاوِزُهُ أحَدٌ حَتَّىٰ يُقرِّبَ لَهُ قُرباناً، فَقَالُوا لأحَدِهِمَا قَرِّب، فَقَالَ: مَا عِندي شيءٌ أُقرِّب لَهُ. قالُوا: قرِّب ولوْ ذُباباً، فَقَربَ ذُباباً فَخلَوا سَبيلِهِ فدَخلَ النَارَ. وقَالُوا للآخَرِ: قَرِّب قَالَ: مَا كُنت لأُقَرِّبُ لأحدٍ شيئاً دُونَ اللهِ. فضَربُوا عُنقَهُ فَدَخَلُ الجنَّة»[1]. هَذَا هُوَ الإيمانُ ولَكِنْ يَا عِبادَ اللهِ يَجبُ عَلىَ المُسْلِمُ أنْ يَعْرِفَ مَا هُو الإسلامُ أنْ يَتعلَّم الإسلامَ وشَرائِعَ الإسلامِ وإلاَّ فَحرِيٌّ أنْ يقعَ فِي نَقيضِ الإسلامِ وَهوَ لاَ يشعرُ. قالَ عُمَرَ بنُ الخطابِ رضي اللهُ عنهُ: يُوشِكُ أنْ تُنقَضَ عُرَىٰ الإسلام عُروةٌ عُروةٌ إذَا نَشأَ فِي الإسلامِ مَن لا يعرِفُ الجَاهِلية. فيَجبُ علىٰ المُسلِمِ أنْ يتَعَلَّمَ دِينَهُ، أنْ يَتَعلم مَا هُو الإسلامُ حتَّىٰ يَتَمسكَ بِهِ وأنْ يَتَعلمَ مَا هِي نَواقضُ الإسلام حَتىٰ يَتَجنبَهَا. واللهُ سُبحَانَهُ وتَعالىٰ يَقولُ فِي كِتابِهِ العزيزُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ويقولُ إبراهيمُ ويعقوبُ ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[البقرة: ١٣٢]، هَذَا كُلُهُ خوفاً مِنَ الردَّةِ والوَفاةِ عَلىٰ غَيرِ الإسلامِ، والأعمالُ بِالخَوَاتِيمِ والنَبيِّ ﷺ يَقولُ: «إنَّ أَحَدَكُم لَيعملُ بِعَملِ أَهْلِ الجَنَّةِ حتىٰ مَا يَكونُ بينَهُ وبينَهَا إلاَّ ذِراعٌ فَيَسبِقُ عَليهِ

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٣٠٣٨)، (٦/ ٤٧٣)، شعب الإيمان (٥/ ٣٨٥)، الزهد لابن حنبل (١/ ١٥).

الكِتابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهلِ النَّار فَيدخُلُهَا وإنَّ أَحَدَكُم لَيعمَلُ بِعَمَلِ أهلِ النَّار حَتىٰ مَا يَكونُ بينَهُ وبَينَهَا إلاَّ ذِراعٌ فَيَسبِقُ عَليهِ الكِتَابُ فَيعملُ بِعمَلِ أهلِ الجنةِ فيدخلهَا»(١). فالأعمالُ بِالخَواتِيمِ. ولِذَلِكَ يجبُ عَلينَا أنْ نَسأَلَ اللهَ سبحانَهُ وتعالىٰ حُسنَ الخَاتِمَةِ وأنْ نَخافَ مِنَ الزَّيغِ ونَخَافَ مِن الرِدَّةِ ولاَ نُزكِّي أنفُسَنَا لاَسِيمَا وأنَنَا فِي عصرِ الفِتنَةِ وفِي عَصرِ المِحَنِ وفي عَصرٍ يُبتَلىٰ فِيهِ المُؤمنونَ أشَدَّ البَلاءِ وكلَّمَا تأخرَ الزَّمانُ تكثُرُ الفِتنُ. قالَ عَلِيهِ الصَّلاةُ والسلامُ: «بادرُوا بِالأعمَالِ فِتناً كَقِطعِ اللَّيلِ المُظْلِمِ يُصبِحُ الرَّجُلُ مُؤمِناً ويُمسي كَافِراً ويُمسي مُؤمِناً ويُصبِحُ كافِراً يَبيعُ دَينَهُ بِعَرضٍ مِنَ الدُّنيَا»(٢). نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ فعَلينَا أنْ نخَافَ عَلىٰ دِينِنَا وأنْ نَحذَرَ منَ الفِتنِ وألاَّ نُزَكِّي أنفُسَنَا وأنْ نَعمَلَ الأعمالَ التي تُقَرِّبُنَا إلىٰ رَبنَا وتُمكِنُنَا مِنَ التَمسُكِ بدِينَنَا.

بَارَكَ اللهُ لي وَلَكُمْ فِي القُرآنِ العَظيمِ.

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ علىٰ فَضلِهِ وإحسَانِهِ وأشهدُ أنْ لاَ إلٰهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وأشهدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدَهُ ورَسولَهُ صَلَّى الله عليهِ وعلىٰ آلهِ وأصحابِهِ وسلَّم تَسليماً كَثيراً أمَّا بعدُ:

أيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ واعلمُوا أنَّ الإسلامَ كثيرُ الشُّعَبِ وكثيرُ الأعمالِ وافِرُ الخيرِ لهُ أركانٌ خمسةٌ قالَ عَلِيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ «الإسلامُ أنْ تَشهَدَ أنْ لاَ إلٰه إلاَّ اللهَ

---

(١) مسلم (٤٧٨١)، الترمذي (٢٠٦٣)، أبو داود (٤٠٨٥)، ابن ماجة (٧٣).

(٢) مسلم (١٦٩)، الترمذي (٢١٢١)، أحمد (٧٦٨٧).

وأنَّ محمَّداً رَسولُ اللهِ وتُقِيمَ الصَّلاَةَ وتُؤتي الزَّكَاةَ وتَصومَ رمَضَانَ وَتحُجَ البَيتَ إنْ استَطَعتَ إليهِ سَبيلاً»[1] والإسلامُ كلُ الطاعاتِ، قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨] ، أي في الإسلامِ وَلاَ تأخذُوا بَعضَهُ وَتَترُكُوا البَعضَ الآخَرَ فَالإسلامُ يَتكوَنُ مِنْ أركانٍ وَيتَكونُ مِن مُكمِلاتٍ لهذِهِ الإركانِ مِن واجباتٍ ومُستحبَاتٍ مِن فعْلِ الطَّاعَاتِ وتركِ المُحرَمَاتِ قَالَ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلام «المُسلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ ويَدِهِ»[2] فَالإسلامُ أَعمالٌ كَثيرةٌ وَعلىٰ المُسلِم أنْ يأتي مِن هَذِهِ الأعمالِ بِمَا يَستطيعُ ولاَ يَقْتَصِرُ عَلىٰ جَانِبٍ مِنْ جَوانِبِ الإسلامِ وَيترُكُ الجَانِبَ الآخَرَ وَهُوَ يَقدرُ وَهُوَ يَستطيعُ بَلْ عَلَيْهِ أنْ يَأتِيَ بِمَا يَستطيعُ يَقولُ اللهُ جلَّ وَعَلاَ ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦] وَكُلُ مَا يَستطِيعهُ الإنسانُ مِن فِعلِ الخيرِ وِمن تَركِ الشَرِّ والمَعَاصِي فَإنَّهُ مُكلَّفٌ بِهِ وَهُوَ مِنَ الإسلامِ.

ثُم اعلَمُوا رَحِمكُمْ اللهُ أنْ خَيرَ الحدِيثِ كتابُ اللهِ . . . .

* * *

---

(١) مسلم (٩)، الترمذي (٢٥٣٥)، النسائي (٤٩٠٤)، أبو داود (٤٠٧٥).

(٢) البخاري (٩)، مسلم (٥٧)، أبو داود (٢١٢٢)، الترمذي (٢٤٢٨)، النسائي (٤٩٠٩).

في التذكير بما منَّ الله به على هذه البلادِ منَ الأمن والاستقرارِ وأسبابِ ذلك

الحمدُ لله الذي لهُ مَا فِي السمَواتِ ومَا فِي الأرْضِ ولَهُ الحمدُ في الآخِرةِ وهوَ الحكيمُ الخبيرُ. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [سبأ: ١، ٢]، وأشهدُ أن لاَ إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لهُ الغفورُ الشكورُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسولُه البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم البعثِ والنشورِ، أما بعد:

أيها الناسُ، اتقوا ربَّكُم واشكُروا له ما أنعمَ عليكمَ من النعمِ الظاهرةِ والباطنةِ ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٨﴾ [النحل: ١٨] فقد مَنَّ الله على هذه البلادِ بنعمٍ كثيرةٍ لا تُعدُّ ولا تُحصَى، مَنَّ اللهُ علىٰ هذه البلادِ بالأمنِ والاستقرارِ، بينمَا البلادُ الأخرى تعيشُ في خوفٍ واضطرابٍ ونهب وسلبٍ وحروبٍ وحوادِثَ مُروعةٍ، مَنَّ الله على هذه البلاد بالعقيدةِ الصحيحةِ القَائمةِ علىٰ كتابِ الله وسنةِ رسولهِ بينمَا البلادُ الأخرى تُرفعُ فيها أعلامُ الشركِ، وتكثرُ فيها البِدَعُ والخرافاتُ والمحدثاتُ، مِنَّ اللهُ على هذه البلادِ بأنْ جَعَلَ دستُورَها القرآنَ الذي ترجعُ إليه في جميعِ شؤونِهَا، بينمَا البِلادُ الأخرىٰ دسَاتِيرُها القَوانينُ الوضعيةُ التي هيَ مِن وَضعِ شياطينِ الإنسِ والجِنِّ، مَنَّ اللهُ علىٰ هذهِ البلاد بأنْ جَعلَ فيهَا الحَرمَيْن الشريفينِ، وفيهَا بيتُ اللهِ العتيقُ الذي هو

قبلَةُ المسلمينَ تهفُو إليهِ أفئدتُهم في مَشارِقِ الأرضِ ومغاربِهَا، مَنَّ اللهُ على هذِهِ البلادِ بوفرةِ الرزقِ، بينما البلادُ الأخرى يعجُّ فيها الفقرُ والفاقةُ والمجاعةُ، مَنَّ الله على هذه البلادِ بقِيامِ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المُنكرِ، فجعل ولاةَ الأمور حفظهم الله لهذا المِرْفَقِ الهامِ جهازاً حُكومياً مستقلاً يتولَّى رئاسته رجالٌ من أهلِ العلم ومن أهل الحسبة المخلصين الذين يأخذون على أيدي السُّفَهاءِ والمفسدِين. منَّ الله على هذه البلادِ بتخصيصِ وزارةٍ للشؤونِ الإسلاميةِ والدعوةِ على أيدي رجالٍ يدعونَ إلىٰ اللهِ بالحِكمةِ والموعظةِ الحسنةِ والجدالِ بالتي هي أحسنُ عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] بينَما البلادُ الأخرىٰ لا يؤمرُ فيهَا بِالمعروفِ، ولا يُنْهَى فيها عَنِ المنكرِ فهي تعيشُ حالةَ الفوضَى البهيميَّة إلا مَنْ رحِمَ اللهُ منهم، وقليلٌ ما هم. مَنَّ اللهُ على هذه البلادِ بإرشاد التعليمِ القائمِ علىٰ منهجِ الكتابِ والسُّنَّة بتعليمِ العُلومِ الدينيةِ والدنيويةِ للذُّكورِ والإنَاثِ مَعَ فصلِ تعليمِ الإناثَ عَن تَعليمُ الذُّكورِ بجعلِ كلٍّ مِن التَعليمينِ تحتَ جهازٍ مُستقلٍّ عَن الآخَرِ ويُعَلِّمَ الإنَاثِ نِساءٌ مثلُهنَّ ويقومُ علىٰ إدارةِ تَعليمهنَّ رِجالٌ مِنْ أهلِ العِلمِ والثقةِ يحرسُونَهُ عِمَّا يُخلُّ بِهِ ويوفِّرونَ له ما يكفُلُ سَلامَتَهُ من الانحرافِ ويتولَّى التدريسُ للنساءِ نساءٌ مثلُهنَّ مؤمناتٌ موثوقاتٌ.

هذَا هُوَ الأساسُ الذي قامَ عَليهِ التَعليمُ في بلادِنا مُنْذُ نشأتِه على أيدي العُلمَاءِ والحُكَّامِ بَارِكَ اللهُ في مساعيهم وكَتَبَ لهُمُ الأجرَ والثوابَ. فلقَدْ أثمرَتْ هذه الخطوةُ الرشيدةُ ثمراتِها الطيبةَ مِنْ غير اختلاطٍ بين الذكورِ والإناثِ ومن غير فتنةٍ، بينما البلادُالأخرى لا تميِّزُ بين الذكورِ والإناثِ في التعليم بَلْ جَعَلَتْهُ تعليماً مختلطاً. الطلابُ والطالباتُ يجلسُ بعضهم إلى جانب بعضٍ مما نشأ عنه أجيالٌ

بهيمية شهوانيَّةٌ ضاعت فيها الأخلاقُ، وفسدت فيها الأعراضُ، وفشا فيها العِشقُ والغرامُ ولا سُلطانَ لأولياء الإناث عليهنَّ يُصاحبنَ من يعشقنَ مِنَ الشبَّاب في أي مكان.

أيها المسلمون، إنَّ هناك مَنْ يدعو إلى أن يكون التعليمُ عندنا مثل التعليم في تلْكَ المجتمعات الهمجيَّةِ الفوضويَّةِ يكون تعليماً مختلطاً تضيع فيه أخلاق الأمَّةِ ومقوماتُها.

وإنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيَتْ فإنْ هُمُوا ذَهَبَتْ أخلاقُهم ذهَبُوا

ولكن يأبى اللهُ، ويأبى ولاةُ أمور المسلمين، ويأبى المسلمون ويستنكِرونَ ما أراد هؤلاء الفَسَقَةُ، والمؤمَّلُ في ولاةِ أمورنا حفظهم الله وهم أهلٌ لذلك المحافظةُ على منهج التعليم النزيهِ الذي قامت عليه البلادُ بالإبقاء على تعليم البناتِ بجهازٍ مستقلٍّ يشرف عليه أهل العلم والتقوى، كما كان مُنذُ أنشِىءَ من أكثر من أربعين سنةً، ونسألُ الله أن يردَّ كيْدَ هؤلاءِ المغرضينَ في نحورهم، نسألُ الله أن يحفظَ علينَا دِينَنَا الذي هو عصمةُ أمرِنَا، وأن يَقينَا شرَّ الفتنِ ودُعاةَ الشرِّ إنَّه سميعٌ مجيبٌ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٧].

بارَكَ اللهُ لي ولَكم في القرآنِ العظيمِ ونفعنَا بِمَا فِيهِ من البيانِ والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولجميع المسلمينَ من كلِّ ذنبٍ فاستغفِروهُ إنهُ هوَ الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ عَلَى فضلِه وإحسانِه، وأشكُره على توفيقه وامتنانِه، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آلِه وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

أيُّها الناسُ، اتقُوا اللهَ تَعالىٰ، واعلموا أنَّ لهذه البلاد أعداءً من الداخل والخارج يكيدون لها ويريدون أن تزولَ عنها هذه النعمُ العظيمةُ لتكونَ مِثلَ البلاد الأخرى، وقد حذرنا الله منهم سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الشعراء: ١٥١، ١٥٢] وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [آل عمران: ١٤٩] وقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ١٠٠ ـ ١٠١].

إنَّ أعداءَ الإسلام والمسلمين مُنْذُ بَعَثَ محمداً ﷺ وهم يكيدون للإسلام والمسلمين ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٢ ـ ٣٣].

الله جلَّ وعلا حذَّرنا مِنْ طاعَةِ الكفار والمنافقين: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ

ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ [الأحزاب: ١] إنَّ طاعةَ الكفار والمنافقين تُفضي بالمسلمين إلى الهلاك وإلى ضياعِ هذا الدِّينِ الذي مَنَّ اللهُ به عليهم، فلتكونُوا مِنْهُم على حذرٍ فإنَّهم يدعُونكم إلى النارِ في وسائلِ الإعلام وفي الكتبِ وفي النشراتِ وفي المصوَّراتِ وفي كلِّ مجالٍ، يدعُون إلى النارِ، والله يدعُو إلى الجنةِ، وليس هذا خاصاً بالكفار بل هناكَ دُعاةٌ مِنَّا يُساعِدُونهم كَمَا وصَفَهم النبيُّ ﷺ بأنَّهم قومٌ مِنْ جِلدَتِنَا ويتكلَّمون بألسِنَتِنَا دُعاةٌ عَلىٰ أبوابِ جهنَّمَ مَنْ أطاعَهُم قذفوه فيها، فاحَذرُوهم يا عباد الله وحذِّروا منهم واعرفوا كيدهُم لكم، وأسألُوا الله أنْ يجعَلَ كَيْدَهُم في نحورِهم إنَّه سميعٌ مجيب.

إنَّ خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هَدْيُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها وكلَّ بدعةٍ ضلالة وعليكم بالجماعةِ فإنَّ يدَ اللهِ مع الجماعةِ ومن شذَّ شذَّ في النارِ، إنَّ الله وملائكتَه يصلون على النبيِّ يا أيُّها الذينَ آمنوا صلُّوا عليه وسلِّمُوا تسليماً . . .

في التحذير مِنْ آفاتِ اللسانِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ. خلَقَ الإنسانَ علَّمَه البيان، وحذَّرَه مِنْ آفاتِ اللسانِ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّالله وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى اللهُ عليهِ وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً، أما بعد:

أيُّها الناسُ، اتقُوا الله تعالىٰ وتحفَّظوا مِنْ حَصَائِد أَلسنَتِكُمْ، واعلمُوا أنَّ كلامَكُم محصيٌّ عليكم ومكتوبٌ في دَواوِينكُم قال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: ١٨]، الملائكةُ تكتبُ ما يصدرُ منكم من أعمالٍ وأقوالٍ، ولا ينسوْنَ شيئاً، ولا يهملُونَ شيئاً ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف: ٤٩] واعلمُوا أنَّ خطَرَ الكلامِ عظيمٌ قَالَ ﷺ: «إنَّ الرَّجُلَ لَيَتكلَّمُ بِالكَلِمةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لا يُلْقي لها بالاً يَهْوِي بها في النار أبعد مِمَّا بَينَ المَشرقِ والمغربِ، وأنَّ الرَّجُلَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ مِنْ رضوانِ الله يرفَعُه اللهُ بها درجاتٍ» قالَ رجلٌ مِمَّن كَانَ قَبلنَا لأخيهِ لمَّا رآهُ علىٰ المعْصِيةِ بعدَ أن نَهاهُ عنها ولَمْ ينتهِ، قالَ: «والله لا يغفرُ اللهُ لفلانٍ، قالَ اللهُ تعالى: مَنْ ذَا الذي يتألَّى عليَّ ألاَّ أغفرَ لفُلانٍ إنِّي قَد غَفرتُ لَهُ، وأحبطتُ عملَكَ»[1]. قالَ أبُو هريرةَ رضِيَ اللهِ عَنْهُ رَاوي هذا الحَدِيثِ: تكلمَ بكلَمةٍ أوْبقَتْ دُنياهُ وآخرَتَه. اللهُ سبحانَهُ أمر بطَيبِ الكَلامِ قال سبحانَه: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾

(١) مسلم (٤٧٥٣)، وانفردَ به.

[البقرة: ٨٣] وقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٧] وقالَ سُبحانَهُ ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء: ١١٤] فالكلامُ لا يذهَبُ سُدًى بل هو يُحصىٰ ويكتبُ ويُعرض عليكُم يَومَ القِيامةِ وتحاسَبُونَ عنه لا سيما الكلامُ في أعراضِ الناسِ فإنَّه مِنْ ظُلْمِ الناسِ وإنَّ المظلومَ يقتصُّ لَهُ مِنْ حسناتِ الظالمِ، فمَنْ تكلَّم في أخيه بشيءٍ يَكرهَهُ في هذه الدُّنيا فَعَليهِ أن يَستحلَّهُ، ويَطلبَ مُسامَحَتَه، فإذَا لم يُمكنْ ذَلك فليَدعُ له وليُثْنِ عليه في المجالسِ التي كان يتكلَّمُ عنه فيها فإنَّ ذلِكَ كفَّارةٌ لكلامه السيء، والله سبحانَه وتعالى يقولُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١١ ـ ١٢] السخريةُ بالناسِ والاستهزاءُ بالناسِ ولَمْزُ الناسِ بالقولِ أو الفعلِ كبائرٌ من كبائرِ الذنوب. قالَ تعالىٰ: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ﴾ [الهمزة: ١] وقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ

﴿مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التوبة: ٧٩]، فعَلَى المسلم أنْ يحفظَ لِسَانَه قال ﷺ: «مَنْ يضمَنُ لي ما بَيْنَ لَحْيَيه ـ يعني اللسانَ ـ وما بينَ رِجْلَيه يعني فرجَهُ أضمنُ لَه الجنَّة»[١]. فخطرُ اللسانِ عظيمٌ، واللسانُ سِلاحٌ ذو حدَّين قد يقتلُ صاحِبَه يقول الشاعرُ:

يموت الفتى مِنْ عَثْرَةٍ بلسانهِ ... وليسَ يموتُ المرءُ مِنْ عَثْرَةِ الرجْلِ

فعثرَتُهُ بالقولِ مذهبُ رأسِهِ ... وعَثْرَتهُ بالرجْلِ تبرا على مَهَلِ

ويقولُ الآخرُ:

احفظ لسانَك أيها الإنسانُ ... لا يلدغنَّكَ إنه ثُعبانُ

كمْ في المقابر من قتيلِ لسانِه ... كانت تهابُ لقاءَه الشجْعَانُ

رأىٰ النبيُّ ﷺ في حديثِ المَنَامِ الطويلِ ثَوراً يخرجُ من صَدْعٍ ثم يُريدُ أنْ يعودَ فيه فلا يستطيعُ، فقالَ: ما هَذَا يا جبريلُ؟ قالَ: هَذا الرجلُ يتكلَّمُ بالكلمةِ السَّيئةِ ثم يريدُ أنْ يتراجَعَ عنهَا فلاَ يستطيعُ»[٢]. فالإنسانُ ما دامَ سَاكِتاً فإنَّهُ يسيطرُ على لِسانِه أمَّا إذا تكلَّمَ فإنَّ لسانَهُ يسيطرُ عليهِ، فاتقُوا الله عبادَ اللهِ، واحفظوا ألسنتكم، قال معاذُ بنُ جبلٍ ـ رضي الله عنه ـ لِرَسولِ الله ﷺ: أَو نحنُ مُؤاخذُونَ بما نتكلَّمُ بهِ يا رسولَ الله، قال: ثِكلَتْكَ أمُّك يا معاذُ. وهل يكَبُّ الناسَ في النارِ على وجُوهِهم أو قالَ على مناخِرِهمْ إلا حصائدُ ألسنتهم»[٣]، واللهُ سبحانَهُ وتَعالىٰ أمركُم بِحفظِ ألسنتكمْ وبينَ لكم مَخَاطرَ الكَلامِ. ومخاطرَ اللسانِ من

---

(١) البخاري (٥٩٩٣)، الترمذي (٢٣٣٢)، أحمد (٢١٧٥٧) (مقارب).

(٢) تفسير الطبري (ج ١٥ ص ٧)، الدر المنثور ج٥ ص ١٩٩، تفسير ابن كثير ج ١٣، ص ١٩.

(٣) الترمذي (٢٥٤١)، ابن ماجة (٣٩٦٣)، أحمد (٢١٠٥٤).

أَجلِ أن تتوقَّعُوا في الكلامِ، ومن أعظمِ مخاطرِ اللسانِ الغَيْبَةُ وهي كما بيَّنَهَا النبيُّ ﷺ: «ذكْرُكَ أخاكَ بما يكرَه، قالوا: يا رسولَ اللهِ أرايتَ إنْ كانَ في أخي ما أقول، قال: إن كان فيه ما تقولُ فقَدْ اغْتبتَه، وإنْ لَمْ يَكنْ فيه ما تَقولُ فقد بَهتَّه»[1] يَعْنِي «كذَبْتَ عليه بالبُهتانِ». فالواجبُ على المسلمِ أنْ يحفظ لسانَه مِنَ الوقوعِ في أعراضِ الناسِ، ومن آفاتِ اللسانِ النَّميمةُ، وهي الوِشَايَةُ بَيْنَ الناسِ بنقلِ الحديثِ فيما بيَنهُم مِنْ أجلِ إفْسَادِ بعضِهم على بعضٍ. قالَ اللهُ سبحانَه وتعالى ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ [القلم: ١٠ ـ ١٢] وقال ﷺ: «لا يدخُلُ الجنَّةَ نمَّامٌ»[2]. قال العُلماءُ: يُفسِدُ النَّمامُ فِي سَاعَةٍ ما يُفْسِدُه السَّاحرُ في سَنةٍ. فالنميمةُ أشدُّ تأثيراً مِن السِّحْر، وقَدْ تُحدِثُ الحروبَ بين الناسِ وقد تُحدثُ البغضاءَ والشحناءَ بينَ الناسِ، وقد تُفَرِّقُ بينَ الأب وابنهِ والأخِ وأخيه والقريبِ وقريبه، والزوج وزوجته. فالنميمة خطرُها عظيمٌ وشرُّها جسيمٌ في حِينِ أنَّ بعضَ الناسِ لَيْسَ لَهُم هَمٌّ إلا الغيبةُ والنميمةُ والوقيعةُ في أعراض المسلمينَ لاسيَّما إذا كانتْ الغيبةُ في حقّ أهلِ السلْم وولاةِ الأُمورِ فإنَّ خَطرَها أشَدُّ. فإنَّ رجالاً في عَهْدِ النبيِّ ﷺ تكلَّمُوا في العلماء كلاماً يَرَونَهُ مَزحَاً قَالوا: ما رأيْنَا مِثلَ قُرائنا هؤلاءِ أرغبَ بُطوناً وأكْذَبَ ألسُناً وأجْبنَ عند اللقاء، فأنزلَ اللهُ تعالى فِيهم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا

---

(١) مسلم (٤٦٩٠)، الترمذي (١٨٥٧)، أبو داود (٤٢٣١)، أحمد (٦٨٤٩) الدارمي (٢٥٩٨).

(٢) مسلم (١٥١)، أحمد (٢٢٣٦).

مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٦٦] فَعلىٰ المُسلمِ أن يخافَ الله سبحانَه وتعالَى، ومنْ آفاتِ اللسانِ شهادةُ الزور وقولُ الزورِ، قال ﷺ «لَن تَزولَ قَدَما شاهدِ الزور يومَ القيامةِ حتَّى يُوجبَ اللهُ له النَّارَ»[١] وذكرُ الكَبائرِ وكان متكئاً فجلسَ وقَالَ: «ألا وقولُ الزورِ، ألا وشهادةُ الزور فَمَازال يكرِّرُها حتى قُلْنَا لَيتَهُ سَكَتَ»[٢]. إشفاقاً عليه ﷺ ممَّا أَصَابَه مِنْ شدَّةِ التأثرِ مِمَّا يَدلُّ علىٰ خَطرِ قَوْلِ الزورِ وشهادةِ الزورِ، والزورُ هو الكَذِبُ. ومأخوذٌ من التزوير وهو تحسينُ ظاهِرِالشيءِ وباطنُه خَرابٌ فهذا هوَ الزورُ والله جلاًّ وعلا يقولُ: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝﴾ [الحج: ٣٠] وكَذَلِكَ من آفاتِ اللسانِ الأيْمانُ الفَاجرةُ واليمينُ الفاجرةُ وهيَ الَّتي يحلفُهَا الإنسان ليكسِبَ القضيةَ في الخصُومة أو ليروِّج سلعةً بالبيعِ أو الشِّراءِ قال ﷺ: «ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهم اللهُ ولا ينظرُ إليهم يَومَ القيامَةِ ولا يُزكِّيهم ولهم عذابٌ أليمٌ، شيخ زانٍ، وعائلٌ مستكبر، ورجلٌ جَعَل الله بضاعَتَهُ لا يشْتَري إلا بيمينه ولا يبيع إلاَّ بيمينهِ»[٣]. وأمَّا اليَمينُ الفاجرةٌ في الخصوماتِ فَقَد قالَ ﷺ: «مَن حَلَفَ عَلى يَمينٍ هُو فِيهَا كاذِبٌ، ليقتطِعَ بِهَا مَال امريءٍ مُسلمٍ لقيَ الله وهُوَ عَليهِ غَضبانُ، قَالُوا: يَا رسولَ اللهِ وإنْ كانَ شيئاً يسيراً. قالَ: وإن كانَ قَضِيباً من آرَاكٍ»[٤]. كُلُّ هذِهِ أخطارُ وآفاتُ لهذا اللسانِ الذي بَين فكَّيْكَ هذا اللسانُ الذي في فَمِكَ إذا لمْ تحفظْهُ وتتحفَّظْ عليه فإنَّه يهلكُكَ قال ﷺ

---

(١) انفرد به ابن ماجة.

(٢) البخاري (٢٤٦٠)، مسلم (١٢٦)، الترمذي (١٨٢٣)، أحمد (١٩٤٩١).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١٥٣٦) ج١ ص (٢٨٦)، الدر المنثور ج ٥ ص ٢٨١، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٠٧.

(٤) البخاري (٦١٦٧)، مسلم (١٩٧)، الترمذي (١١٩٠)، (٢٨٢٢)، ابن ماجة (٢٣١٤).

«من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليقلْ خيراً أو لِيصمُتْ»[١]، فتحفَّظوا يرحمكم اللهُ من ألسنتِكُم، لا سيَّما في أيامِ الفِتَنِ وأيام الأحداثِ احفظوا ألسنتكُم من الكلامِ في أعراضِ الناس إلا ما كان مِنْ نصيحةٍ توصِلُها إلى من يحتاجُها أو كانَ مِنْ دُعاء تدعُو به لإخوانِكَ المسلمين، وتدعُو بِهِ لولِاة الأمورِ بأن يهديَهم الله، ويحفظُ بهم دينَهُ وأما الكلام في المجالِس في هذه الأحداثِ فإنَّ الواجبَ كَفُّ اللسانِ عنها ولاسيَّما ترويجُ الشَّائِعاتِ التي تؤثِّرُ على اجتماع المسلمين قال اللهُ تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النور: ١٩] قالَ سبحانَه وتَعالىٰ في قومٍ تلقَّوا الإفكَ الذي تكلَّمَ بهِ المُنافِقُونَ فَجعَلُوا يروّجُونَه ويتكلَّمُون به قال الله تعالى: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [النور: ١٥]. ومن آفاتِ اللسانِ السَّبُّ والشتمُ واللعنُ، فإنَّ الذي يَسُبُّ الناسَ، ويلْعَنُ الناسَ ويشتمهمُ يَرجعُ وبال كَلاَمِهِ عليه، وإذا قال لأخيه يا كافرُ يا خبيْثُ يا فاجرُ، ولم يكُنْ مَنْ قيلَ فيه كذلكَ فإنَّ هذه الألفاظَ يرجعُ شَرُّها على قائِلها، وإثمُها عَلَىٰ قَائِلهَا، فَالكلامُ لا يذهبُ سُدًى بَلْ هُوَ وبالٌ على صَاحِبه يتكلَّمُ به ويَظُنُّ أنه طارَ مَعَ الهَواءِ، وطَارَ مع الريح، ولكنَّهُ مُدَوَّنٌ في سجِلِ أعماله، يجدُه يومَ القيامةِ في حين لا يستطيعُ الخلاصَ منه، فاتقوا الله عبادَ اللهِ. أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٧، ٥٨]، بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

---

(١) البخاري (٥٥٥٩)، مسلم (٦٧)، الترمذي (٢٤٢٤)، أبو داود (٤٤٨٧)، أحمد (٦٣٣٢).

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ علىٰ فضلِهِ وإحسانِه وأشكُرُهُ عَلَى تَوفيقهِ وامتنانِه، وأشهدُ أنْ لاَ إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ تَعظيماً لشأنِه، وأَشهدُ أنَّ مُحمَّداً عبدُهُ ورسولُه الدَّاعِي إلى رِضوانِهِ صلَّىٰ الله عليه وَعلىٰ آله وأَصحابِهِ وسلَّم تسليماً كثيراً، أما بعدُ:

أيُّهَا النَّاس، اتَّقُوا الله تعالى فَقد وَصَّاكُم بِقولِه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١] فالكلامُ الطيِّبُ له آثارٌ حميدةٌ وثمراتٌ عظيمةٌ في الدنيا والآخرة قالَ الله تعالى: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣] قال ﷺ: «اتقوا النارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ فمن لم يجد فبكلمةٍ طَيِّبةٍ»(١). فاتقُواْ الله ـ عِبادَ اللهِ ـ واعلمُوا أنَّ اللِّسانَ إذا استعملهُ صاحِبُهُ في طاعةِ اللهِ وفي الكلامِ الطَّيب أثمر خيراً كثيراً، فاستعملتَهُ فإنْ بذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فإنَّ ذِكرَ الله عزَّ وجَلَّ يَكونُ لَكَ غَرساً فِي الجَنَّةِ قال ﷺ عن الجنة: «وأنَّهَا قيعانٌ وغِراسُها سُبحانَ الله والحمدُ للهِ ولاَ إلَهَ إلاَّ اللهَ»(٢). وقال ﷺ: «كَلِمتَانِ خفيفتانِ على اللِّسانِ ثقيلتَانِ في الميزانِ حبيبتانِ إلى الرحمنِ سُبحانَ اللهِ وبحمدِه سبحانَ اللهِ العظيم»(٣). فاستعملُوا ألسنتَكُم بِذِكْرِ اللهِ قالَ ﷺ: «لا يزالُ لِسَانُكَ رَطْباً من ذِكْرِ

---

(١) البخاري: (١٣٢٨)، مسلم (١٦٨٩)، الترمذي، النسائي (٢٥٠٦).
(٢) الترمذي (٣٣٨٤)، وانفرد به.
(٣) البخاري (٦١٨٨)، مسلم (٤٨٦٠)، الترمذي (٣٣٨٩)، ابن ماجة (٣٧٩٦)، أحمد (٦٨٧٠).

الله»(١). عَوِّد لسانكَ ذكرَ الله بَدَلَ أن تعوِّدَه الكلامَ السيءَ مِنَ الغيبةِ والنميمةِ وغيرِ ذَلِكَ عَودهُ على القولِ الحسنِ، عوِّدْهُ على ذكرِ اللهِ سُبحَانَهُ وتَعَالىٰ حتَّى يتعوَّد، عَظِمِ الكلامَ فَلا تتكلَّمُ إلا بِمَا فَيهِ فَائدةٌ كمَا أوصَاكَ النبيُّ ﷺ بقوله «مَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللهِ واليوم الآخرِ فَلْيَقُلْ خيراً أو لِيَصْمُتْ»(٢). ورجلٌ تكلمَ بخير فغَنِمَ أو سَكَتَ عن شرٍّ فسلِّم، فاتَّقُوا اللهَ وحَافِظُوا عَلَىٰ أَلسِنتِكُم وأَكْثِرُوا مِنَ الاستغفارِ أكثرُواْ مِن ذِكرِاللهِ عزَّ وجلَّ، أَكثرُواْ من تِلاوَةِ القُرآن، أَكثِرُوا مِنَ الدُّعاءِ لَكم ولِلمُسْلِمِينَ بَدلَ أَنْ تَستَعمِلُواْ ألسنتَكُم في أعراضِ الناسِ وفِي الكلام السَّيِّءِ.

مِنْ آفَاتِ اللسانِ قَذْفُ المحصَنَاتِ الغَافِلاتِ المؤمناتِ، أو قَذف المؤمنين بالزِّنَى أو باللِّواطِ. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ [النور: ٤، ٥] ـ وقَالَ سُبحانه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ۝﴾ [النور: ٢٣ ـ ٢٥].

فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ واعلمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَديُ محمدٍ ﷺ.

---

(١) الترمذي (٣٢٩٧)، ابن ماجة (٣٧٨٣)، أحمد (١٧٠٢٠).

(٢) البخاري (٥٥٥٩)، مسلم (٦٧)، الترمذي (٢٤٢٤)، أبو داود (٤٤٨٧) أحمد (٦٣٣٢).

في تربيةِ الأولادِ

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمِيْنَ. ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

وأشْهدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدُه ورسولُه المؤيَّدُ بالمُعجِزاتِ البَاهراتِ يَهدِي إلىٰ صِراطٍ مُستَقِيمٍ، صلَّىٰ اللهُ عَلِيهِ وعَلَىٰ آلِه وأَصحابِهِ ذَوي المَنَاقِبِ والدِّينِ القَويم وسلَّم تَسْلِيماً كَثيراً، أمَّا بَعدُ:

أيُّها الناسُ: اتقُوا اللهَ تَعَالَى واعلمُوا أنَّ الأوْلادَ إمَّا نِعمةٌ وإمَّا نِقْمةٌ، إمَّا مِنحةٌ وإما مِحْنَةٌ قَالَ اللهُ سُبحَانَهُ ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾ [الأنفال: ٢٨] وقالَ سُبحانه وتعالى ﴿ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن ﴾ [التغابن: ١٤].

عبادَ الله: إنَّه يَجبُ العِنايةُ بالأَولادِ، أولاً بِطَلبِ حُصُولِهِمْ كَمَا طَلبَ إبراهِيمُ عليهِ السلامُ فقال: ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠ ﴾ [الصافات: ١٠٠] وكما طلبَ زَكريا من ربِّه فَقالَ: ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝٣٨ ﴾ [آل عمران: ٣٨]. وليسَ القَصدُ هُوَ حصولُ الذريّة فقطْ ولَكِنْ المَقْصُودُ الذُّريّةُ الصَّالِحَةُ الطيبةُ ولِذَلِكَ قَالَ: ﴿ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠ ﴾ ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ ﴾، ويجبُ بَذلُ الأسبابِ لهذِهِ الذُريّة الطَيبةِ، فإنَّ الصَّلاحَ لَهُ أسبابٌ والفَسَادَ لَهُ أَسبابٌ من قِبلِ الآباءِ، فإنْ هُمْ بَذلُوا الأسبَابَ الطيبةَ انتجتْ بإذنِ اللهِ نتيجةً طَيبةً، وإنْ هُمْ أهملُوا الأَسْبابَ الطيبةَ أنتجَ ذَلِكَ

نتيجةً عكسيةً، إنَّ أولَ ما ينبغِي للمُسلمِ أن يختارَ الزَّوجةَ الصَّالِحةَ، لأنَّ الزوجةَ هِيَ المَنبتُ وِهيَ المَزرعةُ. قَالَ تَعالَىٰ ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، فيختارُ الزوجةَ الصالِحةَ، قال عليه الصلاةُ والسلامُ: «تُنكحُ المرأةُ لأربعٍ لِجَمَالِهَا ولِمَالِهَا ولِحَسَبِها وَلِدِينِهَا فاظفرْ بِذَاتِ الدِّينِ تربتْ يَدَاكَ»[١].

يقولُ الشاعِرُ:

والأمُ مــدرســةٌ إذا أعــددْتهــا أعْـدَدتَ شعبـاً طيـبَ الأعـراقِ

لأنَّ الأمَّ تربِّي أولاَدَهَا، فَإِنْ كَانَتْ أُمًّا صَالِحَةً رَبَّتْهُمْ عَلَىٰ الفَضَائِلِ، وَإِنْ كَانَتْ أمًّا سَيِّئةً رَبتْهُمْ عَلَىٰ الرَّذَائِلِ، فَإِذَا حَصَلَ الأولادُ فحينئذٍ يَبْدَأُ دَورُ الآباءِ في تربتيهم ومُتَابعتهمْ وهَذا لاَ شَكَّ فِيهِ تعباً عليهمْ ولكن لا بُدَّ مِنهُ، فأولاً: إذا وُجِدَ الوَلَدُ فإنَّ وَالدهُ يَختارُ لَهُ أحسنَ الأسماءِ، قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ «أَحَبُّ الأسماءِ إلىٰ اللهِ تعالى عبدُاللهِ وعبدُالرَّحمٰنِ»[٢] فيختارُ لولَدِهِ اسماً طيِّباً، والاسمُ لَهُ أَهَميَّةٌ، فإنَّ بَعْضَ الآباءِ يُسمُّونَ أَولادَهُمْ بأَسماءَ غريبةٍ وقد تكونُ أسماءَ مكروهةً، أو تكونُ أسماءَ مجلوبةً منَ غيرِ بِلادِنَا، فالاسمُ لَهُ أَهمِيَّةٌ عَظِيمةٌ، وَهُوَ مِنَ حُقوقِ الوَلَدِ عَلَىٰ والده أن يختار له اسماً طيباً، ثانياً: عليه أن يختنَه لأنَّ ذلك من خصالِ الفطرة، لأن الختان من خصالِ الفطرة ومن خصالِ الأنبيا عليهِمُ الصلاةُ والسلامُ. ثالثاً: أن يعقَّ عنه بأن يذبحَ عن الذكرِ شاتين وعن الأنثى شاةً واحدةً تقرباً إلى اللهِ سبحانَه وشكراً له على هذه النعمةِ ولأن العقيقة فيها بركةٌ على المولودِ، وفيها خيرٌ يعودُ على المولود، فلا يستهانُ بها، ثم إذا بلغَ الطفلُ

---

(١) البخاري (٤٧٠٠)، مسلم (٢٦٦١)، النسائي (٣١٧٨)، أبو داود (١٧٥١)، ابن ماجة (١٨٤٨).

(٢) الترمذي (٢٧٥٩)، أبو داود (٤٢٩٨)، ابن ماجة (٣٧١٨)، الدارمي (٢٥٧٩).

سبع سنين وميز، فحينئذٍ ينتقل معهُ إلى الأمر والنهي قال عليه الصلاة والسلام «مُرُوا أولادكم بالصلاة لسبعٍ واضربُوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجعِ»[1] فإِذَا بَلَغَ سَبعَ سنينَ يُؤمرُ بِالصلاةِ ومِن لاَزِمِ ذَلِكَ أَنهُ يُعَلِّمُه أَحكامَ الطَّهارةَ وأَحكامَ الصلاةِ، ومَا يُشرعُ فِيهمَا مِن الأَقوالِ والأفعالِ ثُمَّ إِذَا بَلَغَ العَشرِ فإِنَّه ينتقلُ إِلَى مَرحلة التأديبِ إِذَا تَرَكَ الصَّلاة أو تَهاونَ بِهَا يضربُهُ وَالِدُهُ حتى يذوقَ العقوبةَ ويعلمَ أنَّ المخالفةَ عليهَا عُقوبةٌ، فيُدرِكُ أهميَّةَ الصَّلاةِ ولاَ يَتَهَاونُ بِهَا، ثُمَّ أيضاً يُراعي الوَالِدُ مَضاجِعَ أَولادَهُ ليُبعدَهم عن أسبابِ الفَسَادُ الخُلُقي، فيُفرِق بَينهُم في المضاجعِ فلا يتركُهم يَنَامُون جَمِيعاً فِي فراشٍ واحدٍ، وذَلِكَ لحمايتِهِم مِنَ الفَسَادِ الخُلُقي، يُعلمهُم القُرآن والسُّنة ويعلمهُم الأحكامَ الشرعيَّة حتى يَعرِفُوا أمورَ دِينِهم وينشَؤوا عَليهَا، فإِنْ كانَ هو يُحسِن ذَلِكَ فإِنَّه يَقُوم بِهِ، وإن كَان هو لا يحسِنُ ذلك فإنه يختارُ لَهُم مَعلماً صَالحاً فَقِيهاً حَافظاً للقُرآنِ يعلمهُم ويدرسُهُم، والآن وللهِ الحمدِ فتحتُ المَدَارِسُ الكثيرةُ فَعلِيه أَن يَختارَ المَدرسةَ الطيبةَ بِمُديرهَا ومَدرسِيهَا وطُلابهَا، فيَختَار لِولدِه المَدرسة الصَالحةَ ولَو كانت بَعيدةً عَن بيتِهِ لأجلِ أن يتربَّى وَلَدَهِ فِيهَا تَربيةً حَسَنةً، والآن ونحنُ في بدءِ الدرَاسة نَجِدُ الآباءَ يهتمونَ بإلحاق أولاَدَهِم بالمَدَارِس، ويَشترونَ لَهُم الحَوَائِجَ، ويُحضرونَ لَهِم مَا يَحتَاجُون وَهَذا شَيءٌ طَيبٌ ولَكنَّه جُزءٌ يسيرٌ ممَّا يَجِبُ عليهم نحوَ أولادِهُم. يجب عَليهم أن يُربُوا أولادهم في البيتِ وأن يُتابِعُوهم إذا خَرَجُوا من البيت، أين يذهبُون؟ ومَنْ يجالسُونَ؟ ولاَ يتركونَهُم هَملاً يَسرحُون ويمرحُونَ فِي الشوارع المملوءةِ بالأشخاصِ السيئِينِ والأولادِ

---

(١) أبو داود (٤١٨)، أحمد (٦٤٠٢).

السيئينَ، بل يجبُ عَليهِ أن يُرَاقِبَهم ويُتَابِعَهُم لأنَّهُم أَمَانةٌ في عُنُقِهِ، لا يَقولُ أنَا أستريحُ مِنهُم يخرجونَ يلعبونَ في الشوارِعِ وأنَا أستريحُ منهُم، أنتَ لستَ معفيًّا من مَسؤوليتِهِم هُم فِي مَسئوليَتِكَ سَواءٌ كانُوا في البَيتِ أو كانُوا في الشارِعِ أو كَانُوا في المَدرسةِ هُم في مسئوليتِكَ أنت المسؤولُ عَنْهُم، وليحذرِ الآباءُ من أسبابِ الشَّرِّ التي تُجلبُ إلى البيوتِ ويتربَّى عَليها الأولادُ مثل القنواتِ الفضائيةِ التي تجلبُ الشرَّ وتبثُّ السُّمومَ في بيوتِ المُسلمينَ الذين نصبُوها على بيوتهم، وما فيها من شرورٍ مختلفة ومن جهاتٍ متعددةٍ، إنها وسائل تدمير، تدمير للأخلاقِ، تدمير للدينِ والعقيدةِ، تدمير للمروءةِ وهذا ما يريدُه الأعداءُ من هذهِ القنواتِ، يريدون أن يُفسِدوا العالمَ، والتي تقومُ على هذه القنوات هي اليهودية العالميةُ هي التي تقومُ على هذه البرامج وعلى هذه القنوات لتفسدَ العالم، لأنهم لا يرونَ أنَّ هناكَ من يستحقُّ البقاءَ إلاَّ اليهودَ لأنهم في زَعمِهم شعبُ اللهِ المختارُ، وأمَّا من عداهُم من البشر فليسَ لهم قيمةٌ، ولذلك يريدونَ أن يدمروا العالمَ بهذه القنواتِ، فكيف يرضى مسلمٌ أن يجلبها إلى بيته وبينَ أولادِهِ ونسائه؟! أين هي التربية الصالحة؟! أين هي المسؤولية؟! قال الله جلَّ وعلا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: ٦].

فيجبُ على المُسلمِ أنْ يَقِي نفسَهُ أولاً من النارِ ثُمَّ يَقِي أَهلَهُ، وهم زوجاتُهُ وأَولادُه ومَنْ في بيتِهِ لأَنَّهُم كُلُّهم رعيةٌ تحتَ رعايتهِ، قالَ ﷺ: «والرجلُ راعٍ في بيتِهِ ومسؤولٌ عَنْ رعيتِهِ»(١).

---

(١) البخاري (٨٨٤)، مسلم (٤٣٠٨)، الترمذي (١٦٢٧)، أبو داود (٢٥٣٩)، أحمد (٣٢٦٦).

فاتَّقُوا اللهَ أيُّها المسلمُونَ، اتقُوا اللهَ في أَولادِكُمْ ليكونُوا امتداداً لحياتِكُم بَعْدَ مَوتِكُمْ، قالَ ﷺ: «إِذَا مَاتَ الإِنسانُ انقطعَ عَمَلُهُ إلاَّ مِنْ ثلاثٍ صدقةٍ جاريةٍ، أَو عِلمٍ يُنتفعُ بِهِ أَوْ وَلدٍ صالحٍ يدعُو لَهُ»(١)، ولا يكونُ الولدُ صالحاً إلاَّ إذا بينتْ له أَسبابَ الصلاحِ ورُبِّيَ تربيةً حسنةً لأَنَّ الأَشياءَ مربوطةٌ بأَسبابِهَا، فلا ينفعُ الولدُ والدَهُ بعد موتِهِ إلاَّ إذا كانَ صَالِحاً أَمَّا إِذَا كانَ غيرَ صالحٍ فَإِنَّهُ يضرُّ وَالِدَهُ، فاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ واهتمُوا بأَولادِكُمْ اهتماماً بالِغاً فَإِنَّهُم مسؤولية حمّلَكُم اللهُ إِيَّاهَا وسيسأَلُكُمْ عنها، كانَ الأَنبياءُ عليهم السلامُ يدعُونَ لأَولادِهم بالصلاحِ، فإبراهيمُ عليه السلامُ يقولُ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِىۚ﴾ [إبراهيم: ٤٠]فالولدُ يدعُو لأَولادِهِ بالصلاحِ ولا يكتفِي بالدُّعَاءِ بَلْ لابُدَّ مِنَ العملِ وبذلِ الأَسبابِ ولكِنْ الدُّعاءُ سببٌ مِنْ الأَسبابِ، أَعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرجيمِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ١٥].

بَاركَ اللهُ لِي ولَكُم في القرآنِ العظيمِ.

---

(١) مسلم (٣٠٨٤)، الترمذي (١٢٩٧)، النسائي (٣٥٩١)، أبوداود (٢٤٩٤).

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ عَلَى فضلِهِ وإحسانِهِ وأَشكُرُهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأشهدُ أَنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأَصحابِهِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً. أَمَّا بَعْدُ:

عِبادَ اللهِ، وَكَمَا أَنَّ على الوالِدينِ مسؤوليةً كبيرةً نحوَ الأَولادِ فكذلِكَ على الأَولادِ مسؤوليةٌ كبيرةٌ نحوَ آبائِهم إذا كبرُوا وذلِكَ بالبرِّ والإحسانِ، لأنَّ الوالِدَ إذا كبرَ فَإِنَّهُ يحتاجُ إلى خدمةٍ، ويحتاجُ إلى نفقةٍ، ويحتاجُ إلى مؤانسةٍ، قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤] كما ربَيَانِي صغيراً، فَكَما أَحسنَا إليكَ وربَّياكَ وَأَنتَ صغير لا تقدِرُ على شيءٍ ولا تملكُ شيئاً فعطفُهُمَا عليكَ وجفاؤهُما عليكَ، وقامَا بتربيتكَ روحياً وجمسياً وتعبَا عليكَ فرُدَّ عليهما الجميلَ إذا كبرَا واحتاجَا إليكَ: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٤]، عقوقُ الوالدينِ مِنْ أَعظمِ الكبائرِ بَعْدَ الشِّركِ لأنَّ حقَّ الوالدينِ يأتِي بَعْدَ حقِّ اللهِ سُبحانَهُ وتعَالَى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ ﴾ [الإسراء: ٢٣] جَعَلَ حقَّ الوالِدينِ بَعْدَ حقِّهِ سُبحَانَهُ وتعالَى فلهُمَا حقٌّ عظيمٌ على الولدِ يجبُ عليه أَنْ يقومَ بِهِ، وأَنْ يردَّ الإحسانَ على والديهِ، ويشكر لهما صنيعَهُمَا، ولا يتكبرُ عليهمَا وذلك بالبرِّ بالقولِ والعملِ وجميعِ أنواعِ البرِّ، فالولدُ يجبُ عليه أَن يبرَّ والديهِ

وهذا مِنْ أعظمِ الطاعاتِ وأعظمِ القرباتِ، ورُبَّمَا يدعُو لك والدكَ بدعوةٍ صالحةٍ، إذا بررتَ بِهِ يدعُو لكَ بدعوةٍ صالحةٍ تسعدُ بها في الدُّنيا والآخِرةِ لأنَّ دُعاءَ الوالدِ مستجابٌ، وربما إذا أغضبْتَهُ وعققتهُ أن يدعُو عليك بدعوةٍ سيئةٍ تلحقكَ في الدُّنيَا والآخِرة، فاتَّقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ، وتواصُوا بالبرِّ والتقوى والإحسان، واعلمُوا أن خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ. . . .

* * *

الحجُّ في الإسلامِ

الحمدُ للهِ ذِي الفَضلِ والإنعامِ جعلَ الحجَّ إلى بيتِه أحدَ أركانِ الإسلامِ وأشهدُ أنَّ لاَ إلٰه إلاَّ الله وحدَه لاَ شريكَ لَهُ فِي رُبوبيَّتِهِ وإلٰهيتِهِ وأسمائِهِ وصفاتِهِ العظامِ وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه أفضلُ من حجَّ واعتمرَ وسعىٰ بينَ الصَّفَا والمَروةَ وطافَ بالبيتِ الحرامِ، صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلهِ وأصحابِه البَرَرَةِ الكِرام وسلم تسليماً كثيراً. أمَّا بعد:

أيُّها الناسُ، اتقُوا اللهَ سُبحانَه وتعالَى واشكروه على نعمتِه العظيمةِ في جعلِهِ هذا البيت بين المسلمين في أقطار الأرض يأتون إليه من كلِّ جهةٍ ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧] فهذا من أكبرِ نعمِ الله على هذه الأمةِ الإسلامية قال الله سبحانَه وتعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥] وقالَ سُبحَانَه ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧] قالَ سُبحَانَهُ ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧] وهذه بركاتُ دعوةِ الخليل إبراهيم عليه الصلاةُ والسلامُ حينما دَعا ربَّه فقال ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٢٦] فاختارَ الله هذا البيتَ وأمرَ خليلَهُ إبراهيمَ وابنهُ إسماعيلَ عليهمَا السلامُ أن يَبنياهُ قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦] وقال سُبحَانَه وتَعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦ ـ ٩٧] إن

الله سبحانَه وتَعالى أخبرَ أنَّ هذا البيتَ هوَ أولُ بيوتِ اللهِ في الأرضِ التي هي المَساجدُ، فَالمَساجدُ بيوتُ الله كَمَا قَال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [النور: ٣٦] وقال تعالى ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥] فأولُ البيوتِ أي أولُ المساجدِ في الأرض هو المسجدُ الحرامُ وهو أفضلُ المساجدِ على الإطلاقِ ثم بعدهُ مسجدُ رسول الله ﷺ في الفضيلةِ ثم بعدَهُ في الفضيلةِ المسجدُ الأقصى قال ﷺ: «صلاةٌ في مَسجدِي هَذَا خيرٌ مِن ألفِ صلاةٍ فيمَا سِوَاهُ من المَسَاجِدِ إلاَّ المَسجدَ الحرام»(١). هذه هِي المَسَاجِدُ التي يُسافرُ للصلاةِ فيها طلباً لِهَذَا الثواب العَظِيمِ قال ﷺ: «لا تشدُّ الرحالُ» يعني لا يُسافرُ لأجلِ العبادةِ «لا تشدُّالرحالُ إلاَّ إلىٰ ثلاثةِ مَسَاجِد، المَسجدِ الحرامِ ومسجدي هذا والمسجدِ الأقصىٰ» فهي المساجدُ التي بَنَاهَا الأنبياءُ عَلِيهم الصلاةُ والسلامُ وهي مساجدَهم، فالمسجدُ الحرامُ بناهُ إبراهيمُ وإسماعيلُ عليهما السلام، والمسجدُ الأقصى بناه إسحاقُ بن إبراهيمَ وقيل بناه يعقوبُ بن إسحاق بن إبراهيمَ، ومسجدُ المدينة بناهُ رسولُ اللهِ محمدٌ ﷺ خاتمُ النبيينَ، هَذِهِ هِي المساجدُ التي تُقصدُ من أقطارِ الأرض لأجلِ الصلاةِ فيها ولأجلِ ما فضلهَا الله بِهِ على سائرِ المساجدِ، أمَّا الحجُّ والعمرةُ فإنَّهُمَا خاصانِ بالمسجدِ الحَرامِ. قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] فالحجُّ والعمرةُ إنَّما يكونانِ إلى المسجد الحرامِ، والحجُّ والعمرةُ فريضتَانِ علىٰ المِسلمينَ عَلىٰ مَن استطاعَ منهُم مَرةً وَاحدةً في العُمرِ قَالَ ﷺ: «أيُّهَا النَّاسُ، إنّ اللهَ كَتبَ عَليكمُ الحجَّ فحجُّوا. فَقَالَ

---

(١) مسلم (٢٤٢٩)، البخاري (١١١٦)، أحمد (٦٩٦٣)، مالك (٤١٤).

رجلٌ: أَكُلَّ عامٍ يا رسولَ الله؟ فسكتَ النبيُّ ﷺ، ثُم أعادَ السؤالَ فَقَالَ النبيُّ ﷺ: لَو قُلتُ نعمْ لوجبَتْ ولمَّا استطعتُمُ الحج مرةً واحدةً في العمرِ ومَا زَادَ فَهُوَ تطَوعًا»[1]. وهو أحدُ أركانِ الإسلامِ كمَا قَالَ ﷺ «بُنيَ الإسلامُ علَى خَمسٍ: شهادةِ أن لاَ إلٰهَ إلاَّ الله وأنَّ مُحمَّداً رَسولُ الله، وإقامِ الصلاة وإيتاءِ الزَّكاةِ، وصَوم رَمَضَانَ وحجِّ بيتِ اللهِ الحَرَامِ مَن استطاعَ إليه سَبِيلًا»[2] وإنَّمَا يجبُ الحجُّ مرةً واحدةً فِي العُمرِ عَلى الُمستطيعِ «من استطاعَ إليهِ سَبِيلًا» والسبيلُ هو الزادُ والراحِلةُ، الزادُ وهو النفقةُ التي يُنفِقُها الحَاجُّ عَلى نَفسِهِ ذَهَاباً وإياباً ويستغنِي عن الناسِ ويكونُ ذلكِ بعدَ أن يُؤَمِّنَ لأهلِ بيتهِ ما يكفيهم من النفقةِ إلى رجوعِه إليهم ويكونُ ذلكَ فَاضلاً عَن قضاءِ الديونِ التي عليهِ، أمَّا إذَا كَانَ عَلَى الإنسانِ ديونٌ ولَيسَ عِندَهُ مالٌ يتسعُ لسدادِ الدُّيون ونفقةِ الحجِّ فإنه يُقدمُ سدادَ الديون وليسَ عَليهِ حجٌّ حتى يُسدِّدَ الدُّيون ويتوفر لديهِ بَعدَ ذَلِكَ مَا يَستطيعُ بِهِ الحجَّ لأنَّ حقوق الآدميين مبنيةٌ عَلَى المَشاحةِ ولاَ تَسقطُ إلاَّ بِعفوهم عَنَها أو أَدَائِهَا إليِهم، فَيُقدمُ سدادَ الديون إلاَّ إذا سَمَحَ الدائنُ للمُدينِ بِأنْ يَحجَّ فَليحج وإلاَّ فإنَّهُ يَبدأُ بِسَدادِ الدُّيونِ الَّتي عَلِيه ولَيْسَ عَلَيْهِ حجٌّ لأن اللهَ جلَّ وعلاَ يَقولُ «من استطاع» وهذا غيرُ مستطيعٍ، فإذا توفر لديه النفقةُ الكافيةُ لهُ فِي حَجهِ ذَهَاباً وإيَاباً والنَفَقةُ الكَافيةُ لمَن يَعولهُم ويُنفِقُ عَلِيهم فِي بَيتهِ. فإنْ كانَ قوياً في بدنِهِ فإنهُ يجبُ عليهِ المباشرةُ بنفسه وأن يحجَّ بنفسِه ولا يؤخرُ الحجَّ بل يبادرُ إذا استطاعَ وهو قوي في بدنِهِ أمَّا إذا كان غير قوي في بدنِهِ فإنْ كان يُرجَى زوالُ العارضِ وزوالُ المرضِ في المستقبلِ فإنهُ ينتظرُ حتى يزول ما يمنعهُ من مباشرةِ الحجِّ بنفسِهِ أما إن كانَ عجزُه

---

(١) مسلم (٢٣٨٠)، أحمد (١٠١٩٩).

(٢) البخاري (٧)، مسلم (١٩)، الترمذي (٢٥٢٤)، النسائي (٤٩١٥).

عن الحجِّ مستمراً لا يُرجَى زوالُهُ كالمِريضِ المرضِ المُزمنِ الذي لا يُرجَى له شفاءٌ أو الكبير الهرمِ الذِي لا يَستطيعُ السفرَ، فإنَّهما يُنيبانِ من يحجُّ عنهما، لأن امرأةً جاءت إلى النبيِّ ﷺ فأخبرته أنَّ أباها أدركتْهُ فريضةٌ الله في الحجِّ وهو شيخٌ كبيرٌ لا يستطيعُ الثَبَاتَ عَلىٰ الرَّاحِلَة، أفَأَحُجُّ عَنه فقالَ لهَا النَّبي ﷺ: «نعم، حُجِّي عن أبيك» [١]. وإذا مات من لم يحج وكانَ عنده مالٌ يكفي للحجِّ فاضلاً عن سَدَادِ الدُّيونِ التي عَلِيهِ، فإنَّهُ يُوكلُ مَن يحجُّ عَنْهُ بالنيابَةِ لإسقاطِ فَرِيضةِ الحَجِّ عنهِ مقدماً ذَلك عَلى المواريثِ، ويُشترطُ في النائبِ أن يكونَ قد حجَّ عن نفسه أولاً، لأنَّ النبيَّ ﷺ سِمعَ رجلاً يُلَبِي ويقولُ لَبيكَ اللَّهُمَّ عن شُبرمَة فقال النبي ﷺ له: «ومن شُبرمة؟» قال أخٌ أو قريبٌ لي. قال: «هَل حَججتَ عن نَفسِك»؟ قالَ: لاَ. قَال: «حِج عن نفسِكَ ثمْ حج عن شبرمة» [٢]. ويُشترَطُ لوُجوبِ الحَجِّ أيضاً التكليفُ بأن يكونَ بالغاً عاقلاً فإن كان صغيراً دونَ البلوغِ فإنَّهُ لا يجبُ عليهِ الحج ولكن لَهُ أن يَحجَّ ويَكُون ذَلِكَ نافِلةً، فإِذَا بَلغَ فإنَّه يَحج حجةَ الإسلامِ. ويصحُّ الحجُّ من الصغيرِ نافلةً لأنَّ امرأةً رفعتْ صبياً إلىٰ النبيِّ ﷺ فقالَت: يارسولَ الله ألِهذَا حجٌّ؟ قَالَ: نَعم، ولَكَ أجرٌ. [٣] وقالَ عليهِ الصلاة والسلام: «أيُّما صَبِيٍّ حجَّ فإنَّه يحجُ بعد البلوغِ حجةَ الإسلام» [٤] أو كَمَا جَاءَ عنهُ ﷺ، وأمَّا مَن بَلغَ وهُوَ غير عاقلٍ كالمَعتُوه والمَجنونِ الذي جنونُه دائمٌ فهَذَا لا يجِبُ علَيهِ حجٌ ولا يجِبُ

---

(١) الترمذي (٨١١)، النسائي (٢٥٨٧)، أحمد (٢٨٩٢)، الدارمي (١٧٦٢).

(٢) (١٠٥٦) تحفة المحتاج (ج ٢ ص ١٣٥، ٩٥٨) تلخيص الحبير (ج١ ص ٢٢٣)، نيل الأوطار (ج٥ ص ١٨).

(٣) مسلم (٢٣٧٨)، النسائي (٢٥٩٧)، أبو داود (١٤٧٥)، أحمد (١٨٠٠) مالك (٨٣٩).

(٤) (٥٣٧) الأحاديث المختارة (ج ٩ ص ٥٤٦، ٨٣٩٦) سنن البيهقي الكبرى (ج ٤ ص ٣٢٥، ١٤٨٧١)، مصنف ابن أبي شيبة (ج ٣ ص ٣٥٤).

علَيهِ شيءٌ من أوَامِرِ الإسلامِ لأنَّهُ غير مُكلفٍ. عبادَ اللهِ، إنَّ الحجَّ كَما سمعتُم مَن كَلامِ الرسولِ ﷺ إنَّمَا هِوَ مرةٌ وَاحدةٌ في العمرِ وهَذَا من رَحمةِ اللهِ لأنَّ النَّاسَ يأتُونَ إلىٰ الحجِّ من بعيدٍ من أقطارٍ مُتباعِدةٍ ويتعرضونَ لأخطارٍ ومشاقٍّ فِي طَريقِهِم إلىٰ الحجِّ وفي أثناءِ الحجِّ فخففَ الله عنهُم وجَعله مرةً واحدةً في العمر، وعلىٰ المُستطيع خَاصةً تخفيفاً عن العباد ولِهَذَا قَال ﷺ لما سأله السائل أكلَّ عام يارَسولَ الله؟ قَالَ: «**لو قُلتُ نَعَم لَوجبَتْ ولَمَّا استطعتُم، الحجُّ مُرةٌ وَاحِدةٌ فَمَن زادَ فَهُوَ تَطوعٌ**»[1]. ومن وفقَهُ الله للحجِّ فإنَّهُ يَجَب عَليهِ أنَّ يُؤديَ الحجَّ عَلىٰ الوجهِ المطلوبِ بأركانِهِ وَوَاجَبَاتِه ومَا يستطيعُ من سُننهِ، يُؤدِّي المَنَاسكَ عَلىٰ الوجه المشروع. قالَ اللهُ جلَّ وعلا ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٦] «اتموا» أي أكملوا المناسكَ ولا تتركوا منها شيئاً «لله» أي خالصاً لوجهِ اللهِ لاَ يَكونُ رياءً ولا سُمعةً ولاَ يَكونُ فِيهِ شِركٌ بَل يَكونُ خَالصاً لوَجهِ الله عزَّ وجلَّ طَلباً لثَوابِهِ لأنَّ بَعضَ النَّاسِ يَحُجونَ ولكِن لا يكملونَ المناسكَ ويحصلُ منهمُ تلاعبٌ في أداءِ المناسكِ ويترخصونَ وهِم لَيسُوا بِحَاجةٍ إلى الرُّخصِ إيثاراً مِنهُم للراحةِ والرَفَاهيةِ. والحجُّ عِبادةٌ عظيمةٌ يحتاجُ إلىٰ صبرٍ ويحتاجُ إلى تحملٍ ويحتاجُ إلى نية صالحةٍ فمَهمَا استطاعَ الإنسانُ أن يُكمِلَ الحجَّ فإنَّهُ يجبُ عَليهِ ذلكَ، وإذا عجزَ عَن بعضِ المَنَاسَك كَالرمي فلاَ بَأسَ أنْ يوكلَ لقولِ جَابرٍ رضي الله عنه: حججْنَا ومَعَنَا النِّساءُ والصِبيَان فَلَبينَا عَنِ الصُّبيان ورَمينَا عَنهم.

فيُوكلُ مَن يَرمِي عَنهُ، وكَذلِكَ إذَا كَانَ لاَ يَستطيعُ المَشي فِي الطَوافِ والسَعي فإنَّه يُحملُ ويُطافُ به محمولا ويُسعى بهِ محمولاً ولا يُوكل لقوله تعالى

---

(١) مسلم (٢٣٨٠)، أحمد (١٠١٩٩).

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٦] يجبُ عليهِ المبيتُ بمُزدَلِفةِ. إذا نفرَ مِن عَرَفَةَ لأنَّ النبيَّ ﷺ باتَ بِها إِلَىٰ أنْ طَلَع الفجرُ وصَلَّى بِهَا ثُم دَعَا بَعدَ الفَجرِ ثُمَ انصرفَ إِلىٰ مِنىً وقالَ: «خُذُوا مناسِكَكم»[١]. ولكنَّهُ رخَصَ للضعفَةِ والصِبيانِ أنْ يَنفروا من مُزدَلِفَةَ بَعدَ مُنتَصفِ اللَّيلِ، وهَذِهِ رُخصةٌ، وأَمَا القويُّ القادِرُ فإنَّه يُكَمِلُ اللَّيل في مُزدَلفَة كمَا فَعَل النبي ﷺ فَالمبيتُ بِمُزدَلِفة واجِبٌ مِنَ وَاجبَاتِ الحجِّ وكَذَلِك المَبيتُ بمنى لَيَالي أيَامِ التَشريق لَيلةَ الحَاديَ عشرَ وَليلةَ الثَانِي عَشرَ لِمَن تَعجلَ فِي يَومَينِ وليلةَ الثالثَ عشرَ لِمَن تَأخرَ، المبيتُ في هذهِ اللَّيالِي بِمنَى وَاجبٌ من واجبَاتِ الحِجِّ لأنَّ النَبيَّ ﷺ بَاتَ بِهَا كلَّ هَذِهِ الليالِي. وقالِ: «خُذوا عني مناسككم» ورَخَصَ للسُّقَاةِ والرُّعَاةِ في تَركِ المَبيت نَظراً لِحَاجتِهم إِلىٰ ذَلِكَ، والرُّخصَة لاَ تَكونُ إلاَّ من شَيءٍ وَاجِبٍ فدَلَّ على أنَّ المَبيت بِمِنَى لَيَالِي أَيَامَ التَّشرِيق وَاجِبٌ كَالمَبيت بِمُزدَلِفَة إلاَّ لِمن لَهُ عُذرٌ شَرعيٌ لاَ يَستطيعُ المَبيتَ لِمَرضٍ أو هِوَ مُنوم بالمُستَشفىٰ أو يَخدِمُ الحَجاجَ بِتوفِيرِ المِياهِ لهُم أو رَعي مَواشِيهم أو غيرِ ذَلِكَ مِن خِدمَةِ الحِجيجِ، فإِنَّهُ يُرَخصُ لَهُ فِي تَرْكِ المَبيت، أمَّا الإِنسانُ السَلِيمُ والإِنسانُ القَادِرُ عِلى المِبيتِ فِلاَ يَجوزُ لَهُ أن يَترُكَ المَبيتَ بِمُزدلِفَة لَيلَةَ العَاشِرِ والمَبيت بِمِنَى لَيَالِي أيَام التَشريق لأَنَّهِمَا وَاجِبانِ مِن وَاجِبَاتِ الحِج والله جلَّ وعلا يقول ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٦] فالذي يَتَرَخصُ ويَترُكُ المَبيتَ بِمُنى ومُزدَلِفَةَ مِن غَيرِ عُذرِ هَذَا لَم يُتِم الحجَّ لله عزَّ وجلَّ بَل تَركَ ذَلكَ وهوَ قَادِرٌ عَلَيهِ، بَعض الناسِ أخذتُهمُ الرَّفَاهِيَةُ فَصَارُواْ يَستأجرُونَ الشُّقَقَ المُكيفَةَ فِي مَكةَ أو فِي العَزيزيَة ويَجلسُونَ فُيهَا مِن غَيْرِ حَاجةٍ إلاَّ للرَفاهيَة فَقط

---

(١) النسائي (٣٠١٢) انفرد به.

لأنَّهم لاَ يصبرونَ عَلىٰ الحرِّ والزَّحمةِ، والحجُّ ليسَ نُزهةً، الحجُّ عبادةٌ وجهادٌ وهُوَ نوعٌ مِن الجِهَاد في سَبِيلِ اللهِ، فِيهِ مَشقَّة وفِيهِ تَعبٌ فالذي ليسَ عِندهُ استعدادٌ في أن يؤدِّيَ الحجَّ على الوجهِ المطلوبِ فإنَّهُ يَجلسُ فِي بَيتِهِ ولاَ يَحجٌّ حجًّا مَشلولاً حَجًّا نَاقِصاً يَترخصُ فِيهِ وَيَترُك بَعض مَنَاسِكِه مِن غَيرِ عُذرٍ شَرعي وإنَّمَا لأَجلِ الرَّفَاهِيَّة وَعَدمِ الصَبرِ عَلىٰ المَشَقَّة والحُرِّ وغَيرِ ذَلِكَ من مشاقِ الحجِّ، ثِمَ إنَّ الحج في هذِهِ السنين كَمَا تَعلمُونَ مَا فِيهِ مِن الزَّحمةِ الشَدِيدة والأخطارِ العِظيمَة فالذي لَيسَ عِندَهُ قُوة وهوَ قَد حجَّ مَرةً أَو مَراتٍ فَكونهِ يَبقىٰ فِي بَيتِهِ وفي بَلدِهِ رُبَمَا يَكُونُ أفضلَ له من الحجِّ لأنهُ لا يؤدِّي الحجَّ عَلَى الوَجهِ المَطلوبِ، لابُدَّ أن يَترَّخص ولاَبُدَّ أن يتركَ أَشياءَ مَن أَعمالِ الحَجِّ بسببِ الزِّحَام الشديدِ والضيقِ فكونُهُ يصرفُ نفقةَ الحجِّ في عِبادِة أُخرىٰ كإطعامِ المَسَاكِين والفُقُراءِ أَحسنَ مِنَ الحجِّ الذي لا يتمكنُ من إكمَالِهِ وإتمَامِه عَلَى الوَجهِ المَطلوبِ، فاتَّقُوا الله عِبَادَ الله في أُمورِ دِينِكُم عَامةً وَفِي الحِجِّ خَاصةً، فَإنَّ الحَج ركنٌ مِن أركانِ الإسلامِ وعبادةٌ عظيمةٌ وجهادٌ في سبيلِ اللهِ عزَّ وجلَّ فلاَ يَتساهَل الإنسانُ في أداءِ مناسكِهُ ويترخصُ مِن غَيرِ حاجةٍ بَل ليرفه نَفسهُ، لا يعملُ هذا، إمَّا أن يَحجَّ حجاً عَلَى الوَجهِ المَشروعِ وإما إذا كَانَ قَد أدَّى الفَرِيضَة وَتَنَفَّلَ فإنَّهُ يبقىٰ في بَلدِهِ والحمد لله، فاتَّقُوا الله عِبادَ الله، أعوذُ بالله من الشَّيطانِ الرَّجيم ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾ [البقرة: ١٩٧].

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ ربِّ العَالمينَ وأشهدُ أن لاَ إلٰه إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ لَهُ مخلصينَ لهُ الدِّينَ وأَشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُه الصادقُ الأمين صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِه وأصحابِه أجمعين وسلَّم تسليماً كثيراً، أما بعد:

أيُّها النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ سُبحَانَهُ وتَعَالَى واعلمُوا أنَّ الحَجَّ عِبادةٌ عَظِيمةٌ لأنَّهُ يَجمعُ بَيْنَ عِبادةِ المَالِ وعِبَادةِ البَدنِ ولأنَّه يُؤتَى إليهِ مِن مَكانٍ بَعيدٍ وتتحملُ في المشاقِّ وقَد عَدَّه النبي ﷺ من أنواعِ الجهادِ في سبيل الله لمَّا سُئِلَ ﷺ هَل عَلى النساءِ مِن جِهَاد؟ قَالَ: نَعم عَليهنَّ جِهَادٌ لاَ قِتَال فِيهِ: الحجُّ والعُمرةُ. وقَالَ جلَّ وعَلا ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧] فالحاجُّ إذَا تَلَبسَ بالإحرام فإنَّهُ يَكُون فِي عِبَادةٍ فعَلَيْهِ ألاَّ يَدخُلَ فِي هذه العبَادةِ مَا يُخلُّ بُهَا مِنَ الرَّفَثِ وهُوَ الجِمَاعُ ودواعيهِ من النَّظرِ واللَّمسِ والقُبلةِ وغيرَ ذلكَ مِن أنواعِ الاستمتاعِ، حتى وَلو لَم يَكُنْ ذَلِكَ مَعَ المَرأةِ مُبَاشَرةً حَتى وَلَو كَانَ النَّظَرُ فِي شَاشَةِ التِليفزيونِ أو إنترنت يَرى فِيهِ النساءَ الكاسِياتِ العَارياتِ هَذَا مِن الرَّفثِ فَعَلَيْهِ أن يَتَجَنَّبَهُ «فَلَا رَفَثَ ولاَ فُسُوقَ» والفُسوقُ هُوَ المَعَاصي بِجَميعِ أنوَاعها سُمِّيت فُسوقاً لأنَّ الفِسْقَ هوَ الخُروجُ مِنَ الشَيء والمَعاصِي خُروجٌ عن طَاعةِ اللهِ فسُمِّيتْ بِالُفسوقِ «ولا جِدَالَ في الحجِّ» لا يَشْغَلُ الإنسانُ نفسَهُ بِالمُخَاصَمَةِ مَعَ النَّاسِ هَذا كَذَا وذَا كَذَا، ويَقولُ الآخرُ: لاَ. مَا هُوَ بِكَذَا يَتَجَادَلُونَ، هَذَا الجِدَالُ إذَا كانَ لِغيرِ فَائِدةٍ فإنَّهُ لاَ يَجُوزُ فِي جَمِيع الأحوالِ وَفِي حَالةِ الإحْرامِ أولىٰ، الجدالُ الذي ليسَ فِيهِ فَائِدَةٌ أو فِيهِ فائِدةٌ دُنيويةٌ

هَذَا يُترك، وأمَّا الجدالُ الذي هُوَ لِرَدِّ بَاطلٍ أَو لنُصرةِ حَقٍّ فَهَذَا وَاجِبٌ قَالَ جَلَّ وَعَلاَ ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: ١٢٥] وهَذَا لأَهلِ العِلم وأَهلِ البَصِيرةِ وقَالَ النبيُّ ﷺ: «مَنْ أَتَىٰ هَذَا البَيتِ وَلَم يَرفُثْ ولَمْ يَفسقْ رَجَعَ كَيومِ ولِدتهُ أمُّهُ»[(١)]. إذا حجَّ حَجّاً مبروراً لم يحصل فيه رفثٌ ولا فسوقٌ وأكمل مناسِكَه علىٰ مَا أَمَرَ اللهُ خَالِصاً لِوجهِ الله لِيسَ فِيهِ رِياءٌ ولِا سُمعةٌ ولاَ شِركٌ ولاَ بِدعةٌ، فإنَّه يرجِعُ مَغفُوراً لَهُ لَيسَ عَليْه ذَنبٌ مِنَ الذُّنوبِ كَحَالَتِهِ يومَ وَلَدتْهُ أُمُّهُ، يَومَ ولدته أمُّه لَيسَ عَليهِ ذُنوبٌ والحَاج إذَا أَتَى بِالحجِّ عَلىٰ الوَجهِ المَشرُوعِ خَالِصاً لِوجهِ اللهِ فهَذَا وِلادةٌ جَديدةٌ يَرجعُ مِنهُ كَيومِ وَلَدَتْهُ أُمه لَيسَ عَليهِ ذُنوبٌ وَهَذَا فضلٌ عَظِيمٌ لِمَن وَفَّقَهُ اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وَقَالَ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلام «الحَجُّ المَبرورُ ليسَ لهُ جَزَاءٌ إلاَّ الجَنَّة»[(٢)] لَيسَ لَهُ جَزاءٌ عِندَ اللهِ إلاَّ الجَنَّة الَّتي هِيَ أَعظمُ المَطَالِب، فَاللهُ يُعطي الجَنَّة بِما فِيهَا مِنَ النَّعيمِ والسُّرورِ والخُلود لِمَن حَجَّ حجّا مَبروراً، والحَجُّ المَبرور هُو الَّذي يُؤدَّى عَلى الوجْهِ المَشروعِ مِن غَيرِ نَقصٍ ويَكونُ خالصاً لوجهِ اللهِ كمَا قَالَ تَعالىٰ ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ ﴾ [البقرة: ١٩٦] فَمَن أَتمَّ الحَجَّ والعَمرةَ للهِ حجُّهُ مَبرورٌ وجزاؤه موفورٌ، جَزاؤُه الجَنَّة هَذَا فَضلٌ عَظِيمٌ لِمَن وَفقهُ اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. ثُمَّ اعلمُواْ أنَّ خَيرَ الحَدِيثِ كِتَابَ اللهِ...

---

(١) مسلم (٢٤٠٤)، النسائي (٢٥٨٠)، أحمد (٧٠٧٧)، الدارمي (١٧٢٨).

(٢) البخاري (١٦٥٠) مسلم (٢٤٠٣)، الترمذي (٨٥٥)، النسائي (٢٥٨٢).

فضل عشر ذي الحجة

الحمدُ للهِ دائمِ الفضلِ والإنعامِ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك لهُ فضَّلَ عشرَ ذي الحجةِ على سائر الآيامِ. وأشهد أن محمداً عبدُهُ ورسولُهُ خيرُ قدوةٍ وإمام. صلى الله عليه وعلى صحبه الكرام وسلِّم تسليماً كثيراً على الدوام، أما بعد:

عبادَ الله، اتقوا اللهَ تعالَى واغتنموا مواسمَ الخير قبل فواتها. ومنها العشرُ الأُولُ من شهرِ ذي الحجةِ التي نوه اللهُ بشأنها حيثُ أقسمَ بها في كتابِهِ الكريم قال تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفجر: ١-٢] وهذه الليالي العشر هي عشر ذي الحجةِ والله جلَّ وعلا يقسمُ بما شاءَ، ولا يقسمُ إلا بشيءٍ له شأنٌ وفضلٌ. وقال النبي صلَّى الله عليه وسلم فيها: «ما من أيام العمل فيهنَّ خيرٌ وأحبُّ إلىٰ اللهِ مِن عَشرِ ذِي الحِجَّة. قِيلَ: ولاَ الجهادُ فِي سَبيلِ اللهِ يَا رَسولَ اللهِ قَالَ: وَلاَ الجِهادُ فِي سَبِيلِ الله إلاَّ رجلٌ خرجَ بنفسهِ وَمَالِهِ فَلَم يَرجعْ مِنْ ذَلِكَ بِشيء»[1]. وهِي الأَيَامُ المَعلُومَاتُ الَّتي قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهَا:

﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٨]. وأمَّا الأيَام المَعْدُوداتُ الَّتي قَالَ اللهِ فِيهَا ﴿۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣] فَهِيَ أَيَامُ التَشريقِ فَيَستحِبُ الإِكْثَارُ فِي هَذِهِ العَشرِ المُبَارَكَة مِنَ الأعمَالِ الصَّالِحَةِ وَلاَ سِيَّما التَكبيرُ فَيَنبغِي الإكثارُ مِنهُ وَتِكرَارُهُ وَرَفعُ الصَوتِ بِهِ فِي هَذِه

(١) البخاري (٩٠١٦)، الترمذي (٦٨٨)، النسائي (٣٠٥٤)، أبو داود (٢٠٨٢).

العَشرِ فِي البُيوتِ والأسواقِ ومحلِّ العملِ إظهاراً لذِكرِ اللهِ وتَنبيهاً للنَّاسِ لِيُكبِّروا. وُمِمَّا يُشرَعُ فِي هَذِهِ العِشْرِ المُبَارَكَةِ صِيَامُها لأنَّ ذَلِكَ مِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ الذي حثَّ عليه الرسولُ ﷺ في هذِهِ العَشرِ ورَوَتْ حَفصةُ رضي الله عنهَا: «أنَّ النبيَّ ﷺ لَم يَكُن يَدعْ أَربعاً: صِيام عَاشُورَاءَ، والعَشرَ، وثَلاثة أيامٍ مِن كُل شَهر، والرَّكعتينِ قَبلَ الغَداةِ»[1] رَواه النسائي وفي لفظ: «كانَ يَصومُ تِسعَ ذِي الحِجَّة»[2] قَالَ الشَّوكَانِي: وَقَد تَقدَّمَ أَحَادِيثُ تَدُلُّ عَلَى فَضِيلةِ العَمَلِ فِي عَشرِ ذِي الحَجةِ عَلَىٰ العُمومِ، والصَومُ مُندرجٌ تَحتَها. وأَمَا مَا أَخرَجَهُ مُسلمٌ عَن عَائِشَة أَنَّهَا قَالَت: مَا رَأيتُ رَسولَ الله ﷺ صَائِماً فِي العَشرِ قَط»[3]. وفي رِوَايَة: «لَمْ يَصُمْ العَشرَ قَطّ» فقالَ العُلَمَاءُ: المُرَادُ أَنَّهُ لَم يَصُمهَا لَعارض مَرضٍ أو سَفرٍ أَو غَيرهِمَا. أو أَنَّ عَدمَ رُوؤيتِهَا لَهُ صَائِماً لاَ يَستلزِمُ العَدَمَ عَلىٰ أنَّهُ قَدْ ثَبَتَ مِن قَولِهِ مَا يَدلُّ عَلَىٰ مَشرُوعيَّة صَومِها كَمَا فِي حَدِيث البَابِ ـ يعنِي حَديث حَفصةَ فَلاَ يَقدحُ فِي ذَلِكَ عَدَم الفِعلِ ـ انتهىٰ كَلاَم الشَّوكَانِي رَحِمهُ الله.

وَفِي عَشرِ ذِي الحِجَّةِ يَومُ عَرَفةَ الذي قَالَ النبي ﷺ فيهِ: «صَومُ يَوم عَرَفَةَ يُكَفِّرُ سَنَتَيْن مَاضِيَة وَمُستقبَلَة»[4] رواه الجماعةُ إلا البخاري والترمذي.

فيُتَسحَبُ صَومُ يَومِ عَرَفَةَ لِغَيرِ الحَاجِّ، وأمَّا الحَاجُّ فَلاَ يَصُومُ فِي يَومِ عَرَفَةَ لأنَّ النبيَّ ﷺ وَقَفَ فِي هَذَا اليَوم مُفطراً وَليكونَ ذَلِكَ أَقوىٰ لَهُ عَلىٰ الوقوفِ والدعاءِ. فَإنَّ الدُّعاءَ فِي هَذا اليَومِ فِيهِ فضلٌ عظيمٌ قال النبي ﷺ: «خيرُ الدعاءِ

---

(١) النسائي (٢٣٧٣) (انفرد به).
(٢) النسائي (٢٣٣٢).
(٣) مسلم (٢٠١٠)، الترمذي (٦٨٧)، أبو داود (٢٠٨٣).
(٤) أحمد (٢١٤٩٦) (انفرد به).

دعاءُ عرفَةَ. وَخَيرُ مَا قُلتُ أَنَا وَالنبيُّونَ مِن قَبلِي: لاَ إله إلاَّ الله وَحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ. لَهُ المُلكُ وَلهُ الحَمدُ وَهوَ عَلَى كُلِّ شَيء قَدِير»[(١)]. وَقَد أَكثرَ ﷺ مِنَ الدَّعَاءِ وَهوَ واقِفٌ بِعَرَفةَ. وَهُوَ يَومٌ يُباهِي اللهُ فِيهِ المَلائِكَةَ بأهلِ الموقفِ ويقولُ: انصرفوا مَغفوراً لكُمْ وَلِمَن شفعْتُم فِيهِ» وخِتَامُ هَذِهِ العَشْر المُبَارَكَة يَومُ عِيد الأَضْحَىٰ الذي هُوَ يَوم الحجِّ الأَكبر لأنَّ الحُجَّاجَ يُؤدُّونَ فِيهِ مَنَاسِكَ الحجِّ. وَفِيهِ يَبدأُ وَقتُ ذَبحِ القَرابين مِن هَدْي التَمتُّعِ والقِرانِ في منى وذبح الأضاحِي في سائرِ بُلدَانِ المُسلِمينَ. وَفِيهِ صَلاةِ العِيدِ لِغَيرِ الحُجَّاجِ فِي مِنَى.

أيُّهَا المُسلِمُون: وَمَن أرَادَ أنْ يُضحي عَن نَفسِه فَإِنَّهُ إذَا دَخَلتْ العَشْرُ أي عَشرُ ذِي الحِجةِ فَإِنَّهُ لاَ يَأخُذُ شَيئاً مَن شَعرِهِ ولاَ مِن أظفَارِه حَتَى يَذبح أُضحيتِهُ لِحَدِيث أُمِّ سَلَمةَ رَضيَ الله عَنهَا: أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: «إذَا رَأَيتُم هِلاَلَ ذِي الحِجَّة وأرَادَ أحَدُكم أَن يُضحِّي فَلْيُمسِكْ عَن شَعرِه وأَظفَارِهِ»[(٢)] رواه الجَمَاعة إلاَّ البُخَارِي. وأَمَّا مَن وَكَّل فِي ذَبحِ الأُضحيَّة عَن غَيرِهِ فَلاَ يَشملُهُ المنعُ من أخذِ الشعرِ والأظفارِ لمفهومِ الحديث.

أيُها المُسلِمُون: إنَّ الأُضحيَّةَ سُنةٌ مُؤكَدةٌ في حقِّ مَنْ يستطيعها، تذبحُ في البيوتِ، ويأكلونَ مِنهَا فِي بُيوتِهم، وَيَهدُون مِنهَا لِجِيرَانِهِمْ ويَتَصَدَّقُونَ منهَا عَلَى مَنْ حَولَهُم من الفُقَرَاء. وأَمَّا مَا أَحدَثَهُ بَعضُ النَّاسِ مِن دَفْعِ ثمن الأضحيةُ للجمعياتِ الخيريةِ لتذبحَ خَارِجَ البَلَدِ وبَعيداً عن بيتِ المُضحي فَهَذَا خِلافُ السُّنة وهوَ تغييرٌ للعِبَادِة. فَالوَاجِبُ تَرك هَذَا التَصرَف وأن تُذبُحَ الأَضَاحِي فِي البُيوتِ وَفي بَلدِ المُضَحِي كَمَا دَلَّت عَلَيهِ السُّنةُ وَكَمَا عَلَيه عَملُ المُسلِمين مِن عَهْدِ

---

(١) الترمذي (٣٥٠٩)، (انفرد به).

(٢) مسلم (٣٦٥٥)، الترمذي (١٤٤٣)، النسائي (٤٢٨٥).

الرَّسولِ ﷺ حَتَّى حَصَلَ هَذَا الإحدَاث فَإِنِّي أخشَىٰ أَن يَكُون بِدعةً. وَقَد قَالَ النَّبي ﷺ: «مَن أَحدَثَ في أَمرِنَا هَذَا مَا ليسَ مِنهُ فَهوَ رَدّ»[1]. وقالَ عَلَيهِ الصَّلاة والسَّلام: «وإيَّاكم ومُحدَثَاتِ الأمورِ، فإنَّ كُلَّ مُحْدَثةٍ بدعَة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة»[2]. ومن أرادَ أن يتصدقَ على المحتاجين فبابُ الصدقةِ مفتوحٌ. ولا تُغير العبادةُ عن وجهها الشرعي باسم الصدقة. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر: ٧]. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

* * *

(١) مسلم (٣٢٤٢)، البخاري (٢٤٩٩)، أبو داود (٣٩٩٠)، ابن ماجة (١٤)، أحمد (٢٤٨٤٠).

(٢) النسائي (١٥٦٠)، مسلم (١٤٣٥)، ابن ماجة (٤٤).

في الاستعداد للحج

الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِين. شرعَ لِعبَادِه حَجَّ بيتِهِ الحَرام. ليُطهرَهم به من الذُّنوبِ والآثامِ. وأَشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ذُو الجَلالِ والإكرامِ. وأشهدُ أن محمداً عبدهُ ورسولُهُ، عليه من ربِّه أزكَى الصلاةِ وأفضلُ السلامِ وعلى آله وأصحابه الأئمةِ الأعلام وسلَّم تسليماً كثيراً، أما بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقُوا اللهَ تعالىٰ واشكرُوه عَلىٰ ما مَنَّ بِهِ عَليكُم من نِعمةِ الإسلامِ الذي مِنْ أركانِهِ الحجُّ إلى بيتِ الله الحَرام. قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران ٩٧]. وقالَ النبيُّ ﷺ مُبَيناً كَم مَرةٍ يَكُون الحجُّ في العمرِ: «الحجُّ مرةً وَاحدةً فَمَن زادَ فَهوَ تَطوُّع»[١]. وقد حجَّ ﷺ بأصحابِه حجَّةَ الوداعِ وعلَّمَهُم كَيفَ يؤدُّون مناسك الحجِّ تعليماً عملياً. وقال: «خُذوا مناسِكَكُم»[٢] فيجب أن يؤدَّى الحجُّ على الصفة التي فعلها رسولُ الله ﷺ لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

أيُّها المُسلِمُون: إنَّ الحجَّ لا يَجِبُ إلاَّ عَلَى المُستطيع لقولِه تعالى: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران ٩٧] والسبيلُ هوَ الزادُ والراحلةُ الصالحيْن لمثله. فإذا وجد ما يكفيه لنفقةِ الحجِّ ذِهاباً وإياباً ووجدَ مركوباً يحملُهُ إلى الحجِّ ملكاً لهُ أو بالأجرةِ من دابةٍ أو سيارةٍ أو باخرةٍ أو سيارةٍ، وتكون هذه النفقةُ فاضلةٌ عن

---

(١) أبو داود (١٤٦٣)، ابن ماجة (٢٨٧٧).

(٢) النسائي: (٣٠١٢) (انفرد به).

كفايتِهِ وكِفَايةِ مَنْ تلزمُهُ نفقتهمُ بأَن يكونَ عندهم ما يكفِيهم مدةَ غيابه عنهُم إلى رجوعِه إليهم، وتكونُ هذِه النفقةُ فاضلةً عن سدادِ مَا عَليهِ مِنَ الدُّيون فَإنَّهُ حينئذٍ يَكُونُ مُستطيعاً السَبيلَ إلىٰ الحجِّ فتجبُ عليه المبادرةُ بأدائِه لحثِه ﷺ علىٰ المُبَادَرةِ بِأداءِ فَريضةِ الحجِّ لأنَّ الإنسانَ لا يَدري مَا يَعرضُ لَهُ من العَوارضِ.

وعَلى مَن يُريدُ الحجَّ أن يَختارَ لِنفَقتِه الحَلالَ الطيبَ مِنَ المَكَاسِب لأنَّ الله سُبحَانَه طَيبٌ لا يقبلُ إلا طيباً. ولا تكونُ نفقتهُ مِن مَالٍ حرامٍ لأنَّ آكلَ الحرامِ لا يُستجابُ لَهُ دُعاءٌ كَمَا صَحَّ في الحَديثِ في الرَّجُل يُطيلُ السَّفر أشعثَ أغبرَ يمدُّ يديهِ إلى السماءِ يا رب يا ربْ، ومطعمُهُ حرامٌ، ومشربُهُ حرامٌ، وغُذِّيَ بالحرام فأنَّى يستجابُ لذلك»(١). وقال ﷺ لسعدِ رضي الله عنه: «**أطِبْ مطعمكَ تكن مستجابَ الدعوةِ**»(٢). وعلى من يريد الحجَّ أن يتوبَ إلى اللهِ من الذنوبِ السابقة ولا يقعُ في ذنوب في سفره إلى الحجِّ أو في أثناءِ الحج قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] وقال ﷺ: «**مَنْ أَتَى هَذَا البَيت وَلم يَرفثْ وَلم يَفسُقْ رَجعَ كَيوم وَلدتْهُ أمُّه**»(٣). وَقدْ يَكُونُ بَعضُ النَّاسِ مُتَلبساً بِشركٍ أَو تَارِكاً للصَّلاةِ أو غَير ذلكَ من نواقضِ الإسلام كالسحرِ والكَهَانَةِ فَهَذا لاَ يُقْبَلُ مِنهُ حَجٌّ ولاَ يَصحُ مِنهُ عملٌ حَتى يَتوبَ إلىٰ الله ويَدخلَ في الإسلام مِن جَديد. قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾

---

(١) مسلم (١٦٨٦)، الترمذي (٢٩١٥)، أحمد (٧٩٩٨)، الدارمي (٢٦٠١).
(٢) (٢٦٦٤) الترغيب والترهيب (ج٢ ص ٦٤٥) جامع العلوم والحكم (ج١ ص ١٠٧) مجمع الزوائد (ج١٠، ص ٢٩١).
(٣) مسلم (٢٤٠٤)، النسائي (٢٥٨٠)، أحمد (٢٧٠٧٧) الدارمي (١٧٢٨).

[الزمر: ٦٥]، وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «بَينَ العَبدِ وبينَ الكُفر تَركُ الصَّلاة»[١] وبعضُ الناس يحجُّ وَهِوَ يَستغيثُ بِالأمواتِ ويَذبحُ ويُنذِرُ للصُّورِ وهَذِهِ أعمَالٌ شَركيةٌ لاَ يَصحُّ مَعَهَا حجٌّ ولاَ غَيرُه. وبعضُ الناسِ يحجُّ وَهوَ تَاركٌ للصَّلاةِ وَهَذا لاَ يَصحُّ لَهُ حجٌ ولاَ غَيرُه لأنَّ الصَّلاةَ هي عمودُ الإسلام ومَن تَرَكَهَا فَقد كَفَرَ كمَا فِي الحَديث الصَّحيح. فَعَلىٰ من يريدُالحجَّ أن يصححَ عَقِيدَتَهُ أَولاً ويَتوبَ إلىٰ اللهِ مما هُوَ عَلَيهِ من نَواقِضٍ، الإسلام لِئَلا يَكونَ حِجُّهُ وجميعُ أعمالِه تعباً بِلاَ فَائدةٍ كَمَا قَالَ تَعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٣] وقَالَ تَعالى: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وعَلَى مَن يُرِيدُ الحَجَّ أن يَختارَ الرفقةَ الطيبةَ ويصحبَهم فِي الحَجِّ ليُعينوه عَلَىٰ طَاعةِ الله ويُبصروه فِي أداء مناسِكه. والناسُ اليومَ في الغالبِ يَحجُّونَ مع حملاتٍ فَعَلَيه أن يَختَارَ الحَملةَ الطيبةَ التي تمكِّنُهُ من أداءِ مناسِكِ الحجِّ على الوجهِ الصحيح التام لأنَّ بعض أصحابِ الحملاتِ يتلاعَبُونَ بالحجَّاج ولا يمكنُوهُم من أداءِ المناسكِ على الوجهِ المشروعِ حتى يتوفر لهم المالُ فعلى من يريدُ الحجَّ أن يَحذَرَ مِنَ صُحبةِ هَذِهِ الحَمَلات. وعَلَى أصحابِ الحَملاتِ أنْ يَتَّقُوا الله فيمَن مَعهُم ولاَ يُربكوهم في أداءِ مناسكهم أو يعجلوهُم قبل استكمالِ مناسكِ الحجِّ، وعلىٰ الحُجاجِ ألاَّ يُطيعوا أَصحَابَ الحَمَلاتِ الذينَ يَتَلاعبُونَ بِالمَنَاسِكِ وإذَا أصرُّوا عَلَى التَلاعُب فَعَلى الحَجاج أَن يَشتكُوهم إلى الجِهَاتِ

---

(١) الترمذي (٢٥٤٤)، أبو داود (٤٠٥٨)، ابن ماجة (١٠٦٨)، أحمد (١٤٤٥١).

المَسؤولةِ عن تَنظيمِ الحَجِّ والمَسؤولةِ عَن منح التَرخيصِ لتلكَ الحَمَلاتِ، بَل عَليهم أنْ يَشترِطُوا عِندَ الانضمامِ إلى حَمَلاَتِهِم أن يُمكنُوهُم من أداءِ المَنَاسِكِ عَلى الوَجهِ المَشروعِ ولاَ يَستعجلوهُم قَبلَ استكمالِهَا.

ويَا أَصحابَ الحَمَلاتِ تَذَكَّروا قَولَ اللهِ تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝﴾ [المائدة: ٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

* * *

صفةُ الحجِّ والعُمْرَةِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين. شرعَ لعبادِهِ عباداتٍ يتقربُون بِهَا إِليهِ يُثيبهم عليها، وأشهدُ أنَّ لاَ إلٰهَ إلاَّ الله وحدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ، جَعلَ الحجَّ إلى بيتهِ أحدَ أركانِ الإسلامِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُه أفضل من حجَّ واعتمرَ وطافَ بالبيتِ الحرامِ، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابهِ البررةِ الكرامِ، وسلم تسليماً كثيراً.
أما بعد:

أيُّها الناسُ: اتَّقوا اللهَ تَعَالَى فِي أُمورِ دِينُكُم عَامةً وَفِي حجِّكم وعُمرتِكم خَاصةً. قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٦] ومعنىٰ «أتِمُّوا» أي أدُّوا مناسِكَ الحجِ والعمرةِ عَلىٰ التَّمامِ وفقَ سنةِ رسولِ اللهِ ﷺ حيثُ يَقولُ: «خُذوا مناسِكَكُم»[1] فَيَجبُ أَدَاءُ مَنَاسكِ الحجِّ والعُمرةِ وَفقَ السُّنةِ خَالَيْين من البدعِ والمُحدثاتِ وَسَالِمينِ مِن النَّقصِ والخللِ.

وَقوله تَعالى: «لله» أي خَالِصينَ مِنَ الشِّرك الأَكبر والأَصغرِ مؤسَّسَيْن عَلىٰ التَّوحيد الخَالصِ والنيَّة الصَّالحةِ، بأن يُراد بِهمَا وَجهُ اللهِ لاَ يُرادُ بِهَمَا رِيَاءٌ وَلاَ سُمعةٌ. وَلاَ يُرادُ بِهمَا نُزهةٌ أَو طَمَعٌ أو تَرويحٌ عَن النَّفْسِ.

أيُّهَا المُسلِمون: إنَّ الحجَّ التامَّ والعُمرةَ التَّامةَ يَشتملانِ عَلىٰ أركانٍ وَوَاجباتٍ وَسُنَن. فَأركانُ الحَجِّ أَربعة: الإحرامُ، والوُقوفُ بِعَرفةَ، وَطَوافُ الإفَاضةِ، والسعي بَين الصَفَا والمَروة. وَوَاجباتُ الحجِّ سبعةٌ، الإحرامُ مِن

---

(١) النسائي: (٣٠١٢) (انفرد به).

الميقاتِ المُعتبر لهُ، والوُقوفُ بِعرفةَ إلى غروبِ الشمسِ لِمَنْ وَقفَ بِهَا نَهَاراً، وَالمَبيتُ بِمُزدلفةَ، وَالمبيتُ بمنى لَيالِيَ أَيَام التَشريق، وَرَمي الجِمَارِ، والحَلقِ أو التقصيرِ، وطوافِ الوداعِ.

والسُّنَن في الحجِّ هِي النُزولُ بِمنى يومَ الترويةِ، والمَبيتُ فِيهَا ليلةَ التَاسعَ، والتَلبيةُ والدُّعاءُ فِي عَرفَة وَمُزدلِفَة، والبَقَاء فِي مِنى فِي النهارِ في أيامِ التشريقِ، والدُّعاءُ عَلَى الصَّفا والمَروةِ والدُّعَاءُ في الطوافِ.

وأرَكانُ العُمرةِ ثَلاثةٌ: الإحرامُ، والطوافُ، والسَعيُ. وَوَاجَباتُها اثنَان: الإحرامُ مِن المِيقَاتِ أو منَ الحلِّ لِمَن كَان دون الميقاتِ، والحلقُ أو التقصيرُ. وسُنَنُها: التلبية في حالةِ الإحرامِ، والرمَلُ في الأشواطِ الثلاثةِ من الطوافِ، والاضطباعِ في جَميعِ أَشواطِ الطَوافِ، والدُّعَاءُ في الطَواف وَعَلى الصَفَا والمَروةِ وفي السَعي ومَن تركَ شيئاً من أركانِ الحجِّ فَإن كَان الإحرَام فإنَّه لاَ يصحُ حجهُ إلاَّ بِهِ، وإن كَان الوُقوف بِعرفةَ فإنهُ يفوتُهُ الحجُّ ويَتحللُ بِعمرةٍ ويَقضي ثَاني عَامٍ وعَليهِ الفِديةُ، وإنَّ كَانَ طواف الإفاضةِ أو السَعي بَينَ الصَفَا والمَروةِ فإنَّه لاَ يَتمُّ حَجهُ إلاَّ بِه فَعَلِيهِ أنْ يَأتِي بِهِ فِي أيِّ وقت وَيتم حِجهُ لَكن لاَ يَقربُ زَوجتهُ حَتى يَأتي بِهِ.

وَمِن تَركَ وَاجِباً مِن وَاجباتِ الحجِّ السَبعة فإنَّهُ يجبرُهُ بدمٍ وحجُّهُ صحيحٌ. وَمَن تَركَ سنةً مِن سُننِ الحجِّ فَلاَ شَيء عَليهِ. وَمَن تَركَ رَكناً مِن أَركانِ العُمرةِ فَإن كَانَ نيَّة الإحرَامِ فإنَّهُ لاَ تَنعَقِدُ عُمرَتُهُ أَصلاً. وإن كَانَ طَوافاً أَو سَعياً أَو حَلقاً فَإنَّه لاَ تتمُّ عُمرَتُهُ إلاَّ بِهِ. وإنْ تَركَ الإحرامَ مِن المِيقَاتِ المُعْتبر لَهُ فَإنَّ عَليهِ فَديةً. مَعَ العِلمِ أنَّ مَن أَرادَ العُمرَة وهوَ بِمَكَة فَلابُدَّ أنَّ يَخرجَ مِن مَكةَ وَيُحرِمُ بِهَا مِنَ الحِلِّ، لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ لمَّا أَرَادَت عَائِشَةُ أَن تَعتمرَ وَهِي فِي مَكة أَخرَجَهَا النبيُّ ﷺ

مَعَ أَخِيهَا لتُحرِمَ مِنَ التَنعيمِ.

أيُهَا المُسلِمُونَ: إنَّ الحَجَّ والعُمرةَ عِبَادَتانِ عَظِيمَتَانِ يُكَفِّر اللهُ بِهَمَا الذُّنوب قَال ﷺ: «**العُمرَةُ إلىٰ العُمرَةِ كَفَّارةٌ لِمَا بَينهُمَا وَالحجُّ المَبرور لَيسَ لَهُ جَزاءٌ إلاَّ الجَنَّة**»(١). وقال عليه الصلاةُ والسلام: «**تابعُوا بينَ الحجِّ والعُمرَةِ**»(٢) والحجُّ قد جعله الله في وقتٍ معين من السنةِ قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] وهِي شَوالٌ وذو القعدةِ وعشرُ أيامٍ من ذي الحجة فَمَن أَحرَمَ بالحجِّ فِي هَذِهِ الأشهرِ صحَّ إحرامُهُ وانعقدَ، وَمَن أَحرمَ بِهِ فِي غَيرِهَا لَم يصح إحرامهُ ولَم ينعقدْ. وأمَّا العُمرةُ فَليسَ لَهَا وقتٌ محددٌ.

وقَدْ حَجَّ النبيُّ ﷺ حجةً واحدةً ولم يحج غيرَها بعدَ البعثةِ وهي حَجةُ الوَداعِ واعتمرَ ﷺ أربعَ عمرٍ، هي: عمرةُ الحديبيةِ عمرةُ القَضَاءِ وعُمرةُ الجعرانةِ والعمرةُ التي قرنَها مع حجِّه. وفِي هَذِهِ الأوقاتِ التي يَكثُرُ فِيهَا الزِّحامُ والخطرُ ولاَ يَتمكنُ المُسلمُ من أداءِ الحجِّ والعمرِة على الوجِه المطلوب بل يستعملُ الرخصَ التي تُنقصُ من ثواب حجهِ وعمرتِهِ فإنهُ ينبغي لمن حجَّ حجةَ الإسلام وحجَّ بعدها نافلةً أن يكتفي بذلك ويتجهَ إلى غير الحجِّ من أعمالِ البرِّ وهي كثيرةٌ ويتركَ الفرصةَ لمن لم يحجْ. ولو أنَّ الناسَ عمِلُوا بهذا لَمْ يَحصُلْ زَحامٌ ومضايقاتٌ.

ومِن رَحمةِ الله بِعبَادِهِ أَن جَعلَ حَجَّ الفَرِيضةِ مَرةً وَاحدةً في العُمرِ وعَلَى المُستطيعِ. ولَمَّا سَأَلَ رَجلٌ رَسولَ اللهِ ﷺ عَنِ الحجِّ أَهوَ كلَّ عَامٍ. قَالَ ﷺ: «**لَو قُلتُ نعمْ لوجَبَتْ ولما استطعْتُم. الحجُّ مرةٌ واحدةٌ وَمَا زَادَ فَهُوَ**

---

(١) البخاري (١٦٥٠)، مسلم (٢٤٠٣)، الترمذي (٨٥٥)، النسائي (٢٥٨٢).
(٢) ابن ماجة (٢٨٧٨)، أحمد (١٦٢).

تطوُّع»[١]. فَهذَا مِن رَحمةِ اللهِ بعِبَادِه وتيسيرِهِ لَهُم لأنَّه سُبحَانَه يَعلمُ مَا كَانَ وَمَا سَيكُون فَلِذَلِكَ خفَّفَ عَن عِبَادِهِ. فَلَه الحمدُ والمنةُ لاَ نُحصِي ثَناءً عليه ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨] أقولُ قَولي هَذَا وَأستغفِر اللهَ لِي وَلَكُم.

* * *

(١) مسلم (٢٣٨٠)، أحمد (١٠١٩٩).

بمناسبةِ يومِ عاشوراءِ مِن شَهْرِ اللهِ الحَرامِ

الحمدُ للهِ وليِّ الصالحينَ، وَقاصِم الجَبابرةِ والمتكبرينَ، وأَشهدُ أَنَّ لاَ إلٰه إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لاَ شَريكَ لَه، إلٰهَ الأولينَ والآخَرينَ، وَأَشهدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبدُه وَرَسولُه الصَادِقُ الأَمِين، صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِه وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يومِ الدِّينِ، أمَّا بَعدُ:

أيُّها الناسُ: اتقُوا اللهَ تَعالىٰ واعتَبرُوا بِمَا قَصَّه اللهُ عَليكُم مَن قَصصِ المَاضِيين وَمَن ذَلِكَ مَا قَصَّهُ الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَن مُوسىٰ وفِرعونَ. قَالَ الله سُبحانهُ وتَعالىٰ بِسمِ الله الرحمنِ الرحيمِ ﴿ طسٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝ ﴾ [القصص: ١ ـ ٦] إلى آخر الآياتِ، وفِرعَونُ لقبٌ لِمَن يَملِكُ مِصرَ فِي القُرونِ المَاضِية يُقالُ لَهُ فِرعونُ، وَكَانَ هَذَا المَلِكُ المَعنيُ فِي هَذِهِ الآيَاتِ، كَانَ مَلَكاً جَبَّاراً مُتكبَّراً عَاتياً بَلَغَ بِهِ الكِبَرُ إلى أن ادَّعىٰ الرُّبوبيَّة فَقَالَ ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ ﴾ [النازعات: ٢٤] وَكَانَ شعبُهُ يَتكونَ مِن فِئتَين، الفِئةُ الأُولىٰ: الأقبَاط: وَهُم جَمَاعتُهُ وَطَبقَتُهُ وَهُم المَلأُ الذينَ بِأيديهم الثروةُ وبِأيدِيهم المَناصبُ وَبأيديهم السُّلطةُ، والفئة الثَّانية: بَنو إسرائيلَ، من أولادِ يعقوبَ عليهِ السلامُ وُكانوا مُستَضعِفِين تَحتَ طبقةِ الأقباطِ يسيطرُون عَليهم ويُسَخِّرونَهم في

أخسّ المهنِ وكانوا يَتَجبَّرُونَ عَلِيهِم غَايَةَ التَجبُّر وَيَستذلونَهُم، يَسُومونَهمُ سُوءَ العَذَابِ يقتلونَ أبنَاءَهُم وَيستَحيُونَ نِسَاءَهُم إلىٰ غَيرِ ذَلِكَ مِن أنوَاعِ الذِّلة وَأنوَاعِ المَهَانَةِ، فَأرَادَ الله سُبحَانَه وَتَعالَى أنْ يغيرَ على هَؤلاءِ وأَن يُبدِّلَ قُوتَهمُ إلىٰ ضعفٍ وأن يَرفعَ المُستَضعفِينَ الذينَ كَانُوا خيراً مِنَ القِبطِ لأنَّ بَني إسرائيلَ هُم خَيرُ أهلِ زمانِهِم لأنَّهُم مِن أولادِ الأنبياء، مِن أولادِ يَعقُوبَ بن إسحاقَ بنَ إبراهيمَ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ، وبَلَغَ فِرعونُ أنَّه سَيخرجُ مِن بَني إسرائيلَ فَتى يَكونُ زَوالُ مُلكهِ عَلىٰ يَدهِ فَاهتمَّ بِهَذَا الأمرِ واستعملَ الحَذَرَ ومِنْ ذَلِكَ أنَّهُ كَانَ يَقتلُ أبناءَ بني إسرَائيل إذْ وَلِدَ المَولودُ إن كانَ ذكراً قتلهُ وإن كَانَ أُنثىٰ تَركَهَا فَلمَّا كَثُرَ القتلُ فِي المَواليدِ شَكَا إِليهِ القِبطُ وَقَالُوا إن استمررَتَ عَلَىٰ هَذَا لَم نَلقَ مِن يَخدمُنا فَإنهمُ سيفنونَ وَلاَ نلقَ من يخدمُنا فَرَفعَ القَتْل عُنهُم سَنةً وَوَضعهُ فِيهِمْ سُنةً، فَكَانَ يَقتلُ مَوَالِيدَ سُنَّةً وَيترُكُ مَوَالِيدَ سُنةً، وَكَانَ هَارون عَليهِ السَّلام وَلَد فِي السُّنةِ المُعفَاةِ الَّتي لاَ يُقتلُ فِيهَا، وَوَلدَ مُوسىٰ فِي السُّنةِ التي فِيهَا القَتلُ فَخَافَتْ عَليهِ أُمهُ، لَمَّا ولدتهُ فَأَوحَى الله إِليهَا «يَعنِي أَلهَمَهَا» فِي أَن وَضعتْهُ فِي صُندوقٍ وَوَضعَتهُ فِي نَهر النيلِ فَإذَا أَحَسَّتْ بِالطَلبِ تَرَكَتهُ يَحملِهُ النيلُ ويبعدُهُ عنهم صَنَعتْ هَذَا بِإلهَامٍ مِن الله سُبحَانَه وَتَعالى فَجَاؤوا يَطلبونَهُ فَتركتْه مَعَ المَاء ذَهبتْ بِهِ إلىٰ أن وَصلَ بِهِ إلىٰ بَيت فِرعُونَ فَرَأُوا التَابُوتَ مَعَ المَاءِ فَأَعجبهُم ذَلِكَ فَأَخذوهُ، التقطوهُ فَلمَّا فَتَحوهُ وَجدُوا فِيه هَذَا المَولودَ الذَّكَر فَلمَّا رَأتهُ امرأةُ فِرعَونَ حَنَّت عليهِ ورحمته وَمَنعتْ فِرعونَ مِن قَتْلِهِ، قَالَت ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ [القصص: ٩]، كَانَ فِرعَونُ لاَ يُولدُ لَهِ، فَتَركَهُ لَكِن التَمَسُوا لَهُ من يُرضعهُ فَلَم يَجدُوا مرضعةً يقبلُ ثَديهَا، كُلَّمَا جَاؤوا لَه بِمرضعةٍ أَبى أَن يرضَع منها ﴿ ۞وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ ﴾ [القصص: ١٢]. فجاءَتْ أُختُه، أختُ

موسَى لأنَّ أُمَّ مُوسىٰ حَزنَت عَلِيهِ فَأرسلتْ أُختَه تبحثُ عنهُ فوجدتْهم يحملونَهُ ويلتمسونَ له من يُرضعَهُ فعرفتْهُ ﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [القصص: ١٢] ففرحُوا بذَلكَ وأُرسلُوا مَعَهَا القَوابلَ تحملُه إلى أمِّ موسَى فآجَروها عَلَىٰ أن ترضِعَه لَهُم فَردَّهُ اللهُ إلىٰ أُمِّهِ لتقرَّ عينُها ولا تحزنُ فصارَتْ تُرضعهُ وَتأخذُ الأُجرة. فَلَمَّا كَبُرَ مُوسىٰ عَلِيهِ السلامُ تربَّى في قصرِ فِرعونَ وَصَارَ يَأكلُ مِن مَأكلِه وَيلبسُ من ملابسِهِ ويركبُ مِن مَرَاكِبِهِ مُعززاً مَكرَماً إلىٰ أَنْ حَدثَتْ قصةٌ وهي أنَّ موسى عليه السلامُ جاءَ يَمشي فَوجَدَ رَجلُيْنِ يَقتتلانِ أَي يَتَضَارَبَانِ وَاحِداً مِن بَني إسرَائِيل قَبيلة مُوسىٰ وَالآخرُ مِن الأقباطِ مِن قَبيلةِ فِرعونَ، فَاستغاثَهُ الذي مِن شِيعَتِهِ، الذي هُوَ مِن بَني إسرَائيلَ استَغَاثَ مُوسىٰ عَلىٰ عَدُوِّه، عَلىٰ القبطيِّ فَضَربَهُ مُوسَى عَلِيهِ السَّلامُ بيَدِهِ ضَرَبةً وَاحدةً فَقضىٰ عَليه وَقتلَهُ وعِندَ ذَلكَ نَدِمَ عليه الصلاةُ والسلامُ وتابَ إلى ربِّه وطلبَ منهُ المَغفِرةَ فَغفرَ لهُ إلاَّ أنَّ أهل القَتيلِ صَارُوا يَبحثونَ عَن القَاتلِ فدلُّوا علىٰ مُوسىٰ عَلِيهِ السَّلاَم أَنَّهُ هوَ قَاتلُه لَكِن كَيفَ يَصلُونَ إليهِ وَهُوَ من حَاشِيَة فِرعونَ. جَلَسُوا يَتَشَاورونَ فَسَمِعَهُم رَجلٌ فَذَهبَ إلىٰ مُوسَى مسرعاً قالَ لَهُ ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القصص: ٢٠] فخَرَجَ مِن مِصرَ، خرجَ مِن مصرَ خائفاً يترقبُ وذهبَ إلى مدينَ ولما وصلَ إليها وجدَ رجلاً كبيراً عندَهُ أغنامٌ كثيرةٌ وليسَ عِندَهُ مَن يَرعَاها إلاَّ ابنتانِ له ضَعيفتانِ فَعَرضَ عَلَيهِ ذَلِكَ الشَيخُ الكَبيرُ أن يَرعىٰ غَنَمَهُ مُدَّةَ عَشرِ سنينَ أَو ثَمانِ سِنينَ عَلىٰ أن يَزوجَه إحدىٰ ابنتيهِ فَقَبِلَ مُوسىٰ عَلِيهِ الصلاةُ والسلامُ. وَعَقَد عَلىٰ بنتِ الشَيخِ وَصَارَ يَرعَى الغنَم حتى أكملَ المدةَ ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ﴾ [القصص: ٢٩] حَملَ أهلَهُ ورجعَ من أرضِ مدينَ إلىٰ مَصرَ مَعَهُ أهلُه فَبَينمَا هُوَ فِي الطَّرِيقِ وفِي ظَلامِ

اللَّيل وَشِدَّة البَردِ ضَلَّ الطَرِيقَ وأَصَابَهُم البَردُ فَرأىٰ نَاراً فِي جَانِبِ الطُور أَي الجَبَل فَأَمرَ أَهلَهُ بِالجُلوسِ والانتظَارِ وذَهَبَ إِلىٰ النَّار لِيَأتِيَ مِنهَا بِقَبسٍ يَصطلي عَلِيهِ هُوَ أَهلُهُ وَيأخذُ خَبَراً عَن الطَرِيق وَلَكِن صَارَ الأَمرُ غَير مَا يَتصورُ مُوسَى عَلَيْه السَّلامُ فَلَمَّا وَصلَ إِلىٰ النَّار نَادَاهُ رَبُّهُ عزَّ وجلَّ وقال ﴿ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [القصص: ٣٠] فكلَّمهُ بكَلامٍ سَمعَهُ مُوسَىٰ عَلَيهِ الصَلاةُ والسَّلام ثُمَ أمرَهُ أَن يَذهَب إِلىٰ فِرعونَ وأَرسلَهُ إِلىٰ فِرعَون وَأَعطاهُ آيتين: الآية الأولى: أن يضع العَصَا التي مَعُه فَيستحيلُ إِلىٰ ثُعبانٍ بكبيرٍ هائلٍ ثم يأخذُهُ فيعودُ عَصا، وَالآية الثَانية: أَن يُدخِلَ يَدهُ فِي جيبهِ ثُمَ يُخرجهَا بَيضاءَ كالشَمسِ وَقَالَ لَهُ اذهبْ إلىٰ فِرعونَ فَطَلبَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السلامُ مِن رَبه أَن يَجعلَ مَعهُ أَخاهُ هَارونَ وزيراً يُؤازِرَهُ وَيعينُهُ فاستَجَابَ الله دَعوتَهُ وقال ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ [طه: ٣٦] فَذَهبَ مُوسىٰ وهَارونُ إِلىٰ فِرعونَ فَدخلاَ عَليهِ وأَخبرَاهُ أَنَّهُمَا رَسولاَ رَبِّ العَالَمينِ وَأمرَاهُ أن يُؤمِنَ باللهِ وَأَنْ يَترُكَ الجَبروتَ وَالكِبرَ والطُّغيَانَ وَأن يخلي عَن بَني إِسرَائيلَ الذينَ كَانَ يُعَذبُهم وَيَستَعبدُهُم فَعِندِ ذَلِكَ استكبرَ فِرعونُ وتجبرَ وهَدَّدَ، فَأَرَاهُ مُوسىٰ عليهِ السلامُ مَا مَعهُ مَن الآيتينِ فِلمَّا أَرَاهُ هَاتينِ الآيتينِ قَالِ هِذا سِحرٌ وَعِندَنَا سَحرةٌ نَجمَعهُم ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [طه: ٥٨] زَعَمَ أَنَّ هَذَا سِحرٌ فَجَمعَ السَحرةَ وَتَواعَدَ النَّاسَ فِي يومِ مُعَين وَاجتَمعُوا بِحَضرةِ فِرعونَ وبحضرةِ الوزراءِ وبحَضرة المَلأ وكِبَارِ القَومِ فَأمَر مُوسىٰ عَليهِ السَّلامُ السَحرةَ أن يُلقوا مَا معهُم فألقَوا مَا مَعَهم من الحِبَالِ والعصيِّ المَحشوةِ بالزئبقِ والحِيَلِ فَصَارتْ تتقلبُ كأَنَّهَا حَياتٌ وَهوَ سِحرٌ تَخيلي ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾ [طه: ٦٦] فعندَ ذَلِكَ أَلقىٰ مُوسىٰ عَصَاهُ، فَصَارت حَيةً عَظيمةً التهمتْ كُلَّ مَا أَلقوهُ فِي الوَادِي مِنَ العَصي والحِبَال، وَهَمتْ بالحاضرين أنْ

تَلتقمهمُ فَخَافُوا خَوفاً شَدِيداً فَأَخذها مُوسىٰ بِيدهِ عَليهِ الصَّلاةُ والسلام فَعَادَت عَصًا كَما كَانت، فَعِندَ ذَلِكَ شَهدَ السَّحَرةُ أَنَّ مَا مَعَ مُوسىٰ آيةٌ من آياتِ اللهِ ومعجزةٌ مِنَ مُعجزاتِ الأنبياءِ وليسَ هوَ مِنَ السِّحْرِ لأنَّهُم يَعرفُونَ السِّحرِ فآمَنُوا بِموسىٰ وخرُّوا سَاجِدينَ للهِ. فَعندَ ذَلِكَ غَضبَ فِرعونُ وَهدَّدَهُم بِالقَتلِ والصَلبِ وتقطيعِ الأيدي والأرجُلِ مِن خِلافٍ ولَكنَّهُم صَبروا وَتمَسكُوا بِالإسلام وَقَالُوا ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾، [الأعراف: ١٢٦]، فنفذَ عدوُّ اللهِ مَا أَرادَ ومَاتُوا شُهدَاء، وعِندَ ذَلكَ زادَ شرُّ فِرعونَ وَقَومهُ عَلىٰ بني إسرائيلَ قَالُوا ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: ١٢٧ ـ ١٢٨] فَصَبُروا ثُمَ أَمَرَ الله مُوسىٰ أن يَخرجَ بِبني إسرَائيلَ مَن مِصرَ فَخَرجَ بِهم لَيلاً فَلمَّا علمَ فِرعونُ بِخروجِهم غَضِبَ غَضباً شَديداً وَجَمعَ جُنودَهُ وَأَتباعَهُ وخَرجُوا فِي أَثَرِهِم حَانِقين حَاقِدين، فَلمَّا صَارَ وَقتُ الصَباحِ، وَقتُ الإشراقِ وإِذَا مُوسىٰ وبنو إسرائيلَ عَلىٰ حَافَةِ البَحر وإِذَا فِرعونُ وَقَومه قَد أَدرَكُوهُم من خَلفهم فَصارَ مُوسىٰ وبنو إسرائيلَ محصورينَ بِالبحرِ وبِالعدوِّ، قَالَ أَصحَابُ مُوسىٰ ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الشعراء: ٦١] فقالَ مُوسىٰ ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء: ٦٢] فَأَمرَهُ الله أن يَضرِب بِعَصَاهُ البَحرَ فَضَرَبَه بِهِ فَانفلقَ وَتَجَمَّدَ وَصَارَ أسواقاً عَلىٰ عَددِ قبائلِ بني إسرَائيل، كُلُ قَبيلةٍ لَهَا طريقٌ يابسٌ فَدَخلُوا مِن هذِهِ الطُّرق ومَشوا عَلى البَحرِ يَبساً حَتى خَرَجَ آخرُهُم مِن البَحرِ ثُمَ تَبِعَهُم فِرعَونُ وَجنودُهُ وَدَخلوا فَلمَّا تَكَاملُوا دَاخلين أَطبَقَ الله عَليهِم البحرَ وأغرَقَهم عَن آخرِهم وَبنُو إسرائيلَ ينظرونَ إليهِم وأهلكَ الله فِرعونَ وَقومَهُ ونَجَّى مُوسَى وَقومَه وَهذَا

مِمَّا قصَّه الله عز وجلَّ عَلَينَا فِي القُرآن لنَعتبرَ وَنَتعِظَ. أعوذُ باللهِ مِنَ الشَيطَان الرجيم ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النازعات: ١٥ ـ ٢٦]. باركَ اللهُ لي وَلَكُم فِي القُرآنِ العَظيم.

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ علىٰ فَضلِهِ وإحسَانِه والشكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ تَعظيماً لِشَأنِهُ وأشهدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدُهُ ورسولُهُ الدَّاعي إلىٰ رِضوانِه صلَّى اللهُ عليه وآلِهِ وَأصحَابِهِ وَسَلَّم تَسلِيماً كَثيراً.

أمَّا بَعدُ:

أيُّهَا النَّاس: اتَّقُوا الله تَعَالىٰ وَاعلَمُوا أنَّ هَذَا الحَدثَ الذي ذكرَهُ اللهَ في القُرآنِ مِن قِصَّة غَرقِ فِرعَونَ كَانَ فِي اليَومِ العَاشرِ مِن شهرِ الله المُحرَّم المُسمَّىٰ يَوم عَاشُوراَء وَقَد صَامَه مُوسى عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ شُكراً للهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلىٰ نَصرِهِ إيَّاهُ وَإهلاكِ عدوِّه وهَكَذَا النِّعمُ تُقَابلُ بِالشُّكر وَلاَ تُقَابلُ بالافتِخَار والكِبرياء والغَطرسةِ، والأعيادِ المُبتدعةِ، وَإنَّمَا تُقابلُ بالشكر والعِبادَة، فَمُوسىٰ عَليهِ الصَّلاة والسلام صامَ هذا اليومَ شكراً لله وصَامَهُ نبينا محمدٌ ﷺ وأمرَ بصيامِه فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «صُومُوا يَوماً قَبلَه مُخالَفةَ لِليَهود، وَصُومُوا يَوماً قَبلَهُ،

وفِي رِواية أَو يَوماً بَعدهُ»[١] فَيُستَحب صِيَامُ هَذَا اليَوم يومُ العَاشِرِ مِن شَهرِ المُحرَّمِ وَأَن يُصامَ يومٌ قبلهُ، فإن فاتَ اليومُ الذي قبلَهُ يُصام اليومُ الذي بعدَه ولاَ يُصامُ وحدَهُ مخالفةً لليهودِ، وقالَ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلام فِي صَوم يَومِ عَاشُورَاء: «أحْتَسِبُ عَلَى اللهُ أن يُكفِّرَ السَنَة التي قَبلِهِ»[٢] فَهو يَومٌ عظيمٌ وفضلُ صيامِه فضلٌ عظيمٌ، فعلينا أن نغتنمَ هذهِ النِّعمَةَ وَأَن نَشكُرَ اللهَ عَلىٰ نَصرِ دِينِهِ وإعلاءِ كَلِمَتهِ وَأن نَصومَ هَذَا اليَومَ اقتداءً بِكَلِيمِ اللهِ مُوسى عليه السلام واقتداءً بخليل الله نبينا محمد ﷺ. واعلمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله.

---

(١) أحمد: (٢٠٤٧).

(٢) ابن ماجه (١٧٢٨)، الترمذي (٦٨٣)، أبو داود (٢٠٧١).

بمناسبة غزو النصارى لبلاد الإسلام

الحمدُ لله مُعز مَن أَطَاعَهُ واتَّقاهُ، ونَاصِرِ مَن استنصرَ بهِ ولاذَ بحِمَاهُ، وأشهدُ أن لاَ إلٰه إلاَ اللهُ وَحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَلاَ نَعبدُ إلاَّ إيَّاهُ، وَأشهدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدُه وَرَسولُه وَمصطفاه، صلَّى الله عليه وعَلىٰ آله وأصحابه ومن وَالاهُ، وَسلَّمَ تسليماً كثيراً. أمَّا بَعدُ:

أيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ تَعَالَى فَإنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣].

عبادَ الله، إن المسلمين في هذه الأيام يعيشون ظروفاً صعبةً بسببِ الحربِ القريبةِ مِنهُم، والَّتي حَلَّتْ بَينَ دِيارِهم عَلىٰ أيدي أَعدَائِهم مِنَ الكُفَّارِ فالوَاجبُ علَىٰ المُسلمينَ أولاً أن يتذكَّروُا أنَّ سُنةَ اللهِ سبحانَهُ وتَعَالىٰ فِي خلقِه أن يبتلِيَهم قالَ تَعالى بِسم الله الرحمنِ الرَّحيم: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ١ ـ٣]، وفِيمَا جَرَى لِنَبينَا مُحمَّد ﷺ وأَصحَابه عَلىٰ أَيدِي الكُفارِ العِبرةُ والعِظةَ فَقَد جَاؤوا فِي غَزوةِ أُحدٍ بِمجموعِهِم وَقُوتِهِم وَعَسكَرُوا عُندَ المَدينةِ فَخَرجَ إليهِم رَسولُ اللهِ ﷺ بِأصحَابهِ وتَخلَّفَ المُنَافِقُونَ وَلَمْ يَخرُجْ مَعَ النبي ﷺ إلاَّ أَهلُ الإيمانِ الصَادقِ، ودَارَتْ المَعركةُ وانتصرَ المُسلِمُون في أَوَلِهَا بِسببِ أَنَّهُم تَمشوَّا مَعَ الخِطةِ الَّتي رَسَمَهَا لَهُم رُسُولُ اللهُ ﷺ، فُلمَّا خَالَفَ بَعضَهُم تِلْكَ الخِطةَ أنزلَ اللهُ بِهِم العُقوبةَ ودَارَت عَليهمُ المَعرَكةُ مِن

جَدِيدٍ فَاستُشهدَ مِنهُم سَبعونَ شهيداً وجُرِحَ منهم الكَثير وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، أي مَا هُوَ السَبب؟ قَالَ الله جلَّ وَعلاَ ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ فَأُصِيبُوا بِسَبَب هَذِهِ المُخَالَفَةِ التي خَالَفُوا فِيهَا رَسولَ الله ﷺ وَقَد وَقَعَت المُخَالَفَةُ مِن بَعضِهِم فَعَمَّت المُصِيبَةُ جَميعَهم مِن أَجلِ أَن يَتأَدَّبُوا وَأَن يَلزمُوا طَاعَةَ الرَّسُول ﷺ هُم وَغَيرهم مِنَ المُسلمين فَإِذَا كَانَ هَذَا جَرَى لخيرِ الخَلقِ وَهُم رَسُولُ الله ﷺ أصحابُهُ خير الأمةِ بسببِ مُخَالَفَةٍ مِنَ بَعضِهِم، فَكَيفَ نَستغربُ مَا حَلَّ بِالمُسلِمينَ اليَومَ وَعندهُم مِنَ المُخالَفَاتِ مَا لاَ يُحصِيهِ إلاَّ الله سُبحَانَه وَتَعَالَىٰ. وَلَولاَ عفُو اللهِ جلَّ وَعَلاَ لرأيتمُ أشدَّ من ذلك. قَالَ الله سُبحَانَه وتعالى ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى: ٣٠]، وبعدَ غزوةِ أُحدٍ بِسَنةٍ تَجمَع المُشرِكُونَ وجَمَعُوا قَبَائِلَ العَرَبِ وَجَاؤوا فِي غَزوةِ الأحزابِ وَطَوقُوا المَدِينةَ يريدونَ القضاءَ عَلَىٰ المُسلِمينَ ثُمَ إنَّ النبيَّ ﷺ حفرَ خندقاً حولَ المَدِينَةِ لِيمنعَهُم مِنَ دُخولِهَا وَليُقَاتِلوهم مِن وَرَائِهِ فَحصلَ عَلى المُسلمين ضِيق وَشدة كَما قَالَ الله سُبحَانَهُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ١٢﴾ [الأحزاب: ٩ ـ ١٢] أعداءٌ مِنَ الخَارِجِ مُحيطونَ بِالمَدِينةِ وأَعدَاءٌ مِنَ الدَاخلِ وهم اليهودُ، خانُوا العهدَ وانضمُّوا إلىٰ المُشركينَ عَلىٰ المُسلمينَ «جَاءُوكُم مِن فَوقِكُم وَمِن أَسفلَ مِنكُم» والمُنَافقُون أَيضاً صَارُوا يَتكلمون وَيقولونَ انظرُوا إلىٰ هَذَا الرَّجُل «يُعنونَ مُحمَّداً ﷺ» يَقولُ

إنَّكُم سَتملِكُونَ كَذَا وَكذَا مِنَ الأرضِ والآنَ لاَ أَحدَ مِنّا يَستطيعُ أَن يَذهبَ لِقضَاء حَاجتِهِ! تكلمُّوا وَظهرَ النِّفاقُ وَاشتدَّ الكَربُ ثُم إنَّ اللهَ جلَّ وعَلاَ فرَّجَ عَنِ المُسلِمينَ فَأرسلَ رِيحاً شَديدةً قَلعَت خِيامَ المُشركين وَحصبَتهُم بالحَصباءِ وَجَاءَت مَلائكةٌ مِنَ السَّمَاءِ فَألقوا الرُّعبَ في قلوبِهِم فَزلزلهُم اللهُ سُبحَانَه وتعالى وَعَادُوا خَائبينَ ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٥]، لَكِن هَذَا النَّصر حَصُلَ بَعدَ مَا صَبَرَ المُسلِمُونَ وَتَوطنوا بِالإيمانِ وَلم يَتَكلموا إلاَّ بِمَا يُرضي اللهَ وَرَسولَه فَإنَّ اللهَ جلَّ وَعَلا تَولَّى نَصرَهم وَخَذَلَ أَعدَاءَهُم ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ [الأحزاب: ٢٦] وهُمْ اليهودُ «من صَيَاصِيهِم» مِن حُصونهم التي يَتحَصنُونَ بِهَا وَجعَلَهَا بِأيدي المُسلمين ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٦، ٢٧]، فالله جلَّ وعَلاَ يَبتلي المُؤمنينَ فَإذا صَبرُوا عَلَى مَا هُم فِيهِ وَلاَ يَستعجِلُوا أَو يَتكلموا بِكلام سيء، عليهم الصبرُ والاحتسابُ وعليهمُ الهدوءُ، وعَليهم أن يُوطنوا إخوانَهم ويبثُّوا الطمأنينةَ فِي قُلوبِهم، عَليهم أَلاَّ يَرجفُوهُم في الكلام لأنَّ بَعضَ الناسِ يرجفُ بالكلامِ ويتحدثُ عَنِ قُوةِ الكُفَّار وَيقولُ إنَّهُم سَيَفعلونَ كَذَا وَكذَا فَيُوقعُ الرعبَ في قلوبِ ضِعَافِ الإيمانِ من المُسلمينَ، وأمَّا أَهلُ الإيمانِ القويِّ فلاَ يَهمهمُ ذَلِكَ، فعليهم أن يوطِّنُوا المسلمينَ وأن يبشروهُمْ بالنصر والعَاقبةِ الحَميدةَ إذَا صَبروُا فَإنَّ اللهَ جلَّ وعلا يقولُ ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ

ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران: ١٨٦]، ويقولُ في الآية الأخرى ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١٢٠]، وَعَلىٰ المُسلِمينَ أَن يَجتهِدوا في الدُّعاءِ فإنَّ اللهَ جلَّ وَعَلا قَريبٌ مُجيبٌ، والدُّعاءُ فِي الشَدَائد والكُرُباتِ لَهُ مَكانةٌ عِندَ الله سُبحانَه وَتَعَالَى فَعليهم أَن يَجتَهِدوا بِالدُّعاءِ آن يَنصرَ اللهُ الإسلامَ والمسلمينَ وأَن يَحمي حَوزةَ الدِّين وأنْ يُبطلَ كَيدَ الكَافرينَ وأنْ يَردَّهُم عَلى أَعقابِهم خَاسِرين، كَمَا ردَّ منْ قبلَهُم من الكفرة فإنَّ اللهَ قَريبٌ مُجيبٌ، والدُّعاءُ سلاحُ المؤمنِ، وكانَ النبيُّ ﷺ إِذَا لَقِيَ العدوَّ يكثِرُ من الدُّعاء، فَفِي غَزوةِ بَدرٍ بَاتَ رَسولُ اللهِ ﷺ لَيلةَ بدرٍ، بَات يدعُو ربَّهُ ويتضرعُ إِليهِ كلَّ الليلِ وأصحابُه نائمونَ مِن حَولِهِ حَتى طَلَع الفجْر فأيقظهُم لصلاةِ الفجر، كلُّ الليلِ وهوَ يدعُو ربَّه عز وجلَّ ويستنصرُ بِهِ ويتضرعُ إِليهِ وَكَانَ إذا لَقِيَ عَدوهُ مِنَ المُشرِكينَ يَقولُ: «اللهمَّ مُنزِلَ الكِتابِ، مُجريَ السَّحَاب، هَازِمَ الأحزابِ، اهزمهُم»[1]. فَكَانَ ﷺ يُكثِرُ مِنَ الدُّعَاء عِندَ لِقَائِهِ للمُشرِكين لأنَّ الدعاءَ صِلَةٌ بَيْنَ العَبدِ وبين ربِّه، واللهُ جلَّ وَعَلا يقول ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠] وقالَ سُبحانهُ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦] وَعَلَى المُسلِمينَ أَن يُصلِحوا أحوالَهم، أنْ يُصلِحوا دَاخلهُم فَإنَّهُم مَا أُصيبُوا إلاَّ بِسَبَبِ ذُنوبِهم فَإِذَا تَابُوا إلى اللهِ تابَ اللهُ عَليهِم وَنَصَرَهُم وخَذَلَ عَدوَهُم، عَلى المُسلِمين أن يتوبوا فإنَّ عندِ المسلمين مخالفاتٍ كثيرة، كَمَا ترونَ الصلاةَ لا

---

(١) أبو داود، البخاري (٤٤٧٢).

يحضرُ لها إلا النزر القَليلَ، والكثيرُ لا يحضرونَ الصلاةَ ولا يجيبونَ الأذَانَ وَهُوَ يَختَرِقُ بُيوتَهُم، وَهُم عَلىٰ فُرشِهِم لاَ يَقومونَ للصلاةِ، أليستْ هَذهِ مُخالفةٌ للهِ عَز وَجلَّ تَستَحِقُّ العُقوبةَ؟ كَثيرٌ مِنَ الناسِ يَأكلُونَ الرِّبَا، ويَأكلُونَ الرِّشوة، ويَكتسبونَ الأموالَ المُحرَّمَة، الَّتي نَهَاهُم الله عنهَا، وَغيرَ ذَلِكَ من الذُّنوبِ والمَعَاصِي، كَبائر ومُوبقاتٌ مُهلكَاتٌ واللهُ جلَّ وعَلاَ يَقول ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]، فَإذا كُنتُم تُريدونَ النَّصرَ مِنَ الله وَزَوالَ هَذِهِ الشدَّةِ فَعَليكُم بِالتَّوبةِ والرُّجوعِ إلىٰ أنفسِكُم بالإصلاحِ والاستِقَامَةِ، عَليكمُ بكثرةِ الاستغفارِ، عَليكُم بِإصلاحِ بُيوتِكم وإصلاحِ مُعاملاتِكم، عَليكم بِالمحافظةِ على الصلواتِ، عليكمُ بالإكثارِ من العبادةِ فإن ذلكَ ممَّا يدفعُ اللهُ بهِ البلاءَ عنكم، أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم قالَ اللهُ سبحانَه وتعالى ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ [النساء: ٨٩] وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٧] بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ لله على فضلِه وإحسانِه وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدَه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابِه وسلَّمَ تسليماً كثيراً. أمَّا بَعدُ:

فإنَّ رسولَ الله ﷺ قال لابن عمِه عبدالله بن العباس رَضِي اللهُ تَعالى عَنهُمَا

قَالَ: «واعلم أنَّ النَّصر مَعَ الصَّبر وأنَ الفرجَ مع الكرب وأنَّ معَ العُسرِ يُسراً»[(١)].
ثلاثة أمورٍ مُعلَقةٌ بِثَلاثة أُمور: النَّصرُ معَ الصَبرِ، فَلابدَّ للمسلمينَ أن يصبروُا أفراداً وجَمَاعَاتٍ عَلى أذَى عَدوِّهم، وَلاَ يَستَكِينُوا، وَلاَ يذَلُّوا، ولا يَهونوا أمامَ عدوِّهم وَعَلِيهِم أن يَثِقُوا بِاللهِ وَبِنَصرِ الله عز وجلَّ فإنَّ النصرَ معَ الصبرِ، الله جلَّ وَعَلاَ يَقولُ: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٦]، والثانيةُ: الفرجُ مَعَ الكَرب، كُلَّمَا اشتدَّ الكَرْبُ فإنَّ الفرجَ قريبٌ، فالمُسلمُ إذَا اشتدَّ بِهِ الكَربُ فإنَّه يَتَحرَّى الفَرجُ. فَإنَّ الله سُبحَانَه وتَعَالىٰ أَخبرَ أنَّ الفَرجَ قَريبٌ والنَّصرَ قريبٌ لِمَن صَبَرَ. والثَّالِثةُ: أنَّ مَعَ العُسرِ يُسراً وَهَذا مَأخوذٌ مِن قَولِهِ تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح: ٥ـ٦]، فاللهُ جلَّ وَعَلا قَرنَ يُسرين بالعسر الواحدِ فضلاً منه وإحسَاناً، وَهَذَا مِمَّا يُعطي المؤمن قُوة الإيمَان وقُوةَ العَقِيدة وَقوةَ الثبَاتِ، وأَنَّهَا لاَ تَهزهُ الأحداثُ أَو تَنقصُ مِن ثقَتهِ باللهِ عزَّ وجلَّ، بَل هَذِه الأحداثُ تُزيدُهُ إيمَاناً باللهِ وَثِقَةً بالله وبوعدِهِ فيحسُنُ العملَ مع اللهِ جلَّ وَعَلاَ، والله قريبٌ مجيبٌ. هَذَا وَاعلَمُوا أنَّ خَيرَ الحديثِ كِتابُ اللهِ.

* * *

---

(١) أحمد: (٢٦٦٦)، تفسير ابن أبي حاتم (١٨٣٩٥)، رياض الصالحين (ج١ ص ٣١)، جامع العلوم والحكم (ج ص ١٩٦).

بِمُنَاسَبَةِ غَزْوِ الكُفَّار لِبلادِ المُسلمينَ

الحمدُ للهِ «الَّذي أرسلَ رسولَهُ بالهُدَى ودِين الحَق ليُظهرَهُ عَلَى الدِّين كُلِّهُ وكَفَىٰ بالله شَهيداً» وأشهدُ أنْ لاَ إله إلاَّ الله وَحدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ إقراراً بِهِ وتَوحيداً، وأَشهدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدَه وَرَسوله ﷺ وَعَلىٰ أصحَابِهِ وسلمَ تسليماً فريداً أما بعد.

أيُّها النَّاس، اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى وتُوبوا إليهِ، تَمُر بالمُسلِمين في هَذِه الأيَام محنةٌ عظيمةٌ وكربةٌ شديدةٌ لا يخرجُهم منها إلا التوبةُ إلى اللهِ من الذنوب والرجوعُ إليه ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥١ ﴾ [الذاريات: ٥٠ـ ٥١]، ما نزلَ بلاءٌ إلاَّ بذنبٍ ولا رُفعَ إلاَّ بالتوبة: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]، وانتَظِروا النَّصرَ مِنَ اللهِ والفَرَجَ مِنَ اللهِ فَإِنَّ نَصرَ اللهِ قريبٌ، مَا زَالَ الإسلامُ والمُسلِمون منذُ بعَثَ اللهُ رسولَهُ ﷺ وهم يُلاقونَ مِنَ الكُفارِ الشدائدَ والمِحَنَ والتَهديداتِ ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ ﴾ [البقرة: ٢١٧]، لمَّا بَعَثَ اللهُ رسولَهُ ﷺ في مَكةَ قَامَ المُشركون بِعَداوتِهِ وَصدِّ النَّاسِ عَن دَعوتِهِ، وصفُوهُ بأنَّه ساحرٌ وأنَّهُ كذابٌ وأنَّه مَجنونٌ، وَوَصَفُوا القُرآنَ بِأنَّهُ سِحرٌ وأنَّهُ إفكٌ مُفترَى، وأنَّهُ أسَاطيرُ الأوَّلين ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ۝٢٦ ﴾ [فصلت: ٢٦]، ضَايَقُوا رَسولَ اللهِ ﷺ وَأَصحَابَهُ وآذَوْهم بأنواعِ الأذَىٰ وَهُم صَابِرونَ قويُّون بإيمانِهم لا يُضعفُهُم تهديدُ كافرٍ أو استخفافُ عدوٍّ، بلْ كَانَ الإيمانُ يزيدُ في قلوبِهم وَكَانَ النَّاسُ يَدخلُون فِي دِين اللهِ عزَّ وجلَّ مَعَ مَا فيه المسلمونَ في هذا العهد المكيِّ من المضايقةِ حتى آلَ بهم الأمرُ إلى أن

حاصَرُوا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وأصحابَهُ ومَنْ مَعَهُ في الشِّعِب ومنعُوا التعاملَ معُهم بالبيعِ والشِرَاءِ وغَير ذَلِكَ وكَتبُوا بذلكَ صحيفةً علقُوها بالكعبةِ، ثم إنَّ عقلاءَهم سَعَوْا في نقضِ الصحيفةِ فخرجَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُهُ من الشعبِ بعد المحنةِ وطولِ الأذى من كفارِ قريشْ، ثم أذنَ الله سبحانَهُ لرسولِه ولأصحابِه بالهجرةِ إلى المدينةِ فهاجَرُوا إلى المدينةِ فاستقروا فيها وصارَ للمسلمينَ دولةٌ وصار لهم قوةٌ، خافَ المشركونَ عند ذلكَ من المسلمين بدلَ أن كانوا يُخيفون المسلمين خافوا من المسلمين فالجؤا إلى الحربِ، جاؤوا في بدرٍ بخيلهم وخيلائهم يُكَذِّبون رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وكان عددُهُم أكثرَ من الألفِ وعددُ المسلمين لا يزيدُ عن ثلاثمائة وأربعةَ عشرَ فالتقى الفريقانِ في بدرٍ على غير موعدٍ ثم دارتْ المعركةُ فنصرَ اللهُ المسلمينَ على الكفار قال تعالى ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣]، فطارَ خبرُ بدرٍ في الأرض وهي أولُ وقعةٍ بينَ المسلمينَ والكُفَّارِ انتصرَ فيهَا المُسلمونَ فطارَ خبرها في الآفاقِ ووقعَ الرعبُ في قلوبِ الكفارِ في جميع الأقطارِ ثم جاؤوا في أُحدٍ بعدَها بسنةٍ وحصلَ على المسلمينَ ما حصلَ بسببِ مخالفةٍ وقعت من بعضهم لأمر رسول الله ﷺ فكانت على المسلمين نكبةٌ ولكنَّها لم تهز الإيمان في قلوبِ المسلمينَ بَلْ زادَ إيمانُهم وقويَ يقينُهم باللهِ وما وَهَنوا ولا استكانُوا، ثم جاؤوا في السنة الرابعة، جاؤوا بالأحزابِ من القبائلِ يغزوَن رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم، جاءوا يغزون في السنة الرابعةِ، جاؤوا بالأحزاب من القبائل يغزونَ رسولَ الله ﷺ وحاصَرُوا المدينةَ وانضمَّ إليهمُ اليهودَ ونقضوا العهدَ الذي بينَهم وبينَ رسولَ اللهِ ﷺ وفرح

المنافقون، فأحيطَ المسلمونَ من عدوِّهم من الداخِلِ والخارج «وما ضعفوا وما استكانوا» وما ضعُف الإيمان في قلوب المسلمين بل كانوا واثقين باللهِ عز وجلَّ، وإن كانَ الخطبُ قد اشتدَّ وبلغتِ القلوبُ الحناجر، ولكنَّ المسلمينَ ثابتُونَ على إيمانِهم ويقينِهم ومستعدونَ للقتالِ حتى هزم الله الأحزابَ وردَّهُم بغيظهم ﴿ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٥] جاءَتْ وقعةُ حنينٍ بَعْدَ فتحِ مكةَ. قالَ تَعالَى: ﴿ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥ـ ٢٦]، فَصارَ على المسلمينَ فيها ضغطٌ في أولِ الأمر، وصارَ على المسلمين فيها شدة في أولِ الأمر ثم إن الله جل وعلا أعاد لهم الكرةَ ونصرهُهم على أعدائهم فانهزمَ الكفارُ وأَخَذَ ما معَهم من الأموالِ والنساء والصبيان غنيمةً للمسلمين وما معهم من الأسلحةِ وعادَ المسلمونَ بنصر الله عز وجلَّ. ثم توفى رسولُ الله ﷺ بعد ذلك وما وقعَ بالمسلمين شدةٌ ونكبةٌ أشدُّ عليهم من وفاةِ الرسول ﷺ ولكنَّهم صَبرُوا وَمَا تضَعْضَعُوا وما نقصَ الإيمانُ فِي قُلوبِهم وَعَلَى إِثرِ مَوتِ الرَّسولِ ﷺ ومصيبته ارتدَّ كثيرٌ من العربِ وظنُّوا أنَّ دينَ الإسلامِ سيَنتهي بِمَوتِ الرَّسُول ﷺ فَارتَدُّوا فَقَاتَلهُم أبو بكرٍ الصدِّيق رَضِيَ اللهُ عنهُ وَمَن مَعهُ مِنَ الصَحابةِ حتى نصرهُم الله عَليهِم وأذلَّهم، وانتصرَ الإسلامُ وَبَقيَ الإسلامُ وَثبتَ الإسلامُ بِقِيادةِ الصِّديقِ أبي بكرٍ رَضي الله عنهُ، ثم إنهُ انتصَرَ المسلمونَ وتوالَى للمُسلمين النصرُ وغَزو البلاد وفَتَحُوا المشارقَ والمغاربَ وانتشَرَ دينُ الله عزَّ وجلَّ على أيدِي المجاهدِين، وصدَقَ الله العظيم إذْ يَقولُ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ

﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٥٤﴾ [المائدة: ٥٤]، تحقَّق هَذَا في أبي بكرٍ وأَصحَابِهِ فِي حروبِ الردَّة رَضِيَ الله تَعَالَى عَنهم ثَبَّتَ اللهُ بهمُ الإسلامَ وأذلَّ بِهم الشِّركَ. ثُم ظَهَرَتْ بعدَ ذَلِكَ الفِرقُ التي أخبرَ عنهَا رَسولُ اللهُ ﷺ، وانشقَّتْ عَلىٰ المُسلِمين، ظَهَرتِ الخوارجُ وَظَهرتِ الشيعةُ وظهرتِ الفرقُ، وصَارَ الخَوارجُ يقَاتِلونَ المُسلمينَ ويكفِّرون المُسلِمين، يَقتلُونَ أهلَ الإيمانِ ويدْعُونَ أهلَ الأوثانِ، فَقَاتَلَهُم أميرُ المُؤمنينَ عَليٌّ بن أبي طَالبِ رَضي الله عنه حتى أخضَعَهُم وخَضَد شوكَتَهم وَتَوالَت عليهُمُ الهزائِمُ فَكُلمَا ظَهَرَ مِنهُم قَرَنَ قُطِعَ إلى أن تقومُ السَاعةُ، ثُم في آخِرِ دَولة بَني العَباسِ جَاءَ التَتَارُ مِنَ المَشرقِ بِجيوشٍ هَائِلةٍ وَعَتَادٍ هَائلٍ فغزوْا المُسلِمينَ فِي بَغدَادَ وأَسقَطُوا الدولةَ العَبَاسيَّةَ وقَتلُوا الخَلِيفَةَ وقَتَلوا مِنَ المُسلمينَ مُقتلةَ ذَريعةً، فَقَتلوا العُلَماءَ وأَخذُوا الكُتبَ ووضعُوها فِي نهرِ دِجلةَ حتىٰ تَغيَر المَاءُ من مدادِ الكُتبِ يَظنُّونَ بِذَلِكَ أنَّهمُ قضَوا عَلى الإسلام ولكنَّ الإسلامَ عزيزٌ والإسلامَ باقٍ، ثُم غزوْا الشامَ ومصرَ وبقوْا سِنينَ، والمُسلمونَ يجالدونَهُم حَتى خَذَلَهمُ الله عز وجلَّ، وانتصرَ الإسلامُ وبقي الدينُ ولله الحمدِ، ثُم جاءَت الحُروبُ الصَليبيةُ عَلى أيدِي النصارَى ودَارَت بَينَهم وبينَ المُسلمينَ مَعاركُ ضَاريةٌ وَاستولُوا عَلى بيتِ المَقدسِ وَبقيَ بِأيديهم تَسعينَ سنةً بأيدي الصَليبينَ حَتى خَلَّصهُ اللهُ عَلىٰ يَدِ صَلاح الدِّين الأيوبي رَحمهُ اللهُ فَرجَعَ بيتُ المُقدسِ للمُسلمينَ وأعزَّ اللهُ المسلمينَ وبقيَ الإسلامُ عالياً لم يضرُّوهُ بشيءٍ، وفي أيامِنَا هذهِ جَاءَ الكفارُ إلىٰ بلادِ المُسلمينَ بجيوشهم وقُواتهم الهَائلَةِ التي تملأُ الجوَّ والبرَّ والبحرَ يريدُونَ القضاءَ على الإسلامِ والاستيلاءَ على بلادِ المسلمين ولكن الله سبحانَه وتعالى سيخيبُ آمالَهُم وسيردُهُم على أعقابِهم كما

ردَّ الذينَ من قبلهم وسيبقى الإسلامُ بإذنِ اللهِ وسيبقى المسلمونَ، فمهما تكالبَ الأعداءُ، ومهما توعدُوا وتألبُوا فإنَّ الإسلام سيبقَى رغمَ أُنُوفِهم لأنَّ الإسلامَ محفوظٌ بحفظِ اللهِ سبحانَهُ وتعالى وسبتقى طائفةٌ على الحقِّ منصورةً لا يضرُّهُم منْ خَذَلَهم ولا مَنْ خالَفهُم حتى يأتي أمرُ اللهِ تباركَ وتعالَى وهُم على ذلكَ وسيبقى الجهادُ في سبيل اللهِ حتى يقاتِلَ آخِرُ هَذِهِ الأُمَّة الدَّجَالَ، فالدِّينُ منصورٌ لَكِن كَمَا قال ابن القيم رحمه الله :

والـديـنُ منصـورٌ وممتحـنٌ فـلا تعجـبْ فهـذي سنـةُ الـرحمـنِ

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ. بِسمِ اللهِ الرحمنِ الرَّحيمِ ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥ ﴾ [الفيل : ١ ـ ٥].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُم فِي القُرآنِ العَظِيم . . .

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ لله ربِّ العَالَمِينَ وأشهدُ ألاَّ إلهَ إلا اللهُ وَحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابِه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فيا أيُّها الناسُ، اتَّقُوا اللهَ تَعَالىٰ و«اعلَمُوا أنَّ النَّصرَ مَعَ الصَبر وأنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَربِ وَأنَّ مَعَ العُسرِ يُسرا»[1] كَمَا قَالَ رَسول اللهِ ﷺ. وَأَنَّهُ كُلَّمَا اشتدَّ الكَرْبُ قَرُبَ النَّصرُ بِإذنِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فَعَلَىٰ المُسلمينَ أَن يثْبُتُوا عَلَى دِينِهِم، وَعَلىٰ المُسلمينَ أنْ يقوَىٰ إيمَانُهم ويَقينُهُم ويَعلمُوا أنَّ هَذِهِ سنةُ الله في خلقِهِ يبتلي عِبادَهُ فتكونُ العَاقبةُ والنصرُ للمُؤمنينَ عَلَىٰ مَدارِ التاريخِ، النصرُ والتأييدُ والعاقبةُ للإسلامِ والمسلمينَ، على المسلمين أن يتوبوا إلى اللهِ، على المسلمين أن يُصْلِحُوا أنفسَهُم وأموالَهم فإنهم ما أُصِيبوا إلاَّ بسبب ذنوبهم، عليهم أن يتوبوا إلى اللهِ وأن يرجِعُوا إلى اللهِ، أن يتوبوا من الذنوبِ والمعاصِي فإنها هي سببُ العقوباتِ والمثلاتِ فعليهم أن يُصلِحوا أنفسَهم وأن يعترِفوا بذنوبهم ويتوبوا إلى اللهِ عز وجلَّ، عليهم أنْ يطَمئِنُوا المسلمينَ ولا يكونوا مُرجفينَ يُطمئنوا المسلمين في هذه الشدة ويبعثوا في قلوبهم الطمأنينة وأنَّ اللهَ جلَّ وعلا مع المؤمنين لا يكونون مرجفين يخوِّفون المسلمين بالعدوِّ فيكونونَ عوناً للشيطان كما قال الله جلَّ وعلا ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم

---

(١) أحمد (٢٦٦٦).

مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٥] عليهم ألاَّ يخوضوا بالخوضِ في هذه الأمورِ فإنَّها من شأنِ ولاة الأمورِ وليست من شأنِ الأفرادِ والعامةِ، حلُّ هذه المشكلةِ ليسَ بأيدي الأفرادِ ولا بيد العامةِ وإنما هو لولاةِ الأمور، نسألُ اللهَ أنْ يوفقَهم، نسأل الله أنْ يسددَ خطاهُم، نسأل الله أنْ يعزَّهم وأن ينصرَ بهمُ الإسلامَ والمسلمينَ، فإنَّ الله جلَّ وعلا يقولُ ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء: ٨٣] فَلَيْسَ للخوضِ فِي هَذِهِ الأُمور فَائِدةٌ وَمَصلحةٌ للمُسلمينَ، إنَّمَا البَحث فِيهَا والنظرُ فيهَا لأهلِ الحِلِّ والعَقدِ مَن وُلاةِ أُمورِ المسلمين وعُلَمَائِهم، أمَّا العَامةُ فَعلَيْهم بالتوبةِ والاستغفار والدعاءِ، الإكثار من الدعاءِ فإنَّ الله قريبٌ مجيبٌ يجيبُ دعوةَ المضطر إذا دعاهُ، يجيبُ دعوةَ المظلوم، فنوحٌ عليه الصلاةُ والسلامُ قال لربه ﴿ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ ﴾ [القمر: ١٠]، فَعَلىٰ المُسلمينَ أنْ يلجؤوا إلىٰ اللهِ نصيرَ المَظلومِينَ ونَاصِرِ المُستَضعفينَ وقامِعُ الجبَابِرةِ، وَقَاصِمُ الظَلمةِ، عَلَيْهم أنْ يلجؤوا إليهِ ويَدعُوهُ وَيتَضرَّعُوا إليهِ فإنَّهُ سُبحَانَهُ قريبٌ مجيبٌ، عليهم أن يتمسكوا بكتابِ الله وبسنةِ رسولِ الله وأن يتركُوا البدعَ والمحدثاتِ. قال ﷺ: **«إنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ وخيرُ الهَدِي هَديُ مُحمَّدٍ ﷺ وشرَّ الأُمورِ مُحدَثاتُها وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ»**[1] وعليكم بالجماعةِ فإنَّ يدَ الله مع الجماعةِ ومن شذَّ شذَّ إلى النار[2]. إنَّ اللهَ وَمَلائكتَه يُصلُّونَ عَلَىٰ النبي. . . .

---

(١) النسائي (١٥٦٠)، مسلم (١٤٣٥)، أحمد (١٣٨١٥)، الدارمي (٢٠٨).
(٢) الترمذي (٢٠٩٣)، (انفرد به).

بمناسبةِ نهايةِ العامِ الهجرِي

الحمدُ للهِ مصرف الأيامِ والشهورِ ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك: ٢] وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لَهُ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحمدُ، يُحيي ويميتُ وهو عَلَى كُلِّ شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ البشيرُ النذيرُ والسراجُ المنيرُ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ وسلَّم تسليماً كثيراً. أمَّا بعد:

أيُّها الناسُ، اتقوا اللهَ تعالى واعتبرُوا بمرورِ الليالِي والأيامِ والسنينَ والشهورِ واعلمُوا أنَّها من أعمارِكُم وأنَّها خزائنَ أعمالِكم، وفي يومِ القيامةِ تَفْتَحونَ هذه الخزائنَ عن خيرٍ أو شرٍّ حسبَ ما أوْدَعْتمُوه فيها حينمَا يُقالُ لأهلِ الخيرِ ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحاقة: ٢٤] وحينما يُقالُ لأهلِ النارِ ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فاطر: ٣٧].

أيُّها المسلمونَ، إنَّنا في هذهِ الأيامِ نودِّعُ عاماً هجرياً قد انقضَى ونستقبلُ عاماً جديداً لا نَدْرِي هلْ ندركُهُ وهل نستكملُهُ أَم لاَ؟ لنفكرْ في العامِ الماضِي كَمْ وُلِدَ فيهِ من مولودٍ! وكَمْ ماتَ فيه من مفقودٍ! وكم عملْنا فيهِ من خيرٍ أو شر؟ ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴾ [آل عمران: ١٤] إنَّ الأمَمَ لها تاريخُها والمسلمونَ لهم تاريخُهم، الأمَمُ لهم تاريخُهم الذي ليسَ فيه إلاَّ الكفرُ والشركُ والعنادَ ومحاربةُ اللهِ ومحاربةُ رسلِهِ،

والمسلمونَ لهم تاريخهُم المليءُ بالخيرِ والمليءُ بالأمجادِ، المشركُونَ على اختلافِ مللِهم واختلافِ أجناسِهم يؤرخُونَ بالتاريخِ الشمسيّ المكونِ من الشهورِ الشمسيةِ. والمسلمونَ يؤرخونَ بالتاريخِ القمرِي قالَ اللهُ تعالَى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ [التوبة: ٣٦] وقالَ تعالَى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٨٩] فالمسلمُونَ في عَهْدِ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لمّا أرادُوا أنْ يضعُوا لَهُم تاريخاً يعرفُونَ بهِ آجالَ معاملاتِهم وعقودِهم لَمْ يلتفتوا إلى تاريخِ الكفارِ مع أنهُ موجودٌ، فجمَعَ الخليفةُ الراشدُ عمرُ بن الخطابِ رَضِي اللهُ عنهُ ساداتِ المهاجرينَ والأنصارِ فاستشارَهُم في تاريخٍ يعتبرونَهُ ويؤرخُونَ به معاملاتِهم وعقودِهم فأجْمَعُوا على أَنْ يكونَ هذا التاريخُ التاريخَ الهجرِي المنسوبُ إلى هجرةِ الرسولِ ﷺ لأنَّ هجرةَ الرسولِ ﷺ هي أعظمُ حدثٍ في الإسلامِ بَعْدَ البعثةِ فأرخَّ المسلمونَ بالتاريخِ الهجريِّ، وقصةُ الهجرةِ أنَّ الرسولَ ﷺ كانَ في مكةَ ومعهُ مَنْ أسلمَ ممَّن مَنَّ اللهُ عليهم بالهدايةِ وكانَ المشركونَ يتطاولُونَ عليهم ويُؤذُونَهم ويضايقُونَهم وكانَ الرسولُ ﷺ محمياً من أَذَىٰ الكفارِ بعمِّهِ أبي طالبٍ الذي كانَ يدافعُ عنهُ ويمنعهُ من أذىٰ قومِهِ وكذلك بزوجتِه خديجةَ أمِّ المؤمنينَ التي كانتْ تناصرُهُ وتؤيدُهُ وتطمئنُهُ منذُ بعثَهُ اللهُ وهي مَعَهُ يأوِي إليها فَتُسَرِّي عنهُ همومَهُ وتُجلِّي عنهُ أحزانَهُ وتواسيهِ بمالِها ونفسِها رَضِي اللهُ تعالَى عنها وأرضَاها، فماتَ أبو طالبٍ وماتتْ خديجةُ في عامٍ واحدٍ فبقَي النبيُّ ﷺ بينَ المشركينَ يؤذونَهُ ويتطاولُونَ عليهِ وعلى أصحابِهِ ولَمْ يكنْ لَهُ مَنْ يؤويهِ ويناصرُهُ ويدفعُ عنهُ أذَى قومِهِ. خرجَ إلى الطائفِ يلتمسُ مَنْ يناصِرُهُ من أهلِ الطائفِ فخذلُوهُ أشدَّ

الخذلانِ فرجعَ ﷺ مِنَ الطائفِ لم يظفَرْ بما أرادَ ولَمْ يتمكَّن مَنْ دخولِ مكةَ إلاّ بجوارِ المطعَم بنُ عُديّ الذي حملَ سيفَهُ وحملَ أولادُهُ السيوفَ فأحاطُوا بالرسولِ ﷺ ودخلُوا به مكةَ وطافَ بالبيتِ وهم يحرسُونَه فبقىٰ ﷺ على هذهِ الحالِ في مكةَ فكانَ يعرضُ نفسَهُ على القبائِلِ في موسمِ الحجِّ يأتي إلَيهم في منازِلهِم في مِنىً ويعرضُ عَليْهِمُ الإسلامَ ويقرأُ عليهمُ القرآنَ ويطلبُ منهم أنْ يحمُوه ليبلغَ رسالةَ ربِّهِ فقدَّرَ الله جلَّ وعَلاَ أنْ لَقِيَ جماعةً من الأوسِ والخزرج من أهلِ المدينةِ وكانُوا على الشركِ ولكِنْ كانَ اليهودُ يجاورُنَهم في المدينةِ وإذا حَصَلَ بينَهم وبينَ اليهودِ مُشادةٌ فإنَّ اليهودَ يتوعدُونَهم ويقولُون سيُبعثُ نبيٌّ في آخرِ الزمانِ وسنقاتِلُكُم مَعَهُ. قالَ تعالَى: ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [هؤلاء اليهود] ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [البقرة: ٨٩] فكان الأوسُ والخزرجُ في ذلِكَ الوقتِ لا يسمَّونَ بالأنصارِ وإنَّما يسمونَ الأوسَ والخزرجَ فتأثرُوا بمقالةِ اليهودِ وخافُوا مِنْ هذا الوعيدِ فلمَّا جاءَهُم رسولُ اللهِ ﷺ في منزلِهم عِنْدَ جمرةِ العقبةِ وقرأَ عليْهُم القرآنَ ودَعَاهُم إلى اللهِ وطلبَ مِنْهُم النصرةَ قالُوا إنَّ هذَا لهوَ النبيُّ الذي تُهددكُم بهِ اليهودُ فلا يسبقوكُم إليهِ فبايعُوه على الإسلامِ ثُمَّ رجَعُوا من الحجِّ إلى قومِهم فدعُوهُم إلى اللهِ فأسلمَ نفرٌ كثيرٌ وحجُّوا من العامِ الذي بعدَهُ أكثرَ مِمَّا كانُوا من قبلُ، فبايعُوا الرسولَ ﷺ ثم رجَعُوا ودعُوا قومَهم فأسلمَ نفرٌ كثيرٌ من الأوسِ والخزرجِ فجاؤُوا في العامِ الثالثِ حاجِّينَ وبايعُوا الرسولَ ﷺ عندَ جمرةِ العقبةِ على النصرةِ والتأييدِ والجهادِ مَعَهُ بشرطِ أنْ يهاجرَ إليهم فإذا هاجرَ إليهم فَسيحمُونَه مِمَّا يحمونَ منهُ أنفسَهُم وأولادَهُم وأموالَهم فبايعَهم رسولُ اللهِ ﷺ على ذلِكَ، ثُمَّ رجَعُوا إلى بلادِهم ينتظرونَ قدومَ رسولِ اللهِ ﷺ إليهم. فالنبيُّ ﷺ

أمرَ أصحابَه بالهجرةِ إلى المدينةِ فصارُوا يهاجرونَ بالأعدادِ الكثيرةِ، فخافَ المشركونَ أنْ يَلحقَ بهم رسولُ اللهِ ﷺ، فاجتمعُوا في دارِالندوةِ وتشاورُوا ماذا يصنعونَ بهِ حتى لا يَلحقَ بقومهِ. قالَ تعالَى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٠] ثم اتفقَ رأيُهُم لأنَّهم لا يقدرُون أنْ يقتلُوهُ خوفاً من قريشٍ ففكرُوا ماذا يصنعونَ جاءَهُم الشيطانُ في صورةِ رجلٍ وقالَ لهم اختارُوا جماعةً من شبابِكم وأعطُوا كلَّ واحدٍ منهم السيفَ فإذَا خرجَ يضربونَهُ ضربةً واحدةً حتى يتفرقَ دمُهُ في القبائلِ فلا تستطيعُ قريشٌ أنْ تثأرَ مِنَ القبائلِ كلِّها فرأوْا أنَّ هذا هو الرأيُ وجمعُوا شبابَهم وسيوفَهم وجلسُوا عندَ بابِ الرسولِ ﷺ وهو راقدٌ على فراشِهِ ينظرونَ إليهِ فأَوْحَىٰ اللهُ إلى رسولِهِ ﷺ بمكيدتِهم فأمرَ عليًّا بنَ أبي طالبٍ رَضِي اللهُ عنه، الشابَّ الجلدَ الشجاع أمرَهُ أنْ يبقَى على فراشِه حتى يظُنَّ المشركونَ أنهُ هو الرسولُ ﷺ، فجاءَ عليٌّ رضيَ اللهُ عَنْهُ فاضطجعَ على فراشِ الرسولِ ﷺ والتَحفَ بلحافِهِ فخرجَ من بينِهم عليهِ الصلاةُ والسلامُ وهم جالِسُونَ ولا يشعرونَ بهِ فأخذَ الترابَ وذرَّهُ على رؤوسِهم وهو يقرأُ قولَهُ تعالَى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾ [يس: ٩] وخَرَجَ من بينِهم وذَهَبَ إلى صاحبهِ أَبي بكرٍ الصديقَ رَضِي اللهُ عنهُ وكانَ قد واعَدَهُ أنْ يصاحبَه في الهجرَةِ فقامَ أبو بكرٍ وجَهَّزَ الجهازَ واشترَى الراحلتينِ من مالِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فخرجَا ماشيَيْنِ إلى غارٍ في جنوبِي مكةَ يقالُ لَهُ غارُ جبلِ ثورٍ، وانظرُوا هذه السياسةَ العظيمةَ، اتجاه الهجرةِ إلى الشَّمالِ إلى المدينةِ، والرسولُ ﷺ ذهَبَ إلى الجنوبِ حتى يخدعَهم واختفَى هو وصاحبُه في الغارِ، وأسماءُ ابنةُ أبي بكرٍ الصديقَ تأتيهمُ بالطعامِ والشرابِ خُفيةً في هذا الغارِ، وراعِي غنمِ أبي بكرٍ يمرُّ عليهم وهما في الغارِ

بالغنمِ فيشربونَ من لبنِها وتمرُّ الغنمُ وتخفِي الآثارَ فلا يوجدُ أثرٌ إلاَّ أثرُ الغنمِ، قدَّرَ اللهُ أنْ جاءَ المشركونَ إلى الغارِ لأنَّهم بذلُوا كلَّ غالٍ ورخيصٍ حتى يظفرُوا بمحمدٍ وقالُوا من جاءَنَا به حيًّا أو ميتاً فلَهُ وزنُه من الذهبِ، جاؤوا إلى الغارِ ووقفُوا عليه ولَمْ يَرُوا الرسولَ ﷺ وهو في الغارِ هو وصاحبُهُ قالَ أبو بكرٍ الصديقَ: يا رسولَ اللهِ لَوْ نظرَ أحدُهُم إلى موضعِ قدمِهِ لأبصرنَا. فقالَ: **يا أبا بكرٍ ما ظنُّكَ في اثنينِ الله ثالثهما**»[1]. فصرفَ اللهُ عَنْهُ المشركينَ خائبينَ وأيسُوا مِنْ وجودِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ورأوْا الآثارَ القديمةَ على الغارِ كعشِّ العنكبوتِ وغيرِهِ ولَمْ يَرَوْا أثراً حولَ الغارِ، قالُوا ما في هذه الغارِ من أحدٍ فانصرفُوا، فأنزلَ اللهُ تعالَى ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة: ٤٠]. فلمَّا انقطعَ الطلبُ عن الرسولِ ﷺ وصاحبِهِ كانَ الرسولُ ﷺ قد استأجرَ رجلاً مِنَ المشركينَ يقالُ لَهُ عبدُ اللهِ بن أُريقط الليثِي يدلُّهُ على الطريقِ فلمَّا انقطَعَ الطلبُ جاءَ الرجلُ بالراحلتينِ فركبَ أبو بكرٍ وركبَ الرسولُ ﷺ ومَعَهُم الدليلُ فسارُوا إلى المدينةِ ونجَّى اللهُ رسولَه ﷺ من أَذَىٰ المشركينَ وحماهُ منهم ولَحِقَ بأصحابِهِ قريرَ العينِ، وكانَ أهلُ المدينةِ يخرجُون كلَّ يومٍ في الصباحِ ينتظرُونَ قدومَ الرسولِ ﷺ ثم يرجعونَ في الهجيرِ إلى بيوتِهم فلمَّا كانَ في اليومِ الَّذي وَصَلَ فيهِ رسولُ اللهِ ﷺ وقَدْ رجعُوا في الهجيرِ صَعَدَ رجلٌ من اليهودِ على أُطَم لهُ

---

(١) البخاري (٣٣٨٠)، مسلم (٤٣٨٩).

فرأي راكبيْن يزولُ بهم السرابُ فقالَ: يا بَنِي قيلةَ «يعني الأوسَ والخزرجَ» هذا جدُّكُم الذي تنتظرُونَ فخرجُوا في الهجيرِ واستقبلُوا الرسولَ ﷺ وصاحبَهُ خيرَ استقبالٍ ورجعُوا بِهم وسارُوا مَعَهُم حتى دَخلُوا المدينةَ وكُل منهم يطلبُ من الرسولِ أنْ ينزلَ عندَهُ فيقولُ ﷺ: دَعُوها ـ «يعني: الراحلة» ـ فإنها مأمورة[1] فمضتْ بِهِ الراحلةُ حتى وصلتْ إلى مكانِ مسجدِهِ ﷺ فبركتْ ثم قامتْ فمضتْ ثم رجعتْ وبركتْ، ثم قامتْ فرجعتْ وبركتْ في هذا المكانِ فجاءَ أبو أيوبٍ الأنصارِي رَضِيَ اللهُ عنهُ فأخذَ رحلَ الرسولِ ﷺ فأدخلَه إلى بيتِه وكانَ قريباً مِنَ المكانِ الذي بركتْ فيه الناقةُ فصارَ الرسولَ ﷺ ضيفاً على أبي أيوبَ الأنصارِي رَضِيَ اللهُ عنهُ إلى أنْ بنَى مسجدَهُ وبنَى حجراتِه ثم انتقلَ إليها، ثم تكاثرَ المسلمونَ مع الرسولِ ﷺ في المدينةِ وأَسْلَمَ كثيرٌ من الأوسِ والخزرجِ وسمَّاهُم الرسولُ ﷺ بالأنصارِ، بدلاً من الأوسِ والخزرجِ، ثم بعدَ ذلِكَ كانتْ للإسلامِ الدولةُ والقيادةُ والجنودُ فعندَ ذلِكَ صارَ رسولُ اللهِ ﷺ يغزُو المشركينَ، بالجيوشِ ويبعثُ السرايَا إليهم ونصرَهُ اللهُ نصراً مؤزَراًحتى جاءَ في العامِ الثامِنِ إلى مكَّةَ ومعهُ عشرةُ آلافٍ من الجنودِ، من جنودِ الرحمنِ مدَّجِجينَ بالسلاحِ من الأوسِ والخزرجِ ودَخَلَ مكةَ ظافِراً منصوراً وكانَ أُخرجَ منها قبلَ ثمانِ سنينَ فَفَتَح اللهُ لهُ مكةَ وظنَّ المشركُونَ أنَهُ سيوقعُ بِهم أقصَى العقوبةِ، فاجتمعُوا في المسجدِ الحرامِ ينتظرُونَ ماذا يَفْعَلُ بِهم الرَّسولُ ﷺ وكانَ الرسولُ ﷺ قد دَخَلَ الكعبةَ المشرفةَ، وأزالَ ما فيها من الصُّورِ وغَسَلَها بماءِ زمزمَ وصلَّى فيها رَكْعَتَيْنِ ثم خرجَ والناسُ ينتظِرُونَ فخطبَ ﷺ فِيهم فقالَ: يا معشرَ قريشٍ ما تظنونَ أني فاعلٌ بِكُم؟ قالُوا: خيراً. أخٌ

---

(١) (٢٩٧٨) سنن سعيد بن منصور (ج٢ ص ٤٠٠)، فتح الباري (ج ٧ ص ٢٤٥)، مجمع الزوائد (ج ٦ ص ٦٣).

كريمٌ وابنُ أخٍ كريمٍ. قالَ: اذهبُوا فأنتمُ الطلقاءُ.(١) فعفَا عَنْهُم ﷺ وأسْلَمَ الكثيرُ مِنْهُم وجاءَ النَاسُ من القبائلِ يدخلُونَ في دينِ اللهِ أفواجاً كما قالَ تَعَالَى. بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾ [النصر: ١-٣] باركَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ.

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِه والشكرُ لَهُ عَلَىٰ توفيقِهِ وامتنانِهِ وأشهدُ ألاّ إلهَ إلاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ صلَّى اللهُ عليه وعَلَى آلِهِ وأصحابِهِ وسلَّم تسلِّيماً كثيراً. أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ، إنَّ الهجرةَ هي الانتقالُ من بلدِ الكفرِ إلى بلدِ الإسلامِ فراراً بالدينِ وهي عملٌ جليلٌ، فالهجرةُ والجهادُ في سبيلِ اللهِ أعظَم الأعمالِ ولذلك قدم الله ذكرَ المهاجرينَ على الأنصارِ لأنَّ المهاجرينَ أفضلُ من الأنصارِ، لأنَّهم تركُوا ديارَهم وأموالَهم وتركُوا ذَرَارِيهم في سبيلِ اللهِ عزَّ وجَلَّ فقالَ تعالَى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨﴾ [الحشر: ٨] ثُمَّ قالَ في الأنصارِ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا

---

(١) الثقات ج٢ ص تخريج الأحاديث والآثار ج٤ ص ٣١٣.

وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ٩ـ١٠].

إنَّ الهجرةَ عملٌ عظيمٌ فيها تركٌ للأموالِ والأولادِ والوطنِ في سبيل اللهِ عزَّ وجلَّ ولنصرةِ دينِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، وهي باقيةٌ إلى أنْ تقومَ الساعةُ، قالَ ﷺ: «**لا تنقطعُ الهجرةُ حتى تنقطعَ التوبةُ ولا تنقطعُ التوبةُ حتى تخرجَ الشمسُ من مغربِها**»[1]. فالهجرةُ باقيةٌ ما بقيَ الإسلامُ والكفرُ إلى يومِ القيامةِ. فمنْ لَمْ يقدِرْ على إظهارِ دينهِ فإنَّه يجبُ عليه أَنْ يهاجرَ ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء: ١٠٠]. هذهِ هيَ هجرةُ الرسولِ ﷺ التي اعتبرَها الصحابةُ مبدأً للتاريخِ الهجرِيِّ واستغنُوا بها عن تواريخِ العالمِ، فيجبُ عَلَى المسلمينَ أنْ يستغنُوا بالتاريخِ الهجريِّ عن تواريخِ الكفرةِ وأنْ يُؤرخُوا بهِ معاملاتِهم ومخاطباتِهم وعقودِهم كما فَعَلَ صَحابةُ رسولِ اللهِ ﷺ لأنَّ في ذلِكَ عزَّهم ومجدَهم وشرفَهم أمَّا أنْ يؤرخِوا بتواريخِ الكفارِ فهذهِ انتكاسةٌ وتنكرٌ لنعمةِ اللهِ سُبحانَهُ وتعالَى.

واعلمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.

---

(١) أبو داود (٢١٢٠)، أحمد (١٦٣٠١)، الدارمي (٢٤٠١).

بمناسبةِ غزوِ الكفارِ لبلادِ المسلمينَ

الحمدُ للهِ الَّذي بنعمتِه تتمُّ الصالحاتِ، وأشهدُ ألاَّ إله إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، وهو الَّذي يقبلُ التوبةَ عَنْ عبادِهِ ويعفوَ عَنِ السيئاتِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسولُهُ المؤيدُ بالآياتِ البيناتِ، والمعجزاتِ الباهرتِ، صلَّى اللهُ عليهِ وعَلَى آلِهِ وأصحابِهِ ذَوِي المناقِبِ والكراماتِ، وسلَّم تسلَّيماً كثيراً. أمَّا بعدُ:

أيُّها الناس، اتقُوا اللهَ تعالى وتوبُوا إليهِ، واستقيموا إليهَ واستغفروهُ، اعلمُوا عبادَ اللهِ أنَّ الذنوبَ والمعاصيَ هي سببُ هلاكِ الأممِ، وهي سببُ فسادِ البرِّ والبحرِ، وهي سببُ العقوباتِ والنكباتِ، فما الَّذي أرسلَ الطوفانَ على قومِ نوحٍ؟ وما الَّذي أرسلَ الريحَ العقيمَ على قومِ عادٍ؟ وما الذي أرسلَ الصيحةَ على ثمودَ؟ وما الَّذي أرسلَ الظُّلَّةَ على قوم شعيب؟ وما الَّذي خسفَ الأرضَ بقومِ لوطٍ ورجمَهم بالحجارةِ؟ وما الَّذي أَهْلَكَ الأممَ السابقةَ؟ إلاَّ الذنوبَ والمعاصيَ يا عبادَ اللهِ، قالَ اللهُ سُبحَانَهُ وتعالَى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٠]. عبادَ اللهِ، وإنَّ علاجَ هذهِ الذنوبِ وهذهِ المعاصِي يسيرٌ على مَنْ يسرَهُ اللهُ عليه ألاَ وهُوَ التوبةُ والاستغفارُ، فإنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالَى أمَرَكُم أنْ تستغفرُوهُ فقالَ: ﴿ فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾ [هود: ٦١]. وقالَ سُبْحَانَهُ وتَعالَى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾

[النساء: ١١٠] وقالَ سبحانَهُ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٥] وقالَ سبحانَهُ وتَعالَى: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣ـ٥٤]. فالتوبةُ والاستغفارُ يُكَفِّرُ اللهُ بِهِما الذنوبَ والسيئاتِ إذا بادرَ العبدُ وبادرَتِ الأمةُ بالتوبةِ والاستغفارِ والرجوعِ إلى اللهِ سُبحَانَهُ وتعالَى، والاستغفارُ شعارُ النبيينَ والصديقيينَ والصالحينَ، هذانِ الأبوانِ عليهِما السلامُ ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٣]. وهذا نوحٌ عليهِ الصلاةُ والسلامُ قالَ: ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [هود: ٤٧] وهذا موسَى عليهِ السلامُ لمَّا قتلَ النفسَ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ [القصص: ١٦] وهذا نبينُا ﷺ كانَ يُكثرُ من التوبةِ والاستغفارِ قالَ ﷺ: «إنِّي لأستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليهِ في اليومِ أكثرَ مِنْ سَبْعِينَ مرةً»[1] رواهُ البخاري، وَرَوَىٰ مسلمُ أنَّهُ ﷺ قالَ: «إنِّي أتوبُ إلى اللهِ في اليومِ أكثرَ مِنْ مئةَ مرةً»[2]. وكذلِكَ الصالِحونَ من عبادِ اللهِ ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٥ـ١٣٦] واللهُ جَلَّ

---

(١) البخاري (٥٨٣٢)، أحمد (٢٢٢٥٠)، ابن ماجة (٣٨٦٠).

(٢) أحمد (١٧١٧٣)، مسلم (٤٨٧١).

وعَلاَ يقولُ في الحديثِ القُدسِيِّ الذي رواهُ مسلمَ وغيرَهُ: «يا عبادِي إنكُم تُخْطِئُونَ بالليلِ والنَّهارِ وأَنا أغفرُ الذنوبَ جميعاً فاسْتَغْفِرُونِي أغفرْ لكُم»[١]. إذاً فالتقصيرُ إنَّما هو مِنَّا، فالواجبُ علينَا وذنوبُنا كثيرةٌ وخطايانَا كثيرةٌ، الواجبُ علينَا أنْ نتوبَ إلى اللهِ توبةً صحيحةً، الاستغفارُ يأتِي حتى بَعْدَ الطاعاتِ إذَا حَصَلَ فِيها تقصيرٌ لأنَّ الإنسانَ عُرضَةٌ للنقصِ، فيأتِي في إدبارِ الصلواتِ الخَمْسِ كانَ ﷺ إذا سلَّمَ من الفريضةِ يستغفرُ اللهَ ثلاثاً، وهو متوجِّهٌ إلى القبلةِ قَبْلَ أنْ ينصرفَ إلى أَصْحَابِهِ، ويختمُ به الحجَّ قالَ تعالَى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٩٩﴾ [البقرة: ١٩٩] والاستغفارُ يختمُ بِهِ قيامُ الليلِ قالَ سُبحانَهُ ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾ [الذاريات: ١٤ـ١٨] يُعقبونَ قيامَ الليلِ بالاستغفارِ، والاستغفارُ يُختمُ به العمرُ فينبغِي لِمَنْ كبرتْ سنُه أنْ يكثرَ من الاستغفارِ، فاللهُ جلَّ وعَلاَ أمرَ نبيهُ محمداً ﷺ في ختامِ عمرِهِ أنْ يستغفرَ ربَّهُ قالَ سبحانَهُ. بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [النصر: ١ـ٣] فكانَ ﷺ بعد نزولِ هذهِ السورةِ إذا ركَعَ في صلاتهِ يقولُ: سبحانَكَ اللهُمَّ وبحمدِكَ، اللهُمَّ اغفرْ لِي، قالتْ: عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: يتأولُ القرآنَ، يعني يفسرُ القرآنَ. فواجبٌ علينا جميعاً وذنوبُنا كثيرةٌ ومعاصيَنا لا تعدُّ، لَوْ أنَّكَ جلسْتَ تعددَ معاصيكَ وسيئاتكَ

---

(١) مسلم (٤٦٧٤).

مَا أظنُّكَ ستأتِي عليها، ولكنَّ الاستغفارَ يكفِّرُ اللهُ بهِ السيئاتِ وإنْ كَثُرَتْ، والذنوبَ وإن عَظُمَتْ، فالواجبُ على المسلمينَ جميعاً أنْ يتوبُوا إلى اللهِ وأَنْ يرجعُوا إلى اللهِ ليُكشفَ ما حَلَّ ويحلُّ بِهم من الشَّدائدِ والكرباتِ، فإنَّهُ لا ملجأَ من اللهِ إلاَّ إليهِ ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [الشورى: ٣٠] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ [الرعد: ١١] ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾ [الأنفال: ٥٣] وعَلَى الأفرادِ كلُّ فردٍ أَنْ يتوبَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ويحاسبَ نفسَهُ، ولَيْسَتِ التوبةُ والاستغفارُ باللسانِ فَقَطْ، وإنَّما التوبةُ والاستغفارُ لهما شروطٌ لابُدَّ أنْ تتوفرَ، الشرطُ الأولُ: أنْ يبتعدَ المسلمُ عن الذنبِ الَّذي تابَ مِنْهُ واستغفرَ منه، أمَّا أَنْ يستغفرَ وهو مقيمٌ على ذنبِهِ فإنَّ هذا استغفارُ الكذابِينَ، ولَوْ أكثرَ من الاستغفارِ وهو مقيمٌ على الذنبِ فإنَّ استغفارَهُ يحتاجُ إلى استغفارٍ. الشرطُ الثانِي: أنْ يعزِمَ ألاَّ يعودَ إلى الذنبِ الذي تابَ منهُ، فإن كانَ تابَ من الذنبِ وتركَهُ موقتاً وفي نيتِهِ أَنْ يرجعَ إليهِ في مكانٍ آخرَ أو في زمانٍ آخرَ فإنَّ اللهَ لا يقبلُ استغفارَهُ ولا يقبلُ توبتَهُ لأَنَّها غيرُ صحيحةٍ. والشرطُ الثالثُ: أنْ يندَم عَلَىٰ مَا حصلَ مِنْهُ في حقِّ اللهِ سبحانَهُ وتَعَالَى ندامةً عظيمةً ويتصورُ هذا الذنبَ دائماً، فيحدثُ لَهُ استغفاراً وتوبةً، جَاءَ في الحديثِ أنَّ المؤمنَ يَرَىٰ ذنبُه كالجبلِ يَخشَى أنْ ينقضَّ عليهِ، هذا هو الَّذي ندمَ على ما فاتَ، وأمَّا المنافقُ فيرَىٰ ذنبَهُ مثلَ الذبابِ الذي وقعَ على أنفهِ ثُمَّ طارَ، وهذه شروطُ التوبةِ، وهناكَ شرطٌ رابعٌ: إذا كانتْ المعصيةُ بينَكَ وبينَ الناسِ بأنْ ظلمتَهم في دِمائِهم أو أموالِهم أو أعراضِهِم فالشرطُ الرابع: أنْ تطلبَ منهم المسامَحَةَ وأنْ تردَّ عليهم حقوقَهم ولقد تحدثَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن المفلس الَّذي يَأْتِي وقد ظَلَمَ هذا، وقد ضَرَبَ هذا، وقد

أَخَذَ من مالِ هذا فيأخذُ هذا من حسناتِه وهذا من حسناتِه فإنْ فَنِيَتْ حسناتُه ولَمْ يُقضَ مَا عليهِ مِنَ المظالمِ فإنَّهُ يُؤخَذَ من سيئاتِ المظلومينَ وتطرحُ عليه فيطرحُ في النارِ»[(١)]. فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، حاسبُوا أنفسَكُم واعلمُوا أنَّ ما أصَابَكم وما يصيبُكُم وما يحلُّ بِكُم إنَّما هو بسببِ ذنوبِكم وإلاَّ فاللهُ جلَّ وعَلاَ غفورٌ رحيمٌ لِمَنْ تابَ وآمَنَ قالَ تعالَى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢] فالتقصيرُ إنَّما هُوَ مِنَّا نحنُ، نحنُ الذينَ نسيءُ ولا نتوبُ أو نسيءُ ونُزكي أنفسَنَا ولا نستغفرُ، فَمَا حلَّ بالناسِ اليومَ من تسلطِ الأعداءِ ومن التخويفِ والترويعِ الَّذي حلَّ بالمسلمينَ إنَّما سببُهُ المسلمُونَ أنفسُهُم فلَوْ أنَّهم اعتصمُوا باللهِ وتابُوا إلى اللهِ وحكَّمُوا شرعَ اللهِ سبحانَه وتعالَى فيما بينَهم لمَا تطاوَلَ عليهم كافرٌ بَلْ صارُوا هم يهدِّدُونَ الكفارَ كما كانَ في صدر هذه الأمةِ لمَّا كانت مستقيمةً على طاعةِ اللهِ وعلى دينِ اللهِ صارَ يخافُهم أهلُ الأرضِ. وقَدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «نُصرتُ بالرعبِ مسيرةَ شهرٍ»[(٢)] وقالَ: «وجَعَلَ الذلةَ والصغارَ على مَنْ خالفَ أمرِي»[(٣)] فعلينَا جميعاً أنْ نرجعَ إلى اللهِ سبحانَهُ وتعالَى وأنْ نتوبَ إلى اللهِ من ذنوبنا، كلُّ إنسانٍ يعرفُ ما عِنْدَهُ من الذنوبِ، كُلُّ إنسانٍ عندَهُ أولادٌ في بيتِهِ أكثرُهُم أو كُلُّهم لا يصَلُّون وهو ساكتٌ عنهم وهو يُؤويهم في بيتِه وينفقُ عليهم ولو أنَّ أحداً تكلَّمَ فيهم لجحظَتْ عيناهُ من الغضبِ أين التوبةُ والاستغفارُ؟ هل قامَ أهلُ البيوتِ على مَنْ في بيوتِهم؟ هل قامَ الجيرانُ على جيرانِهم وإخوانِهم فنصحُوهُم وأمروهُم بالمعروفِ ونهوهُم عن المنكرِ؟ المعاصِي تزيدُ،

---

(١) مسلم (٤٦٧٨)، الترمذي (٢٣٤٢)، أحمد (٧٦٨٦).
(٢) البخاري (٣٢٣)، النسائي (٤٢٩).
(٣) أحمد (٤٨٦٨) (انفرد به).

والمخالفاتُ تكثُر، ولا نَرىٰ لها تصحيحاً فيما بينَنا إلاَّ من رحِمَ اللهُ عزَّ وجلَّ، فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ وتوبُوا إليهِ جميعاً ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]. باركَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ.

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ على فضلهِ وإحسانِهِ والشكرُ لَهُ عَلَى توفيقهِ وامتنانِهِ وأشهدُ ألاَّ إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ تعظيماً لشأنِهِ وأشهدُ أَنَّ محمداً عبدهُ ورسولُه الدِاعي إلى رضوانهِ صلَّى اللهِ عليهِ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وأعوانِهِ وسلَّم تسلِيماً كثيراً. أمَّا بعدُ:

عبادَ اللهِ، اتقُوا اللهَ تعالَى واعلمُوا أنَّ التوبةَ تَجبُّ ما قَبْلَها مَهْمَا كانَ الذنبُ فإنَّ اللهَ يغفرُهُ بالتوبةِ، يغفرُ لأهل الشركِ وأهلِ الكفرِ ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨] يغفرُ لأصحابِ الذنوبِ مهما عظمتْ، كانَ فيمنْ قبلَنا رجلٌ قتلَ تسعاً وتسعينَ نفساً ظُلْماً وعُدْواناً ثم وَقَعَ في قلبِهِ أنْ يتوبَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ فسألَ عابداً من العبادِ جاهلاً لَيْسَ عندَهُ علمٌ لكنَّهُ عابدٌ فسألَهُ هل لهُ من توبةٍ؟ قالَ: لا، لَيْسَ لكَ توبةٌ. فضربَ عنقَهُ وأكمل به المئةَ. غَضَبَ عليهِ لأَنَّهُ اعتادَ القتلَ فلمَّا غضبَ على هذا الذي أفتاهُ بجهلٍ قتلَهُ وكَمَّلَ بهِ المئةَ، ثم ذَهبَ إلى عالمٍ من العلماءِ فقالَ لَهُ: إنَّهُ قتلَ مئةَ نفسٍ ظُلماً وعُدْواناً هَلْ لَهُ من توبةٍ؟ قال: نَعَم. ومَنْ يَحُولُ بينَكَ وبَيْنَ التوبةِ، ولكنكَ بأرضِ سوءٍ فاذهبْ إلى أرضِ كذا وكذا فإنَّ فيها أُناساً صالِحِينَ يعبدونَ اللهَ فاعبدِ اللهَ

معَهُم فتَابَ الرجلُ وخرجَ مهاجراً مِنْ أرضِ السوءِ إلى أرضِ الصالِحِينَ وَبَيْنَمَا هو في الطريقِ حضَرهُ الموتُ، فاختصمَتْ فيهِ ملائكةُ الرحمةِ وملائكةُ العذابِ، ملائكةُ الرحمةِ يقولُونَ إنَّهُ جاءَ تائباً مقبلاً على اللهِ، وملائكةُ العذابِ يقولُونَ إنَّهُ لَمْ يعملْ خيراً قط فأرسلَ اللهُ سُبحانَهُ وتَعَالَى ملَكاً يحكُمُ بينَهم، فقالَ المَلَكُ؟ قيسُوا ما بَيْنَ البلدتَيْنِ، البلدةِ التي خرجَ مِنها والبلدةِ التي ذهبَ إليها، فقاسُوا فوجدُوهُ أقربَ إلى الأرضِ الصالحةِ بشبرٍ فقبضَتْهُ ملائكةُ الرحمةِ. وفي روايةٍ أنهُ لمَا حضَرَهُ الموتُ وعجزَ عن المشْي صارَ ينوءُ بصدْرِهِ إلى الأرضِ الطيبةِ فقبضتْهُ ملائكةُ الرحمةِ فغفرَ اللهُ لَهُ»(١). فهذا دليلٌ عَلَى أنَّ التوبةَ الصادقةَ تَمحُو ما قبلَها مَهْمَا عظُمَ مِنَ الذنوبِ والخطايَا وألاَّ نَقْنَطَ مِنْ رحمةِ اللهِ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الزمر: ٥٣] ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٧﴾ [يوسف: ٨٧] ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾ [الحجر: ٥٦] ولكنْ لابُدَّ من التوبةِ ولابُدَّ من إصلاحِ العملِ، ولابُدَّ من الاستقامةِ على طَاعةِ اللهِ سُبحانَهُ والابتعادِ عَنْ معصيةِ اللهِ واللهُ يتوبُ على مَنْ تابَ. ثم اعلمُوا عبادَ اللهِ أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.

---

(١) مسلم (٤٩٦٧)، ابن ماجة (٢٦١٢) (مقارب) أحمد (١٠٧٢٧).

في تحريمِ نَقلِ الشَّائعات

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ إلهُ الأولينَ والآخرينَ وربُّ الخلائقِ أجمعينَ وأشهدُ ألاَّ إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ أمرَ بما فيهِ إصلاحُ الإسلامِ والمسلمينَ ونَهىٰ عمَّا فيهِ إفسادُ الإسلامِ والمسلمينَ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ الصادقُ الأمينُ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأَصْحَابِهِ ومَنْ تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يومِ الدين وسلَّم تسليماً كثيراً. أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقُوا اللهَ تعالَى واعلمُوا أنَّ هناكَ نمَّامِينَ يُفسدونَ المجتمعَ، ويُحرِّشُونَ بينَ الناسِ وقَدْ حذَّرنَا اللهُ تعالَى مِنْهُمُ بقولِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [القلم: ١٠ـ١٢]. وهناكَ مغتابُونَ همهُم أكلُ لحومِ الناسِ والحديثُ عَنْهُم في المجالسِ. وقَدْ قالَ اللهُ تعالَى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١٢] هناك شائعاتٌ تروجُ وأكاذيبُ تلفقُ من أناسٍ همُّهُم إفسادُ المجتمعِ وواجبُ المسلمِ نحوَ هذه الشائعاتِ أَنْ يَتَثَبَّتَ قَبْلَ أَنْ يتكلمَ بِهَا أَوْ ينقلَها قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات: ٦]. وسببُ نزولِ الآيةِ أنَّ الرسولَ ﷺ أَرْسَلَ شخصاً إلى قبيلةٍ ليأتِي بزكاتِها وكانَ بَيْنَ الرجلِ وبَيْنَ هذهِ القبيلةِ شيءٌ من النفرةِ والبغضاءِ فرجعَ إلى النبيِّ ﷺ وقالَ إِنَّهُم منعُوا الزكاةَ وأبَوْا أنْ يدفعُوها إليَّ، فهَمَّ النبيُّ ﷺ بغزوهِم فأنزلَ اللهُ جلَّ وعَلا هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]. فأرسلَ النبيُّ ﷺ إليهم مَنْ يتثبَّتُ فوَجَدَ هذا الرجلَ كاذباً عليهم وأنَّهم قَدْ جمعُوا زكواتِهم وهيؤوها ينتظرونَ مَنْ يأتِيهم لقبضِها، فعندَ ذلكَ اتضحتْ القضيةُ وسَلِمَ النبيُّ ﷺ والمسلمونَ من معاقبةِ هؤلاءِ المكذوبِ عليهِم، وهذَا شيءٌ يتكررُ إلى أنْ تقومَ الساعةُ، هناكَ من ينقلُونَ الأخبارَ الكاذبةَ من أجلِ إفسادِ المجتمعِ، ومِنْ أجلِ تحريضِ المسلمينَ بعضهم على بعضٍ، فالواجبُ على المسلمِ أنْ يتثبَّتَ في هذهِ الأمورِ، وأنْ يحفظَ لسانَهُ عن التفوّهِ بها قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ١٥﴾ [النور: ١٥] أمَّا إذا ثبتَ الخبرُ فلا يخلُو مِنْ أَمْرَيْنِ، الأمرَ الأولَ: أنْ يتعلقَ بفردٍ مِنَ الناسِ فهذا يُناصَحُ مناصَحةً سريةً دُونَ أنْ يُشاعَ عنهُ في المجالِسِ أو يُتحدثَ عَنْهُ في المجالِسِ. فإنَّ هذه غيبةٌ ولَوْ كانَ هذا الأمرُ ثابتاً قالَ ﷺ: «الغيبةُ ذِكْرُكَ أخاكَ بِمَا يكرهُ. قالُوا: يارسولَ اللهِ وإن كانَ فيهِ مَا نقولُ؟ قال: إن كانَ فيه ما تقولُ فقد اغتبتَه وإن لم يكنْ فيه ما تقولُ فقد بهتَّهُ»[1]. أمَّا إذَا كانَ الأمرُ يتعلقُ بالأمورِ العامةِ وسياسةِ الدولةِ ومصالحِ المسلمينَ فإنَّ هذا يكونُ علاجُهُ عندَ ولي الأمرِ، وعندَ أهلِ الحلِّ والعقدِ ولا يتدخلُ فيه الغوغاءُ وعامةُ الناسِ بَلْ يكونُ هذا علاجُهُ عند أُولِي الأمرِ قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾ [النساء: ٨٣] وَرَدُّهُ إلى الرسولِ في حياتِهِ عليه الصلاةِ والسلامِ، وإلى أُولِي الأمرِ مِنْ بَعْدِ الرسولِ ﷺ

---

(١) مسلم (٤٦٩٠)، الترمذي (١٨٥٧)، أبو داود، أحمد (٦٨٤٩).

حتى يعالجوهُ لأنَّ هذا من شؤونِهم، لأنَّ اللهَ وَكلَ إليهم أمورَ الرعيةِ وجلبَ ما ينفعُ الرعيةَ ودفعَ ما يضرُّها فلا يجوزُ أنْ يتدخلَ في هذا العامةُ والغوغاءُ لأنَّ تدخلَهُم فيه لا يُجدِي شيئاً وإنَّما ينشُرُ الرعبَ بينَ المسلمينَ والتخويفَ بينَ المسلمينَ، وإنَّنا في ظلٍّ هذه الأحداثِ التي نعيشُها، أحداثِ العراقِ الآن ظهرَ أناسٌ همُّهم القيلَ والقالَ والبحثُ في هذه الأمورِ فصارَ منهم من يصدرُ الفتَاوىٰ، وهو لَيْسَ من أَهْلِ الفَتْوىٰ، ومِنْهُم مَنْ يصدرُ البياناتِ ولَمْ يُخولْ إليهِ إصدارُ البياناتِ وإنَّما الفتوىٰ وإصدارُ البياناتِ من شأنِ أهلِ العلمِ وولاةِ الأمورِ، أمَّا هؤلاءِ الغوغاءُ والدهماءُ فإنَّما هُمْ مفتاتُونَ على وَلِي الأمرِ وعملُهم هذا إفسادٌ محققٌ لا خيرَ فيه لأنَّهُ لا ينكأُ صيداً ولا يقتلَ عدواً وإنَّما هُوَ قيلَ وقالَ وترويعٌ للناسِ وتدخلٌ فِيمَا لا يعنِيهم، وقَدْ قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم: «مِنْ حُسْنِ إسلامِ المرءِ تركهُ مَا لا يَعْنِيه»[1] لأنَّهُ إذا تدخلَ فيما لا يعنِيه كان فساداً محضاً أو فساداً راجحاً لا يُجدِي شيئاً، إنَّما واجبُ المسلمينَ نحوَ هذا الأمرَ أنْ يكثرُوا مِنَ الدُّعاءِ، أنْ يدعوُ اللهَ سبحانَهُ وتعالَى بأنْ يفرجَ عن المسلمينَ ما ألمَّ بِهم، وأنْ يدعو لولاةِ الأمورِ بالتوفيقِ إلى العلاجِ الناجحِ الذي فيهِ صلاحُ الإسلامِ والمسلمينَ، ثم واجبُ المسلمينَ أيضاً إصلاحُ أنفسِهم وتفقدِ أحوالِهم فإنَّهُم مَا أُصيبُوا إلاَّ بسببِ ذنوبِهم. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ [الشورى: ٣٠] لكنَّ أكثرَ الناسِ لا يلتفتونَ إلى أنفسِهم ومحاسبةِ أنفسِهم وإنَّما يشتغلونَ بغيرِهم ويحملونَ هذا الأمرَ غيرهُم وكأنَّهم هُمْ لَمْ يفعلُوا شيئاً وكأنَّهُم ملائكةٌ، كأنهم معصومُونَ، لا يلتفتونَ إلى أنَّ

---

(١) الترمذي (٢٢٣٩)، ابن ماجة (٣٩٦٦)، أحمد (١٦٤٢)، مالك (١٤٠٢).

سببَ هذا الأمرِ من قِبلِ أنفسِهم فيتوبُون إلى اللهِ عزَّ وجَلَّ ويصلِحُون وضعَهُم، ويأمرونَ بالمعروفِ وينهونَ عن المنكرِ فيما بينَهم كلٌّ بحسبِ استطاعتِهِ ومقدرتِهِ هذا هُوَ واجبُ المسلمينَ نحو هذهِ الحوادِثِ الملمّةِ التي تقعُ بالمسلمينَ، واجبُهم أنْ يهتمُّوا بأمورِهم، وأنْ يصلِحُوا ما بينَهم، وأنْ يصلِحُوا ما بأنفسِهم، فإنَّ اللهَ جلَّ وعَلاَ يقولُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الرعد: ١١] فإذَا كانُوا يريدونَ أنْ تزولَ عنهم هذهِ الغمةُ فليرجِعُوا إلى اللهِ سبحانَهُ وتعالَى ويصلِحُوا أنفسَهم، ويصلِحُوا بيوتَهم وعوائلَهم حتى تنزلَ عليهم رحمةُ اللهِ سبحانَهُ وتعالَى وحتى يكفَّ اللهُ عنهم بأسَ الَّذينَ كفرُوا ﴿ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾ [النساء: ٨٤] ولكنْ إذَا عَصَاهُ من يعرفُهُ سلَّطَ اللهُ عليه مَنْ لاَ يعرفُه نسألُ اللهَ العافيةَ. فعَلَى المسلمينَ أنْ يعُوا هذهِ الأمورَ وهذهِ الأحداثَ وألاَّ يدخلُوا في أشياءَ ليستْ من اختصاصِهم ولا تزيدُ الأمرَ إلا شرّاً. أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢ـ١٠٧]. باركَ اللهُ لِي ولَكُم في القرآنِ العظيمِ.

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ. والشكرُ لَهُ عَلَى توفيقهِ وامتنانِهِ. وأشهدُ ألاَّ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له تعظيماً لشأنِهِ وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ الداعي إلى رضوانِهِ، صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وإخوانِه وسلّم تسليماً كثيراً. أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقُوا اللهَ تعالَى وتحفظُوا من ألسنتِكُم فإنَّ حصائدَ ألسنتِكِمْ خطيرةٌ، لما ذكرَ النبيُّ ﷺ لمعاذِ بنِ جبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ ما يقربُهُ إلى الجنةِ وينجيهِ من النارِ من الأعمالِ الصالحةِ أشارَ ﷺ إلى لسانِه فقال: **كُفّ عليكَ هذا**. قالَ معاذٌ رضيَ اللهُ عَنْهُ: وهلْ نحنُ مؤاخذونَ بما نتكلمُ بهِ يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: **ثكلتكَ أمُّكَ يا معاذُ، وهل يكبُّ الناسَ في النارِ على وجوهِهم أَوْ قالَ عَلَى مناخرِهم إلاّ حصائدُ ألسنتِهم»**[1]. وقالَ ﷺ: **«ومَنْ كَانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليقلْ خيراً أو ليصمتْ»**.[2]. وآفاتُ اللسانِ خطيرةٌ، قالَ ﷺ: **مَنْ يضمنُ لِي مَا بَيْنَ لحيَيهِ «يعني اللسانَ» وبينَ رجليهِ أضمنُ لَهُ الجنةَ»**[3]. فَعَلَى المسلمِ أنْ يحفظَ لسانَهُ وألاَّ يتكلمَ إلاّ بما فيهِ خيرٌ لَهُ وللمسلمينَ وأنْ يكفَّ عن الكلامِ الذي لا يُجدِي أو يؤثمَ، فقد جاءَ في الحديثِ الصحيحِ أنَّ الأعضاءَ تكفرُ اللسانَ كلَّ يومٍ يعنِي تعظُه وتذكرُهُ وتقولُ لَهُ: **«اتقِ اللهِ فإنَّما نحنُ بكَ فإنْ استقمتَ استقمنَا وإن اعوججتَ**

---

(١) الترمذي (٢٥٤١)، ابن ماجة (٣٩٦٣)، أحمد (٢١٠٠٨).
(٢) البخاري (٥٥٥٩)، مسلم (٦٧)، الترمذي (٢٤٢٤)، أبو داود (٤٤٨٧).
(٣) البخاري (٥٩٩٣)، الترمذي (٢٣٣٢).

اعوجَجْنا»[١]. وقَدْ قالَ اللهُ تعالَى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: ١٨] فأقوالُه تكتبُ وتحصَى ويحاسَبُ عليها، وقالَ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ـ٧١] فاحفظُوا ألسنَتَكُم فإنَّها خطرٌ، فاللسانُ يتكلمُ بالغيبةِ، يتكلمُ بالنميمةِ، يتكلمُ بالشتمِ، يتكلمُ بالسبابِ، يتكلمُ باللعنِ، يتكلمُ بالكذبِ، وكلُّ هذه الأمورِ يرجعُ وبَالُها على صاحبِها فيحمِّلُ الإنسانُ نفسَهُ ما لا يطيقُ، قالَ رجلٌ مِنْ بَنِي إسرائيلَ لما رأَىٰ رجلًا على المعصيةِ قالَ: واللهِ لا يغفرُ اللهُ لفلانٍ. قال اللهُ جلَّ وعَلَا: مَنْ ذَا الذي يتألَّى عليَّ «أي يحلفُ عليَّ» ألا أغفرَ لفلانٍ إني قد غفرتُ لَهُ وأحبطتُ عملَكَ[٢]، قالَ أبو هريرةَ رضي اللهُ عنهُ راوي الحديثِ: تكلمَ بكلمةٍ أفسدتْ عليه دنياهُ وآخرتَهُ. وفي الحديثِ الصحيح «إنَّ العبدَ ليتكلمُ بالكلمةِ مِنْ سخطِ اللهِ لا يُلقي لها بالاً يهوِي في جهنمَ»[٣] كلمةٌ واحدةٌ يهوِي بها في النارِ أَبْعدُ مِمَّا بَيْنَ المشرقِ والمغربِ، وكَمْ نتكلمُ؟ وكَمْ نقولُ؟ والنبيُّ ﷺ نَهَىٰ عن القيلَ والقالَ، وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «كَفَىٰ بالمرءِ كذباً أنْ يحدثَ بكلِّ مَا سَمِعَ»[٤]. فعلَى الإنسانِ أنْ يمسكَ لسَانَهُ، ولَوْ سَمِعَ شيئاً مِنَ الشائعاتِ فإنَّهُ يُمْسِكُ لسانَه ولا يَدْخلُ فيهِ ولا يتكلمُ به لأنَّهُ لا مصلحةَ لَهُ ولا مصلحةَ للناسِ في هذهِ الأمورِ، فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ وقولُوا للناسِ حُسناً. واعلمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.

---

(١) الترمذي (٢٣٣١)، أحمد (١١٤٧٢).

(٢) مسلم (٤٧٥٣) (انفرد به).

(٣) البخاري (٥٩٩٧)، أحمد (٨٠٥٩).

(٤) مسلم(٦)، أبو داود (٤٣٤٠).

في وجوبِ الرجوعِ إلى اللهِ عندَ المصائبِ والمحنِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، يبتلِي عبادَهُ بالشرِّ والخيرِ فتنةً. ليظهرَ المؤمنُ الصابرُ الشاكرُ من المنافقِ والكافرِ. وأشهدُ ألاَّ إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ هُوَ الأولُ والآخرُ والباطنُ والظاهرُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسولُهُ المؤيدُ بالمعجزاتِ البواهر. صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ ذوي المناقبِ والمفاخرِ وسلّم تسليماً كثيراً. أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقُوا اللهَ تعالَى واحذرُوا المعاصي فإنَّ عقوبتَها أليمةٌ. وعاقبتُها وخيمةٌ. كَمْ دمرتْ من ديارٍ! وكَمْ أهلكتْ من حروثٍ وأشجارٍ! وكم غورتْ مِنْ مياهٍ وآبارٍ! وكمْ أتلفتْ من مزارعَ وثمارٍ! قَالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١]. أخرجَ اللهُ آدمَ عليهِ السلامُ مِنَ الجنةِ بسببِ ذنبٍ واحدٍ، لمَّا أكلَ من الشجرةِ التي نهاهُ اللهُ مِنَ الأكلِ مِنْها أخرجَهُ اللهُ مِنْ دارِ النعيمِ والسرورِ إلى دارِ الشقاءِ والتعبِ والهمومِ، أهلكَ اللهُ سُبحانَهُ وتعالَى القرونَ الأُولَى من قوم عادٍ وثمودَ وقوم إبراهيمَ وأصحابِ مدينَ والمؤتفكاتِ ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [التوبة: ٧٠] اللهُ سبحانَهُ وتعالَى إذَا غَيَّرَ العبادُ غَيرَ عليهِم ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [القصص: ٥٨] ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النمل: ٥٢] وهذه سنةُ اللهِ جلَّ وعَلاَ في الأولينَ

والاخرينَ أنَّ مَنْ خالفَ أمرهُ وارتكبَ نهيَهُ فإنَّ اللهَ جَلَّ وعَلاَ يُعَاقِبه بالعقوبَةِ الأليمةِ ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٠] حتى أصحاب رسولِ اللهِ ﷺ الذينَ هُم خيرُ الأممِ بعدَ الأنبياءِ لما حصلتْ منهُم بعضُ المخالفاتِ عاقبَهم اللهُ عزَّ وجَلَّ بها، ففي وقعةِ أحدٍ عاقبَهم اللهُ وسلّطَ عليهم عدوَّهُم بسببِ ذنبٍ ارتكبَه بعضُهم حيثُ خالَفُوا أمْرَ الرسولِ ﷺ في موقِعِهم الذي أقامَهمُ فيه وقالَ لَهم: لا تتركُوا هذا المكانَ، فلما تركُوهُ حلَّتْ بالصحابةِ النكبةُ حتىٰ الرسول ﷺ نالَهُ منها فهشمَ المغفرُ على رأسِهِ وغاصتْ منه حلقتانِ في جسدهِ عليه الصلاةُ والسلامُ، كُسرتْ رُباعيتهُ، استشهدَ من المسلمينَ سبعونَ وجُرحَ منهم الكثيرُ بسببِ معصيةٍ وقعتْ من بعضِهم، وفي غزوةِ حنينٍ أصيبَ المسلمونُ بسببِ كلمةٍ قالَها بعضُهم قالُوا لَنْ نغلبَ اليومَ من قلةٍ فقالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [التوبة: ٢٥ـ٢٦] واللهُ سبحانَهُ وتعالَى ليسَ بينهُ وبينَ أحدٍ نسبٌ ولاَ يُحابي أحداً بَلْ يُجازِي كُلاًّ بعملِهِ إنْ خيراً فخيرٌ وإنْ شرًّا فشرٌ، واليومَ غزاكُم عدوكُم بقوتِهِ الهائلةِ وجنودِهِ الكثيرةِ ونزلَ في أرضِكُم يهددُ ويتوعدُ ليغيرَ دينكم ويغيرَ الحُكْمَ في بلادِكم إنْ تمكنَ مِنْ ذلِكَ كَما قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ ﴾ [البقرة: ١٢٠] ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ ﴾ [البقـرة: ١٣٥] ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ

ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ [البقرة: ١٢٧] هذا دأبُ الكفارِ دائماً وأبداً لاسيّما اليهودَ والنصارَىٰ فإنَّهمُ لا تقرُّ أعينُهم ولا يطمئنُّونَ وهم يَرونَ الإسلامَ على وجهِ الأرضِ حتى يَقْضُوا عليهِ وعلى أهلِه إنْ استطاعُوا، ولهم محاولاتٌ ومحاولات منذُ بَعَثَ اللهُ رسولَهُ ﷺ ولكِنْ ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [التوبة: ٣٢] ولكِنْ لننظرَ في واقِعنا، وكيفَ أنَّ هذا العدوَّ تظاهرَ علينا بقوتِهِ وعتادِهِ وبأسِهِ، ما السببُ في ذلِكَ؟ السببُ هو مِنْ قبلِ أنفسِنَا ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى: ٣٠] فقد سلَّطَ اللهُ المجوسَ عبدةَ النيرانِ على بَنِي إسرائيلَ ذريةَ الأنبياءِ وأَهْلِ الكتابِ لما عَصَوْا ربَّهم عزَّ وجلَّ قالَ تَعالَى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٤ـ٨] هذهِ سنةُ اللهِ سبحانَهُ وتَعالَى، وهَا هُمُ الكفارُ اليومَ يغزونَ المسلمِينَ في بلادِهم ويهدِّدُونَهم في أمنِهم ويريدُونَ أنْ يغيرُوا نظامَهُم وأنْ يُبدِّلُوا دينَ اللهِ الذي أرسلَ بهِ نبيهُ محمداً ﷺ إنْ استطاعُوا إلى ذلِكَ سبيلاً، والسببُ في ذلِكَ أنَّ واقعَ المسلمينَ اليومَ واقعٌ مريرٌ، ومُزرٍ وهو الَّذي سبَّبَ لهم هذهِ النكباتِ، فكثيرٌ من بلادِ المسلمينَ يعبدونَ القبورَ والأضرحةَ من دُونِ اللهِ عزَّ وجلَّ ولا يُنكرَ عليهم، ولا ينكرُ عليهم الصالحونَ والعلماءُ بَلْ مظاهرُ الشركِ باديةٌ في كثيرٍ مِنْ بلادِ

المسلمينَ، وتحكيمُ القوانينِ ونبذُ الشريعةِ هذا هو حكمُهم الذي يسيرونَ عليه، القومياتُ والعنصرياتُ والحزبياتُ سائدةٌ فيما بينَهم، وأمَّا الإسلامُ فلا يذكرونَهُ إلاَّ قليلاً ولا يأتمرونَ بأوامرِهِ وينتهونَ عن نواهيهِ، وفي بلادِنا كما ترَوْنَ من المنكراتِ الفظيعةِ التي تعجُّ في مجتمعِنا، أولاً الصلاةُ وحالتُنا معَهَا، منَّا مَنْ لا يُصَلِّي أبداً قد تركَ الصلاةَ متعمداً جهاراً نهاراً ويعيشُ بينَنا ونُؤْويهِ في بيوتِنا ونزوجُهُ من نسائِنا، وكأنَّهُ لَمْ يفعلْ شيئاً. ونعتبرُهُ مِنَّا، ومِنَ الناسِ مَنْ يصلِّي بعضَ الصلواتِ ويتركُ بعضَها، ومِنَ الناسِ مَنْ لا يصلِّي في الوقتِ وإنَّما يصلِّي على حسبِ هواهُ، إذا قامَ مِنْ النومِ، لأنَّه يسهرُ الليل كلَّه على الفضائياتِ وعلى الشبكاتِ العنكبوتيةِ وعلى ما يُنْشَرُ ويذاعُ ويبثُّ من الأفكارِ الخبيثةِ والعرْي وارتكابِ الفواحشِ يشاهدُها ويترقبُ وقت بثِّها ثم ينامُ ولا يقومُ إلاَّ بعدَ خروجِ وقتِ صلاةِ الفجرِ فيصلِّي في الضُّحى أو عندَ الظهرِ أو يستمرُّ في النومِ ولا يصلِّي الصلواتِ إلا إذا قامَ، قَدْ لا يُصلِّي لا الفجرَ ولا الظهرَ ولا المغربَ ولا العشاءَ بَلْ ينامُ فإذَا قامَ لموعدِ الفضائياتِ ربما يصلِّي صلاةً لا تنفعهُ ولا تفيدُهُ لأنَّها ليستِ الصلاةُ التي أَمَرَ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى بها، كثيرٌ من الناسِ لا يصلِّي مع الجماعةِ ويقولُ الجماعةُ سنةٌ ليستْ واجبةٌ، كيف تكونُ سنةٌ وقد أمرَ اللهُ جَلَّ وعَلاَ ببناءِ المساجدِ لها وأمرَ بالنداءِ لها وأمرَ سبحانَهُ وتعالَى بتفقدِ المتخلفينَ عنها ومعاقبتِهم، إنَّها فريضةٌ واجبةٌ وإلاَّ لماذا بنيتْ المساجدُ؟ لماذا يؤذنُ المؤذنونَ؟ لماذا يرتبُ الأئمةُ للمساجدِ؟ لماذا هذه الإجراءاتُ العظيمةُ من أجلِ سنةٍ؟! مَنْ يقولُ هذا؟! المسلمونَ كانُوا يصلونَ في المساجدِ مِنْ عهدِ الرسولِ ﷺ كما قالَ ابنُ مسعودٍ: ولَقَدْ رأيتُنا ومَا يتخلفُ عنها إلاَّ منافقٌ معلومُ النفاقِ، ولقد كان الرجلُ يؤتَى به يُهادى بينَ الرجلينِ حتى يقامَ في الصفِّ. هذا من أجل سنة

ياللعجب!! ولكنَّها الأهواءُ والرغبات النفسية.

يقضَى على المرءِ في أيامِ محنتهِ حتى يَرىٰ حُسناً ما لَيْسَ بالحسنِ

الرِّبَا ومَا أدراكَ ما الرِّبَا؟ الذي حرمهُ اللهُ وتوعدَ عليه بأشدِّ الوعيد، اليومَ يستثمرُ في بلادِنَا في البنوكِ والشركاتِ والمؤسساتِ والأفرادُ يتعاملُونَ بالرِّبَا الصريحِ بينَنا واللهُ جَلَّ وعَلاَ يقولُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ۝ ﴾ [البقرة: ٢٧٨ـ٢٧٩] اعلمُوا أنَّكم محاربُونَ للهِ وأنَّ اللهَ سيحاربُكُم وللهِ جنودُ السمواتِ والأرضِ سيسلِّطُ عليكم جنودَهُ، سيسلِّطُ عليكم جنودَهُ بالأسلحةِ الفتاكةِ ويسلطُ عليكُم الأمراضَ القاتلة والأوبئةَ المهلكةَ ويسلطُ عليكم تلفَ الزروعِ والثمارِ ويغورُ آبارَكُم، حربٌ من اللهِ جَلَّ وعَلاَ عَلَى عبادِهِ يسلطُ عليكُم الملائكةَ، يسلطُ عليكُم عدوَّكُم، يسلطُ عليكُم مَنْ لا تحتسِبونَ هذه عاقبةُ أكِلِ الرِّبا وعقوبته في الدُّنيا، وأمَّا عقوبتُهُ في الآخرةِ فهي أشدُّ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ ﴾ [البقرة: ٣٩] نسألُ اللهَ العافيةَ والسلامةَ، القِمارُ والميسرُ يتعاملُ به كثيرٌ من الناسِ بالمعاملاتِ التي فيها مراهناتٌ وفيها مخاطراتٌ وفيها غررٌ وجهالةٌ وفيها شرورٌ، يغامرُ لعلَّهُ ينجحُ مرةً فيأخذُ الملايينَ والملياراتِ أَوْ يخسرُ مرةً فيهبطُ إلى أسفلِ سافلينَ يتعاملُ بالقِمارِ وأنديةِ القمارِ وشاشاتِ القمارِ، يتعاملُ بالقمارِ والميسرِ، هذه غالبُ المعاملاتِ أنَّها على وفقِ ما حرمَ اللهُ ورسولُه إلاَّ مَنْ رَحِم اللهُ سبحانَهُ وتعالَى، وكذلِكَ الغشُّ والخيانةُ والرِّشوةُ وغيرُ ذلكَ مِنْ أنواعِ المعاملاتِ المحرمةِ كلُّها موجودَةٌ، والعجيبُ أنَّ كثيراً من التجارِ ومن الباعةِ تركُوا المعاملاتِ الشرعيةِ أو كثيراً منها واستوردُوا معاملاتٍ مِنَ

الكفارِ وأنظمةً اقتصاديةً من الكفارِ لا تعتبرُ الشرعَ ولا تعتبرُ الحرامَ والحلالَ، معاملاتٌ كافرةٌ يستوردُونَها ويتعاملونَ بها هذا واقعُ الاقتصادِ الإسْلاَمِي اليومَ، إلاَّ مَنْ رحمَ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى تتعاملُ به دولٌ، وتتعاملُ به مؤسساتٌ، وشركاتٌ، ويتعاملُ بهِ أفرادٌ إلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ عزَّ وجَلَّ، الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عَنِ المنكرِ مضيعٌ في بلادِ المسلمينَ وفي هذهِ البلادِ له جانبٌ ضعيفٌ، القائِمونَ بهِ محتقرونَ من المجتمعِ وأعداؤهُم كثيرٌ، ومَنْ يتربصُ بِهم الدوائرَ كثيرٌ وأهلُ الخيرِ متكاسلونَ عَنْ مساعدتِهم وإعانتِهم والتعاونَ معهم، حتى فَشَتِ المنكراتُ في البلادِ، النساءُ وما أدراكَ ما النساءُ؟ فتنةُ بَنِي إسرائيلَ قالَ ﷺ: «واتقُوا النساءَ فإنَّ فتنةَ بَنِي إسرائيلَ كانَتْ في النساءِ»[1]. وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «ما تركتُ من فتنةٍ بعدِي أضرَّ على الرجالِ مِنَ النساءِ»[2]. النساءُ ضيعتِ الأمةَ إلاَّ من رَحِمَ اللهُ عزَّ وجلَّ، فإنَّ الرجالَ ضيعُوا مسؤوليتَهم وهُمْ الذين جعلَهم اللهُ قوامِينَ على النساءِ بما فضّلَ اللهُ بعضَهُم على بعضٍ تركُوا لهُنَّ الحبلَ على الغاربِ يتسابقنَ بالزينةِ والملابسِ الخليعةِ كاسياتٌ عارياتٌ، واللهِ إن كثيراً مِنْ نساءِ المسلمينَ يلبسنَ ملابسَ فاضحةً لا يلبسْها نساءُ الكفارِ على كفرِهم في المحافلِ التي تقامُ بمناسباتِ الزواجِ، في الفنادقِ، أَوْ في الاستراحاتِ وما أدراكَ ما الاستراحاتُ؟ وفي الأسواقِ التجاريةِ تجدَ النساءَ مضيعاتٍ سائباتٍ يتزينَّ بما يملِي عليهِن شياطينُ الإنسِ والجنِّ، ولا أحدٌ يغارُ ولا أحدٌ يُنكرُ ويتابعُهنَّ أهلُ الفسقِ، يتابعونَهنَّ في مشيهِن وأينَما كنَّ ويفتخرنَ بذلِكَ، تفتخرُ الواحدةُ أنَّ الأشرارَ ينظرونَ إليها ويعشقونَها وتفتخرُ بذلكَ. أينَ

---

(١) أحمد (١٠٧٤٣)، مسلم (٤٩٢٥).
(٢) البخاري (٤٧٠٦)، مسلم (٤٩٢٣) الترمذي (٢٧٠٤)، أحمد (٢٠٧٥١).

وليُّها؟ أينَ قيِّمها؟ أينَ المسلمونَ؟ أين الغيرةُ للهِ عزَّ وجلَّ؟ فكيفَ تستغرِبُونَ إذا جَاءَ العدُوّ وأحاطَ بِكُم؟ الآنَ يهددُكُم بأسلحتِه الفتاكةِ التي لَيْسَ لكُم بها طاقةٌ ولا مقابلةٌ إنْ لَمْ ترجعُوا إلى اللهِ عزَّ وجلَّ وتتوبُوا إليهِ توبةً صحيحةً فإنَّ الخطرَ عظيمٌ، اللهُ جلَّ وعَلاَ يقولُ: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المرسلات: ١٦ـ١٩].

باركَ اللهُ لِي ولَكُم في القرآنِ العظيمِ.

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ على فضلِه وإحسانِهِ والشكرُ لَهُ عَلَى توفيقِه وامتنانِه وأشهدُ أَلاَّ إِلهَ إلا اللهَ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ تعظيماً لشأنِهِ وأَشْهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُه الداعي إلى رضوانِه صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وأعوانِهِ وإخوانِهِ وسلَّم تسلَيماً كثيراً. أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقُوا اللهَ سبحانَهُ وتَعَالَى: قالَ اللهُ تعالَى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٣ـ٤٥] هذهِ سنةُ اللهِ سبحانَهُ وتعالَى أنَّ اللهُ يبتلِي عبادَهُ فإنْ تنبَّهوا ورجَعُوا إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ وتابُوا مِنْ ذنوبِهم فإنَّ اللهَ جَلَّ وعَلاَ يتوبُ عليهم ويرفَعُ ما بِهم وأمَّا إنْ زادَ شرهُم وطغيانُهم فإنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالَى يأخذُهُم بعقوبةٍ مستأصلةٍ ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٥] ودينُ اللهِ باقٍ لكنْ

الناسَ إذا غَيّرُوا غيرَّهم اللهُ وجاءَ بقومٍ آخرينَ ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد: ٣٨] ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤] فالدينُ منصورٌ وباقٍ بحفظِ اللهِ سبحانَهُ وتعالَى لكنَّ الناسَ إذا غيّرُوا غيّرَهُم اللهُ بغيرِهم فعلينا أنْ نخافَ من ذلكَ أنَّ اللهَ يرفعُ هذا الدينَ من أيدِينا ويعطِيه لغيرِنا، ويحلُّ بِنا الدَّمارُ والهلاكُ، فلنتقِ اللهَ سبحانهُ وتعالَى في أنفسِنَا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الرعد: ١١] فعلينَا أنْ نتبيّنَ لأنفسِنَا وأنْ نصلحَ أعمالَنا ونصلحَ واقعنا، أنتَ لَسْتَ مُكلفاً أنْ تُغيرَ المجتمعَ كلَّهُ ولكنْ عليكَ أنْ تغيرَ ما بنفسِكَ أولاً ثُمَّ تغيرَّ ما في بيتكَ، وما تحتَ يدِكَ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦] عليكَ أنْ تغيرَّ ما في نفسِك وتغيرَ مَا في بيتِك مِنَ المنكراتِ والمخالفاتِ، والآخرُ كذلِكَ، والآخرُ كذلكَ حتى يصلحَ المجتمعُ أمَّا إذا ألقيتَ باللائمةِ على غيرِكَ ونسيتَ نفسَكَ ونسيتَ بيتَك ونسيتَ أولادَك وأصبحتَ تنظرُ إلى عيوبِ الآخرينَ وتُغْمضُ عينَكَ عَنْ عيوبِك، فَهُنَا مَكْمَنُ الخطرِ ولا حولَ ولا قوةَ إلاَّ باللهِ.

ثم اعلمُوا عبادَ اللهِ أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.

في الأمرِ بالاجتماعِ والائتلافِ والنَّهيَ عن التفرقِ والاختلافِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ. أمرَ بالاجتماعِ والائتلافِ. ونَهَىٰ عن التفرقِ والاختلافِ. وأشهدُ ألاَّ إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ شرَعَ لعبادِهِ ما يصلحُهم في دينِهم ودُنياهم. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ لا خيرَ إلاَّ دلَّ الأمةَ عليه، ولا شرَّ إلاَّ حذَّرها منهُ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابِه وسلَّم تسليماً كثيراً. أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ اتقُوا اللهَ سبحانَهُ وتَعَالَى قال الله سبحانَه وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢ـ١٠٧]. في هذهِ الآياتِ يأمرُ اللهُ عبادَهُ بتقواهُ ويأمرُهُم بالتَمسُّكِ بالإسلام إلى الممَاتِ ويأمرهُم بالاعتصامِ بحبلِ اللهِ وهُوَ القرآنُ ويَنْهىٰ عَنِ التفرقِ ويذكِّرُ بنعمتِهِ عَلَى المؤمنينَ إذْ جمعَ بينَهُم وألفَّ بين قلوبِهم، وأزالَ مَا في قلوبِهم من العداوةِ مِنْ بعْضِهم لبعضٍ وجعلَهُم

أمةً واحدةً وإخوةً في الدينِ، يذكرُهُم بهذه النعمِ ويحثُّهم عَلَى شكرِها. ويأمرُهُم سبحانَهُ وتَعَالَى بالأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عَنِ المنكرِ، ويقولُ لِمَنْ فَعَلَ ذلِكَ «وأولئِكَ هُمُ المفلِحُونَ». ويَنْهى عمَّا كانتْ عليهِ الأمَمُ الأُخْرَىٰ مِنْ التفرقِ والاختلافِ من بعدِ ما جاءَتْهُم البيناتُ وجاءَهُم العلمُ، فهم لم يختلفُوا عن جهلٍ وإنما اختلفوا عن هوًى والعياذُ باللهِ، ويتوعدهُم بالعذابِ العظيمِ ويخبرُ أَنَّهُ في يومِ القيامةِ «تبيضُّ وجوهٌ وتسودُ وجوهٌ» قالَ ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا: تبيضُّ وجوهُ أهلِ السمعِ والطاعةِ وتسودُّ وجوهُ أهلِ الفرقةِ والشناعةِ. وقالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩] يأمرُ سبحانَهُ وتَعَالَى المؤمنينَ بأنْ يطيعُوا اللهَ فيما أمرَ بهِ فيفعلُوهُ ويطيعُوه فِيما نهاهُم عَنْهُ فيجتنبُوه، وكذلِكَ يأمرهُم بطاعةِ الرسولِ ﷺ فإنَّ الرَّسولَ لا يأمُرُ إلاَّ بِمَا أمرَ اللهُ بهِ ولا يَنْهى إلاَّ عمَّا نَهى اللهُ عنهُ لأَنَّهُ مبلغٌ عن اللهِ وأمينٌ على وحيهِ، ثم يأمرُ بطاعةِ ولاةِ أمورِ المسلمينَ لِما في ذلكَ من المصالحِ العظيمةِ ودفعِ المضار، ثم يأمرُ عندَ النزاعِ أنْ يردُّوا الحكمَ فيما تنازَعُوا فيهِ واختلفُوا فيهِ إلى كتابِ اللهِ سبحانَهُ وتعالَى وإلى سنةِ رسولِ اللهِ ﷺ وأنَّ ذلكَ خيرٌ لهم عاجلاً وآجلاً ومآلاً «ذلِكَ خيرٌ وأَحْسَنُ تأويلًا» أي مآلاً وعاقبةً. هذا منهجُ أهلِ الحقِّ أنَّهم يطيعونَ اللهَ ويطيعونَ الرسولَ ويطيعونَ أُولِي الأمرِ من المسلمينَ ويتحاكمُونَ إلى كتابِ اللهِ وإلى سنةِ رسولِهِ ﷺ. أمَّا منهجُ أهلِ الضلالِ فهم على خلافِ ذلكَ يعصونَ اللهَ ويعصونَ الرسولَ ﷺ ويشقُّونَ عَصَا الطاعةِ ويتحاكمونَ إلى القوانينِ والطواغيتِ، هذا منهجُ أهلِ الضلالِ، وقالَ النبيُّ ﷺ: «**إنَّ اللهَ يرضَى لكُم ثلاثاً أنْ تعبدوهُ ولا تشركُوا بهِ شيئاً، وأنْ تعتصمُوا بحبلِ اللهِ جميعاً**

ولا تفرقُوا، وأنْ تناصَحُوا مَنْ ولاَّهُ اللهُ أمرَكُم»[١]. هذا منهجُ أهلِ السنةِ والجماعةِ أنَّهم يعبدونَ اللهَ ولا يشركونَ به شيئاً. وأنهم يعتصمونَ بحبلِ اللهِ ولا يتفرقُونَ في دينِهم وأهوائِهم وإنَّما يكونُ هواهُم تبعاً لِمَا جاءَ بِهِ الكتابُ والسنةُ وأنَّهم يناصحونَ من ولاَّهُ اللهُ أمرَهم بأنْ يؤدُّوا الحقوقَ التي عليهم مِنْ طاعتِهِ والقيامِ بِمَا يَكِلُ إليهم من الأعمالِ والوظائفِ، هذا مِنْ مناصحةِ وَليِّ الأمرِ، وأنْ يبلغُوهُ مايرونَ من الخللِ والنقصِ حتى يصْلِحَهُ هذا منهجُ أهلِ السنةِ والجماعةِ، وقالَ العِرْباضُ بن ساريةَ رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ: «وعظَنَا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم موعظةً بليغةً وَجِلتْ مِنْها القلوبُ وذَرَفتْ منها العيونُ. فقُلْنَا: يا رسولَ اللهِ، كأَنَّها موعظةُ مودعٍ فأوصِنَا. قالَ: أوصيكُم بتقوى اللهِ والسمعِ والطاعةِ وإنْ تأمَّرَ عليكُم عبدٌ فإنَّهُ مَنْ يَعِشْ منكُمْ فَسَيرىٰ اختلافاً كثيراً. فعليكُمْ بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدينَ المهدِيينَ من بعدِي تمسكُوا بها وعضُوا عليها بالنواجذِ وإياكُم ومحدثاتِ الأمورِ فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ»[٢]. فأمرَ ﷺ بتقوَىٰ اللهِ بفعلِ أوامرِهِ وتركِ نواهيهِ وأمرَ بالسمعِ والطاعةِ لوليِّ أمرِ المسلمينَ، فإذَا اجتمَعتْ هذه الأمورُ تقوَىٰ اللهُ والسمعُ والطاعةُ حَصَلَ للمسلمينَ الخيرَ الكثيرَ.

وقولُهُ: «وإنْ تأمَّرَ عليكُم عبدٌ» أيْ لا تحتقرُوا وليَّ الأمرِ مَهْمَا كانَ وإن كانَ في مظهرِهِ أَوْ في نسبِهِ ما لا يعجبُكُم فإنَّ طاعتَهُ واجبةٌ لا نظراً لشخصيتِهِ وإنَّما نظراً لمنصبِهِ الَّذي أقامَهُ اللهُ فيهِ ولِمَا في ذلكَ من مصلحةِ المسلمينَ واستتبابِ الأمنِ، فإنَّ وليَّ الأمرِ جعلهُ اللهُ سبحانَهُ وتعالى حمايةً للمسلمينَ من التفرقِ والاختلافِ، ومِنَ التفاخُرِ والتباغضِ بَيْنَ الناسِ ومِنْ تسلطِ الظلمةِ على

---

(١) مسلم (٨٤٤٤)، أحمد (٣٢٣٦)، مالك (١٥٧٢).

(٢) أبو داود (٣٩٩١)، ابن ماجة (٤٢)، أحمد (١٦٥٢١)، الدارمي (٩٥).

الضعفاءِ، وجعلَهُ مقيماً لحدودِ اللهِ وجعلَهُ مقيماً للجهادِ في سبيل الله وجعلَهُ حامياً لثغور المسلمين يجتمعونَ عليه ويأتمرونَ بأمرِهِ وينقادونَ لطاعتهِ إلاّ في معصيةِ اللهِ فإنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم يقولُ «**لا طَاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ**»[١]. ومعنى ذلكَ أنْ تجتنبَ المعصيةَ وأنْ تطيعَهُ فيما عَدَاها مِمَّا لَيْسَ هُوَ مِن معصيةِ اللهِ سبحانَهُ وتعالَى، ولهذا يقولُ السلفُ: لا دينَ إلاَ بجماعةٍ ولا جماعةَ إلاَّ بإمامةٍ، ولا إمامةَ إلا بسمعٍ وطاعةٍ. فالإمامُ لَهُ أهميةٌ عظيمةٌ ولهذا لَمّا تُوفِي النبيُّ ﷺ بادَرُوا بمبايعةِ الخليفةِ من بعدهِ قبلَ أنْ يُجَهزُوا الرسولَ ﷺ ويدفنُوهُ. ما جهزوا الرسولَ وغسلُوه وكفنُوهُ ودفنُوهُ إلاَّ بعدَ أنْ بايعُوا الخليفةَ مِنْ بعدِهِ. مِنْ أجلِ أَنْ تتمَّ مصالحُ المسلمينَ ولا يحصلُ نزاعٌ ولا فرقةٌ ولا اختلافٌ، وأوصَى ﷺ عندَ الفتنِ بالرجوعِ إلى سنةِ الرسولِ ﷺ والاعتصامِ بها. ومِنَ الاعتصامِ بسنةِ الرسولِ ﷺ طاعةُ ولاةِ أمورِ المسلمينَ عندَ الاختلافِ ولهذا لمّا أخبرَ النبيُّ ﷺ حذيفةَ بنَ اليمانِ رضيَ اللهُ عَنْهُ مِمّا يحدثُ من الفتنةِ قالَ حذيفةُ بِمَا تأمرُني إنْ أدركَنِي ذلِكَ؟ قالَ: «**أنْ تلزمَ جماعةَ المسلمينَ وإمامَهم. قلتُ: أرأيتَ إنْ لَمْ يكُنْ لَهُمْ جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قالَ: أَنْ تعتزلَ تلكَ الفرقَ كلَّها ولو أنْ تعضَّ على أصلِ شجرةٍ حتى يأتيكَ الموتُ وأنتَ على ذلكَ**»[٢]. ففي هذهِ الآياتِ والأحاديثِ الحثُّ على اجتماعِ الكلمةِ والنهيُّ عَنِ التفرقِ والاختلافِ والتنازعِ وإذا حصلَ نزاعٌ فإنَّهُ يردُّ إلى كتابِ اللهِ وإلى سنةِ رسولِ اللهِ والَّذي يتولَّى ذلِكَ هُمْ أهلُ العلمِ فيردُّ الأمر إليهم وهُمْ يحمكُون بكتابِ اللهِ وسنةِ رسولِ اللهِ وينهوْنَ النزاعَ والاختلافَ ثم يرضَى كُلٌّ من الطرفينِ بحكمِ اللهِ ورسولِهِ، ولَيْسَ مِنْ شرطِ

---

(١) أحمد (١٠٤٢)، ابن ماجة (٢٨٥٦) [مقارب].

(٢) البخاري (٣٣٣٨)، مسلم (٣٤٣٤)، ابن ماجة (٣٩٦٩).

ولي الأمرِ أنْ يكونَ معصوماً لا يقعُ منه خطأٌ ولا تقعُ منه معصيةٌ لَيْسَ هذا بشرطٍ فهو بشرٌ يخطيءُ ويصيبُ وتقعُ منه بعضُ المَعَاصِي ومَعَ هذا أمَرَنَا رسولُ اللهِ ﷺ أَنْ نسمعَ ونطيعَ إلاَّ إذا رأينا كفراً بواحاً عندنا فيه من اللهِ سُلْطَانٌ، فإذا بلغَ إلى الكفرِ البواحِ، الكفرِ الأكبرِ، فإنَّهُ حينئذٍ لا بيعةَ لَهُ، ولكنْ مَنْ الذي يحُكمُ بكفرهِ؟ لا يحكُم بكفرهِ إلاَّ الراسخُون في العلمِ الذينَ يصدرونَ عن كتابِ اللهِ و سنةِ رسولِ اللهِ ولا يصدرُونَ عن الأهواءِ. أمَّا ما يقعُ من ولِي الأمرِ من الخطَأ أوْ منَ المعصيةِ التي هي دونَ الكفرِ فإنَّ هذا لا يسوغُ الخروجُ عليه ولا يسوغُ شقٌ عَصَا الطاعةِ بَلْ يجبُ طاعتُهُ وإن كانَ عاصياً، وإن كانَ مرتكباً لكبيرةٍ دُونَ الشركِ، فإنَّ ضررَ معصيتِهِ عليهِ وضررَ مخالفتِهِ والخروجِ عليه يكونُ على المسلمينَ، وإنْ كانَ عندَهُ معصيةٌ أخفُّ مِنَ المضارِ التي تترتبُ على الخروج عليه من سفكِ الدماءِ وضياعِ الأمنِ وتسلطِ الكفارِ وحصولِ الخوفِ على المسلمينَ، فيُصَبرُ عليه وإن كانَ عاصياً معصيةً لا تصلُ إلى حدِّ الكفرِ، وكذلِكَ يجبُ عليكَ أنْ تطيعَهُ ولو كانَ ظالماً ولو أخَذَ مالَكَ وسلبَ ظهركَ كما قال النبي ﷺ: «**اسْمعْ وأطعْ وإنْ أخَذَ مالَكَ وضَربَ ظهرك**»[1] لأن هذهِ المسألَةَ مسألةَ الظلمِ وضربَ الظهرِ وأخذَ المالِ مضرةٌ جزئيةٌ ولكنْ الخروجَ عليه مضرةٌ عامةٌ تعمُّ المسلمينَ وتفسدُ الأمرَ ويحصلُ بسببِها مِنَ المضارِّ العظيمةِ ما لا يعلمُهُ إلاَّ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى ومنَ المعلومِ أنَّ مِنْ قواعِدِ الدينِ ارتكابُ أخفِّ الضررَيْن لدفعِ أعلاهُما، وكذلِكَ لا تكُنْ طاعتكَ لولي الأمرِ فيما ترضَى أو تحبُّ فقطْ بَلْ تطيعُه فيما تحبُّ وفيما تكرَهُ، تطيعُهُ في عسرِكَ ويسرِكَ وأثرةٍ عليكَ، في منشطِكَ ومكرهِك،

---

(١) مسلم (٣٤٣٥)، أبو داود (٣٧٠٦).

تطيعُهُ إن أعطَاكَ وتطيعُهُ إِذَا لَمْ يعْطِكَ، قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [التوبة: ٥٨] فرضَاهُم عَن وليِّ الأمرِ إنَّما هُو لطمعِ نفوسِهم فإذا أعطُوا شيئاً رضوُا وإذا لَمْ يُعْطَوا شيئاً سَخِطُوا عليهِ وتكلموا فيهِ ونابذُوهُ هذه طريقةُ أهلِ النفاقِ والعياذُ باللهِ، وقالَ ﷺ: «تَعِسَ عبدُ الخميصةِ تعسَ عبدُ الدينارِ والدرهمِ إنْ أُعطيَ رضيَ وإنْ لم يعطَ لم يرضَ»(١). فهذه علامةُ أهلِ النفاقِ أنَّهم لا يطيعونَ ولاةَ الأمورِ إلاَّ إذا كانَ لهم طمعٌ وأمَّا إذا لَمْ يكُنْ لهم طمعٌ دنيويّ فإنهمُ يعصونَ ولاةَ الأمورِ، أمّا المؤمنُ فإنه يطيعُ ولي الأمرِ سواءٌ أعطاهُ أو لَمْ يعطِهِ. سواءٌ أرضاهُ أو لَمْ يُرضِهِ، طاعةٌ للهِ وطاعةٌ لرسولِهِ وجمعاً للكلمةِ وارتكاباً لأخفِّ الضررَينِ لدفعِ أعلاهُما، فهذا أمرٌ يجبُ على المسلمينَ أن يتنبَّهُوا لَهُ. وقالَ ﷺ: «الدينُ النصيحةُ، الدينُ النصيحةُ، الدينُ النصيحةُ ـ ثلاثَ مراتٍ ـ قلنا لمنْ يا رسولَ اللهِ؟ قال: للهِ ولكتابهِ ولرسولِهِ ولأئمة المسلمينَ وعامتِهم»(٢). النصيحةُ لأئمةِ المسلمينَ بأنْ تنصَحَ لهُم في جميعِ الأمورِ، تنصحَ لهم في الطاعةِ فلا تعصِيهم فإنّ معصيتَهم خيانةٌ ولَيْسَتْ نصيحةٌ، تنصحُ لهم بالقيامِ بالأماناتِ والوظائفِ والأعمالِ التي يكلُونَها إليكَ فتؤدِّيها على الوجهِ المطلوبِ هذا من النصيحةِ لولاةِ الأمورِ لأنَّهم ائتمنوكَ على هذا العملِ وعلى هذهِ الوظيفةِ وعَلَى هذَا الأمرِ فالواجبُ عليكَ أن تؤدِّيَه على الوجهِ المطلوبِ. ومن النصيحةِ لولاةِ الأمورِ، الدعاءُ لهم بالصلاحِ والاستقامةِ لأنَّ صلاحَهم صلاحٌ للمسلمينَ، فعليكَ أنْ تدعُو لهم بالصلاحِ، قالَ

---

(١) البخاري (٢٦٧٣)، ابن ماجة (٤١٢٥).

(٢) الترمذي (١٨٤٩)، مسلم (٨٢)، أحمد (١٦٣٣٢)، النسائي (٤١٢٦)، أبو داود (٤٢٩٣).

بعضُ السلفِ: إذا رأيتَ الرجلَ يدعُو لولاةِ الأمورِ فاعلمْ أنَّهُ صاحبُ سنةٍ، وإذا رأيتَ الرجلَ يدعُو على ولاةِ الأمورِ فاعلَمْ أنَّهُ صاحبُ بدعةٌ. فمِنَ النصيحةِ لهم أَنْ تدعُو لَهُم، قالَ الفضيلُ بنُ عياضٍ ـ رحمه الله: لو أعلمُ أنَّ لي دعوة مستجابةً لصرفتها للسلطانِ. لأنَّ السلطانَ إذا صَلَحَ أصلَحَ اللهُ بهِ المسلمينَ وأَصْلَحَ اللهُ بهِ الأمورَ فيدعَى له بالصلاحِ أمّا الذينَ يدعُونَ على الولاةِ فهولاءِ أصحابُ بدعةٍ وهؤلاءُ يريدون الشرَّ بالمسلمينَ ولا يريدونَ اجتماعَ المسلمينَ ولا يريدُونَ صلاحَ المسلمينَ وهذاخروجٌ. لأنَّ الخروجَ على وليِّ الأمرِ يكونُ بالاعتقادِ ويكونُ بالكلامِ ويكونُ بالفعلِ. وإنْ كانُوا يزعُمون أنَّ هذا من إنكارِ المنكرِ ولكنْ هذا هو المنكرُ نفسُهُ، الدعاءُ على ولاةِ الأمورِ هو المنكرُ نفسُهُ وإنْ كانُوا يزعُمونَ أنَّهُ من إنكارِالمنكرِ. فهذا واجبٌ عظيمٌ يجبُ عَلَىٰ المسلمينَ أنْ يعرفُوا هذه الأصولَ وأنْ يتمشُّوا عليها ولا يغترّوا بكثرةِ القيلَ القال والثرثرةِ من بعضِ الجهالِ أو بعضِ المغرضين الذينَ لَيْسَ لَهُمْ هَمٌّ إلا الوقيعةَ في أعراضِ المسلمينَ عموماً وفي أعراضِ ولاةِ الأمورِ خصوصاً فإنَّ هؤلاءِ مفسدُونَ في الأرضِ، هؤلاءِ نمَّامُونَ مغتابونَ يجبُ الحذرَ منهم، هؤلاءُ يبغضُونَ الراعِي إلى الرعيةِ ويبغضونَ الرعيةَ إلى الراعِي ويسعوْنَ في الأرضِ فساداً واللهُ لا يحبُّ المفسدِينَ، أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٥٥﴾ [النور: ٥٥]. باركَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ.

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ على فضلِهِ وإحسانِه، وأشكرهُ على توفيقِهِ وامتنانهِ وأشهدُ ألاّ إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ تعظيماً لشأنِهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُه صلّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابِهِ وسلّم تسلّيماً كثيراً، أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ، اتقُوا اللهَ تعالى واعلمُوا أنَّ اللهَ ما أمرَنَا بطاعةِ ولاةِ أمورِنَا وما أمرنَا بها الرسولُ ﷺ إلاَّ لمصالح عظيمةٍ، وما نهاناَ عن معصيةِ ولاةِ أمورِنَا إلاَّ لِمَا في ذلكَ من المضارِّ العظيمةِ. أنتُم تقرؤونَ في التاريخِ وتسمعونَ الوقائعَ الآنَ وترونَها. الذين خرجُوا على ولاةِ أمورِهم وشقُّوا عصَا الطاعةِ وأزالُوا ولاتَهم ماذا حصَلَ عليهم مِنَ النكباتِ؟ ماذا حصلَ عليهم من سَفْكِ الدماءِ؟ ماذا حَصَلَ عليهم من اختلالِ الأمنِ؟ ماذا حَصَلَ في بلادِهم من النَّهبِ السَّلبِ؟ ماذا حَصَلَ عليهم من تدخلِ الكفارِ في بلادِهم وتسلّطِهم عليهم؟ ولو أنَّهُم استقامُوا مع ولاةِ أمورِهم ونصحُوا لَهُم وكانُوا أمةً واحدةً لهابَهم العَدُو ولانتظمتْ أمورُهم، تقرؤونَ ما حَصَلَ من الفتنةِ العظمىٰ لمَّا قامَ أناسٌ مِنَ الأوباشِ والسفلةِ بقيادةِ يهودِيٍّ يقالُ لَهُ ابنُ سبأ، لما قامُوا على الخليفةِ الراشدِ عثمانَ بنِ عفانَ رضيَ اللهُ عنهُ وقتلُوهُ ماذا حصلَ بالمسلمينَ من النكباتِ التي يعانُونَ مِنْها إلى الآنَ؟ ماذَا حصلَ مع كلِّ أمةٍ خلعتْ ولِّي أمْرِها وعصتْه وأزالتْ ولايتَه؟ ماذا حَصَلَ لهم مِمَّا تسمعُونَ وتقرؤُون وتشاهدُونَ الآنَ؟ أزالُوا ولاةَ أمورِهم فماذا حلَّ بهم؟ لا يزالُونَ إلى الآنَ يعانُونَ من الويْلاتِ ومن الحروبِ الأهليةِ بينهَم الحروبَ الداخليةِ ومِنْ الحروبِ مِنْ أعدائِهم ومن اختلالِ الأمنِ، ومِنْ نهبِ الأموالِ،

ومن هدمِ البيوتِ، وغيرِ ذلكَ من العقوباتِ. فلا يستقيمُ أمرُ المسلمينَ إلاّ بجماعةٍ ولا تستقيمُ لهم جماعةٌ إلا بسمعٍ وطاعةٍ لوليِّ أمرِهم، فليتقِ اللهَ أولئكَ الذينَ يحّرشُونَ ويتكلمونَ في ولاةِ الأمورِ في مجالِسِهم وفي منابرِهم وفِي الأشرطةِ يحرشُونَ ويسبُّون ولاةَ الأمورِ ويكفرونَهُم هؤلاءِ من المفسدِينَ في الأرضِ الذينَ يجبُ الأخذُ على أيدِيهم قبلَ أنْ يستفحلَ الأمرُ ويستعصِيَ العلاجُ، فإنَّ هذا لَيْسَ هو شأنُ المسلمينَ. شأنُ المسلمينَ أنَّهمُ يتناصَحون بينَهم النصيحةَ اللائقةَ بلا تشهيرٍ ولا تعييرٍ وبلا غِيبةٍ وبلا إشاعةٍ للفاحشةِ، فطريقُ المسلمينَ النصيحةُ اللائقةُ المفيدةُ وأمَّا الكلامُ في آحادِ الناسِ في المجالسِ فإنَّما هو غِيبةٌ محرمةٌ فكيفَ إذا كانَ هذا الكلامُ في ولاةِ الأمورِ، إذاكانَ هذا الكلامُ في العلماءِ الذينَ هُمْ قدوةُ الأمِة، ألاَ يسبِّبُ هذا تشتتَ الأمةِ وتباغضِها؟ ألاَ يسببُ هذا الأمرُ انفلاتَ الأمرِ في النهايةِ؟ ألاَ يسببُ شراً كثيراً؟ فعلى هؤلاءِ أن يتقُوا اللهَ في أنفسِهم وفي مجتمعِهم، عليهم أنْ يتوبُوا إلى اللهِ. قالَ ﷺ «فمَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليقلْ خَيْراً أو ليصمُتْ»[1]. ثم اعلمُوا عبادَ اللهِ أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ. . .

---

(١) البخاري (٥٥٥٩)، مسلم (٦٧)، الترمذي (٢٤٢٤)، أبو داود (٤٤٨٧)، أحمد (٦٣٣٢).

في التمسُّكِ بالكتابِ والسنةِ والتحذيرِ منَ البدعِ

الحمدُ للهِ على فضلهِ وإحسانهِ. أكملَ لنا الدينَ وأتمَّ علينَا النعمةَ ورضيَ لنا الإسلامَ ديناً، وأشهدُ ألاَّ إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ في ربوبيتهِ وإلهيتهِ وأسمائهِ وصفاتهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ لا خيرَ إلاَّ دلَّ الأمةُ عليهِ ولا شرَّ إلا حذرَها منهُ صلّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ وسلّم تسليماً كثيراً. أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ اتقُوا اللهَ تعالَى، واشكرُوه على نعمةِ الإسلام قالَ اللهُ جلَّ وعَلاَ ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] هذهِ الآيةُ فيها أنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالَى رَضِيَ لنَا هذا الدينَ فعلينَا أنْ نرضَىٰ بِمَا رَضِيَ اللهُ لنا وألاّ نتنكرَ لدينِنا ونُعرضَ عَنْهُ فنُسلبُ هذه النعمةُ العظيمةُ، نعمةٌ تامةٌ ولا نقصٌ فيها «اليومُ أكلمتُ لكُم دينكم» فهو دينٌ كاملٌ وشاملٌ لمصالحِ البشريةِ منذُ بعثَ اللهُ رسولَهُ ﷺ إلى أَنْ تقومَ الساعةُ. كانتْ البشريةُ قبلَ بعثتهِ ﷺ في ضلالٍ دامسٍ، في جاهليةٍ جهلاء وضلالةٍ عمياءٍ في عقائدِهم وعباداتِهم وفي معاملاتِهم وفي جميعِ شؤونهم، كانُوا في ضلالٍ مبينٍ فمنَّ اللهُ على البشريةِ ببعثةِ هذا الرسولِ ﷺ وجعلَهُ رحمةً للعالمينَ، كما قالَ تعالَى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ وهو منةٌ على المؤمنينَ ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ فقامَ ﷺ بالدعوةِ إلى اللهِ وبقي في مكةَ ثلاثَ عشرةَ سنةً يدعُو الناسَ إلى التوحيدِ وإلى إفرادِ اللهِ بالعبادةِ وتركِ عبادةِ ما سواهُ ولَقِي في سبيلِ ذلِكَ مَا لَقِي من أشدِّ الأذىٰ من المشركِينَ وصبرَ عليه الصلاةُ

والسلامُ ثم إنَّ اللهَ جلَّ وعَلاَ فرضَ عليهِ الصَّلواتِ الخَمْسُ قَبْلَ الهجرةِ في آخرِ مدتهِ في مكةَ فرضَ اللهُ عليهِ الصَّلواتُ الخَمْسَ في اليومِ والليلةِ ليلةَ المعراجِ، لمَّا عرجَ بهِ ﷺ إلى السماءِ فرضَ اللهُ عليه الصَّلواتُ الخَمْسَ فصَلَّىٰ رسولُ اللهِ ﷺ وأصحابهِ في مكةَ ثُمَّ إنَّ الله أَذِنَ لَهُ وللمسلمينَ بالهجرةِ إلى المدينةِ فلمّا استقرَّ في المدينةِ فُرِضَتْ الزكاةُ التي هي قرينةُ الصلاةِ ثم فُرضَ الصيامُ صيامُ شهرِ رمضانَ ثُمَّ فُرِضَ الجهادُ في سبيلِ اللهِ ثُم فرضَ الحجُّ إلى بيتِ اللهِ الحرامِ وبذلِكَ تكاملتْ أركانُ الإسلامِ فأنزلَ اللهُ تعالَى على رسولِهِ ﷺ وهو واقفٌ بعرفةَ يومَ الجمعةِ في حجةِ الوداعِ أنزلَ اللهُ عليهِ هذه الآيةَ ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] ثُمَّ إِنَّهُ ﷺ بقي بعد نزولِ هذهِ الآيةِ واحداً وثمانينَ يوماً ثم توفاهُ اللهُ ولحقَ بالرفيقِ الأعلىٰ عليه الصلاةُ والسلامُ وتركَ الأمةَ على هذا الدينِ تركَهَا عَلَىٰ المحجةِ البيضاءِ لا يزيغُ عَنْهَا إلا هالِكٌ. وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ «إنِّي تاركٌ فيكُم مَا إنْ تمسكتُم بهِ لَنْ تضلُوا بعدِي كتابَ اللهِ وسنتِي»[1] وعظَ ﷺ أصحابَهُ بعدَ صلاةِ الفجرِ موعظةً بليغةً ذرفتْ منها العيونُ ووجلَتْ منها القلوبُ فقالُوا: يا رسولَ اللهِ كأنَّها موعظةُ مودعٍ فأوْصِنَا. قالَ: أوصيكُم بتقوىٰ اللهِ والسمعِ والطاعةِ وإنْ تأمَّرَ عليكُم عبدٌ فإنَّهُ مَنْ يَعِشْ منكُم فسيرَىٰ اختلافاً كثيراً فعليكُمْ بسُنَّتِي وسنةِ الخلفاءِ الراشدينَ المهديينَ منْ بعدِي تمسكُوا بها وعَضُوا عليها بالنواجذِ. وإياكُم ومحدثاتِ الأمورِ. «فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ»[2] فهذا الدينُ وللهِ الحمدُ كاملٌ تامٌ لا يحتاجَ إلى زيادةٍ فلا يجوزُ أنْ يُزادَ عليهِ ولا يجوزُ أنْ ينقصَ منهُ بَلْ هو دينُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ الذي رضيهُ

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١١٤) (بلفظ مقارب).
(٢) أبو داود (٣٩٩١)، ابن ماجة (٤٢)، أحمد (١٦٥٢١)، الدارمي (٩٥).

للمسلمينَ، فيجبُ على المسلمينَ أنْ يتمسَّكُوا بهذا الدينِ، وأنْ يحافِظُوا عليهِ وأنْ يتجَنَّبُوا البدعَ، والبدعةُ هي ما زِيدَ في الدينِ مِمَّا لَيْسَ هو منهُ من العباداتِ أو الأذكارِ أو غيرِ ذلِكَ من أنواعِ التقربِ الذي لَمْ يشرعْهُ اللهُ ولا رسولُهُ فإنَّهُ بدعةٌ، قالَ ﷺ «مَنْ عملَ عَملًا ليسَ عليهِ أمرُنا فهو رَدٌّ»[1] وفي رواية «مَنْ أحدثَ في أمرِنا هذا ما لَيْسَ منهُ فهوَ ردٌّ» ولَوْ كانتْ نيةُ صاحبِ البدعةِ حسنةً ويريدُ الأجرَ فإنَّ النيةَ لا تسوغُ للإنسانِ أنْ يزيدَ في الدينِ ما لَيْسَ منهُ. فإنَّهُ يكونُ مبتدعاً ضالاً كَمَا قالَ ﷺ: فإنَّ كُلَّ محدثةٍ بدعةٌ وكُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ. هذا الدينُ فيهِ البركةُ وفيهِ الخيرُ وفيهِ الكفايةُ فَلَيْسَ بحاجةٍ إلى أنْ يزادَ عليهِ أو ينقصَ منهُ، والذي عندهُ رغبةٌ في الخيرِ ومحبةٌ للعبادةِ يجدُها في هذا الدينِ الكاملِ الشاملِ. ولا يذهبَ إلى إحداثِ شيءٍ لَمْ يشرعْهُ اللهُ ولا رسولُه. أو يقتدِي بفلانٍ أو علانٍ ممن ابتدعَ في دينِ اللهِ ما لَيْسَ منهُ فإنَّ القدوةَ هو رسولُ اللهِ ﷺ قالَ تعالَى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر: ٧] إنَّ كثيراً ممنْ زينَ لهم الشيطانُ البدعَ والمحدثاتِ صارُوا يدعُونَ إلى البدعِ ويتلمسُونَ لها الأدلةَ ولو كانتْ أدلةً باطلةً اخترعَتْ من عندِ أنفسِهم وكَذَبُوا على رسولِ اللهِ ﷺ فيها. لكِنْ لا يهمَهم هذا مَا دامَ أنَّها توافقُ أهواءَهم فإنَّهم يعتبرُونَها أدلةً صحيحةً ويتركُونَ الأدلةَ الثابتةَ من كتابِ اللهِ ومِنْ سنةِ رسولِهِ ﷺ ويذهبُونَ إلى الشبهاتِ وإلى الأحاديثِ المكذُوبةِ والموضوعةِ والأحاديثِ الضعيفةِ فيبنونَ منها حجةً ويقيمُونَ منها ديناً يتدينُونَ للهِ بهِ، هذه طريقتُهم كَفَىٰ اللهُ شرَّهُم وردَّ كيدَهم في نحورِهم فإنَّ هذا الدينَ لا يزالُ يُكَادُ لَهُ من أعدائِهِ الكفرةِ ومن المنافقينَ ومن

---

(١) البخاري (٢٠٣٤)، مسلم (١٧١٨).

المبتدعةِ ولكنْ يَأْبَىٰ اللهُ ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢]. فعلى المسلمينَ أنْ يتنبَّهُوا ويحذَرُوا من البدعِ جميعِها لا خيرَ فيها، وأيُّ فعل وأيّ قولٍ لَيْسَ لَهُ دليلٌ من كتابِ اللهِ أو سنةِ رسولِ اللهِ ﷺ فإنهُ بدعةٌ ومحدثٌ في دينِ اللهِ عزَّ وجلَّ ولَوْ فعلَهُ مَنْ فعلَهُ أو قالَهُ مَنْ قالَهُ. فكلٌّ يُؤخذُ من قولِهِ ويردُّ إلا رسولَ اللهِ ﷺ فهو المبلغُ عَنْ اللهِ عزَّ وجلَّ ولَمْ يتركْ شيئاً من الدينِ إلا بيَّنَهُ لأمتهِ ولمّا تكاملَ البيانُ وتكاملَ الإسلامُ وتكاملَ الدينُ انتقلَ الرسولُ ﷺ إلى جوارِ ربهِ وأَوْصَى الأمةَ في أنْ تُمسِكَ بكتابِ اللهِ وسُنةِ رسولِ اللهِ وحذَّرَهُم من البدعِ والمحدثاتِ وأخبرَ أنَّها ضلالةٌ وأخبرَ أنها في النارِ وأخبرَ أنها لا خيرَ فيها، ولَيْسَ هناكَ بدعةٌ حسنةٌ كما يقولُ أهلُ الضلالِ وإنَّما كُلُّ البدعِ كلّها ضلالٌ، قالَ ﷺ: «فإنّ كلّ محدثةٍ بدعةٌ وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ»[1] لَيْسَ هناكَ بدعةٌ حسنةٌ كما يقولُونَ، فعَلَى المسلمينَ أنَ يتنبَّهُوا إلى هذا الخطرِ العظيمِ، والمبتدعةُ اليومِ قائِمونَ على أشدِّهم يروّجونَ البدعَ ويدعُونَ إليها ليلاً ونهاراً خصوصاً لمّا جاءَتْ وسائلُ الإعلامِ والنقلِ السريعِ صارُوا يظهرُونَ في هذه الوسائلِ المرئية والمقروءة والمكتوبة ويروّجونَ البدعَ بينَ الناسِ. فيظُنها الجاهلُ أنَّها سنةٌ فيغترُ كثيرٌ من الناسِ بهذِهِ البدعِ والمحدثاتِ، إنَّنا في هذهِ الأيامِ في هذا الشهرِ شهرِ ربيعِ الأول ينشطُ أهلُ البدعةِ في اليومِ الذي يزعمُون أنَّهُ اليوم الذي وُلِدَ فيه رسولُ اللهِ ﷺ فيحتفلُونَ احتفالاتٍ بدعيةٍ ويصنعُونَ الأطعمةَ ويرددُون المدائحَ النبويةَ التي فيها غلوٌ وإطراءٌ في حقِّ الرسولِ ﷺ بَلْ مِنْهم مَنْ يشركُ باللهِ فيستغيثُ بالرسولِ ﷺ ويشكُو إليهِ الحاجةَ

---

(١) ابن حبان (١/ ١٧٩)، المستدرك على الصحيحين (٣٣٢)، مسند أحمد (٤/ ١٢٦).

فيشركُون باللهِ. وهكذا البدعُ تجرُّ إلى الشرِّ وتجرُّ إلى الشركِ بخلافِ السنةِ فإنَّها تدعُو إلى الخيرِ وإلى التوحيدِ وإلى كُلِّ صلاحٍ وفلاحٍ للبشريةِ. وهؤلاءِ ينشطُونَ في إحياءِ هذه البدعةِ ويتواصُونَ بها ويقيمونَها في المساجدِ أو في البيوتِ أو في الفنادقِ ويسخرُونَ لها وسائلَ الإعلامِ التي تنقلَها بالصوتِ والصورةِ إلى أرجاءِ العالمِ فيشاهدُها الناسُ فيظنُ الجاهلُ أنَّها شيءٌ حسنٌ وأنَّها محبةٌ للرسولِ ﷺ فيغترَّ بِهَا والنبيُّ ﷺ حذَّرَ أمتَهُ من الغلوِ في حقهِ ﷺ. قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «**لا تُطروني كما أطرتْ النصارَى بنَ مريمَ إنَّما أنا عبدٌ فقولُوا عبدُ اللهِ ورسولُه**»[1]. والإطراءُ هو الزيادةُ في المدحِ والغلوُ في المدحِ، وإنَّما يمدحُ ﷺ بهذينِ الأمرينِ وهُمَا أنَّهُ عبدُ اللهِ ورسولُه هذانِ أعظمُ وصفٍ لَهُ ﷺ أَنهُ عبدُ للهِ عزَّ وجلَّ وأنهُ رسولُ اللهِ. وكفَىٰ بذلِكَ شرفاً أمَّا أنْ يطلبَ منهُ أنْ يقضِي الحاجاتِ ويفرجَ الكرباتِ ويغيثَ المستغيثِينَ فهذا شركٌ باللهِ ودعوةٌ لغيرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فاللهُ لا يرضَى أنْ يُشركَ معهُ في عبادتهِ أحدٌ لا مَلكٌ مقربٌ ولا نبيٌ مرسلٌ، ولمّا وفدَ على رسولِ اللهِ ﷺ وفدٌ من العربِ فقالُوا: يا رسولَ اللهِ، يا خيرَنا وابن خيرِنا وسيدَنا وابن سيدِنا. قالَ: «**قولُوا بقولِكُم أو بعضِ قولكم إنَّما أنا عبدُ اللهِ ورسولُهُ. لا ترفعُونِي فوقَ منزلتِي التي أعطانِي اللهُ عزَّ وجلَّ**»[2]. وجاءَهُ قومٌ من أصحابهِ آذَاهُم منافقٌ من المنافقينَ فذهبُوا إلى النبيِّ ﷺ وقالُوا: قومُوا بنَا نستغيثَ برسولِ اللهِ ﷺ من هذا المنافقِ. فقالَ ﷺ: **إنهُ لا يستغاثُ بي وإنَّما يستغاثُ باللهِ**. فالنبيُّ ﷺ كَرِهَ أنْ يمدحَ ولو بِمَا هو متصفٌ بهِ وما هو من صفاتهِ خشيةً على الناسِ من الغلوِّ في حقهِ ﷺ وهذا من بابِ سدِّ الذرائعِ التي تُفْضِي إلى

---

(١) ابن حبان (٢/ ١٤٧)، البخاري (٣٢٦١) [بلفظ مقارب].
(٢) مسند أحمد (٣/ ٢٤٩) [مقارب].

الشركِ أو الكفرِ أو البدعةِ فلَمْ يرضَ ﷺ أَنْ يبالغَ في مدحهِ عليه ولا أنْ يوصفَ بأنهُ سيدٌ بحضورهِ ولا يقالُ أنتَ خيرُنا وأنتَ أفضلُنا وإن كانَ هو كذلكَ عليه الصلاةُ والسلامُ هو خيرُنا وهو أفضلُناوهو سيدُنا ولكنَّهُ أرادَ أنْ يسدَّ البابَ حتى لا يزادَ في هذا الأمرِ الذي يحصلُ الغلو والإفراطِ في حقهِ ﷺ فكيفَ بالذينَ يستغيثونَ بهِ في حفلاتِهم ويستنجدُونَ بالرسولِ ﷺ ويَشْكُونَ إليهِ أحوالَهم وينسوْنَ اللهَ عزَّ وجلَّ فلا يستغيثُونَ باللهِ ولا يستجيرُونَ باللهِ ولا يدْعُونَ اللهَ وإنَّما يستغيثونَ بالرسولِ في هذهِ الحفلةِ المبتدعةِ، وكذلِكَ الشرُّ لاَ يَأْتِي إلاَّ بشرٍّ فهذهِ الاحتفالاتُ شرٌّ وبدعةٌ وضلالٌ وما يجرِي فيها كلّهُ شرورٌ وأمورٌ منكرةٍ يكفِي ما رفعَ اللهَ بهِ عليه الصلاةُ والسلامُ فقالَ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: ٤] فيذكرُ في الآذانِ وفي الإقامةِ وفي الخطبِ يَكْفِي هذا شرفاً للرسولِ ﷺ. أمَّا أنْ يرفعَ ذكرُهُ في البدعِ والمحدثاتِ فهذا ضلالٌ مبينٌ ووسيلةٌ إلى الشركِ وإن كانُوا يزعمُونَ أنَّ إقامةَ هذه الحفلاتِ الميلاديةِ أنَّها من أجلِ محبةِ الرسولِ ﷺ، محبةُ الرسولِ ﷺ واجبةٌ لا شكَ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «لا يؤمنَ أحدكُم حتى أكونَ أحبَّ إليهِ مِنْ ولدهِ ووالدهِ والناسِ أجمعِينَ»[1] فهو أحبُّ إلينا من كلِّ أحدٍ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ولكِنْ المحبةُ لا تسوغَ إقامةَ البدعِ ويقالُ إنَّ هذهِ محبةٌ للرسولِ ﷺ لأنَّ الرسولِ لا يرضَى بهذا وقد نَهى عنهُ ومَنْ خالفَ الرسولَ عليه الصلاةُ والسلامُ فقدْ أغضبَهُ وقد أبغضَهُ لأنَّهُ لَوْ كانَ يحبُّ الرسولَ ﷺ لاتبعَهُ وتركَ ما نَهي عنْهُ، الَّذي يحبُّ الرسولَ ﷺ يفعلُ مَا أمرَ بهِ ويتركَ ما نَهى عنهُ فإذَا فَعَلَ ما نَهى عَنهُ الرسولُ ﷺ فهذا دليلٌ على أنَّهُ لا يحبُّ الرسولَ ﷺ ولا يحبُّ ما

يُحبُّهُ الرسولُ ﷺ، هَلْ هُمْ يحبُّونَ الرسولَ ﷺ أكثرَ من محبةِ أَبي بكرٍ وعمرَ وعثمان وعليٍّ والصحابةِ؟ لا واللهِ. لا أحدٌ يحبُّ الرسولَ أكثرَ مما يحبُّهُ الخلفاءُ الراشدونَ وصحابتُهُ الأكرمُونَ ولَمْ يقيمُوا احتفالاً في يومِ مولدِهِ ﷺ، ومضتْ القرونُ الأربعةُ القرنُ الأولُ، القرنُ الثاني، القرنُ الثالثُ، القرنُ الرابعُ، من قرونِ الإسلامِ ولَمْ يحدُثْ أنْ يقامَ للرسولِ ﷺ احتفالٌ بمولدِهِ وإِنَّما حدثَ هذا بعدَ المئةِ الرابعةِ أحدَثَهُ الشيعةُ الفاطميُونَ لما استولُوا على بعضِ بلادِ المسلمينَ أحدثُوا هذه الموالدِ وقلَّدهُم من قلَّدهُم من جهلةِ المسلمينَ وظنُّوا أنَّ هذا وفاءً بحقِ الرسولِ ﷺ وتشبَّهُوا بالنصارَىٰ الذينَ يحتفلُونَ بميلادِ المسيحِ حتى قالَ بعضُهم: إذا كانَ النصارَىٰ يحتفلُونَ بمولدِ المسيحِ أَلاَ نحتفلُ بمولدِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ لأنَّهُ أفضلُ من المسيحِ! فنقولُ احتفالُ النصارَى بدعةٌ لَمْ يشرعْها المسيحُ عليه الصلاةُ والسلامُ ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ﴾ [المائدة: ٧٢] المسيحُ عليه السلامِ أمرَ بَنِي إسرائيلَ أن يعبدُوا اللهَ عزَّ وجلَّ: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢] ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٧] هذا قولُ المسيحِ عليه السلامُ، فهم أحدثُوا الاحتفالَ بمولدِهِ بَلْ زادُوا على ذلِكَ حتى قالُوا إِنَّهُ اللهُ أو ابنُ اللهِ أو ثالثُ ثلاثةٍ، تعالَى اللهُ عمَّا يقولُون، قَدْ نُهينا عَنْ التَشبُّهِ بهم. قالَ ﷺ: «مَنْ تشبَّهَ بقومٍ فَهُوَ مِنْهم»(١) ولكِنْ هؤلاءِ إِمّا أَنَّهُم لا يعقلُونَ وإِمّا أَنَّهم يتعمدُونَ التضليلَ

(١) أبو داود (٤٠٣١)، مسند الشهاب (٣٩٠)، تفسير ابن كثير (١/١٤٩).

والكذبَ على الناسِ. نسألُ اللهَ العافيةَ فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ واحذرُوا من البدعِ ولا تتساهلُوا فيها ولا تستحسنُوا شيئاً منها فإنَّها ضلالٌ وشرٌّ «كُلُّ بدعةٍ ضلالةٌ»(١) فاحذرُوا مِنْها، أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١]. باركَ اللهُ لِي ولَكُم في القرآنِ العظيمِ.

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ على فضلهِ وإحسانهِ. وأشهدُ ألاَّ إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ. بَلَّغَ الرسالةَ وأدىٰ الأمانةَ ونصحَ الأمةَ وجاهدَ في اللهِ حقَّ جهادهِ حتى أتاهُ اليقينُ من ربِّهِ فتركَ أمتَهُ على المحجةِ البيضاءِ ليلَها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ وسلَّم تسليماً كثيراً. أمّا بعدُ:

عبادَ اللهِ، اتقُوا اللهَ تعالَى واعلمُوا أنَّ البِدَعَ شرٌّ كُلّها لا خيرَ فيها لأنَّها تجرُّ إلى الشركِ، تجرُّ إلى الكفرِ، تشغلُ الناسِ عن طاعةِ اللهِ وعَنْ إحياءِ السُّننِ فلا تجتمعَ سنةٌ وبدعةٌ وما أحدثَ الناسُ بدعةً إلاَّ رفعَ من السنةِ مثلُهَا وهذا مِنَ العقوبةِ أنّ الإنسانَ يحرمُ من العملِ بالسنةِ ويجتهدُ في العملِ بالبدعِ والمحدثاتِ، ولهذا يقولُ السلفُ رحمَهم اللهُ: اقتصادٌ في سنةٍ خيرٌ من اجتهادِ في بدعةٍ. والبدعةُ أحبُّ إلى الشيطانِ من المعصيةِ كالزِّنى والسرقةِ وشربِ

---

(١) أبو داود (٣٩٩١) ابن ماجة (٤٢).

الخمرِ، لماذا؟ لأنَّ المعاصِي يعلمُ صاحبُها أنَّها محرمةٌ ويأتِيها وهو يعلمُ أنَّها حرامٌ فيتوبَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ فهو قريبٌ من التوبةِ لأنَّهُ يخافَ من اللهِ وأنْ يعاقبَ بذنبِهِ أمَّا البدعةُ فصاحبُها يَرَىٰ أنهُ على حقٍّ، وأنهُ على صوابٍ ويزينُ لَهُ الشيطانُ ذلِكَ فلا يتوبَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، ولهذا قلَّ منْ يتوبُ من المبتدعةِ إلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ. وكثرَ من يتوبُ من العصاةِ، فالبدعةُ أحبُّ إلى الشيطانِ من المعصيةِ ولو كانتْ كبيرةً فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ والزمُوا كتابَ اللهِ وسنةَ رسولِ اللهِ ﷺ وما عليهِ السلفُ الصالحُ من صدرِ هذه الأمةِ الذينَ قالَ فيهم النبيُّ ﷺ «خيركُم قَرْنِي ثُمَّ الذين يَلُونَهُم ثُمَّ الذينَ يلونَهم»[1] قالَ الرَّاوي: لا أدْرِي ذكرَ بعدَ قرنهِ قرنينِ أو ثلاثةٍ ثم قالَ ﷺ ثم تحدثَ أمورٍ بعدَ القرونِ المفضلةِ ـ تحدثَ أمورٍ تنكرونَها تحدثَ شرورٌ كثيرةٌ. ومن شرِّ ما حدثَ إحياءُ البدعِ التي شغلَتْ كثيراً من الناسِ عن السُّنةِ وأبعدَتْهم عن اللهِ، فالمبتدعُ يظنُّ أنه يتقربُ إلى اللهِ وهو يبتعدُ عَنِ اللهِ. المبتدعُ يظنُّ أنه يثابُ ويؤجرُ وهو مأزورٌ، المبتدعُ يظنُّ أنهُ يرضِيَ اللهَ وهو يغضبُ اللهَ سبحانَهُ وتعالَى. قالَ اللهُ جلَّ وعَلاَ ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣ـ٢٣]. فالَّذي يريدُ الخيرَ يتبعُ هذا الرسولَ ﷺ ويقتصرُ على ما شرعَ الرسولُ ويتركَ ما نهي عنه الرسولُ، ويتركُ ما أحدثَهُ المحدِثُونَ وابتدعَهُ المبتدِعُونَ فإنَّ الخيرَ كلَّهُ في هذا الدينِ ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] فهو نعمةٌ والذي يحدثَ البدعَ يكفرُ هذه النعمةَ، ويخرجُ من هذه النعمةِ إلى غيرِها، فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ واعلمُوا أنَّ خيرَ الحديثَ كتابُ اللهِ.

---

(١) البخاري (٢٥٠٨)، مسلم (٢٥٣٥).

بمناسبةِ حادثِ التفجيرِ والتذكيرِ بأسبابه

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[سبأ: ١-٢]. وأشهدُ ألاّ إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ لَهُ الملكُ ولَهُ الحمدُ يُحيي ويميتُ وهو عَلَى كُلِّ شيءٍ قديرٌ وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ. صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً. أمّا بعدُ:

أيُّها الناسُ اتقُوا اللهَ تعالَى واشكرُوه على نعمهِ التي أنعَمَها عليكُم، فقدْ أنعمَ عليكُم بالإيمانِ والصحةِ في الأبدانِ والاستقرارِ في الأوطانِ وأدرَّ عليكُم من الأرزاقِ في كُلِّ مكانٍ فاشكرُوه على نعمهِ، كانتْ هذه البلادُ متشتتةً متفرقةً بَيْنَ قُرًى وبوادٍ كُلُّ قريةٍ يحكُمُها أميرٌ مستقلٌ وكانَ بَيْنَ القُرىٰ من الغاراتِ والقتالِ ومِنَ العدوانِ ما لا يعلَمهُ إلاّ اللهُ كما هُوَ موجودٌ في التاريخِ ومسجلٌ، وكانتْ البوادِي لا تعرفُ شيئاً عن الإسلامِ إلاّ اسمَ الإسلامِ، كانتْ تحكمُ بالأعرافِ القبليةِ وكانتْ يستحلُ بعضُها دمَ بعضٍ، كانَ يغيرُ بعضُهم على بعضٍ ويسلبُ بعضُهم بَعْضاً، ويقتلُ بعضُهم بعضاً هكذا كانتْ حالَة هذه البلادِ حاضرةً وباديةً حتى منَّ اللهُ عليها بظهورِ إمامٍ مجددٍ وعالمٍ تقيٍّ هو شيخُ الإسلامِ محمدٌ بنُ عبدِ الوهابِ رحمهُ اللهُ، فقامَ بالدعوةِ إلى التوحيدِ والأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكرِ وساعدهُ وبايعهُ على ذلكَ الأميرُ محمدِ بنُ سعودٍ رحمهُ اللهُ، وكانَ أميرَ الدرعيةِ لَيْسَ تحتَ يدهِ إلاّ الدرعيةَ وهي قريةٌ صغيرةٌ. بايعهُ على الجهادِ والدعوةِ

ثم أتبعَ القولَ بالعملِ فقامَ بالجهادِ في سبيلِ اللهِ والدعوةِ إلى اللهِ وما هي إلا برهةٌ يسيرةٌ حتى توحدَتْ البلادُ كُلُّها تحتَ إمامٍ واحدٍ وصارُوا إخوةً متحابِّينَ البادية والحاضرةَ وزالتْ الشحناءُ، وزالتْ الأحقادُ، وأشدُّ من ذلِكَ أنَّهم كانُوا في عبادتِهم وعقيدتِهم على غيرِ التوحيدِ، كانَ يوجدُ عندهُم عبادةً لغيرِ اللهِ ويعبدونَ القبورَ والأشجارَ والأحجارَ والمغاراتِ ويتبركُونَ بها كغيرِهم مِنَ البلادِ الأُخرى مِمَّا لا يزالُ إلى الآنَ في تلكَ البلادِ الأُخرى، ولكِنَّ اللهَ مَنَّ على هذهِ البلادِ بمعرفةِ العقيدةِ الصحيحةِ والتوحيدِ الخالصِ على يدِ هذينِ الإمامينِ العالمِ والمجاهدِ، العالِمُ وهو شيخُ الإسلامِ والمجاهدُ وهو الإمامُ محمدِ بن سعودٍ فتكونتْ على يدِ هذينِ الإمامينِ دولةٌ للتوحيدِ قامتْ عَلَى توحيدِ اللهِ وتحكيمِ شرعِ اللهِ والأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ حتى استقامَ لها الأمرُ وحتى زالتْ الغاراتُ والثاراتِ التي كانتْ بَيْنَ القُرى بعضِها مع بعضٍ وبَيْنَ القبائلِ بعضُها مع بعضٍ فتوحدُوا تحتَ رايةِ لا إله إلا اللهُ محمدٌ رسولُ اللهِ كما قالَ تعالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣] بماذا أَلَّفَ بينَهم؟ ألفَ بينهم بعقيدةِ التوحيدِ لا إله إلا اللهُ محمدٌ رسولُ اللهِ، وما زالتْ هذهِ البلادُ وللهِ الحمدُ على هذا المنهجِ السليمِ. ونسألُ اللهَ عزَّ وجلَّ أنْ يكتبَ لها الاستمرارَ والبقاءَ على هذا الحقِّ، وفي عهدِهَا الأخيرِ منَّ اللهُ عليها بالثروةِ والمالِ فما بخلتْ بالمالِ بَلْ كانتْ تنفقهُ في المصالحِ العامةِ للمسلمينَ، كانتْ تفتحُ المدارسَ والمعاهدَ والكلياتِ والجامعاتِ للتعليمِ على منهجِ الكتابِ والسُّنةِ كانتْ تبني المساجدَ وكانتْ تُصلحَ الطرقَ وكانت تعمرَ المساكنَ للمحتاجينَ وكانتْ تمدَّ يدَ المساعدةِ للمسلمينَ في خارجِ

هذه البلادِ فكانتْ تواسِي المنكوبينَ وتساعدُ المحتاجينَ وتبنِي المراكزَ الإسلاميةَ وترسلَ الدعاةَ وتطبعَ الكتبَ النافعةَ وتوزعُها على المسلمينَ وأعظمُها كتابُ اللهِ. ما زالتْ هذه الدولةُ وللهِ الحمدُ قائمةٌ على هذا المنهجِ السليمِ. ولكنْ ذلِكَ أغاظَ الكافرينَ والمنافقِينَ، أغاظَ الكافرِينَ والمنافقِينَ الذين لا يريدُونَ أنْ تقومَ لهذا الدينَ قائمةٌ في الأرضِ كَما قالَ تعالَى ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة: ١٠٥] وقالَ تعالَى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠] فصارَ أعداءُ اللهِ من الكفارِ والمنافقينَ يكيدُونَ لهذهِ البلادِ بشتَّىٰ الطرقِ يريدُونَ إسقاطَ هذهِ الدولةِ، ويريدُونَ إزالة هذه النعمةِ فبثُوا بِمَا استحدثُوا من وسائلِ الإعلامِ والفضائياتِ، وسائلِ الإعلامِ المرئيةِ والمسموعةِ والمكتوبةِ يبثُونَ سمومَهم ضدَّ هذه البلادِ يسبُّون حُكّامَها ويسبّونَ علماءَها ويزدرُونَ مجتمعَها، ويُلقونَ الشُبهَ تلو الشُّبهِ في قنواتِهم الفضائيةِ وفي وسائلِهم الخبيثةِ، ثُمَّ أخيراً لجؤوا إلى طريقةٍ أخبثَ وأشدَّ وهي أنَّهم يتجرُونَ بشبابٍ من شبابِ المسلمينَ فيغيرُونَ أفكارَهم ويحرفُونَ معتقدَهُم ويبغضُونَ لَهُم دولتَهم ويبغضُونَ علماءَهم ومجتمعَهم فيعودُونَ متنكرينَ لهذا المجتمعِ متنكرينَ لدولتِهم متنكرينَ لمجتمعِهم متنكرينَ حتى لآبائِهم وأمهاتهم، يدربونَهم على الأسلحةِ والمتفجراتِ ثم يرسلونَهم إلينا ليخرّبُوا بلادَنا وليزيلُوا الأمنَ الذي نعيشُ فيهِ، أرسلُوهم إلينا مدمرينَ ومخربينَ وهم من أبنائِنا كما قالَ النبيُّ ﷺ بوصفِهم: «**دعاةٌ على أبوابِ جهنمَ مَنْ أطاعَهم قذفوهُ فيها. قيلَ: صفْهُم لنا يا رسولَ اللهِ. قالَ: هُمْ قومٌ من جلدتِنا ويتكلمُونَ**

بألسنتِنا»[١]. نعم. هَا هُمْ من جلدتِنا ومن أبنائِنا ويتكلمُون بألسنتِنا يكفرُونَنا ويخرجونَنا من الدينِ ويزعمونَ أنَّهم يجاهدُونَ في سبيلِ اللهِ فيقومُونَ بالتفجيراتِ والتخريبِ في بلادِهم وبَيْنَ أهلِهم وإخوانِهم، يطعنُونَ في صميمِ الإسلامِ وهُمْ يزعمُونَ أنَّهم مسلمُونَ وأنَّهم مجاهدُونَ، فتكررَ منهم هذا العملُ الخبيثُ وآخرهُ ما حصلَ منذُ أيامٍ قريبةٍ من التفجيرِ الهائلِ الذي ذهبَ بسببِهِ أنفسٌ معصومةٌ وأموالٌ محترمةٌ، وروعوا المسلمينَ ودمرُوا وخربُوا وأولُ ذلكَ أنَّهم قتلُوا أنفسَهم بالانتحارِ والعياذُ باللهِ، وقد قالَ اللهُ تعالَى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [النساء: ٢٩ـ٣٠]. وقالَ النبيُّ ﷺ: «مَنْ قَتَلَ نفسَهُ بحديدةٍ فحديدتُه في يدِهِ يجأُ بها نفسَهُ في نارِ جهنمَ، ومَنْ قَتَلَ نفسَهُ بسمٍ فَسُمُّهِ في يدِهِ يتَحَسَاهُ في نارِ جهنمَ، ومَنْ تردىٰ مِنْ جبلٍ فقتلَ نفسَهُ فإنَّهُ يتردىٰ في نارِ جهنمَ خالداً مخلداً فيها»[٢] وقتلُوا أنفساً مؤمنةً وقَدْ قالَ اللهُ تعالَى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء: ٩٣]. وقتلُوا أنفساً معاهدةً لها ذمةُ المسلمينَ. وقد قالَ النبيُّ ﷺ «مَنْ قَتَلَ معاهداً لَمْ يرحْ رائحةَ الجنةِ» أتلفُوا أموالاً محترمةً كثيرةً هَدمُوا المبانِي وأتلفُوا الأموالَ وروعوا الآمنينَ كُلُّ ذلِكَ بتخطيطِ من الكفارِ، يذهبُونَ إلى بلادِهم باسمِ مجاهدِينَ في سبيلِ اللهِ ثم يتولاهُم الكفارُ ويدربُونَهم ويُربُونَهم على الكفرِ والإلحادِ وعلى بُغْضِ المسلمينَ وبلادِ المسلمينَ ويدربونَهم على الأسلحةِ الفتاكةِ والتفجيراتِ والتخريباتِ ثم يعودُونَ

---

(١) البخاري (٦٦٧٣)، مسلم (١٨٤٧)، سنن البيهقي الكبرى (٨/ ١٥٦).
(٢) البخاري (٥٤٤٢) [مقارب]، مسلم (١٠٩)، ابن حبان (٥٩٨٦).

إلينا غزواً، يعودونَ إلينَا جنداً من جندِ إبليسِ فيفسدُونَ في بلادِنا ويروّعُونَ المسلمينَ ويفسدُون في الأموالِ والأنفسِ. وقد قالَ اللهُ تعالَى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤ـ٢٠٦].

ومِنَ العجيبِ أنَّهم يدَّعُونَ أنَّ هذا مِنَ الجهادِ في سبيلِ اللهِ وهو إنَّما هو جهادٌ في سبيلِ الشيطانِ قالَ تعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء: ٧٦]. هَلْ الجهادُ في سبيلِ اللهِ يكونَ في تقتيلِ المسلمينَ! وفي تخريبِ بلادِ المسلمينَ وبترويعِ الآمنينَ؟! هَلْ هذا هُوَ الجهادُ في سبيلِ اللهِ؟! إنَّ هذا من قلبِ الحقائقِ وتغييرِ المفاهيمِ وغسلِ الأدمغةِ ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ ولكِنْ لا نستغربَ من هؤلاءِ فقد كانَ سلفُهم من الخوارجِ فعلُوا الأفاعيلَ بالمسلمينَ، قد حذَّرَ مِنْهُم النبيُّ ﷺ وقالَ: «**سيأتِي قومٌ تحقرونَ صلاتِكُم إلى صلاتِهم وعبادتِكُم إلى عبادتِهم يمرقُونَ من الدينِ كما يمرقُ السهمَ من الرميةِ**»[1]. وقالَ ﷺ في وصفِهم: «**يقتلُونَ أهلَ الإيمانِ ويتركُون أهلَ الأوثانِ**»[2]. وقد قامُوا بأفعالٍ شنيعةٍ وقتلُوا الخلفاءَ، قتلُوا عثمانَ رَضِيَ اللهُ عنه وقتلُوا عليًا بنَ أبي طالبٍ، وحاولُوا قَتْلَ معاويةَ وعمرو بنَ العاصِ رَضِيَ اللهُ عنهُما، حاولُوا قتلَ أكابرَ الصحابةَ من المهاجرينَ والأنصارِ ونفذُوا ما استطاعُوا تنفيذَهُ فهؤلاءِ المعاصرُونَ

---

(١) البخاري (٢٩٩٥)، ابن حبان (٧٣٨٣) [مقارب].
(٢) البخاري (٦٥٣٢) [مقارب].

الذينَ يعيشُون في عصرِنا هؤلاءِ تبعٌ لهم في هذا المذهبِ الخبيثِ مذهبِ الخوارجِ، وقد أخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّهُ لا يزالُ يخرجُ منهم من يخرجُ في مختلفِ الأزمانِ ولكِنْ أخبرَ ﷺ أنَّهُ كلّما ظهرَ لَهُم قرنٌ قطعَ والحمدُ للهِ لَمْ ينالُوا خيراً ونسألُ اللهَ سبحانَهُ وتعالَى أنْ يكفِيَنا شرَّهم وأنْ يردَّ مَكْرَهُم وأنْ يكبتَ أعداءَ الإسلامِ والمسلمينَ وأنْ يهدِيَ ضَالَ المسلمينَ والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩ ﴾ [النساء: ٥٩]. باركَ اللهُ لِي ولكُمْ في القرآنِ العظيمِ....

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ على فضلهِ وإحسانهِ، وأشهدُ ألاّ إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ وسلّم تسلِيماً كثيراً، أما بعدُ:

أيُّها الناسُ اتقُوا اللهَ تعالَى، وحافظُوا على أولادِكم، حافِظُوا على أولادِكم مِنْ صغرِهم ربّوهُم على الإسلامِ ربّوهُم على الدينِ وعلى الإخلاقِ الطيبةِ والعقيدةِ السليمةِ بادِرُوهم من الصغرِ ولا تتركُوهُم إلى أنْ يكبرُوا فإنّكُم لا تستطيعُونَ ردَّهُم، إذا كبرُوا لا تستطيعُونَ ردّهُم عن الضلالِ، أمّا مادامُوا صغاراً فإنّكُم تستطيعُون توجيهَهُم وتستطيعُونَ المحافظةَ عليهم قالَ ﷺ «مُرُوا أولادَكُم بالصلاةِ وهُمْ أبناءُ سبعِ سنينَ واضربُوهُم عليها وهُمْ أبناءُ عشرِ سنينَ وفرقُوا بَيْنَهُم في المضاجعِ» مِنْ سنِ السابعةِ تبدأُ مع أولادِك بالتربيةِ والتوجيهِ والملاحظةِ ولا

تتركُهُم إلى أنْ يكبرُوا ثُمَّ تحاولَ ردّهم فإنَّكَ لَنْ تستطيعَ:

إنَّ الغصونَ إذا عدلْتها اعتدلتْ ... ولا تلينُ إذا كانتْ من الخشبْ

فعليكُم أنْ تبادِرُوا أولاَدُكُم بالتربيةِ السليمةِ والمنهجِ السليمِ، واعلمُوا أَنَّكُم في وقتِ فتنٍ وفي وقتِ شرٍّ إلاَّ مَنْ رحمَ اللهُ فحافظُوا على أولادِكُم في البيوتِ، حافظُوا على أولادِكُم في الشوارعِ حافظُوا على أولادِكُم في المدارسِ، حافظُوا على أولادِكُم في ذهابِهم وإيابِهم حافظُوا على أولادِكُم في ليلِهم ونهارِهم لا تغفَلُوا عنهم فيتولاَهُم أعداؤُكُم:

ومَنْ رَعَي غَنَماً بأرضٍ مسبعةٍ ... ونامَ عَنْهَا تولَّي رعيَها الأسدُ

إذا غفَلتُم عنهم تولاهُم غيرُكُم من أعدائِكُم واستغلُوهُم، لا تتركُوهُم يذهبونَ إلى التجمعاتِ المشبوهةِ، لا تتركُوهُم يذهبُونَ إلى الاستراحاتِ الموبوءةِ، لا تتركُوهُم يذهبُونَ إلى الرحلاتِ المجهولةِ لا تتركُوهُم يسافرُونَ إلى الخارجِ فيعودُونَ سلاحاً في وجوهِكُم كَمَا حَصَلَ. وهذا فيه موعظةٌ، كانَ المسلمونَ غافلينَ عَنْهُم على أنَّهم يذهبُونَ للجهادِ في سبيلِ اللهِ، ولكِنْ أينَ الجهادُ؟ إنَّما يذهبُونَ ليترَبُّوا على الخروجِ عَنِ الإسلامِ ويترَبُّوا على التنكرِ لمجتمعِهم ويترَبُّوا على الحقدِ والغلِّ ثُمَّ يعودُونَ إليكُم سِهَاماً قاتلةً في نحورِكُمْ وأَنْتُمُ السببُ، أنتُم الذينَ أهملتمُوهُم وضيّعتُموهُم ولَمْ تبالُوا بِهم. الواحدُ مِنْكُم مشغولٌ بمالِهِ يتفقدُ مَالَهُ درهَماً درهماً لِئَلا يضيعَ منهُ شيء ولكنه لا يتفقدُ أولادَهُ بَلْ الواحدُ منكُم ربّما يتفقدَ غنَمهُ لِئَلا يضيعَ منها شيء ولا يتفقدُ أولادَهُ، لا يتفقدَ البنينَ والبناتِ، ولا يتفقدُ ذريتهُ، ولا يدرِي أينَ تذهبُ، ولا مَنْ يوجهُها، ولا مَنْ تجلسُ معهُ، ولا من تسيرُ معهُ، ولا إلى أينَ تسافرُ حتى عظمَ الأمرُ وأدلَهُمَّ الخطبُ وكانَ ما كانَ ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ، لكِنْ لِيَكُنْ في الماضِي موعظةً

للمستقبلِ.

فاتقوُا اللهَ عبادَ اللهِ واعلمُوا أنَّ خيرَ الحديثَ كتابُ اللهِ وخيرَ الهَدي هَدي محمدٍ ﷺ وشر الأمورِ محدثاتُها وكُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ وعليكُم بالجماعةِ فإِنَّ يدَ اللهِ على الجماعةِ ومَنْ شذَّ شذَّ في النارِ.

* * *

مشروعيةُ السلامِ وفوائدُهُ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، شرعَ السلامَ لأهلِ الإسلامِ، وجعلَهُ تحيةَ أهلِ الجنةِ فقال: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [يونس: ١٠] وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ الملكُ القدوسُ السلامُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ صلَّى اللهُ وسلمَ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ أطيبَ صلاةٍ وأزكىٰ سلامٍ. أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ: اتقُوا اللهَ تعالَى واعملُوا بشرائعِ دينِكُم لتُرضُوا ربَّكُم وتنالُوا جزيلَ ثوابهِ، وتنجُوا من أليمِ عقابهِ، فقد شرعَ لكُم ربُّكُم أفضلَ الشرائعِ. وجعلَ لكُم في نبيِكُم أفضلَ قدوةٍ، وإنَّ من أعظمِ ما شرعَهُ اللهُ في الإسلامِ إفشاءَ السلامِ الذي هو تحيةُ أهلِ الإسلامِ، وتحيةُ الملائكةِ، وتحيةُ أهلِ الجنةِ، وتحيةُ المؤمنينَ يومَ يَلْقَوْنَ ربَّهم، وقَدْ أمرَ اللهُ بالسلامِ عند دخولِ المسلمينَ بعضِهم على بعضٍ في بيوتِهم، قالَ تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧] وقالَ تعالَى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١].

وأمرَ ﷺ بالسلامِ عندَ اللقاءِ حيثُ قالَ: «**إذا لقيَ أحدَكُم أخاهُ فَلْيُسَلِّمْ عليهِ فإنْ حالتْ بينهُما شجرةٌ أو جدارٌ أو حجرٌ ثم لقيَهُ فليُسَلِمْ عليهِ**»[١]، رواهُ أبو داودَ.

وكَما أنَّهُ يشرعُ السلامُ عِنْدَ القدومِ وبدايةِ الجلوسِ فإنَّه يشرعُ عندَ القيامِ والمفارقةِ للمجلسِ. فعنْ أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«إذَا انتهىٰ أحدُكُم إلى المجلسِ فليسلمْ، فإذَا أرادَ أنْ يقومَ فليسلمْ، فليستْ الأُولَى بأحقٍ مِنَ الآخرةِ»**(١). رواهُ أبو داودَ والترمذي وقالَ حديثٌ حسنٌ.

والسنةُ أنْ يُسلِّمَ الراكبُ على الماشِي، والماشي على القاعدِ، والقليلُ على الكثيرِ، والصغيرُ على الكبيرِ، وكيفيةُ السلامِ أنْ يقولَ المبتدىءُ: السلامُ عليكُم ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ، ويقولَ المجيبُ: وعليكُم السلامُ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ هذه أكملُ صيغةٍ، وإذا اقتصرَ المبتدءُ على قولِ: السلامُ عليكُم، فردَّ عليهِ بقولِهِ وعليكُم السلامُ. فهذا مُجزي والأحسنُ أن يزيدَ في الردِّ، قالَ تعالَى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء: ٨٦]، قالَ ابنُ كثيرٍ رحمهُ اللهَ: أيْ إذَا سلَّمَ عليكُم المُسَلِّمَ فردُّوا عليه أفضلَ ممَّا سلَّمَ، أَوْ ردُوا عليهِ بمثلِ ما سَلَّمَ، فالزيادةُ مندوبةٌ والمماثلةُ مفروضةٌ، أيْ أنَّ الابتداءَ بالسلامِ مستحَبٌ وردَّه واجبٌ ويكونُ بلفظِ السلامِ لا بلفظٍ آخرَ.

فمَا يعتادُه بعضُ الناسِ من استبدالِ لفظِ السلامِ: بقولِهِم: صباحُ الخيرِ أَوْ صباحُ النورِ أَوْ غيرِ ذلِكَ مِنَ الألفاظِ هذا لَيْسَ بسلامٍ وكذلِكَ لابُدَّ أنْ يتلفَظَ بالسلامِ ولا يُكْتَفىٰ بالإشارةِ باليدِ أو الرأسِ. فقد جاءَ النهيُ عَنْ ذلِكَ في حديثِ عمرو بن شعيبِ عَنْ أبيهِ عن جدهِ عن النبيِّ ﷺ قالَ: **«لَيْسَ مِنَّا مَنْ تشبَّهَ بغيرِنا، لا تشبَّهُوا باليهودِ ولا بالنَّصَارىٰ، فإنَّ تسليمَ اليهودِ الإشارةُ بالأصابعِ وتسليمَ**

---

(١) أبو داود (٥٢٠٨)، الترمذي (٢٧٠٦).

النصارى الإشارةُ بالكفِّ»[١] رواهُ الترمذي ولَهُ شواهِد.

لكِنْ إِذَا كانَ المُسَلَّمُ عليهِ لا يسمعُ السلامَ لِبُعدٍ أو صممٍ أو غيرهِ فلا بأسَ بالإشارةِ لتنبيهِهِ مع التلفظِ بالسلامِ.

والسلامُ من حقوقِ المسلمينَ بعضَهم على بعضٍ، فالمسلمُ الَّذي لَيْسَ مشهورٍ بفسقٍ ولا بدعةٍ يسلِّمُ ويسلمُ عليهِ.

وأمَّا الفاسقُ والمبتدعُ فلا ينبغي أن يُسلَّمَ عليهما ولا يردُّ عليهما السلامُ حتى يَتُوبا. فقد هجرَ النبيُّ ﷺ الثلاثةَ الذينَ خُلِّفُوا إلى أن تابَ اللهُ عليهِم.

وأما الكفارُ فتَحْرُم بداءتُهم بالسلامِ فإنْ بدؤونَا قُلْنَا: وعليكُم، لِمَا في صحيحِ مسلمٍ عَنْ أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: **«لا تبدؤوا اليهودَ والنصارى بالسلامِ فإذَا لقِيتُم أحدَهُم في الطريقِ فاضطرُّوهُم إلى أضيقِهِ»**[٢].

وفي الصحيحينِ عَنْ أنسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«إذا سلَّمَ عليكُم أهلُ الكتابِ فقولُوا وعَليكُم»**[٣].

ثم اعلَمُوا رحمَكُم اللهُ أنَّ هناكَ أَحْوالاً لا يشرعُ السلامُ فِيها، مِنْهَا:

ما إِذَا كانَ الإنسانُ على حاجتِهِ من بولٍ أو غائطٍ، ومنها حالُ خطبةِ الجمعةِ فلا يُسلمُ على المستمعينَ للخطبةِ لأنَّهم مأمورُونَ بالإنصاتِ، ولا يردُّونَ على

---

(١) أبو داود (٢٦٦٥).
(٢) ابن حبان (٥٠٠)، الترمذي (١٦٠٢).
(٣) البخاري (٥٩٠٣)، مسلم (٢١٦٣).

مَنْ سلَّمَ عليهِم.

ومنها حالُ الاشتغالِ بتلاوةِ القرآنِ فالتالِي لا يُسلَّمُ عليهِ. وممّا يجدرُ التنبيهُ عليهِ ما اعتادَهُ بعضُ الناسِ من السلامِ والمصافحةِ بَعْدَ صلاةِ الفريضةِ أو صلاةِ النافلةِ فهذا السلامُ غيرُ مشروعٍ وإِذَا داومَ عليهِ فهو بدعةٌ، أمَّا لَوْ فعلَهُ لسببٍ عارضٍ مِنْ غيرِ مداومةٍ كَمَا لَوْ سلَّمَ عَلَى مَنْ لَمْ يرهُ قبلَ ذلِكَ. أو سلمَ عليهِ ليكلِّمَهُ في حاجةٍ فلا بأسَ بذلِكَ.

والمصافحةُ عِنْدَ اللقاءِ سنةٌ مرغبٌ فيها، ففي سننِ الترمذِي وأبي داودَ وابنِ ماجةَ عَنِ البراءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ مسلمَيْنِ يلتقيانِ فيتصافحانِ إلاَّ غُفرَ لهما قبلَ أنْ يتفرَّقَا**»[1].

وأمَّا المعانقةُ والتقبيلُ فإِنَّما يشرعَانِ في حقِّ القادمِ مِنْ سفرٍ، أمَّا غيرُ القادمِ من سفرٍ فلا ينبغي فعلهُما مَعَهُ، ويحرمُ الإِنحناءُ عند السلامِ لِمَا في سننِ الترمذِي عَنِ النبيِّ ﷺ أنَّهُ سُئِلَ عَنِ الرجلِ يَلقَىٰ أخاهُ ينحني لَهُ قالَ: لاَ. ولأنَّ الانحناءَ نوعُ ركوعٍ، والركوعُ والسجودُ لا يجوزُ فعلُهُما إلاَّ للهِ عزَّ وجلَّ. ومِمَّا ينبغِي التنبيه عليهِ حكمُ القيامِ للسّلامِ أو للتقديرِ فالقيامُ لأجلِ السّلامِ على القادمِ من سفرٍ أو لأجلِ السلامِ على الدّاخلِ على قومٍ جالسين في مكانٍ لا بأسَ بهِ، وأما القيامُ من أجلِ احترامِ الشخصِ لا من أجلِ السلامِ عليه كما يقامُ للعظماءِ إذا جاؤوا حتى يجلِسوا وكما يأمرُ بعضُ المدرسينَ الطلابَ أن يقوموا له إذَا دخلَ الفصلَ أو إذا جاءَ زائرٌ للفصلِ قاموا له فهذا لا يجوزُ، قال شيخُ الإِسلامِ ابنُ تيميةَ رحمهُ اللهُ: لم تكن عادةُ السلفِ على عهدِ النبيِّ ﷺ وخلفائِه الراشدينَ أن يعتَادوا

(١) الترمذي (٢٧٢٧)، ابن ماجة (٣٧٠٣)، أبو داود (٥٢١٢).

القيامَ حِينَ يرونَه عليه السلامُ كما يفعلُه كثيرٌ منَ الناسِ، بل قد قالَ أنسُ بنُ مالكٍ، لم يكن شخصٌ أحبَّ إليهم من النبيِّ ﷺ وكانوا إذَا رأَوْهُ لم يقومُوا لما يعلمون من كَرَاهِيَتِهِ ﷺ لذَلِكَ. وإذا كانَ لا يقامُ للرسولِ ﷺ عند مجيئِهِ فكيفَ يُقامُ لغيرِهِ.

وأما القيامُ للقادمِ من مغيبِهِ تَلَقِّياً له كما روي عن النبيِّ ﷺ أنه قامَ لعكرمةَ لما قَدِمَ مسلماً مهاجراً، وقال للأنصارِ لمَّا قَدِمَ سعدُ بن مُعاذ: قُوموا إلى سَيِّدكُم... والذي ينبغي للناسِ أن يعتادوه هو اتباعُ السلفِ على ما كانوا عليه على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ فإنَّهم خيرُ القرونْ، وخيرُ الكلامِ كلامُ اللهِ، وخيرُ الهَدْيِ هديُ محمدٍ ﷺ. فلا يعدِلُ أحدٌ عن هَدْيِ خيرِ الورى وخيرِ القرونِ إلى ما هو دُونَه، وينبغي للمطاع ألا يُقِرَّ ذلك مع أصحابِه بحيثُ إذا رأَوْهُ قاموا عند وصُولهِ.

وأما القيامُ لمن يَقدُمُ من سفرٍ ونحو ذلك تلقِّياً له فَحَسنٌ، وليس هذا هو القيامَ المذكورَ في قولهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّه أن يتمثَّلَ له الرجالُ قياماً فَلْيتبوَّأْ مقْعَدَهُ منَ النَّارِ». فمن ذلك أن يقوموا وهو قَاعدٌ وليس أن يقوموا لِمجيئهِ إذا جاءَ، ولهذا فرَّقُوا بين أن يُقالَ قمتُ إليه وقمتُ لهُ، والقائمُ للقادمِ ساواه في القيام بخلافِ القائمِ على القاعدِ، وقد ثبتَ في صحيحِ مسلمٍ أن النبيَّ ﷺ لمَّا صلَّى بهم قاعداً في مرضِه وصَلَّوْا قياماً أمرهُم بالقُعودِ، وقال لا تُعظِّمُوني كما يُعظِّمُ الأعاجمُ بعضُهم بَعضًا، وقد نَهاهُم عن القيامِ في الصلاةِ وهو قاعدٌ لِئلاَّ يتشَبَّهَ بالأعَاجِمِ الذينَ يقُومُون لِعُظَمائِهم وهُم قُعُودٌ.

عبادَ اللهِ: ومَنْ بلغَهُ سلامٌ مِنْ غائبٍ وجبَ الردُّ عليهِ فإنْ كَانَ بواسطةِ شخصٍ فإِنَّهُ يقولُ في الردِّ: وعليهِ السلامُ، وإن كانَ بواسطةِ كتابٍ فإِنَّهُ إذا قرأَهُ يقولَ: وعليكُم السلامُ. فيردُّ عليهِ بأحسنِ مِنْ تحيتهِ أَوْ مِثْلِها. . . .

فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ وأفْشُوا السلامَ بينكُم لما فيهِ مِنَ المصالحِ والخيراتِ وإحياءِ السنةِ وإزالةِ الجفوةِ، فإنَّهُ من طيبِ الكلامِ وقَدْ قالَ اللهُ تعالَى: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً ﴾.

أقولُ قولِي هذا واستغفرُ اللهَ لِي ولكُم. . .

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانهِ، أكملَ لنا الدينَ وأتمَّ علينَا النعمةَ، وشرعَ لنا ما يُزكِّي النفوسَ ويطهرُ الأخلاقَ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلهِ وأصحابهِ وسلَّمَ تسلِيماً كثيراً. أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ: اتقُوا اللهَ تعالَى وتمسَّكُوا بمحاسن الأعمالِ ومكارمِ الأخلاقِ واعلمُوا أنَّ لإفشاءِ السلامِ فيما بينكُم له ثمراتٍ عظيمةً.

منها أنَّهُ مِنْ جملةِ الأسبابِ لدخولِ الجنةِ، قالَ ﷺ: «**يا أيُّها الناسُ أفشُوا السلامَ وأطعمُوا الطعامَ وصِلُوا الأرحامَ وصلُّوا والناسُ نيامٌ تدخلُوا الجنةَ**

بسلامٍ»[١] حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

ومِنْهَا: أنَّهُ يورثُ المحبةَ في القلوبِ، قالَ ﷺ: «لا تدخلُوا الجنةَ حَتى تؤمنُوا، ولا تؤمنُوا حتى تحابُوا، ألاَ أدلُّكُم على شيءٍ إذا فعلْتُمُوهُ تحاببتُمْ أفشُوا السلامَ بَيْنَكُم»[٢] رواهُ مسلمٌ.

ومنها: أنَّ السلامَ يقرِّبُ من اللهِ عزَّ وجلَّ، قالَ النبيُّ ﷺ: «إنَّ أَوْلَىٰ الناسِ باللهِ مَنْ بدأَهُمْ بالسلامِ»[٣] رواهُ أبو داودَ بإسنادٍ جيدٍ.

ومِنْهَا: أنَّ السلامَ والمصافحةَ يسببانِ مغفرةَ الذنوبِ، قالَ ﷺ: «مَا مِنْ مسلميْنَ يلتقيانِ فيتصافحانِ إلاّ غُفِرَ لهما قَبْلَ أنْ يتفرقَا»[٤] رواهُ أبو داودَ والترمذِي، وقالَ الترمذيُّ: حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

وقالَ ﷺ: «إنَّ المسلمَ إذا لَقِي أخاهُ فأخذَ بيدهِ تحاتتْ عَنْهُمَا ذنوبُهما كَمَا يتحاتُ الورقُ من الشجرةِ اليابسةِ في يومِ ريحٍ عاصفٍ، وإلاَّ غُفرَ لَهُمَا ولَوْ كانتْ ذُنوبُهما مثلَ زبدِ البحرِ»[٥] فاغتنمُوا هذهِ الثمراتِ العظيمةَ. واعلمُوا أن خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ. . . . إلخ.

---

(١) المستدرك على الصحيحين (٧٢٧٧).
(٢) مسلم (٥٤).
(٣) أبو داود (٥١٩٧).
(٤) رواه الترمذي ٢٧٢٧.
(٥) المعجم الكبير (٦١٥٠).

في الحثِّ على خَوْفِ اللهِ وخَشْيَتِهِ وحدَهُ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ أمرَ بخشيتهِ وحدَهُ وطاعتهِ، ونَهىٰ عَنْ مخالفةِ أمرهِ ومعصيتهِ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ في ربوبيتهِ إليهتهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ وخيرتُهُ من بريتهِ، صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ أهلَ طاعتهِ ومحبتهِ وسلَّم تسليماً كثيراً، أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ اتقُوا اللهَ تعالَى وخافُوهُ واخشوهُ وحدَهُ، قالَ تعالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤] وقالَ تعالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].

عبادَ اللهِ: إنَّ الخوفَ والخشيةَ من أَعْمَالِ القُلوبِ وتظهرُ آثارُهما على الأعمالِ والتصرفاتِ. وهُمَا مِنْ أعظمِ أنواعِ العبادةِ، فَمَنْ خافَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ أطاعَهُ بفعلِ مَا أمرَ بهِ وتَرَكَ ما نهىٰ عَنْهُ، فأقامَ الصلاةَ وآتىٰ الزكاةَ وتقربَ إلى اللهِ بأنواعِ الطاعاتِ، وابتعدَ عن المعاصِي والمحرماتِ، فلا يأكلُ مالاً حراماً، ولا يشهدُ زُوراً، ولا يحلفُ كذِباً، ولا يُخلفُ وعداً، ولا يخونُ عهداً، ولا يفجرُ في الخصومةِ، ولا يغشُّ في المعاملةِ، ولا يخونُ شريكَهُ، ولا يمشِي بالنميمةِ، ولا يغتابُ الناسَ، ولا يتركُ النصيحةَ والأمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عن المنكرِ، أمَّا مَنْ لَمْ يكُنْ في قلبهِ خوفٌ من اللهِ وخشيةٌ لَهُ فإنَّهُ لا يتورَّعُ عن تركِ الواجباتِ وفعلِ المحرماتِ وأكلِ أموالِ الناسِ والاحتيالِ على سلبِها مِنْهُم بشتىٰ الحيلِ عَنْ طريقِ المُراباةِ وأخذِ الرشوةِ، والغشِّ في المعاملةِ والأيمانِ الكاذبةِ والخصوماتِ الفاجرةِ، والشهاداتِ المزورةِ، بَلْ لاَ يَتورَّعُ عَنْ تركِ الصلاةِ ومنعِ الزكاةِ وتناولِ

المسكراتِ والمخدراتِ والمفتراتِ من الخمورِ والحشيشِ والدُّخانِ والقاتِ، وإذا هانَ عليهِ سقوطُ نفسهِ هانَ عليهِ سقوطُ غيرهِ فيتحولُ مِنْ ناصحٍ إلى خائنٍ؛ ومِنْ آمرٍ بالمعروفِ ناهٍ عَنْ المنكرِ إلى مسالمٍ للعصاةِ ومداهنٍ، يُرضِي المخلُوقينَ بما يُسخطُ الخالقَ، وإنْ تظاهرَ بشيءٍ مِنَ الخيرِ فهو مخادعٌ ومنافقٌ، ولقد حذَّرنَا اللهُ مِنْ هذا وأمثالِهِ بقولِهِ تعالَى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾ [القلم: ١٠ـ١٣].

عبادَ اللهِ: إنَّ قلوبَ العبادِ تألفُ أهلَ خشيةِ اللهِ وطاعتهِ، وتنفرُ مِنْ أهلِ معصيتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝٩٦﴾ [مريم: ٩٦] فأخبرَ سبحانَهُ أنَّهُ يَغْرِسُ لعبادهِ المؤمنينَ في قلوبِ عبادِهِ الصالحينَ محبةً ومودةً. وفي الحديثِ: «**إنَّ اللهَ إذا أحبَّ عَبْداً دَعَا جبريلَ فقالَ: يا جبريلُ إنِّي أحبُّ فُلاناً فأَحبَه. قالَ فيحبُّهُ جبريلُ، قالَ: ثم يُنادِي في أهلِ السماءِ: إنَّ اللهَ يحبُّ فلاناً فأحبُّوهُ، قالَ فيحبُّهُ أهلُ السماءِ، ثم يوضعُ لَهُ القبولُ في الأرضِ. وإنَّ اللهَ إِذَا أبغضَ عَبْداً دَعَا جبريلَ فقالَ: يا جبريلُ إنِّي أُبغضُ فُلاناً فأبغضهُ، قالَ: فيبغضهُ جبريلُ، ثم يُنادي: يا أهل السماءِ إنَّ اللهَ يبغضُ فُلاناً فأبغضوهُ، قال: فيبغضهُ أهلُ السماءِ ثم يوضعُ لَهُ البغضاءُ في الأرضِ**»[1] رواهُ مسلمٌ.

وقَدْ كتبَ معاويةُ رَضِيَ اللهُ عنه إلى أُمِّ المؤمنينَ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَن أُكتبِي لِي كِتَاباً تُوصينِي فيهِ ولا تُكثِري عليَّ، فكتبتْ عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

---

(١) مسلم (٢٦٣٧).

وقالَتْ: «إلى معاويةَ، سلامٌ عليكَ . . . أمّا بعدُ: فإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «مَنِ التمسَ رِضَا اللهِ بسخطِ الناسِ كفاهُ اللهُ مؤنةَ الناسِ. ومَنْ التمسَ رِضَا الناسِ بسخطِ اللهِ وكَّلَهُ اللهُ إلى الناسِ» والسلامُ عليكَ ـ رواهُ أبو نعيمٍ في الحليةِ، ورواهُ ابنُ حبانٍ في صحيحِهِ بلفظِ: «مَنِ التمسَ رِضىٰ اللهِ بسخطِ الناسِ رضِا اللهُ عَنْهُ وأَرضىٰ عَنْهُ الناسَ. ومَن التمسَ رِضا الناسِ بسخطِ اللهِ سخطَ اللهُ عليهِ وأسخطَ عليهِ الناسَ»(١).

قالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ: وهذا مِنْ أعظمِ الفقهِ في الدينِ، فإنَّ مَنْ أرْضَى اللهَ بسخطِهم كانَ قَدِ اتقاهُ، وكَانَ عَبْدَهُ الصَّالِحَ واللهُ يتولَىٰ الصالِحينَ، واللهُ كافٍ عبدَهُ. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ـ٣] واللهُ يكفيهِ مؤنةَ الناسِ بلا ريبٍ، وأمَّا كونُ النَّاسِ كُلِّهم يَرْضَوْنَ عَنْهُ فَقَدْ لا يحصلُ لكنْ يرضوْنَ عَنْهُ إذَا سَلِمُوا مِنَ الأغراضِ وإذَا تبينَ لَهُمُ العاقبةُ، ومن أَرْضَىٰ الناسَ بسخطِ اللهِ لَمْ يُغنُوا عَنْهُ مِنَ اللهِ شيئاً. وهذَا يشملُ الراعِيَ مع الرعيةِ والرعيّةَ مع الراعِي. والناسَ بعضَهم مع بعضٍ أَفْرَاداً وجماعاتٍ، ويشملُ الولدَ مع والدِهِ، والوالدَ مع ولدِهِ، ويشملُ الزوجَ مع زوجتِهِ، والزوجةَ مع زوجِها، فلا يجوزُ لأحدٍ مِنْ هؤلاءِ طاعةُ المخلوقِ في معصيةِ الخالقِ، ولا يجوزُ تركُ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِّ عَنِ المنكرِ لإرضاءِ الخلقِ ومداهنتِهم، ولا يجوزُ الحكمُ بغيرِ ما أُنزلَ لأجلِ رِضا الخصمِ ورغبةِ السلطانِ أو رغبةِ الشعوبِ ـ فمَنْ أطاعَ اللهَ جَمَعَ لَهُ بَيْنَ رضاهُ ورضا خَلْقِهِ ولَوْ في العاقبةِ، ومَنْ عَصَىٰ اللهَ جَمَعَ لَهُ بَيْنَ غضبِهِ وغضبِ خلقِهِ وَخسرَ الدّنيا

---

(١) ابن حبان (٢٧٦).

والآخرةَ. . .

عَنْ أَبي سعيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرْفُوعاً: «إنَّ مِنْ ضعفِ اليقينِ أَنْ تُرْضِيَ الناسَ بسخطِ اللهِ»[1]. رواهُ أبو نعيمٍ في الحليةِ، والبَيْهَقِي بسندٍ ضعيفٍ، ومعناهُ صحيحٌ.

ومِنْ إرضاءِ الناسِ بسخطِ اللهِ أنْ يتركَ الإنسانُ ما أوجبَهُ اللهُ عليهِ مِنْ إنكارِ المنكرِ، وفي الحديثِ: «إنَّ اللهَ يقولُ للعبدِ يومَ القيامةِ: مَا مَنعكَ إذْ رأيتَ المنكرَ ألاَّ تغيرَهُ، فيقولُ: ربِّ خشيةُ الناسِ، فيقولُ: إيَّايَ كنتَ أحقَّ أنْ تَخْشَىٰ».

عبادَ اللهِ: إنَّ خوفَ اللهِ وخشيتَهُ لَهُمَا آثارٌ حميدةٌ في حياةِ المسلمِ فَهُمَا يحملانِ المسلمَ على المحافظةِ على صلاةِ الجماعةِ في المساجدِ وعمارَتِها بالطاعةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨]، وهُما يحملانِ المسلمَ على طاعةِ اللهِ وتركِ معاصيهِ في السرِّ والعشنيةِ، قالَ تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢] وهُمَا يحملانِ المسلمَ على قولِ كلمةِ الحقِّ وتبليغِ الحقِّ والخيرِ للناسِ، قَالَ تَعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وَهُمَا يورثانِ الجنةَ والنجاةَ مِنَ النَّارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٣ـ٤٦]، وقَالَ تَعالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ

---

(١) أبو نعيم في الحلية (٥/١٠٦).

عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠ـ٤١]. . .

وهُمَا ينجيانِ المسلمَ عِنْدَ نزولِ العذابِ بالظالِمينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾. [إبراهيم: ١٣ـ١٤].

فاتقُوا اللهَ تَعَالَى، واخشوْهُ حقَّ خشيته واستقيمُوا عَلَى طاعتِهِ، وأَطِيعُوا اللهَ ورسولَهُ لعلَّكُم ترحَمُونَ . . . .

باركَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ. . . .

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ عَلَى فضلِهِ وإحسانِهِ، وعدَ أهلَ خوفهِ وخشيتهِ جزيلَ الثوابِ وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ العزيزُ الوهابُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أشرفَ رسولٍ أُنزلَ عليهِ أشرفُ كتابٍ، صلَّى الله عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ الذينَ هاجَرُوا وصَبرُوا، والذين آووا ونصرُوا، أولئكَ الذينَ هَداهُم اللهُ وأولئكَ هُمْ أُولُوا الألبابِ. وسلَّمَ تسليماً كثيراً. أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ: اتقُوا اللهَ وخافُوا بطشَهُ وعقابَهُ، ولا تيأسُوا من رحمتهِ وثوابهِ. فهذَا سبيلُ المُتقينَ ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾. [الأنبياء: ٤٩].

عبادَ اللهِ ـ إنَّ الخوفَ مِنْ غيرِ اللهِ ينقسمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

القسم الأول: خوفُ السِّرِّ: وهو خوفُ العبادةِ بأنْ يخافَ من وثنٍ أو جنيٍّ أو إنسيٍّ حَيٍّ أو ميتٍ أنْ يصيبَهُ بما يَكْرَهُ مِنْ مرضٍ أو حبسِ رزقٍ أو أنْ يصيبَ مالَهُ أو ولدَهُ بموتٍ أو مرضٍ فيتقربُ إلى ذلِكَ المخلوقِ بشيءٍ مِنَ العبادةِ كالذَّبحِ لَهُ، والنَّذرِ لَهُ، كالذينَ يذبحُونَ أو يُنذرُونَ للجنِّ وأصحابِ الأضرحةِ ويستغيثونَ بِهِم ويستعيذُونَ بِهِم. وهذَا شركٌ أكبرُ يُنافِي التوحيدَ ويُخرجُ مِنْ مِلَّةِ الإسلامِ، ويُلحِقَ صاحبَهُ بِعَبَدةِ الأصنامِ.

القسم الثَّانِي: أنْ يتركَ الإنسانُ ما يجبُ عليهِ مِنَ الدعوةِ إلىٰ اللهِ والأَمْرِ بالمعروفِ والنهيِّ عَنِ المنكرِ خَوْفاً مِنَ النَّاسِ، وهذا محرمٌ وهو شِرْكٌ أصغرُ ينقصُ التوحيدَ.

القسم الثالث: الخَوْفُ الطبيعيّ وهو الخوفُ من عدو أو سبعٍ أو غيرِ ذلِكَ فهذَا لا يُذمُّ ولا إثمَ فيهِ، قَالَ تعالَى في قصةِ مُوسَى عليهِ الصلاةُ والسلامُ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١]. وهذا يدافعُ باتخاذِ الأسبابِ المباحةِ مع الاستعانةِ باللهِ عَزَّ وجَلَّ...

فاتقُوا اللهَ، واعلمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ وخيرَ الهَدي هديُ محمدٍ ﷺ.... إلخ.

تنبيهٌ علىٰ أخطاءٍ يرتكبُها بعضُ الحُجاجِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ. أمرَ بإصلاحِ العملِ وإخلاصِه، وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، لا يقبلُ مِنَ الأعمالِ إلاَّ ما كانَ خالِصاً لوجهِهِ وصَوَاباً على سنَّةِ رسولِهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ حذَّرَ أُمَّتَهُ مِنَ البدعِ والمحدثاتِ فقالَ: «**مِنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عليهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[1] صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وسلَّمَ تسليماً كَثِيراً. أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ اتقُوا اللهَ، واحرصُوا على أنْ يكونَ حجُّكُم وسائرُ أعمالِكُم خالصاً لوجهِ اللهِ مِنْ جميعِ أنواعِ الشركِ، وصَوَاباً على سُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ بَعِيداً عَنْ جميعِ البدعِ والخرافاتِ حتى يكونَ عملُكُم مُتقبلاً وحجُّكُم مَبْروراً، وسعيُكُم مَشْكُوراً؛ لأنَّ مِنَ الحجاجِ مَنْ يرتكبُ أخطاءً كثيرةً في حجّهِ.

وهذه الأخطاءُ منها ما يتعلقُ بالعقيدةِ، ومنها ما يتعلقُ بأحكامِ الحجِّ العمليةِ، فالَّذي يتعلقُ بالعقيدةِ هُوَ أَنَّ بعضَ الحجاجِ سواءٌ في مكةَ أَوْ في المدينةِ يذهبونَ إلى المقابرِ ليتوسلُوا بالموتىٰ ويَتبركُوا بقبورِهم أَوْ يسألوا اللهَ بجاهِهِم. وما أشبهَ ذلِكَ من الأعمالِ الشركيةِ أَوْ البدعيةِ المخالفةِ لسنةِ رسولِ اللهِ ﷺ في زيارةِ القبورِ، لأنَّ سنةَ الرسولِ ﷺ أنْ تُزارَ القبورُ للاعتبارِ وتَذَكُّرِ الآخرةِ والدعاءِ لأمواتِ المسلمينَ بالمغفرةِ والرحمةِ، وأنْ يكونَ ذلِكَ بدونِ سفرٍ وشدِّ رحالٍ، وأنْ تكونَ الزيارةُ للرجالِ دونَ النساءِ، كَمَا قَالَ ﷺ: «**كنتُ نهيتُكُم عن زيارةِ**

---

(١) البخاري (٢٠٣٤)، مسلم (١٧١٨).

القبورِ **أَلاَ فزورُوهَا فإِنَّها تُذكرُ بالآخرةِ»**(١) وهذا خطابٌ للرِّجَالِ خاصةً لأَنَّ الرسولَ ﷺ لَعَنَ زوَّارَاتِ القبورِ. . . وكانَ ﷺ إذا زارَ القبورَ دَعَا لأصحَابِها بالمغفرةِ والرحمةِ. هذا هَدْيُهُ ﷺ في زيارتِها. . أَنَّهُ لأجلِ اعتبارِ الزائرِ واتعاظِهِ، والدُّعاءِ للميتِ المَزُورِ بالمغفرةِ والرحمةِ.

أمَّا أنْ تُزارَ القبورُ بقصدِ الدُّعاءِ عِنْدَهَا أو التبركِ والتوسلِ بأَصْحَابِها أَوْ الاستشفاعِ بِهِم فهذَا مخالفٌ لهَدْيِ النبيِّ ﷺ وهو إمَّا شركٌ باللهِ أو وسيلةٌ للشركِ تتنافَىٰ مَعَ أعمالِ الحجِّ ومقاصدِهِ.

ومِنَ الحجاجِ مَنْ يُتعبُ بَدَنَهُ ويُضِيعُ وَقْتَهُ ومَالَهُ في الذهابِ إلى المزاراتِ المزعومةِ في مكةَ والمدينةِ، فَفِي مكةَ يذهبُ إلى غارِ حراءٍ وغارِ ثورٍ وغيرَهُمَا مِمَّا لا تشرعُ زيارتُهُ، وفي المدينةِ يذهبُ إلى المساجدِ السبعةِ ومسجدِ القبلتيْنِ وأماكنَ معينةٍ للصلاةِ فيها والدُّعاءِ عِنْدَها والتبركِ بها، وزيارةُ هذهِ الأماكنِ في مكةَ أو المدينةِ والتعبدُ فيها هو من البدعِ المحدثةِ في دينِ الإسلامِ، فَلَيْسَ هناكَ مساجدُ في الأرضِ تقصدُ للصلاةِ فيها إلاَّ المساجدَ الثلاثةَ: «المسجد الحرام، ومسجد الرسولِ ﷺ، والمسجد الأَقْصَىٰ»، ومسجد قباء لِمَنْ كَانَ بالمدينةِ. ولَيْسَ هناكَ مغامراتٌ ولا أمكنةٌ تزارُ في دينِ الإسلامِ لا في مكةَ ولا في المدينةِ ولا غيرِهما لأنَّهُ لا دليلَ عَلَى ذلِكَ، والحاجُّ إنَّما جاءَ يطلبُ الأجرَ والثوابَ من اللهِ فليقتصرْ عَلَى ما شرعَهُ اللهُ ورسولُهُ.

ولَوْ أَنَّ الحاجَّ وفَّرَ وقتَهُ للصلاةِ في المسجدِ الحرامِ إذَا كانَ في مكةَ، وفي مسجدِ الرسولِ ﷺ إذَا كَانَ في المدينةِ، ووَفَّرَ مالَهُ للإنفاقِ في سبيلِ اللهِ والصدقةِ

---

(١) ابن حبان (٩٨١) [مقارب]، المنتقى لابن الجارود (٨٦٣).

عَلَى المُحْتَاجينَ، لحصلَ على الأجرِ والثوابِ، أمَّا إِذَا أضاعَ هذهِ الإمكانياتِ في البدعِ والخرافاتِ فإِنَّهُ يحصلُ على الإِثمِ والعقابِ، فالواجبُ على الحاجِّ أنْ يتنبهَ لهذَا ولا يغتر بالجُهالِ والمبتدعةِ. أوْ بِمَا كُتبَ في بعضِ المناسِكِ من الترويجِ لهذهِ المبتدعاتِ والدعايةِ لهَا. وعَلَيْهِ أنْ يراجعَ المناسِكَ الموثوقةَ التي أُلِّفَتْ على ضوءِ الكتابِ والسنةِ لأجلِ المحافظةِ عَلَىٰ سَلامةِ عقيدتِهِ وحجِّهِ، ويستشيرَ أهلَ العلمِ فيما أُشكلَ عليهِ.

وأَمَّا الأخطاءُ التي تتعلقُ بأعمالِ الحجِّ فَمِنْهَا:

أولاً: في الإِحرامِ:

١ـ بعضُ الحجاجِ القادمِينَ عَنْ طريقِ الجَوِّ يؤُخرُونَ الإحرامَ حتى ينزلُوا في مطارِ جدةَ فيُحرمُوا مِنْهَا أو دُونهَا مِمّا يَلِي مكةَ وقَدْ تجاوزُوا الميقاتَ الذي مَرُّوا بهِ في طريقِهم، وقَدْ قالَ ﷺ في المواقيتِ: «**هي لَهُنَّ ولِمَنْ أَتَىٰ عَلَيهنَّ مِنْ غيرِ أَهْلِهنَّ**»[١] فمَنْ مرَّ بالميقاتِ الذي في طريقهِ أو حاذَاهُ في الجَوِّ أَوْ فِي الأرضِ وهُوَ يريدُ الحجَّ أو العمرةَ وجبَ عليهِ أنْ يُحْرِمَ مِنْهُ أَوْ مِنْ محاذاتهِ، فإِنْ تجاوزَهُ وأَحْرَمَ مِن دُونِهِ أَثِمَ وتركَ واجباً من واجباتِ النسكِ يجبرهُ بدمٍ لأنَّ جدةَ لَيْسَتْ ميقاتاً لغيرِ أهلِها ومَنْ نَوىٰ النُّسكَ مِنْها.

٢ـ بعضُ الحجاجِ إذا أحرمُوا أخذُوا لَهُمْ صورةً تذكاريةً يحتفظُونَ بها ويُطلعُونَ عليها أصدقاءَهم ومَعارفَهم وهذَا خَطَأٌ مِنْ ناحيتَينِ:

أَوْلاً: إنَّ التصويرَ في حدِّ ذاتهِ حرامٌ ومعصيةٌ للأحاديثِ الواردةِ في تحريمِهِ والوعيدِ عليهِ، والحاجُّ في عبادةٍ فلا يليقُ بِهِ أنْ يفتتحَ هذهِ العبادةَ

---

(١) البخاري (١٤٥٢) [مقارب]، مسلم (١١٨١) [مقارب].

بالمعصيةِ.

ثانياً: إنَّ هذَا يدخلُ في الرياءِ لأنَّ الحاجَّ إِذَا أحبَّ أنْ يُطلعَ الناسَ عليهِ وعَلَىٰ صورتِهِ وهو محرمٌ فإنَّ هذَا رياءٌ والرياءُ يحبطُ العملَ، وهُوَ شركٌ أصغرُ، وهُوَ من صفاتِ المنافقِينَ.

٣ـ يظنُ بعضُ الحجاجِ أنَّهُ يجبُ على الإنسانِ إِذَا أرادَ أنْ يحرمَ أنْ يحضرَ عِندَهُ كلّ ما يحتاجُهُ من الحذاءِ والدّراهِمِ وسائرِ الأغراضِ وأنَّهُ لا يجوزُ لَهُ أنْ يستعملَ الأشياءَ التي لَمْ يحضرْهَا عندَ الإحرامِ وهذا خطأٌ كبيرٌ وجهلٌ فظيعٌ، لأنَّهُ لا يَلزَمُهُ شَيْءٌ في ذلِكَ، ولا يَحْرُمُ عليهِ أنْ يستعملَ الحوائجَ التي لَمْ يحضرْهَا عِنْدَ الإحرامِ، بَلْ لَهُ أَنْ يَشْتَرِيَ ما يحتاجُ إلى شرائِهِ ويستعملَ ما يحتاجُ إلى استعمالِهِ وأنْ يغيرَ ملابسَ الإحرامِ بمثلِها، وأنْ يغيرَ حذاءَهُ بحذاءٍ آخرَ ولا يتجنبُ إلاَّ محظوراتِ الإحرامِ المعروفةِ.

٤ـ بعضُ الرجالِ إذا أحرَمُوا كَشَفُوا أكتافَهم على هيئةِ الاضطباعِ وهذا غيرُ مشروعٍ إلاَّ في حالِ الطوافِ (طوافُ القدومِ أو طوافُ العمرةِ) ومَا عدَا ذلِكَ يكونُ الكتفُ مَسْتُوراً بالرداءِ في كُلِّ الحالاتِ.

٥ـ بعضُ النساءِ يَعْتَقِدْنَ أنَّ الإحرامَ يُتخذُ لَهُ لونٌ خاصٌّ، كالأخضرِ مَثلاً، وهذا خطأٌ؛ لأنَّهُ لا يتعينُ لونٌ خاصٌّ للثوبِ الذي تلبسُهُ المرأةُ في الإحرامِ. وإنَّما تحرمُ بثيابِها العاديةِ، إلاَّ ثيابَ الزينةِ أو الثيابَ الضيقةَ أو الشفافةَ فلا يجوزُ لها لِبسُها لا في الإحرامِ ولا في غيرِهِ.

٦ـ بعضُ النساءِ إِذَا أحرمْنَ يضعْنَ على رؤوسِهنَّ ما يشبهُ العمائمَ أو الرافعاتِ لأجلِ غطاءِ الوجهِ حتى لا يلامسَ الوجهَ، وهذا خطأٌ وتكلفٌ لا داعِيَ

لَهُ ولاَ دليلَ عليهِ، لأنَّ فِي حديثِ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنَّ النساءَ كُنَّ يُغطِينَ وجوهَهنَّ عن الرجالِ وهُنَّ محرماتٌ ولم تَذْكُرْ وضعَ عمامةٍ أو رافعٍ، فلا حرجَ في لمسِ الغطاءِ للوجهِ.

٧ـ بعضُ النساءِ إذا مَرّتْ بالميقاتِ تريدُ الحجَّ أو العمرةَ وأصابَها الحيضُ قَدْ لاَ تحرمُ ظَنًّا مِنْهَا أَوْ مِنْ وَلِيها أنَّ الإحرامَ تُشترطُ لَهُ الطهارةُ مِنَ الحيضِ، فتتجاوزُ الميقاتَ بدونِ إحرامٍ وهذا خطأٌ واضحٌ لأنَّ الحيضَ لا يمنعُ الإحرامَ، فالحائضُ تحرمُ وتفعلُ ما يفعلُ الحاجُّ غيرَ الطوافِ بالبيتِ فإنَّها تؤخرُهُ إلى أنْ تطهرَ، كما وردتْ بهِ السنةُ، وإذَا أَخَّرَتْ الإحرامَ وتجاوزتْ الميقاتَ بدونِهِ فإنَّها إنْ رَجَعَتْ إلى ذلِكَ الميقاتِ وأحرمتْ مِنْهُ فلا شَيءَ عَلَيها وإنْ أَحْرَمتْ مِنْ دونِهِ فَعَلَيها دمٌ لتركِ الواجبِ عَليهَا.

ثانياً: في الطوافِ:

١ـ كثيرٌ مِنَ الحجاجِ يلتزمُ أدعيةً خاصةً في الطوافِ يقرؤها مِنْ مناسِكِ، وقَدْ يكونُ مجموعاتٌ منهم يتلقوْنَها من قارئٍ يُلَقِّنُهُم إياهَا ويرددُونَها بصوتٍ جماعِيٍّ، وهذا خطأٌ من ناحيتَينِ:

الأُولىٰ: إنَّه التزمَ داعاءً لَمْ يَرِدْ التزامُهُ في هذَا الموطنِ؛ لأنَّهُ لَمْ يَرِدْ عَنِ النبيِّ ﷺ في الطوافِ دعاءٌ خاصٌ.

الثانيةُ: إنَّ الدعاءَ الجماعيَّ بدعةٌ وفيه تشويشٌ على الطائِفينِ، والمشروعُ أنْ يَدْعُوَ كُلُّ شخصٍ لنفسِهِ وبدونِ رفعِ صوتِهِ.

٢ـ بعضُ الحجاجِ يقبّلُ الركنَ اليمانِيَّ، وهذا خطأٌ؛ لأنَّ الركنَ اليمانِيَّ يُستلمُ باليدِّ فقطْ ولا يُقبّلُ، وإنَّما يُقبلُ الحجرُ الأسودُ، فالحجرُ الأسودُ يستلمُ

ويقبلُ إن أمكنَ أو يشارُ مَعَ الزحمةِ إليه، وبقيةُ الأركانِ لا تستلمُ ولا تقبلُ.

٣ـ بعضُ الناسِ يزاحمُ لاستلامِ الحجرِ الأسودِ وتَقبيلِهِ، وهذا غيرُ مشروعٍ لأنَّ الزحامَ فيهِ مشقةٌ شديدةٌ وخطرٌ على الإنسانِ وعلى غيرِه، وفيه فتنةٌ بمزاحمةِ الرجالِ للنساءِ، والمشروعُ تقبيلُ الحجرِ واستلامُه مَعَ الإمكانِ، وإِذَا لَمْ يتمكنْ أشارَ إليهِ بدُون مزاحمةٍ ومخاطرةٍ وافْتِتانٍ، والعباداتُ مبناهَا على اليسرِ والسهولةِ، لا سيّمَا وإنَّ استلامَ الحجرِ وتقبيلَهُ مستحبٌّ مَعَ الإمكانِ... ومَعَ عدمِ الإمكانِ تكفِي الإشارةُ إليهِ. والمزاحمةُ قَدْ يكونُ فيها ارتكابُ مُحرَّماتٍ، فكيفَ ترتكبُ محرماتٌ لتحصيلِ سُنَّةٍ؟!

ثالثاً: في التقصيرِ من الرأسِ للحجِّ أَوْ العمرةِ:

بعضُ الحجاجِ يكتفِي بِقَصِّ شعراتٍ من رأسِهِ وهذا لا يكفِي ولا يحصلُ بهِ أداءُ النسكِ لأنَّ المطلوبَ التقصيرُ من جميعِ الرأسِ، لأنَّ التقصيرَ يقومُ مقامَ الحلقِ، والحلقُ لجميعِ الرأسِ فكذا التقصيرُ يكونُ لجميعِ الرأسِ قَالَ تعالَى: ﴿ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾ [الفتح: ٢٧] والذي يقصرُ بعضَ رأسهِ لا يقالُ إنَّهُ قصَّرَ رأسهِ وإنَّما يقالُ قصَّرَ بعضَهُ.

رابعاً: في الوقوفِ بعرفةَ:

١ـ بعضُ الحجاجِ لا يتأكدُ مِنْ مكانِ الوقوفِ ولا ينظرُ إلى اللوحاتِ الإرشاديةِ المكتوبِ عَلَيها بيانُ حدودِ عرفةَ فينزلُ خارجَ عرفةَ، وهذا إِنْ استمرَّ في مكانِهِ ولَمْ يدخلْ عرفةَ أَبَداً وقتَ الوقوفِ لَمْ يصحَّ حجَّهُ. فيجبُ عَلَىٰ الحاجِّ الاهتمامُ بهذا الأمرِ والتأكدُ من حدودِ عرفةَ ليكونُوا داخلَها وقتَ الوقوفِ.

٢ـ يعتقدُ بعضُ الحجاجِ أنَّهُ لابُدَّ في الوقوفِ بعرفةَ من رؤيةِ جبلِ الرحمةِ

أَوْ الذهابِ إليهِ والصعودِ عليهِ، فيكلِّفُونَ أنفسَهُم عَنَتاً ومشقةً شديدةً، ويتعرضُونَ لأخطارٍ عظيمةٍ من أجلِ الحصولِ على ذلِكَ. وهذا كُلّهُ غيرُ مطلوبٍ منهُم وإنَّما المطلوبُ وجودهُم في عرفةَ في أيِّ مكانٍ منها لقولِهِ ﷺ: **«وعرفةُ كُلّها مواقفٌ وارفعُوا عن بطنِ عُرَنَةَ سواءٌ رأُوا الجبلَ أو لَمْ يروْهُ»**(١)، ومِنْهُم من يستقبلُ الجبلَ في الدعاءِ والمشروعُ استقبالُ الكعبةِ.

٣ـ بعضُ الحجاجِ ينصرفُونَ ويخرجُونَ من عرفةَ قبلَ غروبِ الشمسِ وهذَا لاَ يجوزُ لَهُمْ؛ لأنَّ وقتَ الانصرافِ محددٌ بغروبِ الشمسِ، فَمَنْ خَرجَ مِنْ عرفةَ قبلَهُ ولَمْ يرجعْ إليهَا فقد تركَ واجباً من واجباتِ الحجِّ ويلْزَمُهُ بهِ دمٌ مَعَ التوبةِ إلى اللهِ، لأنَّ الرسولَ ﷺ ما زالَ واقفاً بعرفةَ حتى غروبِ الشمسِ، وقَدْ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: **«خُذُوا عَني مَنَاسِكَكُم»**(٢).

خامساً: في مُزدَلِفَةَ:

المطلوبُ من الحاجِّ إذا وصلَ إلى مزدلفةَ أنْ يصلّيَ المغربَ والعشاءَ جمعاً ويبيتَ فيها فيصلّي بها الفجرَ ويدعوَ إلى قُبيلِ طلوعِ الشمسِ. ثم ينصرفَ إلى مِنى، ويجوزُ لأهلِ الأعذارِ خاصةً النساءَ وكبارَ السنِّ والأطفالَ ومَنْ يقومُ بتولّي شؤونِهم الانصرافُ بَعْدَ منتصفِ الليلِ، ولكِنْ يحصلُ مِنْ بعضِ الحجاجِ أخطاءٌ في هذا النسكِ: فبعضُهم لا يتأكدُ من حدودِ مزدلفةَ ويبيتُ خارجَها، وبعضُهم يخرجُ منها قبلَ منتصفِ الليلِ ولا يبيتُ فِيهَا، ومَنْ لَمْ يَبِتْ بمزدلفةَ مِنْ غيرِ عذرٍ فقدْ تركَ واجباً من واجباتِ الحجِّ يلزمُهُ به دمٌ جَبْراً مع التوبةِ

---

(١) ابن ماجة (٣٠١٢) [مقارب].
(٢) تفسير القرطبي (٢/ ٤١٠)، سنن البيهقي الكبرى (٩٣٠٧)، فتح الباري (١٢١).

والاستغفارِ.

سادساً: في رَمي الجمراتِ:

رَمْيُ الجمراتِ واجبٌ من واجباتِ الحجِّ وذلِكَ بأنْ يَرْمِي الحاجُّ جمرةَ العقبةِ يومَ العيدِ، ويجوزُ بَعْدَ منتصفِ الليلِ من ليلةِ العيدِ ويَرْمِي الجمراتِ الثلاثَ في أيامِ التشريقِ بَعْدَ زوالِ الشمسِ، لَكِنْ يحصلُ من بعضِ الحجاجِ في هذا النسكِ أخطاءٌ:

١ـ فمِنْهُم مَنْ يَرْمِي في غيرِ وقتِ الرَّمْي، بأنْ يَرْمِي جمرةَ العقبةَ قبلَ منتصفِ الليلِ في ليلةِ العيدِ، أَوْ يَرْمي الجمراتِ الثلاثَ في أيامِ التشريقِ قَبْلَ زوالِ الشَّمسِ، وهذا الرَّميُ لا يُجزئُ؛ لأنَّهُ في غيرِ وقتهِ المحددِ لَهُ، فَهُوَ كَمَا لَوْ صلَّىٰ قبلَ دخولِ وقتِ الصلاةِ المحددِ لَهَا.

٢ـ ومِنْهُم مَنْ يُخلُّ بترتيبِ الجمراتِ الثلاثِ فيبدأُ مِنَ الوُسْطَىٰ أَوْ الأَخيرةِ، والواجبُ أنْ يبدأَ بالصُّغْرَىٰ ثُمَّ الوسْطَىٰ ثم بالكُبْرىٰ وهي الأخيرةُ.

٣ـ ومِنْهُم مَنْ يَرْمِي في غيرِ محلِّ الرَّمْي وهو حوضُ الجمرةِ وذلِكَ بأنْ يَرْمِي الحَصىٰ من بُعْدٍ فلا تقعُ في الحوضِ. أو يضربَ بها العمودَ فتطيرَ ولا تقع في الحوضِ، وهذَا رميٌ لا يُجزيُّ؛ لأنهُ لَمْ يقعْ في الحوضِ، والسببُ في ذلِكَ الجهلُ أو العجلةُ أو عدمُ المبالاةِ.

٤ـ ومِنْهُمْ مَنْ يُقدّمُ رَمْي الأيامِ الأخيرةِ مَعَ رَمْي اليومِ الأولِ من أيامِ التشريقِ ثُمَّ يسافرُ قَبْلَ تمامِ الحجِّ، وبعضُهم إِذَا رَمَىٰ لليومِ الأولِ يُوكّلُ مَنْ يَرْمِي عَنْهُ البقيةَ ويسافرُ إلى وطنِهِ. وهذا تلاعبٌ بأعمالِ الحجِّ وغرورٌ من الشيطانِ، فهذَا الإِنسانُ تَحمّلَ المشاقَّ وبذلَ الأموالَ لأداءِ الحجِّ، فلمّا بقيَ عليهِ القليلُ مِنْ

أعمالِهِ تلاعبَ بهِ الشيطانُ فأخلَّ بِهَا وتَرَكَ عدةَ واجباتٍ مِنْ واجباتِ الحجِّ. وهِيَ رميُ الجمراتِ الباقيةِ وتركُ المبيتِ بمنًى أيامَ التشريقِ وطوافُهُ للوداعِ في غيرِ وقتهِ لأنَّ وقتَهُ بَعْدَ نهايةِ أيامِ الحجِّ وأعمالِهِ. فهذَا لَوْ لَمْ يَحِجَّ أَصْلاً وسَلِمَ من التعبِ وإضاعةِ المالِ لكانَ أحسنَ. لأنَّ اللهَ تَعَالَى يقولُ: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ومعنى إتمامِ الحجِّ والعمرةِ إكمالُ أعمالِهما لِمَنْ أحرمَ بِهما على الوجهِ المشروعِ وأنْ يكونَ القصدُ خالِصاً لوجهِ اللهِ تَعَالَى.

٥ـ مِنَ الحجاجِ مَنْ يفهمُ خطأً في مَعْنَى التعجلِ الذي قالَ اللهُ تَعَالَى فيهِ: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣] فيظنَّ أنَّ المرادَ باليومينِ يومُ العيدِ ويومٌ بعدَهُ، وهو اليومُ الحادِي عشرَ فينصرفَ في اليومِ الحادِي عشرَ ويقولُ أنا متعجلٌ. وهذا خطأٌ فاحشٌ سببُهُ الجهلُ؛ لأنَّ المرادَ يومانِ بعدَ يومِ العيدِ، هُمَا الحادِي عَشرَ والثانِي عَشرَ. مَنْ تعجلَ فيهما فنفرَ بَعْدَ أنْ يَرْمِيَ الجِمارَ بعدَ زوالِ الشمسِ مِنَ اليومِ الثَّانِي عَشَرَ فلا إثمَ عليهِ، ومَنْ تأخرَ إلى اليومِ الثالثِ عَشَرَ فرميُ الجمارَ بعدَ زوالِ الشمسِ فيه، ثُمَّ نفرَ فهذا أفضلُ وأكملُ فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ وأدُّوا حجّكُم على وَفْقِ ما شرعَ اللهُ خالِصاً لوجههِ تفوزُوا بثوابهِ. أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾.

باركَ اللهُ لِي ولَكُم في القرآنِ العظيمِ.

في بيانِ حكمِ زيارةِ المسجدِ النبويّ وما يُرتكبُ فِيهَا مِنْ أخطاء

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ. القائلِ في كتابهِ المبينِ: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٨] وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ الملكُ الحقُّ المبينُ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ الصادقُ الأمينُ، صَلَّىٰ اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ أجمعينَ. وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدينِ. أمَّا بَعْدُ:

أيُّها الناسُ اتقُوا اللهَ تعالَى وأخلصُوا لَهُ العبادةَ مقتدينَ بنبيكُم ﷺ حتى تكونَ أعمالُكُم صحيحةً مقبولةً عِنْدَ اللهِ تعالَى.

عبادَ اللهِ لا شكَّ أنَّ زيارةَ مسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ سنةٌ ثابتةٌ. لقولهِ ﷺ: «**لا تُشدُّ الرحالُ إلاَّ إلى ثلاثةِ مساجدَ: المسجدِ الحرامِ. ومسجدِي هذَا والمسجدِ الأقصىٰ**»[1]. وأخبرَ ﷺ أنَّ الصلاةَ في مسجدهِ أفضلُ مِنْ ألفِ صلاةٍ فِيمَا سُواهُ مِنَ المساجدِ إلاَّ المسجدَ الحرامَ. فدلَّ ذلِكَ على مشروعيَّةِ زيارةِ مسجدِهِ ﷺ والسفرِ مِنْ أجلِ ذلِكَ؛ طَلَباً لهذَا الفضلِ العظيمِ. ولكِنْ بعضُ الزائرينَ يخطئُونَ في ذلِكَ أخطاءً كثيرةً.

منها اعتقادُ بعضِهم أنَّ زيارةَ المسجدِ النبويِّ الشريفِ لها علاقةٌ بالحجِّ أَوْ أَنَّها مِنْ مُكملاتِهِ أَوْ مِنْ جُمْلَةِ مناسكِهِ، وهذَا خطأٌ واضحٌ؛ لأنَّ زيارةَ المسجدِ النبويِّ لَيْسَ لها وقتٌ محددٌ مِنَ السَّنةِ ولا ارتباطٌ لها بالحجِّ أَصْلاً. فَمَنْ حجَّ ولَمْ يزرْ المسجدَ النبويَّ فحجّهُ تامٌ وصحيحٌ.

---

(١) البخاري (١١٣٢)، مسلم (١٣٩٧)، ابن حبان (١٦١٩) [واللفظ لمسلم].

٢ـ ومنها اعتقادُ بعضِهم أنَّ زيارةَ المسجدِ النبويّ واجبةٌ. وهذا اعتقادٌ غيرُ صحيحٍ؛ لأنَّ زيارةَ المسجدِ النبويّ سُنةٌ. فَلَوْ لَمْ يزرْهُ طوالَ حياتِهِ فلا شَيءَ عليهِ، ومَنْ زارَهُ بنيةٍ صالحةٍ حَصَلَ على ثوابٍ عظيمٍ، ومَنْ لَمْ يزرْهُ فلا إثمَ عليهِ.

٣ـ ومِنْهَا أنَّ بعضَ الزوارِ يعتبرُ زيارةَ مسجدِ الرسولِ زيارةً للرسولِ أَوْ زيارةً لقبرِ الرسولِ، وهذَا خطأٌ فِي التسميةِ قَدْ يكونُ مصحوباً بخطأٍ في الاعتقادِ. لأنَّ أصلَ الزيارةِ التي يسافرُ من أجلِها هي لمسجدِ الرسولِ ﷺ بقصدِ الصلاةِ فيهِ، وتدخلُ زيارةُ قبر الرسولِ ﷺ وزيارةُ غيرِهِ من قبورِ الصحابَةِ وزيارةُ قبورِ الشهداءِ تدخلُ تبعاً لزيارةِ المسجدِ. ولا تقصدُ بالسفرِ أصالة. لأنَّ النبيَّ ﷺ نَهَىٰ عن السّفرِ الذي يُقصدُ بهِ التعبدُ في مكانٍ مِنَ الأمكنةِ إلاّ إلى المساجدِ الثلاثةِ. فلا يسافرَ لأجلِ زيارةِ قبورِ الأنبياءِ والأولياءِ ولا لأجلِ الصلاةِ في مسجدٍ مِنَ المساجدِ غَيْرِ الثلاثةِ، وأمَّا الأحاديثُ التي وردَتْ في الحثِّ على زيارةِ قبرِ الرسولِ ﷺ لِمَنْ حجَّ البيتَ فكلّها أحاديثُ لا يُحتجُ بواحدٍ منها لأنَّها إمَّا موضوعةٌ وإما ضعيفةٌ متناهيةَ الضعفِ كَمَا بَيّنَ ذلِكَ أئمةُ الحفاظِ، لكِنْ مَنْ زَارَ مسجدَ رسولِ اللهِ ﷺ استحبَّ لَهُ زيارةُ قبرهِ وزيارةُ غيرِهِ من القبورِ تبعاً لزيارةِ المسجدِ. وأخذاً من عمومِ مشروعيةِ زيارةِ القبورِ بشرطِ أنْ تكونَ زيارةً شرعيةً يُقتصرُ فيها على السلامِ على الموتَىٰ والدعاءِ لَهُمْ بالرحمةِ والرضوانِ، لا الاستغاثةِ بِهم مِنْ دُونِ اللهِ وطلبِ الحوائجِ مِنْهُم، فإنَّ هذه زيارةٌ شركيةٌ لا شرعيةٌ.

٤ـ ومِنَ الأخطاءِ التي تحصلُ مِمَنْ يزورونَ المسجدَ النبويَّ الشريفَ أنَّهم يظنُونَ أنَّهُ لابُدَّ أنْ يُصلوا فيه عدداً محدداً من الصلواتِ إمَّا أربعينَ صلاةٍ أو نحو

ذلِكَ. وهذا خطأٌ؛ لأنَّهُ لَمْ يَثبتْ عَنِ النبيِّ ﷺ تحديدٌ للصلواتِ التي يصلِّيها الزائرُ لمسجدِهِ، والحديثُ الواردُ بتحديدِ أربعينَ صلاةٍ حديثٌ غيرُ ثابتٍ ولا يحتجُ بهِ، فعلىٰ هذا يصلّي ما تيسرَ لَهُ مِنَ الصلواتِ بدونِ تقيدٍ بعددٍ.

٥ـ ومِنَ الأخطاءِ العظيمةِ التي يقعُ فيها بعضُ مَنْ يزورُونَ قبرَ النبيِّ ﷺ رفعُ الأصواتِ عندَهُ بالأدعيةِ. يظنُونَ أنَّ للدعاءِ عِنْدَ قبرهِ مَزِيةً، وأنَّ ذلِكَ مشروعٌ، وهذا خطأٌ عظيمٌ؛ لأنَّهُ لا يشرعُ الدعاءُ عِنْدَ القبورِ. وإنْ كَانَ الدّاعِي لا يدعُو إلاَّ اللهَ. لأنَّ ذلِكَ بدعةٌ ووسيلةٌ إلىٰ الشركِ، ولَمْ يكُنْ السلفُ يدعُونَ عندَ قبرِ النبيِّ ﷺ إذا سلَّمُوا عليهِ. وإنَّما كانُوا يسلِّمُونَ ثم يَنْصَرِفُونَ. ومَنْ أرادَ أنْ يدعُو اللهَ استقبلَ القبلةَ ودَعَا في المسجدِ لا عِنْدَ القبرِ ولا مستقبلَ القبرِ؛ لأنَّ قبلةَ الدعاءِ هي الكعبةُ المشرفةُ فلينتبهْ لِهذَا.

٦ـ ومِنَ الأخطاءِ العظيمةِ التي يقعُ فيها بعضُ مَنْ يزورُونَ مسجدَ الرسولِ ﷺ إِنَّهم يذهبُونَ لزيارةِ أمكنةٍ في المدينةِ أو مساجدَ لا تشرعُ زيارتُها. بَلْ زيارتُها بدعةً محرمةً. كزيارةِ مسجدِ الغمامةِ ومسجدِ القبلتينِ والمساجدِ السبعةِ وغيرِ ذلِكَ مِنَ الأمكنةِ التي يتوهمُ العوامُّ والجهالُ أنَّ زيارتَها مشروعةٌ، وهذا من أعظمِ الأخطاءِ، لأنَّهُ لَيْسَ هناكَ ما تشرعُ زيارتُهُ في المدينةِ مِنَ المساجدِ غَيْرُ مسجدِ الرسولِ ﷺ ومَسْجِدِ قباء للصلاةِ فيهما، أمَّا بقيةُ مساجدِ المدينةِ فهي كغيرِها من المساجدِ في الأرضِ لا مزيةَ لها على غيرِها ولا تشرعُ زيارتُها، فيجبُ على المسلِمينَ أنْ ينتبهُوا لذلِكَ ولا يضيعُوا أوقاتَهم وأموالَهم فِيمَا يبعدُهُم عن اللهِ وعن رحمتهِ، لأنَّ من فَعَلَ شيئاً من العباداتِ لَمْ يشرعْهُ اللهُ ولا رسولُهُ فهُوَ مردودٌ عليهِ وآثمٌ فيهِ لقولِهِ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَليهِ أمرُنَا فَهُوَ

رَدٌّ»(١) ولَمْ يدلَّ دليلٌ على زيارةِ المساجدِ السبعةِ ولا مسجدِ القبلتينِ ولا مسجدِ الغمامةِ لا مِنْ فِعْلِ الرسولِ ﷺ ولا مِنْ أمرِهِ، وإِنَّما هذا شيءٌ محدَثٌ مبتدَعٌ. . . .

نسألُ اللهَ أنْ يُرينَا الحقَّ حقاً ويرزقْنَا اتّباعَه ويُرينَا الباطلَ باطلاً ويرزقْنَا اجتنابَهُ. ولَيْسَ لدخولِ مسجدِ الرسولِ ﷺ ذكرٌ مخصوصٌ. وإِنَّما يقولُ الزائرُ عِنْدَ دخولِهِ: بسمِ اللهِ والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ. أعوذُ باللهِ العظيمِ وبوجهِهِ الكريمِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ. اللهمَّ افتحْ لِي أبوابَ رحمتِكَ. كَمَا يقولُ ذلِكَ عِنْدَ دخولِ سائرِ المساجدِ، ثُمَّ يصلّي ركعتينِ يدعُو اللهَ فِيهِمَا بِمَا أحبَّ مِنْ خيريّ الدُّنيا والآخرةِ. وإنْ صَلاّهُمَا في الروضةِ الشريفةِ فهو أفضلُ. لقولِهِ ﷺ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي ومِنْبَري رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنةِ»(٢) ثُمَّ بَعْدَ الصلاةِ يزورُ قبرَ النبيِّ ﷺ وقَبْري صاحبيهِ: أبي بكرٍ وعمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. فيقفُ تجاهَ قبرِ النبيّ ﷺ بأدبٍ وخفضِ صوتٍ ثُمَّ يسلمُ عليهِ قَائِلاً: السلامُ عليكَ يا رسولَ اللهِ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ. ثُمَّ يسلِّمُ على أبي بكرٍ وعمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قَائِلاً: السلامُ عليكَ يا أبا بكرٍ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ، السلامُ عليكَ يا عمرَ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ. وكانَ ابنُ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إِذَا سلَّمَ عَلَىٰ الرسولِ ﷺ وصاحبيهِ لا يزيدُ عَلَى قوله: السلامُ عليكَ يا رسولَ اللهِ. السلامُ عليكَ يا أبا بكرٍ السلامُ عليكَ يا أبتَاهُ. ثُمَّ ينصرفُ. وهذه الزيارةُ إنَّما تشرعُ في حقِّ الرجالِ خاصةً. أمَّا النساءُ فلَيْسَ لَهُنَّ زيارةُ شيءٍ مِنَ القبورِ؛ لا قبرَ النبيِّ ﷺ ولا غيرِهِ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ لَعَنَ زواراتُ

---

(١) البخاري ٢٠٣٤.
(٢) مسلم (١٧١٨).

القبورِ والمتخذِينَ عَلَيها المساجدَ والسرجَ. وهذَا يعمُّ مسجدَ الرسولِ وغيرَهُ، فالمرأةُ تكفِيها زيارةُ المسجدِ النبويِّ والصلاةُ فيهِ، ولَيْسَ للزائرِ أنْ يُصلّيَ الصلواتِ الخمسَ في مسجدِ الرسولِ ﷺ وأن يكثرَ فيهِ مِنَ الذكرِ والدعاءِ صلوتِ النوافلِ اغتناماً للأجرِ ما دامَ في المدينةِ أيامَ زيارتهِ إنْ بقيَ فِيها، وإلاَّ فإنَّهُ يكفِيه ما تيسرَ من الصَّلواتِ بدونِ تحديدٍ. فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ واغتنمُوا الأوقاتِ قَبْلَ الفواتِ. أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧].
باركَ اللهُ لِي ولَكُم في القرآنِ العَظيمِ.

* * *

في فضلِ الشهادَتين

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، على فضلهِ وإحْسَانهِ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيهِ كَمَا ينبغي لكرمِ وجههِ وعِزِّ جلالِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحمدُ يُحي ويميتُ، وهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، البشيرُ النذيرُ والسراجُ المنيرُ صلَّى اللهُ عليهِ وعَلَى آلِهِ وأصحابِهِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً إلى يومِ الدينِ. أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ: اتقُوا اللهَ تعالَى واعلمُوا أنَّ الشهادتَينِ شهادةَ أنْ لا إلٰه إلاَّ اللهَ، وشهادةَ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ، هُمَا الركنُ الأولُ مِنْ أركانِ الإسلامِ وهُما أساسُ الدينِ، وقوامُ الملةِ لا يستقيمُ الدينُ ولا يصحُّ ولا ينفعُ حتى تستقيمَ الشهادتانِ، وهاتانِ الشهادتانِ يُعلنانِ دائماً وأبداً، في الأذانِ وفي الإقامةِ للصلاةِ وفي التشهدِ الأولِ والتشهدِ الأخيرِ من كُلِّ صلاةٍ ويعلنانِ في الخطبِ لأهميتِها وتذكيرِ الناسِ بهمَا، وهُمَا لَيْسَا مجردَ لفظٍ يقالُ باللسانِ وإنَّما هُما شهادتانِ عظيمتانِ لابُدَّ أنْ يحقِّقَهُمَا المسلمُ نُطقاً واعتقاداً وعملاً. فشهادةُ أنْ لا إلٰه إلاَّ اللهُ معناهَا ومقتضاهَا أنَّ الإنسانَ لا يعبدُ إلا اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ ويتركَ عبادةُ ما سواهُ ولهذا لمَّا قالَ النبيُّ ﷺ للمشركينَ «قولوا: لا إلٰه إلا اللهُ تفلِحُوا». قالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾ [ص: ٥ ـ ٧].

فَهِمُوا وهُمْ مشركونَ، فَهِمُوا معنىٰ لا إلٰه إلا اللهُ ومقتضاهَا وأنَّهم إذَا

قالُوهَا فإِنَّهُ يلزمُهُم أَنْ يتركُوا عبادةَ الأصنامِ وعبادةَ غيرِ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ كَائِناً مَنْ كَانَ، وهم لا يريدُونَ ذلِكَ، يريدُونَ أنْ يَبْقُوا على الشركِ لكِنَّ كثيراً ممن ينتسبُونَ إلى الإسلامِ اليومَ يقولُونَ لاَ إله إلا اللهُ ولكِنَّهُم لا يفقهُونَ معناهَا، ولا يعملون بمقتضاهَا، يظنونَ أنَّها مجردُ لفظٍ يقالُ باللسانِ ولذلِكَ يَدْعُونَ غيرَ اللهِ ويستغيثُونَ بالأمواتِ ويذبحونَ للقبورِ وينذرُونَ لَها ويطوفونَ بِها، كَمَا كَانَ المشركونَ الأولُونَ يفعلُونَ مَعَ الأصنامِ.

لكِنَّ المشركينَ الأولينَ أَبَوْا أنْ يقولُوهَا إنفةً وحميةً لدينِهم، وأمَّا هؤلاءِ فلا يبالُونَ ويظنونَ أنَّ لا إله إلا اللهُ مجردُ لفظٍ يقولُها بلسانِهِ دونَ أنْ يغيرَ شيئاً من واقعهِ وممَّا هُوَ عليهِ وممَّا عليهِ آباؤه وأجدادُه. ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ، فلذلِكَ لا تنفعُهم لا إله إلاَّ اللهُ حتى يحققُوا مدلُولَها ومعناهَا ويستقيمُوا عليها قالَ اللهُ جلَّ وعَلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠] لا يَكْفِي أنَّهم يقولُونَ ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [فصلت: ٣٠] بل لابدّ أنْ يستقيمُوا عَلَى هذَا وأنْ يخلِصُوا العبادةَ للهِ، ويخلصُوا الطاعةَ للهِ عزَّ وجَلَّ ويتركُوا ما نهىٰ اللهُ عَنْهُ.

وأمَّا شهادةُ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ فمعناهَا أنْ تقرَّ بلسانِكَ وتعتقدَ بقلبِكَ أنَّهُ رسولُ اللهِ حقًّا وتعلنَ ذلِكَ، فالذي يقولُ أشهدُ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ بلسانهِ ولكنَّهُ لا يعتقدُ ذلِكَ بقلبِهِ فهذا مُنَافِقٌ كما قالَ اللهُ جلَّ وعَلاَ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾ [المنافقون: ١-٣] فهُمْ يقولُونَ نشهدُ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ ولكنَّهُمْ ينكرُونَ ذلِكَ بقلوبِهم، وإنَّما قالُوهَا خداعاً

وتستراً؛ ليعيشُوا بَيْنَ المسلمينَ وهُمْ في قرارةِ أنفسِهم وعقيدةِ قلوبِهم منكرونَ لَها نسألُ اللهَ العافيةَ ولذلِكَ صارُوا في الدَّرْكِ الأسفلِ من النارِ.

كما أنَّهُ لا ينفعُ الاعتقادُ بأنَّهُ رسولُ اللهِ دونَ أنْ ينطقَ بذلِكَ ويشهدَ بذلِكَ علانيةً، فالمشركونَ يعلَمُونَ أنَّهُ رسولُ اللهِ بقلوبِهم لكنَّهُم أبَوْا أنْ ينطقُوا وأنْ يَشْهَدُوا أنَّهُ رسولُ اللهِ عناداً وتكبراً، قالَ تعالَى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٣]. قالَ تعالَى: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤]. فالمشركُونَ والكفارُ يعلمونَ أنَّهُ رسولُ اللهِ ويعرفُونَ ذلِكَ بالأدلَّةِ والبراهين لكنْ مَنَعَهُم الكبرُ ومَنَعَهم الحقدُ والحميةُ الجاهليةُ أنْ ينطقُوا بذلِكَ بألسنتِهم، وأنْ يشهدُوا لَهُ بالرسالةِ؛ ولهذا قالَ العلماءُ ـ رحمَهم اللهُ ـ معْنىٰ شهادةِ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ: (طاعتهُ فيما أمرَ وتصديقهُ فيما أخبرَ واجتنابُ ما نهىٰ عَنْهُ وزجرَ، وألاَّ يعبدَ اللهَ إلا بمَا شرعَ).

هذا ملخصُ مَعْنَى شهادةِ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ طاعتُهُ فيما أمرَ، فالَّذي يشهدُ أنَّه رسولُ اللهِ ولكنَّهُ لا يطيعَهُ، هذا شهادتُهُ إمَّا باطلةٌ وإمَّا ناقصةٌ لأنَّهُ لَوْ كانَ صادقاً في شهادةِ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ لأطاعَهُ واتبعَهُ، وكذلِكَ يتجنبُ ما نهىٰ عَنْهُ الرسولُ ﷺ، هذا مِنْ مُقْتضَىٰ شهادةِ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ أنْ تجتنبَ ما نهاكَ عَنْهُ، قالَ تعالَى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وَقالَ ﷺ: «ما أمرْتُكم بِهِ فأتوا مِنْهُ ما استطعتُم وما نهيتُكُم عَنْهُ فاجتنبُوه»[1]، وذلِكَ كَما

---

(١) ابن ماجة (١) [مقارب].

فِي قولِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧].

وأمَّا تصديقهُ فيما أخبرَ؛ النبيُّ ﷺ أخبرنَا أنَّهُ رسولُ اللهِ وأنَّ اللهَ أرسلَهُ وأنَّهُ يُوحَى إليهِ من اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ، وأخبرنَا عَنْ أمورٍ ماضيةٍ أطلعَهُ اللهُ عَلَيها وعنْ أُمورٍ مستقبلةٍ مِنْ علمِ الغيبِ أطلعَهُ اللهُ عَلَيها، فأخبرنَا بذلِكَ من أمورٍ مستقبلةٍ في الدُّنيا وأمورٍ مستقبلةٍ في الآخرةِ يجبُ علينَا أنْ نُصَدِّقَهُ ﷺ في ذلِكَ كُلِّه، فَمَنْ لَمْ يصدقْهُ أوشَكَّ في خبرِهِ فهو كافرٌ لَمْ يشهدْ أنَّهُ رسولُ اللهِ، لأنَّهُ لَوْ كانَ يشهدُ أنَّهُ رسولُ اللهِ لصدقهُ فيما يخبرُ بهِ.

وكذلِكَ ألاَّ يعبدَ اللهَ إلاَّ بِمَا شرعَ فإذَا شهدتَ أنَّهُ رسولُ اللهِ فيجبُ عليكَ أنْ تقتصرَ في عبادَتِكَ على ما أمرَ بهِ الرسولُ ﷺ فتجتنبَ البدعَ والمحدثاتِ والضلالاتِ والخرافاتِ، فلا تعملُ عملاً إلاَّ إذَا كَانَ الرسولُ ﷺ قد شرعَهُ وجاءَ بهِ قالَ ﷺ: **«مَنْ عَمِلَ عملاً ليسَ عليه أمرُنَا فهُوَ ردٌّ»**(١)، وفي رواية **«من أحدَثَ في أمرِنَا هذا ما ليسَ مِنْهُ فهُوَ ردٌّ»**، قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: **«أُوصِيكُم بتقوىٰ اللهِ والسمعِ والطاعةِ»** إلى أنْ قالَ: **«فإنَّ مَنْ يعشْ مِنكُم فسيرىٰ اختلافاً كثيراً فعليكُم بسنتي، وسنةِ الخلفاءِ الرَّاشدينَ المهديينَ مِنْ بَعْدِي، تمسكُوا بِها وعَضُّوا عَلَيها بالنواجذِ، وإياكُمْ ومحدثاتِ الأُمورِ؛ فإن كُلَّ محدثةٍ بدعةٌ وكُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ وكُلَّ ضلالةٍ في النارِ»**(٢)، وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: **«إن خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ وشرَّ الأمورِ محدثاتها وكلَّ بدعةٍ**

---

(١) مسلم ٣٢٤٣، أحمد ٢٣٩٧٥.

(٢) مسند أحمد (٤/ ١٢٦) [مقارب]، التمهيد لابن عبد البر (٢١/ ٢٧٩)

ضلالةٌ»(١).

فيجبُ عَلَى المسلمِ أنْ يتبعَ هذا الرسولَ ﷺ وألاَّ يعملَ عملاً ولا يعبدَ اللهَ عبادةً إلا إذَا كانَ قَدْ جاءَ بها الرسولُ ﷺ وثبتتْ عَنْهُ مِنْ قولِهِ وفعلِهِ أو تقريرِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ، وأمَّا ما أحدَثَهُ الناسُ وزادَهُ الناسُ فإنهُ بدعةٌ وضلالةٌ، وإنْ كانوا يظنونَ أنَّهُ طاعةٌ وقربةٌ وإنَّهُ زيادةٌ في الخيرِ، فهو شرٌّ وضلالةٌ وهو في النارِ، فهذِهِ الأمورُ مِنْ معنىٰ شهادةِ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ فلَيْسَتْ مجردَ لفظٍ يقالُ باللسانِ.

وأمَّا العملُ فيعملُ الإنسانُ ما يشاءُ أو ما أدركَ عليه الناسَ أو آباءَهُ مِنْ غيرِ دليلٍ، هذا هُوَ الواجبُ على المسلمِ، قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، لابدَّ مِنْ اتباعهِ ﷺ ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، قال تعالَى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١] فهو القدوةُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ وهو الإمامُ وهو المطاعُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ، فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، فكِّروا في هذا الأمرِ معنى شهادةِ أنْ لا إلٰه إلا اللهُ ومعنى شهادةِ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ، ونفِّذُوا ذلِكَ واعملُوا بهِ حتى تكونُوا

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٢٥٤) [مقارب].

من المفلحينَ.

بارَكَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ . . .

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ على فضلِهِ وإحسانِهِ والشكرُ لَهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لاَ إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ صلّى اللهُ عليهِ وعَلَى آلهِ وأصحابهِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً، أمَّا بعدُ:

عبادَ اللهِ يقولُ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]. أقسمَ سبحانَهُ وتعالَى بنفسِهِ أنَّ أحداً لا يؤمنُ حتى يحكِّمَ هذا الرسولُ ﷺ في جميعِ أمورِهِ الخاصةِ والعامةِ مَعَ الناسِ.

الرسولُ ﷺ هُوَ الحكمُ الذي أمرَهُ اللهُ أنْ يُحَكِمَ بَيْنَ الناسِ بما أنْزَلَ اللهُ عليهِ، فلابُدَّ مِنَ التحاكُمِ إلى الرسولِ عِنْدَمَا يختلفُ في أمرٍ مِنَ الأمورِ الدقيقةِ أو الجليلةِ بأمور العقيدةِ، بأمورِ العبادةِ بأمورِ المعاملاتِ في الأمورِ الخاصةِ بالإنسانِ لابدَّ أنْ يُحكِّمَ فيها رسولَ اللهِ ﷺ ويقبلَ حكمَهُ مقتنعاً بذلِكَ، لا يجدَ في نفسِهِ حَرَجاً ممَّا قضىٰ بهِ الرسولُ ﷺ، ويسلمَ بهِ تسليماً كاملاً، هذا هو مقتضىٰ شهادةُ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ.

واللهُ سبحانَهُ وتعالَى ضمنَ الهدايةَ لِمَنْ أطَاعَ الرسولَ ﷺ قالَ جلَّ وعَلاَ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: ٥٤] وضمنَ

الرحمةَ لِمَنْ أطاعَ الرسولَ ﷺ فقالَ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٣٢﴾ [آل عمران: ١٣٢].

أيُّها المسلمونَ: إنَّ اللهَ ـ جلَّ وعَلاَ ـ حذَّرَ من مخالفةِ الرسول ﷺ وتوّعدَ على ذلِكَ بأشدِّ الوعيدِ، قالَ تعالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النور: ٦٣] مهدَّدُونَ بعقوبتين:

العقوبة الأولى: الفتنةُ في القلوبِ وذلِكَ بأنْ يزيغَ عن الدينِ ويخرجَ إلى الكفرِ ويُفتنَ في عقيدتهِ وفي دينهِ، بسببِ مخالفتِهِ للرسولِ ﷺ وهذه أشدُّ.

العقوبة الثانية: العذابُ الأليمُ في البدنِ، يعذبُ في بدنهِ بالعقوباتِ بالقتلِ، بالتشويهِ، بتسلطِ العدوِ في الدُّنيا في الآخرةِ، يعذبُ في النارِ والعياذُ باللهِ ﴿عذابٌ أليمٌ﴾ فنسألُ اللهَ العافيةَ ولهذا حذَّرَ الأئمةُ ـ رحمهم اللهُ ـ من مخالفةِ الرسولِ ﷺ، قالَ الإمامُ الشافعيُّ ـ رحمه اللهُ ـ، أجمعَ المسلمُونَ على أنَّه مَنْ استبانَ لَهُ سنةُ رسولِ اللهِ ﷺ لَمْ يكُنْ لَهُ أنْ يدعَها لقولِ أحدٍ.

وقال الإمامُ أحمدُ ـ رحمَهُ اللهُ ـ: عجبتُ لقومٍ عرفُوا الاسنادَ وصحتهِ يذهبونَ إلى رأي سفيانَ واللهُ تعالَى يقولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النور: ٣٦] أتدري ما الفتنةَ؟ الفتنةُ الشركُ، لعلَه إذَا ردَّ بعضَ قولِهِ أنْ يقع في قلبهِ شيءٌ من الزيغِ فيهلَكَ. ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ، فعلينَا جميعاً وعلى جميعِ المسلمينَ أنْ يلزَمُوا طاعةَ الرسولِ ﷺ، وأن يعملُوا بسنتهِ وأن يهتدُوا بهديهِ قالَ ﷺ: «إنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ وخيرَ الهديِ هَدْي محمدٍ ﷺ وشرَّ الأمورِ محدثاتُها وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ»[1] فاتقُوا

---

(١) أبو داود ٣٩٩١، وابن ماجة ٤٢.

اللهَ عبادَ اللهِ، وعليكُم بالجماعةِ فإنَّ يدَ اللهِ على الجماعةِ ومَنْ شذَّ شذَّ في النارِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٦٥]. . .

* * *

في أهميةِ الصلاةِ

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، جَعَلَ الصلاةَ عمودُ الإسلامِ وأحدَ مبانِيهِ العظامِ وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ في ربوبيته وألوهيتهِ وأسمائِهِ وصفاتِهِ ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٧٨ ﴾ [الرحمن: ٧٨]، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ وصفيهُ وخليلهُ مِنْ بينِ سائرِ الأنامِ صلّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وأصحابهِ البررةِ الكرامِ وسلّمَ تسليماً كثيراً. أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ اتقُوا اللهَ تعالَى، واعلمُوا أنَّ الصلاةَ هي أعظمُ أركانِ الإسلامِ بعدَ الشهادتينِ، فهي الركنُ الثاني من أركانِ الإسلامِ، وجاء في الأثرِ: إذَا أردتَ أنْ تعرفَ قدرَ الإسلامِ عِنْدَكَ فانظر إلى قدرِ الصلاةِ عِنْدَكَ. وهذه الصلواتُ الخمسُ لها فضائلُ عظيمةٌ، مما يدلُّ على ذلِكَ أنَّ اللهَ ـ سبحانَهُ وتعالَى ـ فرضَها عَلَى المسلمينَ قَبْلَ الهجرةِ، فصلاّهَا رسولُ اللهِ ﷺ بمكةَ قَبْلَ الهجرةِ وأمَّا بقيةُ شرائعِ الإسلامِ فلم تفرضْ إلاَّ بَعْدَ الهجرةِ إلى المدينةِ، ومِنْ ذلكَ أنَّ اللهَ فرضَها على نبيِهِ وعلى أمتِهِ ليلةَ المعراجِ فوقَ سَبْعِ سمواتٍ، وبقيةُ الشرائعِ كانتْ تنزلُ على النبيِّ ﷺ بواسطةِ جبريلَ وهُوَ في الأرضِ.

ومما يدلُّ على فضلِ الصواتِ الخمسِ أنَّ اللهَ كررّهَا في اليومِ والليلةِ خمسَ مراتٍ لحاجةِ العبادِ إليها، ومما يدلُّ على فضلِها أنَّ اللهَ ـ سبحانَهُ وتعالَى شَرَطَ لَهَا شروطاً لا تشترطُ في سائرِ العباداتِ، فمنْ ذلِكَ أنَّهُ شرطَ لها الطهارةَ، وشرطَ لها ستر العورةِ، وشرطَ لها استقبالَ القبلةِ مما يدلُّ على عظمتِها ومكانتِها

عندَ اللهِ سبحانَهُ وتعالَى، ومِنْ ذلِكَ أنَّ اللهَ أمَرَ ببناءِ المساجدِ لها وترتيبُ الأئمةِ والمؤذنينَ قالَ تعالَى: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور: ٣٦ـ٣٨] ومن ذلِكَ أنَّ اللهَ جَعَلَ المشيَ إليها عبادةً وجَعَلَ انتظارَها رباطاً في سبيلِ اللهِ قالَ ﷺ كَمَا في حديثِ أبي هريرة: «صلاةُ الرجلِ في جماعةٍ تفضلُ على صلاتِه في بيتِهِ وفي سوقِهِ بسبعٍ وعشرينَ درجةً، وذلِكَ أنَّهُ إذَا توضأَ فأحسنَ الوضوءَ ثم خرجَ إلى الصلاةِ لا يخرجُهُ إلاّ الصلاةُ كانتْ كُلُّ خطوةٍ من خطواتِه يكتبُ اللهُ لهُ بها درجةً، ويضعُ عَنْهُ خطيئةً، ويرفعُ لَهُ بها درجةً، فإذَا صلاّها في المسجدِ مَعَ الجماعةِ كُتبتْ لَهُ سَبْعاً وعشرينَ درجةً (أيْ سبعاً وعشرينَ صلاةً) فإذا جَلَسَ بَعْدَهَا لَمْ تزلْ الملائكةُ تصلي عليهِ وتستغفرُ لَهُ، اللهمَّ صلِّ عليهِ اللهمَّ اغفر لَهُ، اللهمَّ ارحمْهُ ولا يزالُ في صلاةٍ ما انتظرَ الصلاةَ»[1] وجاءَ في الحديثِ الصحيحِ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «ألا أدُلُّكُم على ما يمحو اللهُ بِهِ الخطايَا ويرفعُ بِهِ الدرجاتُ. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إسباغُ الوضوءِ على المكارهِ وكثرةُ الخُطا إلى المساجدِ وانتظارُ الصلاةُ بَعْدَ الصلاةِ فذلكُم الرباطُ، فذلكُم الرباطُ.»[2] ومما يدلُّ على فضلِ الصلاةِ وعظيمِ قدرِهَا أنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالَى توَعدَ المتخلفينَ عَنْها والساهينَ عَنْها المضيعينَ لَها بأشدِّ الوعيدِ قالَ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟

---

(١) مسند أحمد (٣٦٢٣)، المعجم الصغير (٨٣٤).

(٢) مسلم (٢٥١)، ابن حبان (١٠٣٨)، الترمذي (٥٢)، السنن الصغرى (٩٣)، السنن الكبرى (١٣٩).

ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ﴾ [مريم: ٥٩ـ٦٠] وقالَ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٤ـ٥] معناهُ والسَّهوُ عَنْها وإضاعَتِها تأخيرَها عَنْ وقتِها أمَّا مَنْ تركَها نهائيًا ولَمْ يصلِّها متعمداً فإنَّه يخرجُ من ملةِ الإسلامِ ويرتدُ عن الدينِ كَما قالَ ﷺ: «بين العبدِ وبينَ الكفرِ والشركِ تَرْكُ الصلاةِ»[1] رواهُ مسلمٌ، وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «العهدُ الذي بيننَا وبينَهُم الصلاةُ فَمَنْ تركَها فقد كَفَرَ»[2].

ومِنْ فضائِلِ الصلواتِ الخمسِ أنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالَى أَمَرَ بالمحافظةِ عَليها والمداومةِ عليها قالَ سبحانَهُ وتَعالَى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝٢٣٨ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ۝٢٣٩﴾ [البقرة: ٢٣٨ـ٢٣٩] ولَمْ يسقطْها عَنِ المريضِ، ولَمْ يسقطْها عَنِ المسافرِ، ولَمْ يسقطْها عن الخائفِ من عدوهِ، حتى في حالةِ الحربِ والمصافةِ في المعركةِ أَمَرَ اللهُ بإقامةِ الصلاةِ إذَا حضرتْ ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ﴾ [النساء: ١٠٢] وفي شدةِ الخوفِ قالَ تعالَى: ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ﴾ [البقرة: ٢٣٩] أي فصلُّوها وأنتُم تمشونَ أوْ تَعْدُونَ على أقدامِكُم، أوْ راكبينَ على دوابِكُم، فلا تتركَ الصلاةُ بأيِّ حالٍ لكنَّها

---

(١) ابن حبان (١٤٥٣)، المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم (٢٤٥)، الترمذي (٢٦١٩)، الدارمي (١٢٣٣)، تفسير ابن كثير (٣/١٢٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/١٢٨)، شرح سنن ابن ماجة (١٠٧٩)، شرح السيوطي (٤٦٣)، كشف الخفاء (٢٩٣٤).

تُصلّي على حسبِ الاستطاعةِ، والمسافرُ لا يتركُ الصلاةَ ولكنَّهُ يقصرُ الرباعيةَ ويجمعُ بينَ الصلاتينِ في وقتِ إحداهُما لأنَّ في ذلِكَ رفقاً بِهِ وتوفيراً للوقتِ لَهُ للسفرِ، المريضُ لا تسقطُ عَنْهُ الصلاةَ مَهْمَا بلغتْ حالَتهُ ما دامَ عقلَهُ باقياً وفكرهُ موجوداً فإنَّهُ لا تسقطُ عَنْهُ الصلاةَ لكنَّهُ يُصليها على حسبِ استطاعتِهِ قالَ ﷺ: «يُصلي المريضُ قائماً فإن لَمْ يستطعْ فقاعداً فإن لَمْ يستطعْ فعَلَى جنبٍ»(١).

يحافظُ المسلمَ على صلاتِهِ في جميعِ الأحوالِ ويداومُ على صلاتِهِ لايحافظَ على بعضِها ويتركُ البعضَ الآخرَ، أو يُصلي إذَا كَانَ مَعَ المصلينَ ويتركُ الصلاةُ إذَا كَانَ مَعَ المولينَ والمعرضِينَ، قالَ تعالَى: ﴿۞إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ [المعارج: ١٩ـ٢٢] إلى قولِهِ تعالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج: ٣٤ـ٣٥] وقالَ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١ـ٢] إلى قولِهِ تعالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ٩ـ١١] فالصلاةُ هي أولُ الأمرِ وآخرُ الأمرِ لا يُضيعَها ويتهاونُ بها ويتركَها مَنْ في قلبهِ إيمانٌ، مَنْ في قلبهِ دينٌ لا يتركَ الصلاةَ أبداً مَهْمَا كانتْ حالَتهُ، والنبيُّ ﷺ كَانَ إذَا حزبَهُ أمرٌ واشتدَّ بهِ كربٌ لجأَ إلى الصلاةِ واللهُ ـ جلَّ وعَلاَ ـ يقولُ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: ٤٥ـ٤٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣].

---

(١) السنن الصغرى (٦٢١)، سنن البيهقي الكبرى (٣٤٩٤)، سنن الدار قطني (١).

فالصلاةُ أمْرُهَا عظيمٌ وقدرُها عندَ اللهِ كبيرٌ ومكانتُها عندَ اللهِ عاليةٌ، وأوْلُ ما يحاسبُ عَنْهُ العبدُ يومَ القيامةِ مِنْ عملِهِ صلاتُهُ فإنْ قُبلتْ قبلَ سائرُ عملِهِ وإنْ ردتْ ردَّ سائرُ عملِهِ. أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

باركَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ . . .

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ ﷲِ على فضلهِ وإحسانهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ تعظيماً لشأنِهِ، وأشهد أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وأصحابهِ وسلَّم تسليماً كثيراً. أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ: اتقُوا اللهَ تعالَى إنَّ قدرَ الصلاةِ عندَ كثيرٍ من الناسِ اليومَ قد انحطَّ وضاعَ إلاَّ مَنْ رحمَ اللهُ، فأصبحتْ الصلاةُ عندهُم مِنْ أتفهِ الأشياءِ لا يهتمُونَ بِها ولا يراعُونَها ولا يقدرُونَ لَها قيمةً، ويقولُونَ الدينُ لَيْسَ بالصلاةِ وهكَذا يقولُونَ، مع أنَّ اللهُ جَعَلَ الصلاةَ هي عمودُ الدينِ، وهؤلاءِ يقولُونَ لَيْسَ الدينُ بالصلاةِ الدينُ المعاملةُ كَمَا يقولُونَ، الإيمانُ في القلبِ وهكَذا مما يمليهِ عَليهِم شياطينُ الإنسِ والجنِّ من الأقوالِ الباطلةِ.

الَّذِي لا يُصلِّي ليس لَهُ حظٌ في الإسلامِ ولَيْسَ لَهُ حظٌ من الدينِ وهو خارجٌ من الملةِ كَما صحتْ بذلكَ الأدلةُ من الكتابِ والسنةِ فبعضُ الناسِ لا يُصلِّي أبداً

ويقولُ: أنَّهُ مسلمٌ ويتزوجُ من بناتِ المسلمينَ، ويرثُ مِنَ المسلمينَ، ويدفنُ مَعَ المسلمينَ في المقابرِ، وهُوَ مِنَ الكفارِ لَيْسَ لَهُ حظٌ من الإسلامِ، ولكنْ لمّا كَثُرَ الجهلُ والغفلةُ صارَ المُصلّي والمولي سواءً عندَ الناسِ واللهُ ـ جلَّ وعَلا ـ يقولُ: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ [القيامة: ٣١ـ٣٦]، بعضُ الناسِ يُصلّي ولكِنْ على حسبِ هواهُ، فلا يُصلّي في الوقتِ وإنَّما يُصلي متىٰ ما فرغَ مِنْ أشغالِهِ أوْ مَتى ما فرغَ مِنْ نومِهِ أوْ مَتى ما انتهتْ مجالِسهِ مَعَ الفضائياتِ ومَعَ الإنترنتِ أوْ مَعَ جلساءِ السوءِ أوْ مَعَ اللعبِ بالورقِ والنردِ والشطرنجِ، فيُضيعُ أوقاتَهُ في اللعبِ والغفلةِ والكسلِ والنومِ ثم يصلّي متى ما أرادَ وهذَا لا صلاةَ لَهُ لأنَّهُ لَمْ يصلّي في الوقتِ ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النساء: ١٠٣] قالَ النبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلم: «صلِّ الصلاةَ لوقتها»(١) وسمعتُم قولَه تعالَى: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ﴾ [مريم: ٩٥] وقولَهُ تَعالَى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الماعون: ٤ـ٥] وإضاعةُ الصلاةِ والسَّهو عَنْها لَيْسَ معناهُ تَرْكَها بالكليةِ، وإنَّما معناهُ إضاعةُ وقتِها، معناهُ إضاعةُ وقتَ الصلاةِ فيخرجُها عَنْ وقتِها مِنْ غير عذرٍ شرعيٍّ، فَهَذا لا تصحُ صلاتُهُ لأنَّهُ لَمْ يصلِّ كما أَمرهُ اللهُ، وبعضُ الناسِ يُصلّي في الوقتِ لكنَّهُ لا يُصلّي مَعَ الجماعةِ وصلاةُ الجماعةِ واجبةٌ على الأعيانِ على كُلِّ مسلمٍ لَيْسَ لَهُ عذرٌ يمنعُهُ من خوفٍ أوْ مَرَضٍ، قالَ صلّى اللهُ عليه وسلم: «مَنْ سَمعَ النداءَ ولَمْ يُجبْ فلا صلاةَ لَهُ إلاَّ مِنْ عذرٍ»(٢) قيل للراوي: وما العذرُ؟ قالَ:

---

(١) مسلم (٦٤٨)، ابن حبان (١٤٨٢).

(٢) ابن حبان (٢٠٦٤) (٥/ ٤٥٠).

خوفٌ أوْ مرضٌ. فهو بجانبِ المسجدِ وجارٌ للمسجدِ ويدخلُ ويخرجُ من بيتهِ إلى أعمالِهِ ولا يخرجُ إلى المسجدِ ولا يُرىٰ مَعَ المصلينَ. هل هذه حالةُ مَنْ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ؟ واللهُ جلَّ وعَلاَ يقولُ: ﴿ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤] إنَّهُ لا يتخلفُ عن صلاةِ الجماعةِ من غير عذرٍ إلاَّ منافقٌ معلومَ النفاقِ. قالَ ﷺ: **«أثقلُ الصلواتِ على المنافقينَ صلاةُ العشاءِ وصلاةُ الفجرِ ولَوْ يعلمُونَ ما فيهمَا لأتوْهُمَا (يعني أتَوا إلى صلاةِ الجماعةِ) ولو حَبْواً»**(١).

قال عبدُ اللهِ بن مسعودٍ رضي اللهُ تعالَى عَنْه: مَنْ سرَّهُ أنْ يلقى اللهَ غداً مسلماً فيحافظْ على هذه الصلواتِ حيثُ يُنادَىٰ بهنَّ فإن اللهَ شرعَ لنبيكُم سنن الهُدىٰ وأنهنَّ من سننِ الهُدى، ولو أنَّكُم صلّيتُم في بيوتِكُم كما يصلّي هذا المتخلفُ في بيتهِ لتركتُم سنةَ نبيكُم ولو تركتُم سنةَ نبيكُم لضللتُم ولقد رأيتُنَا وما يتخلفُ عنها إلا منافقٌ معلومُ النفاقِ ولقد كانَ الرجلُ يؤتى به يهادَى بينَ الرجلينِ يقامَ في الصفِّ. فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ واعلمُوا أن خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ. . .

* * *

(١) المعجم الأوسط (١٨٣٤).

في فضلِ شهرِ رمضانَ

الحمدُ للهِ الذي جَعَلَ صيامَ شهرِ رمضانَ أحدَ أركانِ الإسلامِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، شهادةً تفتحُ لقائِلها دارَ السلامِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ أفضلَ مَنْ صلّى وصامَ، صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ البررةِ الكرامِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً. أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ اتقُوا اللهَ تعالَى واعلمُوا أنّكُم تستقبلونَ شهراً عظيماً، هُوَ شهرُ رمضانَ الَّذي جَعَلَ اللهُ صيامَهُ فريضةً وقيامَ ليلِهِ تطوعاً، وكَانَ النبيُّ ﷺ يبشرُ أصحابَهُ بقدومِ شهرِ رمضانَ ويُبينَ لَهُمْ فضائِلَهُ ومزاياهُ التي يمتازُ بها عَنْ غيرِهِ من شهورِ العامِ، فهو شهرٌ عظيمٌ وموسمٌ كريمٌ لِمَنْ وفَّقَهُ اللهُ وتنبهَ لنفسهِ، فهذا الشهرُ لَهُ فضائلُ جاءتْ في الكتابِ والسنةِ، من فضائِلهِ أنَّ اللهَ أوجبَ صيامَهُ وجَعَلَهُ أحدَ أركَانِ الإسلامِ قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ومِنْ فضائلِ هذا الشهرِ أنَّ اللهَ شرعَ فيهِ صلاةَ التراويحِ جماعةً في المساجدِ وخصَّهُ بذلِكَ مِنْ بينِ سائرِ الشهورِ، فقدْ صلّى ﷺ صلاةَ التراويحِ بأصحابِهِ ليالٍ ثُمَّ إنَّهُ تخلفَ عَنْهُم خشيةَ أنْ تفرضَ عليهِم، فبقيتْ صلاةُ التراويحِ سنةً مؤكدةً عَمِلَ بِها صحابتَهُ من بعدهِ، ومَنْ جاءَ بعدَهُم إلى يومِنَا هذا.

ومن فضائلِ شهرِ رمضانَ أنَّ اللهَ ـ جلَّ وعَلاَ ـ أنْزَلَ فيهِ القرآنُ قالَ تعالَى:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة: ١٨٥] فهذَا يُعطِي هذا الشهرُ شرفاً وفضيلةً على غيرِه من الشهورِ، أنَّ اللهَ خصّهُ بإنزالِ القرآنِ ولهذا يستحبُّ الإكثارُ من تلاوةِ القرآنِ في هذا الشهرِ، فللتلاوةِ فيهِ مزيةٌ على التلاوةِ في غيرِه، وإنْ كانتْ تلاوةُ القرآنِ مطلوبةً في كُلِّ الشهورِ والأيامِ ولكنَّ تلاوتَهُ في هذا الشهرِ لها فضيلةٌ خاصةٌ لأنَّهُ شهرُ القرآنِ، وكانَ النبيُّ ﷺ يقرأُ القرآنَ في هذا الشهرِ أكثرَ من غيرِه وكَانَ جبريلُ ـ عليهِ السلامُ ـ ينزلُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فيدارسَهُ القرآنَ في ليالِي شهرِ رمضانَ، ومِنْ فضائلِ هذا الشهرِ أنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالَى جَعَلَ فيهِ ليلةً خيراً من ألفِ شهرٍ قالَ تعالَى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ ﴾ [القدر: ١ ـ ٣]، وهذه الليلةُ في شهرِ رمضانَ قطعاً ولكِنَّ اللهَ لَمْ يُبَيِّنْها في أيِّ ليلةٍ من أجلِ أنْ يجتهدَ المسلمونَ في كُلِّ ليالي الشهر لَعَلَهُم يصادفُونَها فيحصلُونَ على أجرِهَا ويحصلُونَ على أجرِ قيامِ ليالِي الشهرِ كُلِّها فيكونُ لَهُمْ بذلكَ ثوابُ قيامِ رمضانَ كُلِّهِ وقيامِ ليلةِ القدرِ.

ومِنْ فضائلِ هذَا الشهرِ أنَّهُ تفتَّحُ فيهِ أبوابُ الجنانِ وتغلَّقُ فيهِ أبوابُ النيرانِ، ويقالُ: يا باغِي الخيرِ أقبلْ ويا باغيَ الشرِّ أقصرْ، وللهِ عتقاءُ مِنَ النارِ وذلِكَ في كُلِّ ليلةٍ من ليالِي شهرِ رمضانَ، ومعنى أنها تفتحُ فيهِ أبوابُ الجنةِ: أنَّ اللهَ ييسرُ فيهِ الأعمالَ الصالحةَ لعبادِهِ المؤمنينَ ويسهلُها عَليهم، حتى يدخلُوا بها الجنةَ، ومعنى أنها تغلقُ فيهِ أبوابُ النيرانِ: أنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالَى يُبْعِدُ عبادَهُ المؤمنينَ عن فِعْلِ المعاصي حتى يَسْلَمُوا من دخولِ النارِ، لأنَّ المعاصِي سببٌ لدخولِ النارِ فلذلِكَ تكثرُ الطاعاتُ في شهرِ رمضانَ وتقلُّ فيهِ المعاصِي، لأنَّ اللهَ أغلقَ فيهِ أبوابَ النيرانِ وفتحَ فيهِ أبوابَ الجنانِ، ووفَّقَ عبادَهُ المؤمنينَ للأعمالِ الصالحةِ ووَقَاهُم شرَّ الأعمالِ السيئة.

ومن فضائلِ هذا الشهرِ أنَّهُ يصفَّدُ فيهِ الشيطانُ الذي كانَ يغوي بنِي آدمَ ويحولُ بينَهم وبينَ الطاعاتِ، ويحببُ إليهم المعاصِي والسيئاتِ حتى يكونُوا من جندهِ وحتى يدخلُوا مَعَهُ في النارِ ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر: ٦] ففي هذا الشهرِ يصفَّدُ بمعنى أنَّهُ يغلُّ بالأغلال فلا يستطيعُ أنْ يقتربَ من عبادِ اللهِ المؤمنينَ، فيتمكنُونَ في هذا الشرهِ منعبادَةِ اللهِ من غيرِ منازعٍ؛ لأنَّهم تخلّصُوا من أسرِ عدوِهم الشيطانُ الذي يجري من ابنِ آدمَ مجرىٰ الدمِّ، فهذَا من فضلِ اللهِ أنَّهُ أسرَ عَدوهُم بدلَ أنْ كَانَ عدوْهم يأسرَهم، فاللهُ ـ جلَّ وعَلاَ ـ أسرَهُ بالأغلالِ حتى لا يخلصَ إلى عبادهِ المؤمنينَ المتقينَ، ولهذَا تجدونَ الطاعاتِ سهلةً على المؤمنينَ في شهرِ رمضانَ، وتجدون السيئاتِ بغيضةً إلى المؤمنينَ في شهرِ رمضانَ، لأن اللهَ ـ سبحانَهُ وتعالَى ـ غلَّ عَنْهُم عَدوَّهُم الذي كَانَ يثبطُهُم.

ومن فضائلِ هذا الشهرِ العظيمِ أنَّ اللهَ فرضَ صيامَهُ على الأمةِ، وجَعَلَهُ ركناً مِنْ أركانِ الإسلامِ وذلِكَ لشرفِهِ وفضلِهِ، والصيامُ عبادةٌ عظيمةٌ بها يتغلبُ الإنسانُ على نفسهِ وشهواتِهِ ويقبلَ على طاعةِ ربِّهِ؛ لأنَّ الشهواتِ تصدُّ الإنسانَ وتكسلُهُ عن الطاعةِ وربّما تحملُهُ على الأشرِ والبطرِ، فإذا صامَ وتركَ شهوتَهُ وطعامَهُ وشرابَهُ طاعةً للهِ، فإنَّهُ يكونُ قد تغلبَ على نفسهِ الأمارةِ بالسوءِ وآثرَ طاعةَ اللهِ على طاعةِ نفسهِ ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٦﴾ [التغابن: ١٦].

فالصيامُ عبادةٌ عظيمةٌ يختبرُ اللهُ بِهِ عبادَهُ بأنَّهم يتركونَ أحبَّ شَيْءٍ إليهم من الطعامِ والشرابِ والزوجاتِ وغيرَ ذلِكَ، يتركونَها طاعةً للهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ وامتثالاً

لأمرِهِ، ويصبرُونَ على الجوعِ ويصبرُونَ على العطشِ طاعةً للهِ عزَّ وجلَّ وطلباً لثوابِهِ، فهذا الصيامُ يمرنُ الإنسانَ ويروضُهُ على طاعةِ ربِّهِ وتركِ مألوفاتهِ وتقديمِ طاعةِ اللهِ على طاعةِ نفسهِ، فهو عبادةٌ عظيمةٌ مع ما يكتبُ اللهُ للصائمِ من الأجورِ العظيمةِ والخيراتِ الكثيرةِ، فإنَّ الصيامَ عبادةٌ عظيمةٌ وتربيةٌ للنفوسِ المؤمنةِ على طاعةِ اللهِ وطاعةِ رسولِهِ، وتربيةٌ للنفوسِ المؤمنةِ على تركِ مؤلوفاتِها وشهواتِها، وتعويدٌ للمؤمنِ على الصبرِ؛ ولهذا يُسمىٰ شهرُ رمضانَ شهرُ الصبرِ، والصبرُ ثوابُهُ الجنةُ فإنَّ الصبرَ هُوَ حبسُ النفسِ على طاعةِ اللهِ ـ سبحانَهُ وتعالَى ـ وحبسُها عن معصيةِ اللهِ، وهو ثلاثةُ أنواعٍ: صبرٌ على طاعةِ اللهِ، وصبرٌ عَنْ محارمِ اللهِ، وصبرٌ على أقدارِ اللهِ المؤلمةِ، وكُلها تجتمعُ في الصيامِ. فإنَّ فيهِ صبراً على طاعةِ اللهِ وذلِكَ بالصيامِ والعباداتِ القوليةِ والفعليةِ والقلبيةِ، وفيه صبرٌ عن محارمِ اللهِ فإنَّ اللهَ حرّمَ على الصائمِ تناولِ شهواتِهِ فهو يصبرُ عَنْها لأنَّ اللهَ حَرَّمَها وإنْ كانتْ مباحةً لَهُ قبلَ الصيامِ فيتركَها طاعةً للهِ، وكذلِكَ يصبرُ عن المحرماتِ الأخرىٰ التي هي حرامٌ عليهِ دائماً وأبداً ولكِنَّ الصيامَ يعينُهُ على تركِها والابتعادِ عَنْها، وكذلِكَ فيه صبرٌ على أقدارِ اللهِ المؤلمةِ بما ينالُ الصائمَ من شدةِ الجوعِ وشدةِ العطشِ فيعلمَ أنَّ هذا من قضاءِ اللهِ وقدرِهِ فيصبرَ على ذلِكَ ويتعلمُ بهِ الصبرَ على ما ينالهُ في هذه الدُّنيا من المكارهِ.

والصبرُ عبادةٌ عظيمةٌ ولا دينَ لمن لا صبرَ لَهُ، والصبرُ من الإيمانِ بمنزلةِ الرأسِ من الجسدِ فمَنْ لا صبرَ لَهُ فإنَّهُ لا دينَ لَهُ، وهذا الشهرُ يعودُ على الصبرِ بجميعِ أنواعهِ فيالَهُ مِنْ شهرٍ عظيمٍ وموسمٍ كريمٍ لِمَنْ وفّقَهُ اللهُ لاغتنامِ أيامِهِ، ولمنْ عرفَ قدرَهُ وقدرَ قيمتهِ، فهو غنيمةٌ ساقَها اللهُ إلى المؤمنِ ومكّنَهُ مِنْها، إنَّهُ لا يفرحُ بطولِ الأعمارِ من أجلِ البقاءِ في هذه الدُّنيا، لا يفرحُ بالأعمارِ من أجلِ

طلبِ الدُّنيا ومكاسبِها، لا يفرحُ بالأعمارِ مِنْ أجلِ بناءِ القصورِ وغرسِ الأشجارِ والأرصدةِ من الذهبِ والفضةِ، إنما يفرحُ بطولِ العمرِ لإدراكِ مثلِ هذا الشهرِ العظيمِ، يفرحُ بطولِ العمرِ لطاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ فَقَدْ قالَ ﷺ: **«خَيْرُكُمْ مَنْ طَالَ عُمرُهُ وحَسُنَ عَمَلُهُ»**[1] نسألُ اللهَ ـ سبحانَهُ وتعالَى ـ أنْ يبلغنَا وإياكُم هذَا الشهرَ وأنْ يمكننَا مِنِ استغلالِ خيراتهِ وأنْ يعيننَا على طاعتهِ ونيلِ مرضاتهِ إنَّهُ جوادٌ كريمٌ. أعوذُ باللهِ منَ الشيطانِ الرجيمِ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٨٣ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١٨٤ ﴾ [البقرة: ١٨٣ـ١٨٤] باركَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ. . .

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانهِ وأشكرهُ على توفيقهِ وامتنانهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا اللهُ وحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ صلّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وسلّمَ تسليماً كثيراً، أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ: اتقُوا اللهَ واعلمُوا أنَّهُ لا يُقدِّرُ قيمةَ هذَا الشهرِ العظيمِ إلاَّ مَنْ وفّقهُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ، أمَّا مَنْ حَرَمَهُ اللهُ من خيرهِ فإنَّهُ لا يَعْتبرُ هذا الشهرَ إلا كغيرهِ مِنَ الشهورِ يمرُّ عليهِ ويخرجُ وينتهي ما استفاد مِنْهُ شيئاً، فمن الناسِ مَنْ لا يعرفُ

---

(١) كشف الخفاء (١٢٣١).

هذا الشهرَ إلاَّ أنَّهُ شهرُ النومِ، شهرُ السهرِ بالليلِ على اللعبِ واللهوِ، والغفلةِ والضحكِ والمزاحِ، والنومِ بالنهارِ، حتى يتركَ الصلواتِ الخمسَ ولا يصليها في وقتِها.

ومِنَ الناسِ مَنْ لا يعرفُ هذَا الشهرَ إلاَّ أنَّهُ شهرٌ لتنويعِ المآكلِ والمشاربِ، فلذلِكَ يجمعُ في بيتهِ مِنْ كُلِّ صنوفِ الأطعمةِ والأشربةِ والمستلذاتِ ويشتغلُ بتناولِها، حتى يثقلَ عن طاعةِ اللهِ ويتكاسلَ حتى عن الصلاةِ المفروضةِ، مع أنَّ هذا الشهرَ شهرُ الجوعِ والظَّمأ، شهرُ القيامِ بالليلِ، شهرُ العبادةِ. وإنَّما يتناولُ الإنسانُ ممَّا أحلَّ اللهُ لَهُ قدرَ ما يُعينَهُ على طاعةِ اللهِ عزَّ وجَلَّ ولا يسرفُ في المآكلِ والمشاربِ. قالَ اللهُ ـ جلَّ وعَلاَ ـ: ﴿وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف: ٣١]. ومِنَ الناسِ مَنْ لا يعرفُ هذا الشهر إلاَّ أنَّهُ شهرٌ للتجارةِ بالبيعِ والشراءِ، والذهابِ إلى الأسواقِ للبيعِ والشراءِ، فطولُ نهارهِ ومعظمِ ليلهِ في الأسواقِ، ولا يجعلَ نصيباً للعبادةِ التي خصَّ اللهُ بها هذَا الشهرَ. لا نقولُ أنَّ الدكاكِينَ والمحلاتِ التجاريةَ تغلقُ في شهرِ رمضانَ، لكِنْ نقولُ يجعلُ لصلاةِ التراويحِ والعبادةِ نصيباً، وهي لا تأخذُ وقتاً طويلاً على المسلمِ فيجمعُ بينَ خَيْرَي الدُّنيا والآخرةِ؛ فإنَّ هذا الدينَ جاءَ بِخَيْرَي الدُّنيا والآخرةِ؛ فيجعلُ الإنسانُ للعبادةِ وقتاً ويجعلُ لطلبِ العلمِ وقتاً آخرَ، ولا تنافي. أمَّا إنَّهُ يجعلُ كُلَّ الليلِ والنهارِ للبيعِ والشراءِ والذهابِ إلى الأسواقِ فهذا حرمانٌ ولو حيزتْ لَهُ الدنيا بحذافيرِها فهُوَ خاسرٌ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [النحل: ١٠ـ١٢].

هذه هي التجارةُ الرابحةُ الباقيةُ، وهي طاعةُ اللهِ عزَّ وجلَّ والدُّنيا لا تتعارضُ مَعَ الآخرةِ إذَا استعملَها الإنسانُ بحكمةٍ وجَعَلَ للعبادةِ وقتاً ولطلبِ الرزقِ وقتاً آخرَ، ومِنَ الناسِ مَنْ لا يعرفُ هذَا الشهرَ إلاَّ أنَّهُ يذهبُ إلى الأسواقِ التجاريةِ، الأسواقِ الحديثةِ التي تجتمعُ فيها النساءُ، فيقارعُ النساءَ، ويتابعُ النساءَ، أو يغازلُ النساءَ أو يلاحقهنَّ ولا يستَحي من اللهِ ولا يستحي من الخلقِ، ولا يحترمُ الشهرَ فلا حولَ ولا قوةَ إلاّ باللهِ العليِّ العظيمِ، فاتقُو اللهَ عبادَ اللهِ. قالَ اللهُ ـ جلَّ وعَلاَ ـ: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝٣٢ ﴾ [الحج: ٢٣] فعظمُوا شعائرَ اللهِ وحرماتِ اللهِ ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝٣٢ ﴾ [الحج: ٢٣]، ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [الحج: ٣٠] فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ. قدِّرُوا شهرَكُم هذا واستغلُوهُ فيما ينفعُكُم وما يبقَىٰ لكُم ذخراً عند اللهِ، ولا تُضيعُوهُ بالغفلَةِ واللهوِ فتكونوا مِنَ الخاسرينَ.

ثُمَّ اعلمُوا عبادَ اللهِ أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ. . .

في فَضائلِ الذِّكرِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، جَعَلَ مِفتاحَ الجنَّةِ لا إلٰهَ إلاَّ اللهُ، ومَنْ لقي اللهَ جلَّ وعَلاَ بها يومَ القيامةِ كَفَّرَ اللهُ عَنْهُ ذنوبَهُ وخطاياهُ. وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، ولا نعبدُ إلاَّ إياهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ ومصطفاهُ صلّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابِهِ ومَنْ والاهُ وسلّمَ تسليماً كثيراً. أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ: اتقُوا اللهَ تعالى، واذكرُوا اللهَ ذكراً كثيراً، وسبِّحُوهُ بكرةً وأصيلاً ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨]، ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الأنفال: ٢].

فَذِكْرُ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ بِهِ حياةُ القلوبِ وصلاحُ الأعمالِ، فأكثروا من ذكرِ اللهِ ـ عزَّ وجَلَّ ـ في جميعِ أوقاتِكُم كما أمرَكُم اللهُ سبحانَهُ وتعالَى ـ بذلِكَ واعلمُوا أنَّ أفضلَ الذِّكرِ: لا إلٰه إلا اللهُ، هذه الكلمةُ العظيمةُ. قالَ ﷺ: «**خيرُ ما قلتُ أنا والنبيونَ مِنْ قبلِي لا إلٰهَ إلاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحمدُ وهو على كُلِّ شيءٍ قديرٌ**»[1] فكلمةُ: لا إلٰه إلا اللهُ. هي كلمةُ الإخلاصِ لأنَّها تخلصُ العبادةَ للهِ عزَّ وجلَّ وتبطلُ عبادةَ ما سواهُ، ولا إلٰه إلاّ اللهُ هي كلمةُ التقوىٰ قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا﴾ [الفتح: ٢٦] فهي كلمةُ التقوىٰ؛ لأنَّها تَقِي مَنْ قالَها مِنَ النارِ، ولأنَّها تتضمنُ

---

(١) الترمذي (٣٥٨٥).
مالك (٥٠٠)، تفسير القرطبي (١،١٣٢).

جميعَ الطاعاتِ، وتبطلُ جميعَ الشركياتِ فهي كلمةُ التقوىٰ، وهي العروةُ الوثقىٰ. قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦]، لأنَّ قولَهُ تعالَى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] هذا معنى النفي في لا إله إلا اللهُ، وقولَهُ: ﴿وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] هذا معنى الإثباتِ إلا اللهُ، فهي العروةُ الوثقىٰ التي مَنْ تمسَّكَ بها نَجَا وأفلحَ في الدُّنيا والآخرةِ.

وكلمةُ لا إله إلاّ اللهُ هي فاتحةُ دعوةِ الرسلِ قالَ اللهُ سبحانَهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقالَ سبحانَهُ وتعالَى لنبينا محمدٍ ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩] أمَرَهُ سبحانَهُ أنْ يعلمَ أنَّهُ لا إله إلا اللهُ، هذا أولُ شيءٍ يجبُ على المسلمِ. أولُ ما يجبُ على المسلمِ أن يعلمَ أنَّهُ لا إله إلا اللهُ، حتى يَبْنِي حياتَهُ وَعِبَادَاتَهُ وجميعَ شؤونِهِ على هذه الكلمةِ، فأنتَ حينمَا تقولُ لا إله إلا اللهُ فإنكَ تقرُّ وتعترفُ ببطلانِ عبادةِ كُلِّ ما عُبِدَ مِنْ دونِ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ وتثبتَ العبادةَ للهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ فيجبُ عليكَ أنْ تعملَ بهذهِ الكلمةِ فتجتنبَ عبادةَ غيرِ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ كائناً مَنْ كَانَ، وتخلصَ العبادةَ للهِ حتى تكونَ صادقاً في قولِكَ: لا إله إلاّ اللهُ، فليستْ هذه الكلمةَ مجردُ لفظٍ يقالُ باللسانِ، ولكنَّها كلمةٌ لها مَعْنىٰ ولها مُقتضىٰ، فمعناهَا لا معبودَ بحقٍّ إلاّ اللهُ، ومقتضاهَا أن تخلصَ جميعَ أعمالِكَ للهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ.

أمَّا مَنْ يقولُ هذه الكلمةَ بلسانِهِ ولكنَّهُ لا يعتقدُ معناهَا فهذا مِنَ المنافقينَ الذينَ يقولُونَ: لا إله إلاّ اللهُ، وهُم في الدَّركِ الأسفلِ من النارِ ولَنْ تجدَ لَهُمْ

نصيراً، فإنَّ المنافقينَ يقولُونَ: لا إله إلاَّ اللهُ، مِنَ الشفتينِ ولكنَّهُم لا يعتقدُونَ معناهَا في قلوبِهم، فهُم في الدَّرْكِ الأسفلِ من النارِ ولَمْ تنفعْهم لا إله إلا اللهُ، وكذلِكَ مَنْ يقولُ هذه الكلمةَ ويعرفُ معناهَا ويعتقدُهُ بقلبِهِ ولكنَّهُ لا يعملُ بمقتضاهَا فلا يتركُ عبادةَ غيرِ اللهِ، فيقولُ: لا إله إلا اللهُ، ولكنَّهُ يدعو غيرَ اللهِ، ويستغيثُ بالأمواتِ، ويذبحُ للجنِّ ويذبحُ للشياطين، يذبحُ للقبورِ ويدعُو غيرَ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ فهذا لَمْ يُحققْ معنىٰ لا إله إلاَّ اللهُ ولَمْ يعملْ بمقتضاهَا فلا تنفعُهُ لا إله إلاَّ اللهُ، وإن كانَ يقولُها عددَ الأنفاسِ كما عليهِ كثيرٌ من القبوريِنَ الذينَ يقولُونَ: لا إله إلاَّ اللهُ، ويرددُّونَها ويكثرونَ منها ولكنَّهُم يدعونَ غيرَ اللهِ يدعونَ الأموات ويدعُونَ الجنَّ والشياطينَ، ويذبحونَ وينذرونَ لغيرِ اللهِ ـ عَزَّ وجلَّ ـ فأينَ هُم وأينَ كلمةُ لا إله إلاَّ اللهُ؟! قال ﷺ: **«فإنَّ اللهَ حَرَّمَ على النارِ مَنْ قَالَ لا إلٰهَ إلاَّ اللهُ يبتغِي بذلِكَ وجهَ اللهِ** بهذا القيدِ، أنْ يقولَها وهو يبتغِي بذلِكَ أي يبتغِي بقولِها، **والنطقِ بها وجهَ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ لا يقولُها رياءً ولا يقولُها سمعةً ولا يقولُها تقليداً»**[١] من غيرِ تقييدٍ لما تدلُّ عليهِ، فإنَّهُ لا يحرمُ على النارِ إلاَّ مَنْ قالَها يبتغِي بذلِكَ وجهَ اللهِ ـ سبحانَهُ وتعالَى ـ.

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: **«مَنْ قالَ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وكَفَرَ بما يُعبدُ مِنْ دونِ اللهِ حرمَ دمُهُ ومالُهُ وحسابُهُ على اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ»**[٢]. قيَّدَهَا بقولِهِ كَفَرَ بما يعبدُ مِنْ دونِ اللهِ، فالذي لا يكفرُ بعبادةِ غيرِ اللهِ من الجنِّ والإنسِ والأمواتِ والأشجارِ والأحجارِ، فإنَّهُ لا تنفعُهُ لا إله إلاَّ اللهُ، وإن كَانَ يقولُها عددَ الأنفاسِ.

---

(١) المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم (١٤٦٩)، مسند الطيالسي (١٢٤١)، المعجم الكبير (٥٣).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٢٨٩٣٥)، فتح الباري (١٢/٢٧٧).

كثيرٌ ممنْ يقولُونَ لا إلٰه إلاَّ اللهُ لا يتقيدُونَ بمعناهَا ولا يعملُونَ بمدلولِها، بَلْ يعملونَ ما يخالفَها وما يناقضهَا فلا تنفَعهم لا إلٰه إلاَّ اللهُ، ولا تُنجيهم مِنَ النارِ يومَ القيامةِ، أمَّا مَنْ قالَها مخلصاً من قلبهِ وعَمِلَ بها وعَمِلَ بمقتضاهَا فإنَّهُ يكونُ مِنْ أهلِ الجنةِ. وممّنْ حرَّمَهُم اللهُ على النارِ، وقدْ جاءَ في الحديثِ أنَّ مُوسىٰ ـ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ـ قالَ: يا ربِّ علِّمني شيئاً أذكرُكَ وأدعُوكَ بهِ. قالَ: يا مُوسَىٰ قلْ: لا إلٰه إلا اللهُ. قالَ: يا ربِّ كُلُّ عبادِكَ يقولونَ هذَا. قالَ: يا مُوسىٰ لو أنَّ السماواتِ السبعَ وعامرهُنَّ غَيْرِي والأراضينَ السبعَ وعامرهُنَّ في كفةٍ، ولا إلٰه إلاَّ اللهُ في كفةٍ مالَتْ بِهنَّ لا إلٰه إلاَّ اللهُ. فهي كلمةٌ عظيمةٌ ترجحُ بالسماواتِ والأرضِ وبجميعِ المخلوقاتِ، فَلَوْ جُمعَتْ المخلوقاتُ كلها في كفةِ الميزانِ، ووضعَتْ لا إلٰه إلاَّ اللهُ في الكفةِ الأخرىٰ لرجحتْ بهنَّ لا إلٰه إلاَّ اللهُ. يالَها من كلمةٍ عظيمةٍ.

وجاءَ في الحديثِ أنَّ رجلاً يومَ القيامةِ يُؤتَى بهِ، وتعرضُ عليه تسعةٌ وتسعُونَ سجلاً مليئةً بالسيئاتِ، يعنى تعرضُ عليه أعمالُهُ مكتوبةً في تسعةٍ وتسعينَ سجلاً كُلُّها مملوءٌ بالسيئاتِ فيقولُ اللهُ جلَّ وعَلاَ: لَهُ يا عبدي هَلْ لَكَ من حسنةٍ؟ فيقول: لا ياربِّ. فيقولُ اللهُ ـ جلَّ وعَلاَ ـ: بَلَىٰ. إنَّكَ لا تُظلَمُ فيؤتَى ببطاقةٍ (يعني ورقةً صغيرةً) مكتوبٌ فيها (لا إلٰه إلا الله) ـ أي إنَّهُ قالَها مخلصاً لله ـ عزَّ وجلَّ ـ موقناً بها وماتَ على ذلِكَ ـ فتوضعُ البطاقةُ في كفةٍ وتوضَع السجلاتُ كُلُّ سجلٍّ منها مدَّ البصرِ في كفة، وهي تسعةٌ وتسعونَ سجلاً فتميلُ بهنَّ لا إلٰه إلا اللهُ، فيدخلَ الجنةَ وتكفرُ عَنْهُ سيئاتُهُ وتُمحىٰ عَنْهُ خطاياهُ بهذهِ الكلمةِ العظيمةِ.

فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، وأكثرُوا مِنْ هذهِ الكلِمةِ وتعلمُوا معناهَا واعملُوا بمقتضاهَا حتى تكونُوا من أهلِها، وجاءَ في الحديثِ الصحيحِ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «لقِّنُوا مَوْتَاكُم لاَ إِلٰهَ إلاَّ اللهُ، فإنَّهُ مَنْ كَانَ آخرُ كلامِهِ لا إلٰهَ إلاَّ اللهُ دخلَ الجنةَ»[1] فلذلِكَ يستحبُّ لِمَنْ حَضَرَ الميتَ وهُو يحتضرُ أنْ يُلَقنَهُ لا إلٰهَ إلا اللهُ. فيقولُ: يا فلانُ قُلْ: لا إلٰه إلاَّ اللهُ، ويخففَ عليهِ ذلِكَ حَتى لا يُثقلَ عليهِ. فإذا قالَها ونطقَ بها وفاضتْ رُوحُهُ عِنْدَ ذلِكَ فهُوَ من أهلِ الجنةِ «مَنْ كَانَ آخرُ كلاَمِهِ لا إلٰه إلاَّ اللهُ دَخَلَ الجنةَ» جاءَ النبيُّ ﷺ إلى عمهِ أبي طالبٍ، عمه أبي طالبِ الذي كانَ يحسنُ إليهِ ويحميهِ من أذىٰ قومِهِ ويدافِعُ عَنْهُ، إلاَّ أنَّهُ لَمْ يتبعِ الرسولَ ﷺ لَمْ يدخلْ في دينِ الرسولِ ﷺ، لكِنَّ الرسولَ ﷺ من شفقتهِ على عمِّهِ وصلتِهِ بأرحامِهِ وحرصِهِ على هدايةِ الناسِ جاءَ إلى عمِّهِ أبي طالبِ وهُوَ يحتضرُ، وكَان عندَهُ رجلانِ من المشركينَ فقالَ لَهُ: يا عَمُّ قلْ لا إلٰه إلاَّ اللهُ، كلمةً أحاجُّ لكَ بِها عند اللهِ، فقالَ لَهُ الرجلانِ الكافرانِ: أتتركُ ملةَ عَبْدِ المطلبِ. فأعادَ عليهِ الرسولُ ﷺ وقالَ: يا عَمُّ قُلْ لا إلٰه إلاَّ اللهُ، كلمةً أحاجُّ لكَ بها عند اللهِ. فقالَ لَهُ الرجلان الكافران: أتتركُ مِلَّةَ عَبْدِ المطلبِ. فقال: والعياذُ باللهِ آخرُ كلمةٍ قالَ: هُوَ عَلَى ملَّةِ عبدِ المطلبِ وأبىٰ أنْ يقولَ لا إلٰه إلاَّ اللهُ بسببِ هذينِ الجليسينِ الكافرينِ، لَوْ قالَها، لَوْ ختمَ لَهُ بِها لنجَا من النارِ، فهذا دليلٌ عَلَى فضلِ هذهِ الكلمةِ وعظيمِ مكانتِها عندَ اللهِ سبحانَهُ وتَعَالَى، فأكثرُوا من النطقِ بِها وذكرِ اللهِ تعالَى بِها صباحاً ومساءً ودائماً، ولكن مَعَ فهمِ مَعْناهَا والعملِ بمقتضاهَا ومدلولِها لعلكُم تفلِحُونَ.

بارِكَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ . . .

---

(١) مسلم (٩١٦) [مقارب]، ابن حبان (٣٠٠٤).

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، وأشكرهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وعَلَى آلِهِ وأصحابِهِ وسلَّم تسليماً كثيراً. أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ: اتقُوا اللهَ تعالَى. كانَ غلامٌ من اليهودِ يخدمُ النبيَّ ﷺ فحضرَتْهُ الوفاةُ فجاء إليهِ النبيُّ ﷺ يزورُهُ فقالَ لَهُ: يا غلامُ قُلْ: لا إلٰه إلا اللهُ، فنظرَ الغلامُ إلى أبيهِ، فقالَ لَهُ أبوهُ: أطِعْ أبَا القاسِمِ. فقالَ الغلامُ: لا إلٰه إلا اللهُ. فقالَ النبيُّ ﷺ لأصحابِهِ: تولوا أخاكُم (يعني جهّزوهُ وكفّنوهُ لأنَّهُ صارَ مسلماً وختمَ لَهُ بالإسلامِ فصارَ لَهُ حُكْمُ المسلمينَ)، ثم قالَ ﷺ: الحمدُ لله الذي أنقذهُ بي مِنَ النارِ. فهذا دليلٌ عَلى فضلِ هذه الكلمةِ عندَ اللهِ ـ سبحانَهُ وتعالَى ـ. ما بالكُم بكلمةٍ تعدلُ السمواتِ والأرضَ ومن فيهنَّ، إنها كلمةٌ عظيمةٌ.

قالَ ﷺ: «مَنْ قالَ في يومٍ لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحمدُ وهُوَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قديرٌ. مئةَ مرةٍ كانتْ لَهُ كعدلِ عشرِ رقابٍ، وكُتبتْ لَهُ مئةُ حسنةٍ ومحيتْ عنه مئةُ سيئةٍ، وكان في حرزٍ من الشيطانِ يومهِ ذلِكَ حتى يُمسي ولا يكونُ أحدٌ أفضلَ مِنْهُ إلاَّ رجلٌ عَمِلَ مثل عملِهِ»[1]، وقال ﷺ: «مَنْ قالَ في يومٍ عَشْرَ مراتٍ لا إلٰه إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحمدُ وهوَ عَلى كلِّ شيءٍ قديرٌ كانَ كَمَنْ أعتقَ عشرَ أنفسٍ مِنْ ولدِ

(١) البخاري (٣١١٩)، (٦٠٤٠) [مقارب]، مسلم (٢٦٩١) [مقارب].

إسماعيلَ»(١)، فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، إنها كلمةٌ خفيفةٌ كلمةٌ يسيرةٌ، كلمةٌ عظيمةٌ لا تكلفكُم شيئاً فعليكُم بالإكثارِ مِنْها، لكِنْ مع معرفةِ معناهَا والعملِ بمتقضاهَا والتقيدِ بها في أعمالِكُم وتصرفاتِكُم، فإنَّ حياةَ المسلمِ كُلّها وكلّ تصرفاتِهِ مبنيةٌ على هذِه الكلمةِ لا إله إلا اللهُ، فلا يتخذُ إلٰهاً غير اللهِ - سبحانَهُ وتعالَى -، ولا يتوكلْ إلاَّ على اللهِ، ولا يدْعُو إلاَّ اللهَ، ولا يرجوُ إلا اللهَ، ولا يخافُ إلا اللهَ، ولا يخشىٰ إلاَّ اللهَ. هذا مَعْنىٰ لا إلٰهَ إلاَّ اللهُ وليْستْ كلمةٌ تقالُ باللسانِ فَقَطْ.

فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، وأكثرُوا مِنْ هذهِ الكلمةِ واعملُوا بِها لعلَكُم تكونونَ من أهلِها.

ثم اعلمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ...

* * *

---

(١) البخاري (٦٠٤١).

فهرس الموضوعات

الموضوع — الصفحة